الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم التاريخ و الآثار

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه علوم

الشعبة: التاريخ الإسلامي

من إعداد:
غزلان لخلف

بعنوان

الطوائف المسيحية الشرقية في المشرق الإسلامي زمن الحروب الصليبية 489–685 هـ /1096–1291 م، دراسة سوسيو–سياسية

بتاريخ: 2025/07/08م

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة		
السيد: رابح أولاد ضياف	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
السيد: كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا
السيد: سناء عطابي	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
السيد:يوسف أحلام	أستاذ محاضر أ	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
السيد: عبد المالك بكاي	أستاذ التعليم العالي	بجامعة محمد الأمين دباغين سطيف2	ممتحنا
السيد: خميسي بولعراس	أستاذ التعليم العالي	بجامعة محمد الأمين دباغين سطيف2	ممتحنا

السنة الجامعية: هـ1446 /2024–2025م

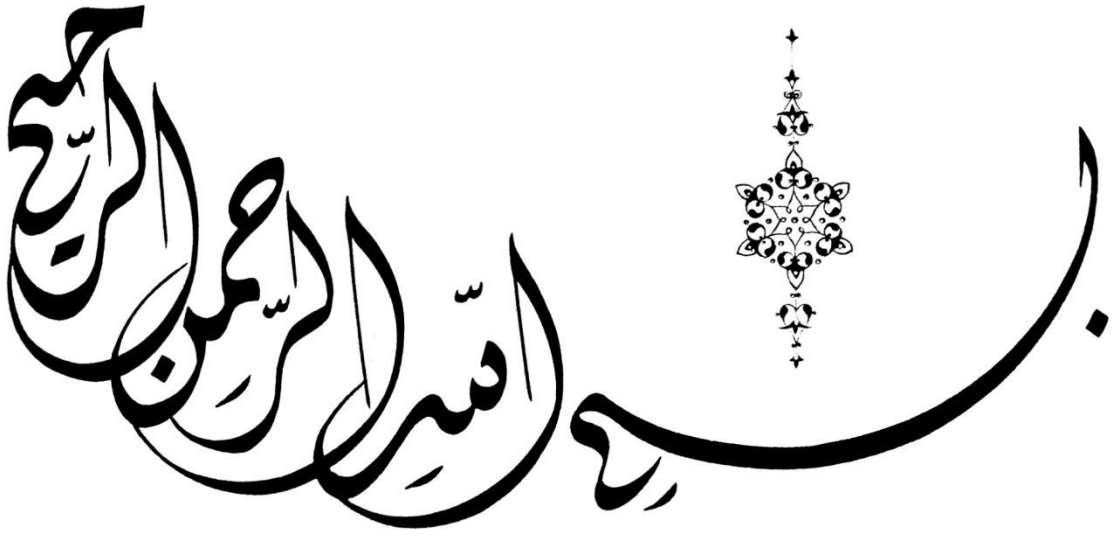

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}

{ سورة هود: الآية 118}

شكر وتقدير

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " سورة إبراهيم 07

الشكر أولا لله سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، ورسم لنا طريق الصواب

وأنار لنا بنوره ظلام الجهل وأعاننا بفضله على إنجاز هذا العمل

"فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا عند كل طرفة عين وتنفس نفس"،

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي المشرف " **كمال بن مارس** " عرفانا له

على صبره معي طيلة سنوات الإشراف على هذا العمل وكذلك

على توجيهاته وملاحظاته القيمة لإتمامه،

سائلة الله سبحانه وتعالى أن يبارك في عمره وعلمه ووقته،

وخالص الشكر والامتنان للأساتذة الأفاضل

أعضاء لجنة المناقشة على كونهم جزء من تمام هذا العمل،

إهداء

إلى صُناع التاريخِ أهلنا في أرض الرباط،

إلى أهلي: والداي العظيمان،

زوجي الكريم ،

إخوتي كُلُّ السند،

أولادي،

أصدقائي وأحبتي ،

أهدي عملي هذا،

جدول المختصرات

الكلمة	الإختصار
تحقيق	تح،
ترجمة	تر،
تعليق	تع،
تقديم	تق،
جزء	ج،
دون تاريخ	د،ت
دون دار نشر	د،د،ن
دون طبعة	د،ط
صفحة	ص،
طبعة	ط،
قسم	ق،
مجلد	مج،
page	p،
volum	Vol،
edition	ed،

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم النافع طريقاً موصلاً لرضاه، وصراطاً يتبعه من أراد هداه، ويحيد عنه من ضل واتبع هواه، أحمده سبحانه حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

أولا: أهمية الموضوع:

تتسم أرض المشرق بالتنوع الإثني والاختلاف الديني منذ العصور القديمة، هذه التعددية التي سوف يحتويها الإسلام برحابته لتصبح إحدى مقوماته الحضارية، فرغم أن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي ارتبط اسمها كما جوهرها بدين معين، فإنّها أرست أرضية صلبه للتعايش مع الآخر وضوابط مُنظِمة ومحفزة على الوحدة المجتمعية المنبثقة من رحم الفردية الدينية، تجسد هذا المفهوم في مدى ارتباط فئة أهل الذمة بالحضارة الإسلامية خاصة النصارى أو المسيحيين الشرقيين منهم، باعتبارهم يمثلون أكبر طائفة دينية بعد المسلمين في المشرق الإسلامي.

يتشارك المسيحيون الشرقيون مع المسلمين في الهوية العرقية والثقافية، فالفتوحات الإسلامية لم تغير الأصول الإثنية للأفراد ولم تطالبهم بالتبرؤ من أصولهم العرقية، بل غيرت إنتماءهم الديني فقط،كما أن الإسلام لم يُلزمهم بالتخلي عن موروثهم العائدي والثقافي مادام لا يخالف مع تعاليم الدين الإسلامي، فالمسلمون في المشرق كانوا ذوي أصول عربية وآرمية – سريانية وكردية وفارسية وتركية وقبطية وغيرها من الانتماءات العرقية والقومية التي ذابت وتمازجت داخل الحضارة الإسلامية، وبالتالي، فإن المسيحي الشرقي يرتبط مع المسلم الشرقي برابطة الدم والقرابة أولا ثم برابطة الانتماء الحضاري الشرقي ثانيا حتى وإن اختلفت دياناتهم.

لا يعني هذا أن الاختلاف الديني بين المشارقة كان اختلافا هينا، خاصة مع تفوق الطرف الإسلامي على الآخر المسيحي، ونقصد هنا التفوق السياسي والاجتماعي، فالسلطة الحاكمة في المشرق هي سلطة إسلامية وبقوانين مستمدة من جوهر الدين (الكتاب والسنة)، وبالتالي، فإن مشاركة المسيحي في الحكم أو السلطة ستكون مقيدة بما يمليه الشرع، أما اجتماعيا فقد أصبح المسيحي محصورا في تراتبية طبقية معينة أطلق عليها الإسلام فئة أهل الذمة التي تلتزم بما يُسمّى بعهد الذمة، وهو بمثابة عقد بين الحاكم المسلم وبين المحكوم غير المسلم، يلتزم فيه النصراني بشروط معينة وواجبات محددة مقابل تمتعه بحقوقه التي يكفلها له الشرع الإسلامي على يد الحاكم.

لم ينظر المسيحي الشرقي دائما بعين الرضى إلى هذا التفوق الإسلامي، لكن يمكن أن نقول أنّه تعايش معه ما أمكنه ذلك، خاصة في مراحل القوة سعيا للحفاظ على مصالحه، غير أن طوائف كثيرة كانت تتحين الفرص لتتآمر على المسلمين في أوقات ضعفهم من أجل تحقيق حلم الحكم الذاتي والخروج من دائرة الحكم الإسلامي، وبالمقابل كانت هناك شريحة كبرى من النصارى راضية بوضعهم كجزء من الدولة الإسلامية، ويرون فيها الحامي

لدينهم والمدافع عنهم، وأقصى مطالبهم هو التخفيف من تطبيق شروط العهدة العمرية والذي كان أغلب الوقت تهمل تطبيقه السلطة الإسلامية التي تهاونت في هذا الأمر كثيرا.

وفي خضم هذه الصورة النمطية للعلاقة بين مسيحيي الشرق والمسلمين يبتلى العالم الإسلامي بتكالب الغرب المسيحي على أراضيه، مطالبين بقبر السيد المسيح وبيت المقدس معتبرين أنفسهم أصحاب القبر والأرض، مجسدين لنا أبرز الحركات الاستعمارية في العصور الوسطى، ووجد مسيحيو الشرق أنفسهم متورطين في صراع إذ لديهم انتماء إلى طرفيه، فالصليبيون، ظاهريا، هم إخوانهم في الدين، والمسلمون، واقعيا، هم إخوانهم في الدم وشركاؤهم في الأرض، ضف إلى ذلك استقرارهم في كل الأراضي الإسلامية واللاتينية الشرقية على حد سواء، وتبعا لهذه الانعطافات الحدثية حاولنا تسليط الضوء على هذه الفئة ومحاولة رسم صورة متكاملة لواقعها ومواقفها السياسية وأوضاعها الاجتماعية من خلال هذه الدراسة الموسومة بـ: **"الطوائف المسيحية الشرقية في المشرق الإسلامي زمن الحروب الصليبية 489-685 هـ /1096-1291 م، دراسة سوسيو- سياسية"**.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

الميل الشخصي نحو الدراسات التي تتناول العلاقة بين المسلمين والمسيحيين خلال العصور الوسطى والتي بدأناها منذ مرحلة الماجيستير، وقد لاحظنا جملة من النقائص، نرتبها كما يلي:

- النقص في الدراسات التي اعتنت بتاريخ الطوائف المسيحية الشرقية في المشرق الإسلامي وبخاصة أثناء الحقبة الصليبية، وإن دُرست بعض جوانبها، فإنها لم تُدرس إلا في منطقة جغرافية محدودة وهي بلاد الشام، مقتصرة على طوائف محددة دون أخرى بسبب تحديد المجال الجغرافي للدراسة، وبالتالي، فإنها لا تكفي لإبراز صورة واضحة المعالم لواقع هذه الطوائف المنتشرة في مختلف أراضي المشرق.

- طبيعة الموضوع في الخصوصية الإثنية والدينية للطوائف المسيحية الشرقية تجعلك مترقبا لموقفها من الصراع مثل الصراع الصليبي- الإسلامي، فهي بطريقة ما تنتمي لكلا الطرفين بشكل من الأشكال إما عرقيا أو دينيا، وبالتالي، نحن نعتبر سبر أغوار مثل هكذا موضوع من الأمور المشوقة في البحث التاريخي.

- مرحلة الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي في حدّ ذاتها موضوع جاذب للدراسة، لما يكتنفها من دروس تاريخية لتطور مفهوم الفكر الاستعماري في الصراع بين الشرق والغرب وما أفرزه من إعادة تشكيل لمفاهيم القوى الدولية والإقليمية في مرحلة العصور الوسطى.

ثالثا: إشكالية الدراسة:

بنيت هذه الدراسة على جملة من الإشكاليات التي سنفتح بها أبوابا من التحليل والنقاش خلال الإنجاز، ساعين إلى رسم صورة تاريخية متجانسة في محاولة لجمع شتى جوانب الموضوع، انطلاقا من إشكالية رئيسة تمحورت حول:

رصد المتغير في الواقع السياسي والاجتماعي للطوائف المسيحية الشرقية خلال المرحلة الصليبية، ومدى تأثير هذه الحملات على المسيحي الشرقي في علاقته بالآخر المسلم والمسيحي الغربي،

واندرجت ضمن هذه المقاربة الرئيسة مجموعة من المحاور الإشكالية، بهدف تتبع ما يثيره الموضوع من تساؤلات، سنتولى الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة وأبرزها:

– أرض المشرق هي مهد المسيحية وموطن الطوائف الشرقية، والفتوحات الإسلامية شملت جميع أراضي المشرق الشام والعراق ومصر: **إلى أي مدى استطاعت الحضارة الإسلامية تجاوز الاختلاف الديني من أجل خلق نسيج اجتماعي متجانس؟ ثم هل كان للنصارى الشرقيين أي ارتباطات سياسية أو دينية مع المسيحيين الغربيين قبل القرن 5هـ/11م؟**

– تعتبر الحملة الصليبية الأولى أفضل الحملات التي جسدت عنصر المفاجأة العسكرية، **فهل لعب الخلاف المذهبي بين المسيحيين الشرقيين دورا في تحديد مواقفهم من هذا الصراع؟**

– بعد استقرار الصليبيين اللاتين في المشرق وتأسيسهم لكياناتهم السياسية، انضوى تحت حكمهم جماعات كبيرة من الطوائف المسيحية الشرقية، **فهل كان لهم موطأ قدم في مؤسسة الحكم الصليبية؟ وهل تحققت غايتهم في الحكم الذاتي؟** ثم إلى أي **مدى نعم مسيحيو الشام بالاستقرار و المساواة الاجتماعي تحت حكم اللاتين؟**

– بقيت جماعات مسيحية شرقية بعد مجيء الصليبيين في أوطانها تحت حكم المسلمين خاصة النساطرة والأقباط، **فهل تغير واقعهم السياسي والاجتماعي تحت حكم المسلمين الكارهين للصليبيين؟ وكيف تعامل المسلمون مع هذه الطوائف بعد احتلال اللاتين للساحل الشامي؟**

رابعا: هيكل الدراسة:

بناءً على ما وقفنا عليه من مادة علمية في مختلف المظان المصدرية، وتماشيا مع ما أملته الدواعي المنهجية في تغطية مجمل التساؤلات التي شملتها إشكالية الدراسة، فقد آثرنا أن نقسمها إلى خمسة فصول وخاتمة ضمناها أبرز النتائج التي توصلنا إليها:

جاء الفصل الأول تحت عنوان "الواقع السوسيو– سياسي لمسيحيي الشرق خلال القرون 2 –5 هـ /8 – 11 م"، وتناولنا فيه التنوع الطائفي للمسيحيين الشرقيين، مثل السريان (النساطرة واليعاقبة)، والروم الأرثوذكس،

والموارنة، والأرمن، والأقباط، مع إبراز خصوصياتهم الجغرافية والإثنية، كما استعرضنا وضعهم الاجتماعي والسياسي داخل الدولة الإسلامية، بما في ذلك حقوقهم بموجب عقد الذمة، وعلاقتهم بالاضطرابات السياسية، ودورهم في الحضارة الإسلامية، مسلطين الضوء على علاقتهم بالكنيسة الغربية قبل الحروب الصليبية، ثم تطرقنا الى بداية الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي، وحاولنا رصد ردود أفعال مسيحيي الشرق اتجاه الحملة الصليبية الأولى (1096 – 1110م)، ومواقف الطوائف المختلفة منها، خصوصًا السريان، والأرمن، والموارنة.

أما الفصل الثاني فعنوناه "بالواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الصليبي (491هـ-690هـ / 1098-1291م)"، ويبحث في دور المسيحيين الشرقيين داخل الحكم الصليبي، من خلال المناصب الإدارية والعسكرية والدينية، وناقشنا فيه طرق اندماجهم في الإدارة الصليبية، بما في ذلك المصاهرات السياسية ودورهم في القضاء، كما استعرضنا مشاركتهم العسكرية إلى جانب الصليبيين، مثل الدعم العسكري للأرمن والسريان، وأيضًا حالات التمرد ضد الصليبيين، وركزنا أيضًا على تجربة الحكم الذاتي لمسيحيي الشرق في "مملكة أرمينيا الصغرى"، بما في ذلك تحالفاتها مع الصليبيين والمغول وصراعها مع المماليك.

استعرضنا في الفصل الثالث المعنون "بالواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الإسلامي (491هـ-690هـ / 1098-1291م"، ونظرنا في وضع المسيحيين تحت الحكم الإسلامي خلال الفترة الصليبية، ودورهم في مؤسسات الحكم في العراق، والشام، ومصر، كما ناقشنا تحالفاتهم مع المسلمين ضد الصليبيين، مثل التعاون بين السريان والزنكيين، وموقف الأقباط من الصراع الإسلامي- الصليبي، وسلّطنا الضوء أيضًا على المؤامرات المسيحية ضد الحكم الإسلامي، مثل محاولة انقلاب الأرمن في الرها، وتآمرهم ضد نور الدين محمود، بالإضافة إلى تحالف النساطرة مع المغول.

وخصصنا الفصلين الأخيرين للواقع الاجتماعي للطوائف المسيحية الشرقية، وكان الفصل الرابع تحت عنوان "جوانب من الحياة الاجتماعية لمسيحيي الشرق داخل الإمارات الصليبية (1098-1291م)"، وتحدثنا في هذا الفصل عن مكانة المسيحيين المحليين داخل المجتمع الصليبي، من حيث علاقتهم بسياسة الاستيطان، ودورهم في النظام الإقطاعي، كما استعرضنا أنماط حياتهم اليومية، مثل الطعام، والعمارة، واللباس، ودور المرأة، وناقشنا، أيضًا، التفاعلات الدينية بين المسيحيين الشرقيين والصليبيين، وتأثير سياسة الكثلكة على الكنائس المحلية المختلفة.

وختامنا كان الفصل الخامس تحت عنوان "جوانب من الحياة الاجتماعية للنصارى تحت الحكم الإسلامي (491 هـ - 690 هـ / 1098- 1291 م" واستهللناه بالتوزيع الديمغرافي للمسيحيين في الأراضي

الإسلامية، وحقوقهم الدينية، مثل حرية ممارسة الأعياد وترميم الكنائس، وناقشنا دورهم المجتمعي، خاصة في المجال الطبي، حيث برز أطباء نصارى في العراق ومصر والشام، كما تتبعنا أيضا، السياسات التي أثرت في حياة المسيحيين في ظل الحكم الإسلامي، مثل فرض الجزية، وتطبيق عهد الذمة من تمييز في اللباس، وتقييد في بناء الكنائس، وتعرضنا لمسألة "المسالمة"، أي التحول إلى الإسلام، سواء كان ذلك بدافع الإيمان أو تحت تأثير الضغوط الاجتماعية والاقتصادية.

خامسا: منهج الدراسة:

أمام تعدّد الطوائف المسيحية الشرقية وتشعب تمثلاتها السياسية والاجتماعية، وتبعثر مادتها على عديد الصنوف المصدرية، آثرنا –من أجل تطويع المادة التاريخية لتحرير هذه الدراسة– أن نمازج بين عدة مناهج بحثية. فجاءت كما يلي:

1 – المنهج الاستقرائي:

استدعت طبيعة الموضوع الذي بين أيدينا أن يحتل هذا المنهج البحثي حيزا هاما منه من خلال التنقيب عن النصوص في مختلف الأجناس المصدرية، ومساءلة مضامينها للمقاربة بين أفكارها، وهندستها في قالب متناغم يرفع بعض الغموض عن المسألة المدروسة، ويضعها ضمن عديد السياقات التي أنتجتها.

2 – المنهج التحليلي:

لا غنى عن هذا الصنف من المناهج للباحث في مثل هذا النوع من الدراسات الذي كثيرا ماتعترضنا بعض الغوامض التي تستدعي منا تقصى مضمراتها، أو تقديم تفسيرات لها، كما استندنا أيضا إلى المنهج التحليلي في معرض بسط بعض الإشكاليات التي طرحتها هذه الدراسة مثل مشاركة مسيحيي المشرق في مؤسسة الحكم الصليبية عن طريق المصاهرات السياسية المتكررة جيلا بعد جيل، كما استندنا أيضا إلى المنهج التحليلي في معرض بسط بعض الإشكاليات التي طرحتها هذه الدراسة، مثل تبيان المتغير في الأوضاع السياسية والاجتماعية للطوائف المسيحية الشرقية بعد استقرار اللاتين في أرض المشرق.

3 – المنهج المقارن:

احتل هذا المنهج موقعا خاصا في هذه الدراسة لطبيعة توظيفه، ففي حالات تضارب الأخبار واختلافها مما يتطلب إنجاز مقارنة بين النصوص ومقابلتها للوصول إلى مقاربة تجمع بينها، أو ترجح إحداها على الأخرى، ومن مشاهد ذلك اختلاف المصادر خاصة اللاتينية منها في تحديد أصول ومذاهب الجماعات المسيحية التي التقت بها

جيوش الحملة الصليبية الأولى على طول خط سيرها من القسطنطينية إلى بيت المقدس، فكان لا بدّ من مقارنة الروايات المصدرية من أجل تحديد مواقف هاته الطوائف من الصليبيين.

سادسا: الدراسات السابقة:

هناك بعض الأبحاث الأكاديمية التي اعتنت بموضوع الطوائف المسيحية الشرقية زمن الحروب الصليبية رغم تركيزها في الغالب على مجال جغرافي ضيق وهو بلاد الشام والتركيز على موقفها دون الخوض في أوضاعها مثل:

- محمد سامي سلطان، **موقف نصارى بلاد الشام من الحروب الصليبية 488 –690 هـ/1095–1291م** ، أطروحة دكتوراه، جامعة بيروت العربية، 2013،

- أميرة نافع، **المسيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط 1، الجيزة، 2016.

كما أتت بعض المحاولات **في شكل محاور** ضمن دراسات عامة، أو في شكل مقالات تعالج إحدى الجزئيات ذات الصلة بموضوع مسيحيي المشرق عصر الحروب الصليبية، ومن أهمها:

- فاطمة الطراونة، **دور الأرمن في الحروب الصليبية 1096 / 1152 م**، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، الأردن، 2002، وقد رصدت فيه الباحثة مواقف طائفة الأرمن وأدوارها من وفود الصليبيين إلى أرض المشرق،

- هويدا محمد بنيرة، **أقباط مصر في عصر الحروب الصليبية (1095– 1291 م/ 490 – 690 هـ)**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد11، ج1، أكتوبر 2021.

- Christopher Mac Evitt, Tolerance, R , **The Crusades and the Christian** ،A, 2008،S،**World of the East**, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, U

سابعا: صعوبات البحث:

اعترضتنا في إنجاز هذه الدراسة جملة من الصعوبات المعرفية والمنهجية، ويمكن إجمالها في:

قلة المادة الخبرية المباشرة التي أرّخت للطوائف المسيحية الشرقية في مرحلة الحروب الصليبية بالتحديد، إلى جانب تشتتها بين مختلف المظان المصدرية، خاصة أن أغلب أخبارهم وردت في سياق عرض خبر عام ولم تكن الطوائف دائما هي محور التأريخ.

ويزيد الأمر تعقيدا أنّ ما أمكننا رصده من مادة مصدرية حول الطوائف المسيحية الشرقية في الغالب يخص رأس الهرم الديني باعتباره ممثلا للطائفة، وبالتالي، تكاد تنعدم الإشارات إلى العوام من هذه الطوائف، وهو ما سيجعل الدراسة الاجتماعية لأوضاعهم تتسم بالانتقائية، وتبقى في حاجة إلى البحث و الاستقصاء.

وممّا له صلة بهذه الصعوبات التعميم والخلط الذي عانينا منه في مختلف المصادر الإسلامية واللاتينية فيما يخص أسماء الطوائف والتفريق بينها، فعلى سبيل المثال في أغلب المصادر الإسلامية يرد مصطلح النصارى غير متبوع باسم أي طائفة، كما يرد مصطلح السريان في دلالة على طائفتي اليعاقبة والنساطرة معا، ولكي نستطيع تصنيف الحدث ضمن خطة الدراسة لجأنا إلى محاولة تقصي مكان هؤلاء وتتبع تجمعاتهم السكانية في كتب الديارات حتى نستطيع أن نعرف أي طائفة هي المقصودة.

ثامنا: عرض لأهم المصادر و المراجع:

ومن أجل استيفاء جميع جوانب هذه الدراسة، حاولنا الاعتماد على رصيد من المصادر الموزعة على مختلف الحقول المعرفية التي تطرقت للأحوال السياسية والاجتماعية للطوائف المسيحية خلال فترة الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي بشكل جزئي أو شمولي، وسعينا في هذا العنصر إلى استعراض أهم هذه المصادر مع ذكر مواطن الاستفادة منها ضمن هذه الدراسة.

1. المصادر العربية:

- **مصنفات التاريخ الإسلامي العام:**

– ابن القلانسي (ت 555 هـ/1160 م): هو أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي، من أسرة دمشقية عريقة، تولى الكتابة في ديوان الرسائل وأصبح عميدًا له، وشغل منصب رئيس مدينة دمشق مرتين، يُعدّ أول من كتب في تاريخ الفرنجة بين المؤرخين العرب والمسلمين في كتابه "**ذيل تاريخ دمشق**"، وتناول فيه تاريخ بلاد الشام، خاصة دمشق، منذ دخول السلاجقة حتى عام وفاته، يُعتبر كتابُه مصدرًا أساسيًا لدراسة العلاقات الإسلامية – الفرنجية منذ وصول الصليبيين إلى بلاد الشام حتى تصدي نور الدين محمود لهم، وقد أشار إلى دور بعض المسيحيين الشرقيين بصفتهم وسطاء بين المسلمين والصليبيين، مستفيدين من معرفتهم باللغات، كما صوّر ابن القلانسي علاقتهم بالصليبيين المعقدة حيث تأرجحت بين الخضوع، والمقاومة، والحياد وفقًا للظروف السياسية.

– أسامة بن منقذ (ت 584 هـ/1188 م): هو مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري، من بني منقذ، الذين أقاموا إمارة في شيزر شمال بلاد الشام، وُلد سنة 488 هـ/ 1095م، تلقى تعليمه في النحو والقرآن والشعر، ترك مذكراته في كتاب **الاعتبار**، حيث سجّل تجربته الواسعة في القتال بسوريا وفلسطين ومصر والجزيرة، واتصاله بأمراء مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين، وصلاح الدين، يُعدّ كتابُه وثيقة تاريخية مهمة لحياة الفرنجة في الشرق ، إذ تطرّق لعاداتهم وتقاليدهم ونظمهم العسكرية والقضائية، فكان من أهم المصادر التي

اعتمدنا عليها في محاولة سد نقص المشاهدات الاجتماعية للمجتمع المسيحي الشرقي المنضوي تحت حكم اللاتين.

– **ابن العديم (ت 660 هـ/1261 م)**: هو كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله، وُلد في حلب عام 588 هـ/1192 م، ونشأ في بيئة سياسية، حيث تولى القضاء ومهام سياسية كبرى في الدولة الأيوبية، فرّ إلى مصر عند غزو المغول، ثم عاد إلى حلب، لكنّه لم يحتمل الدمار الذي حلّ بها، فعاد إلى مصر وتوفي هناك، ألّف كتاب "**زبدة الحلب في تاريخ حلب**"، الذي يُعد مصدرًا مهمًا في الحروب الصليبية، حيث وثّق العلاقات بين المسلمين والفرنجة، ومواقف الأرمن وتحالفاتهم مع البيزنطيين، ورغم إيجازه الشديد، قدّم معلومات مهمة، ممّا جعله مرجعًا أساسيًا لدراسة تاريخ الحروب الصليبية.

– **المقريزي (ت 845 هـ/1441 م)**: تقي الدين أحمد بن علي أهم كتبه "**الخطط المقريزية**" و"**السلوك لمعرفة دول الملوك**"، تناول أوضاع النصارى في مصر عبر العصور الإسلامية، خاصة علاقتهم بالسلطة ودورهم في المجتمع، أشار إلى أن الأقباط كانوا يشغلون مناصب إدارية ومالية مهمة، لا سيما في دواوين الضرائب، ممّا منحهم نفوذًا واسعًا في بعض الفترات، خصوصًا خلال الحكم الفاطمي وأوائل العصر المملوكي، لكنّه وثّق، أيضا، فترات اضطهاد تعرضوا لها مثل هدم بعض كنائسهم، خاصة في العهود التي شهدت توترات سياسية أو دينية، مثل الحملات الصليبية التي زادت من الشكوك حول ولائهم.

- **كتب الرحلة و الجغرافية:**

– **ابن جبير (ت 614 هـ/1217 م)**: في كتابه رحلة ابن جبير، الذي زودنا بأماكن تواجد الطوائف المسيحية التي كان ملما بالفروق بينها وعرض الأحوالهم الاجتماعية و الدينية لمن كان يقطن بلاد الشام منهم.

– **ياقوت الحموي (ت 626 هـ /1228 م)** صاحب كتاب معجم البلدان، كان خير معين في تقصي مضارب استقرار المسيحيين الشرقيين من خلال وصفه للبلدان والتعريف بها ممّا سهل علينا خريطة انتشار الطوائف المسيحية على أرض المشرق الاسلامي، كما أفادنا في التعريف بالأماكن التاريخية عموما.

- **كتب الطبقات:**

– **ابن أبي أصيبعة** ومصنفه **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** الذي ذكر فيه عددًا من الأطباء النصارى الذين عاشوا وعملوا في المشرق الإسلامي خلال المرحلة الصليبية، خاصة في بغداد وبلاد الشام، وقد أظهر ابن أبي

أصيبعة إنصافًا في ذكر هؤلاء، فأبرز دورهم العلمي بعيدًا عن الخلفية الدينية، مما يعكس استمرار مشاركة النصارى المشارقة في الحياة الطبية والفكرية في المشرق الإسلامي، حتى خلال زمن الحروب الصليبية.

2. المصادر اللاتينية

أمدت الحملة الصليبية الأولى بوفرة من المؤرخين اللاتين الذين سجلوا تاريخ الشرق منذ خروج الفرنجة من بلادهم في سنة 488 هـ/1095 م، حتى سنة 521 هـ/1127 م، ومن أهم هذه المصادر التي اعتمدناها نذكر:

- **مصادر التاريخ العام:**

- **المؤرخ المجهول:**

اختلف المؤرخون في تحديد شخصيته، وكان برفقة الأمير بوهيموند النورماندي، ويُعدّ مصدره من المصادر الرئيسية لدراسة تاريخ الحملة الصليبية الأولى، فقد كان المؤرخ شاهد عيان للكثير من المعارك الحربية، كما كان عليماً بما يدور في مجالس الأمراء والنبلاء، مما أفاد الباحث تحدث عن معاونة السريان والأرمن للفرنجة أثناء حصارهم لأنطاكية وأنهم كانوا عيوناً لهم يخبرونهم عن تحركات المسلمين، وكيف ساعدوهم أثناء دخولهم أنطاكية بتتبع المسلمين وقتلهم.

- **ريموناجيل Raymond d'Aguilers**: هو الكاهن المرافق لريموند الصنجيلي واسمه ريموند دي جيل خلّف لنا كتاب "**تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس**"، تحدث عن المسيحيين الشرقيين بعدة صور، حيث أبدى تقديرًا لبعضهم، مثل الأرمن الذين قدموا دعمًا للصليبيين، والموارنة ومساعدتهم بإرسال الأدلاء للفرنجة أثناء مسيرهم إلى بيت المقدس، ومساعدتهم أثناء حصار الفرنجة لطرابلس، بينما نظر بريبة إلى البيزنطيين واتهمهم بعدم الوفاء بوعودهم، كما أشار إلى الجماعات المسيحية المحلية، لكنه تعامل معهم من منظور لاتيني متحيز، معتبرًا أنهم يفتقرون إلى "الإيمان القويم" وفق المفهوم الكاثوليكي.
- **فوشيه الشارتري Foucher de Chartres** هو فرنسي ولد في تشارتز في الفترة الواقعة بين سنتي 450 - 451 هـ /1058 – 1059 م، شارك في الحملة الأولى وكان مرافقاً لبلدوين دي بويون إلى الرّها سنة 491 هـ/1098 م، كتب تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ويُعتبر شاهد عيان لمعظم ما دوّنه، تحدث عن أوضاع الأرمن في إمارة الرُّها في عهدي بلدوين دي بويون وبلدوين دي بورغ، وعن أسر الملك بلدوين الثاني في خرتبرت وإنقاذ الأرمن لهم، وعن هجرة النصارى الشرقيين إل بمملكة بيت المقدس، وأشار هؤلاء المؤرخون بنصيب وافر إلى علاقات الفرنجة بكل من البيزنطيين والأرمن والمسلمين.

أما من المؤرخين اللاتين المتأخرين، فنذكر أبرز من يعود إليه الفضل في رسم صورة تاريخية تفصيلية لأحوال الفرنجة في الشرق وعلاقاتهم بالمسلمين والمسيحيين الشرقيين ونقصد به:

- **وليم الصـــوري:** ولد في بيت المقدس سنة 524 هـ/1130 م، من والدين لاتينيين وعاش حياته بين بيت المقدس وصور، تعلم اللغات ودخل السلك الديني الذي تدرج فيه الى أن اصبح قسا في كنيسة صور الكاثوليكية، عاصر كل من عموري الأول ملك بيت المقدس الذي قربه منه ثم اتخذه مؤرخا لبلاطه وكلّفه برتبة رئاسة الأساقفة ورعاية ولي عهده بلدوين الرابع، غطى وليم فترة الحملة الصليبية الأولى حتى عهد بولدوين الثاني، معتمداً على مصادر من سبقه، واستمر وليم في تأليف تاريخه حتى سنة 580 هـ/1184 م، حيث تحدث عن علاقات كل من الأرمن والسريان والبيزنطيين بالفرنجة منذ الحملة الأولى وكذلك عن الموارنة وارتباطاتهم الدينية والسياسية مع الفرنجة.

  - **أرشيف مملكة بيت المقدس الصليبية:**

– يوجين روزيي (Eugène Rozière) : هو مؤرخ وعالم مخطوطات فرنسي من القرن 19م، اشتهر بعمله في تحليل الوثائق التاريخية ونشرها، خاصة تلك المتعلقة بالحروب الصليبية والكنائس المسيحية في الأراضي المقدسة، يُعدّ كتابه Cartulaire de l'Église du Saint-Sépulcre de Jérusalem أحد أقدم التجميعات الوثائقية حول كنيسة القيامة، حيث اعتمد على مخطوطات محفوظة في الفاتيكان.

– جينيفيف بي، بي (Geneviève Bresc-Bautier) : هي باحثة فرنسية متخصصة في التاريخ الوسيط، وبالتحديد في الوثائق الكنسية والقانونية، أشهر أعمالها Le Cartulaire de Chapitre de Saint-Sépulcre de Jérusalem (1984)، الذي يحلل وثائق كنيسة القيامة في القدس خلال الفترة الصليبية، قدمت مساهمات مهمة في دراسة الأرشيفات الكنسية وتأثيرها في المجتمع والسياسة في الشرق اللاتيني خلال المرحلة الصليبية.

واستفدنا من هذين الكتابين في تتبع أخبار المسيحيين الشرقيين القاطنين المستوطنات الصليبية و طبيعة وتفاعلهم داخل المجتمع اللاتيني.

3. المصادر المسيحية الشرقية:

كان لزاما علينا نظرا إلى طبيعة الموضوع أن نستنطق مصادر المؤرخين المسيحيين الشرقيين بداية بالسريان، الأرمن ، الأقباط وكذا البيزنطيين وذلك من أجل تحري الدقة و الشمولية في الطرح.

- **مصادر التاريخ العام:**

أ- البيزنطية:

- آنا كومنينا (1083-548هـ/1153م): هي أميرة ومؤرخة بيزنطية، وابنة الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس (حكم 1081 - 1118 م / 473 – 512 هـ)، تلقت تعليمًا رفيعًا في الفلسفة والطب والأدب، كتبت الألكسياد بين 1137 - 1148 م/ 532 – 543 هـ، وهو سجل تاريخي يوثق فترة حكم والدها، متناولًا إصلاحاته السياسية والعسكرية، وصراعه مع الأتراك السلاجقة، وتعاملاته مع الحملة الصليبية الأولى (490 – 493 هـ/1096 – 1099 م) في كتابها، تقدم آنا وجهة نظر بيزنطية حول الحملات الصليبية، حيث تبرز توتر العلاقات بين بيزنطة والجيوش الأوروبية، كما سردت لنا مجريات الحملة الصليبية الأولى **وسيرها** ومرورها بالتجمعات المسيحية في آسيا الصغرى متطرقة بشكل غير مباشر إلى الطوائف المسيحية الشرقية مثل الأرمن، الذين تذكرهم في سياق الحروب البيزنطية – السلجوقية وعلاقتهم المعقدة مع بيزنطة والصليبيين، وكذلك السريان الأرثوذكس (اليعاقبة)، الذين لم تتناولهم بشكل مباشر لكنهم كانوا جزءًا من المشهد الديني والسياسي في المشرق، لم يخصص الألكسياد فصولًا مفصلة للطوائف المسيحية الشرقية، لكنه يلمّح إلى وجودها في سياق الصراعات الدائرة آنذاك، مما يعكس رؤية بيزنطية لهذه الجماعات وعلاقتها بالإمبراطورية.

ب- المصادر السريانية:

تشكل المصادر السريانية رغم قلتها أهمية كبيرة من حيث علاجها لموضوع تاريخ الحروب الصليبية من جانب علاقة الكنائس الشرقية بالكنيسة اللاتينية الكاثوليكية، وركزت على الإشارة لتلك العلاقات التي كانت للأرمن والسريان والبيزنطيين بين بعضهم ومع الصليبيين أيضا، كما أعطتنا إشارات كثيرة عن الواقع الاجتماعي لهاته الطوائف في ظل حكم كل من المسلمين وحتى من صار منهم تحت سلطة الصليبيين، ومن أهمها:

- المؤرخ البطريرك **ميخائيل السوري الكبير**(595-520هـ / 1126-1199م): كان بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وأحد أبرز المؤرخين السريان في العصور الوسطى، تولى منصب البطريرك عام **561هـ / 1166م**، وسط فترة مليئة بالأحداث السياسية الكبرى، مثل الحملات الصليبية وصعود الدولة الأيوبية، عُرف بحكمته ودوره في إدارة شؤون الكنيسة، لكنه اشتهر أكثر بكتاباته التاريخية التي تُعد من أهم المصادر لدراسة تاريخ المشرق، يُعتبر كتابه **"التاريخ السرياني"** الذي كتبه باللغة السريانية، أشهر أعماله، يقدم هذا الكتاب سجلًا شاملًا لتاريخ العالم منذ بدء الخليقة وحتى أواخر القرن السادس الهجري (**594هـ / 1198م**)، مع تركيز خاص

على تاريخ الكنيسة السريانية، والأحداث السياسية التي أثرت **في** المنطقة، يُعدّ مصدرًا شاملًا ودقيقًا لأوضاع المسيحيين في المشرق خلال فترات الحكم الإسلامية والصليبية.

– **المؤرخ الرُّهاوي المجهول**: هو كاتب سرياني لم يُعرف اسمه الحقيقي، لكنه يُنسب إليه كتاب تاريخي مهم يُعرف باسم "**تاريخ الرهاوي المجهول**"، يُعتقد أنه عاش في القرن 13م/7هـ، وكان من رجال الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وربما من منطقة الرها، يُعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية التي توثق تاريخ المشرق من وجهة نظر مسيحية سريانية، يبدأ المؤلف بسرد تاريخ العالم منذ بدء الخليقة، مستندًا إلى الكتاب المقدس والمصادر السريانية السابقة، ثم يتناول الفترات التاريخية المختلفة، مع التركيز على الأحداث السياسية والاجتماعية التي أثرت **في** المسيحيين الشرقيين، كما يُظهر المؤلف أن المسيحيين الشرقيين، بما فيهم السريان، لم يجدوا دائمًا في الصليبيين منقذين لهم، بل عانوا أحيانًا من معاملتهم القاسية، حيث فرضوا الهيمنة الكاثوليكية على الكنائس الشرقية، وفي الوقت نفسه، كانوا في موقف صعب بين الصليبيين والمسلمين، إذ حاولوا الحفاظ على بقائهم في ظل تقلبات السلطة بين الجانبين.

ج– القبطية و النسطورية:

- **كتب التراجم والطبقات:**

– **ساويرس بن المقفع**: هو أحد أهم الشخصيات القبطية في القرن 10 م/3 هـ، وقد كان أسقفًا على الأشمونين في صعيد مصر اشتهر بكونه من أوائل الأقباط الذين كتبوا باللغة العربية، ويُعدّ كتابُ "**تاريخ البطاركة**" من أشهر أعماله، وهو كتاب تاريخي يوثق سير بطاركة الكنيسة القبطية منذ عهد القديس **مرقس الرسول** حتّى الفترة التي عاش فيها ساويرس بن المقفع، يتناول فيه الأحداث السياسية والاجتماعية التي أثرت في الكنيسة القبطية عبر العصور المختلفة، ووصف العلاقات بين الكنيسة القبطية والسلطات الحاكمة الإسلامية، لم يشهد ساويرس ابن المقفع الحروب الصليبية، لكنّه وثّق أوضاع المسيحيين الأقباط في مصر خلال العصر الفاطمي.

– كتاب "**أخبار بطاركة كرسي المشرق**": هو مصدر مهم يوثق سِيَر بطاركة كنيسة المشرق (المعروفة أيضًا بالكنيسة النسطورية أو الكنيسة الآشورية)، وهو من تأليف المؤرخين **ماري بن سليمان** و**عمرو بن متى**، وكلاهما من المؤرخين المسيحيين الذين عاشوا في العصور الوسطى، **فماري بن سليمان** كان كاهنًا ومؤرخًا من كنيسة المشرق، ويُعتقد أنه عاش في القرن 12 – 13 م، أمّا **عمرو بن متى** فهو مؤرخ آخر تابع لكنيسة المشرق، وقد أضاف إلى هذا الكتاب ووثّق الأحداث الكنسية والسياسية التي أثرت على الكنيسة الشرقية، يتناول الكتاب تاريخ بطاركة كنيسة المشرق النسطورية منذ تأسيسها وحتى الفترة التي عاش فيها المؤلفان، يقدم الكتاب تفاصيل

عن حياة كل بطريرك، وأعماله، والتحديات التي واجهتها الكنيسة، بالإضافة إلى السياق السياسي والاجتماعي الذي كان له تأثير على المسيحيين حتى بلاد ما بين النهرين وفارس، وعلاقة النساطرة بالسلطات الإسلامية والمغولية.

- **كتب الكنائس والديارات:**

اهتم هذا الصنف المصدري برصد مضارب استقرار النصارى ووصفها من خلال تتبع عمرانهم الكنسي والديري، وقد كان خير معين لنا في الفصل الخامس الذي ضمناه توزيع الطوائف المسيحية الشرقية وانتشارها الديمغرافي خاصة النساطرة والأقباط داخل مناطق الحكم الإسلامي، وأفادتنا بشرح مفصل عن أماكن تواجدهم، ومن أهم هذه المصنفات نجد:

– **أبو صالح الأرمني**: هو كاتب ومؤرخ عاش في العصور الوسطى، ويُعتقد أنه عاش في القرن 12 م/6 هـ، اشتهر بكتابه "**تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمني**" ذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها"، وهو عمل تاريخي مهم يوثق أحوال الكنيسة القبطية وسير بطاركتها، ويتناول الجوانب السياسية والاجتماعية للمسيحيين في مصر خلال الفترة الفاطمية، لم يُعرف الكثير عن حياته الشخصية، لكن يُرجَّح أنه كان من أصول أرمنية، وربما كان مقيمًا في مصر، كتب أبو صالح بالعربية، لكنه استخدم مصادر قبطية وسريانية في تأريخه، ويُعد كتابهُ مكملًا لكتاب "**تاريخ البطاركة**" لساويرس بن المقفع، حيث يضيف معلومات عن الكنائس والأديرة في مصر، ويعطي تفاصيل مهمة عن العمارة القبطية، والممارسات الدينية، والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين في ذلك العصر، كما قدم توثيقًا جغرافيًا للأديرة والكنائس.

– كتاب "**الديارات" للشابشتي علي بن محمد** المؤرخ العباسي الذي عاش في القرن 4 هـ/10 م، يُعدّ **الكتاب** من أهم المصادر التي وثّقت حياة الأديرة في المشرق الإسلامي، وخاصة في العراق والشام ومصر، ويُركز الكتاب على وصف الأديرة المسيحية، ليس فقط من الناحية الدينية، بل أيضًا من حيث تاريخها وموقعها وطابعها الثقافي والاجتماعي، لم يكن "الديارات" مجرد سجل للأديرة، بل تضمن إشارات إلى الحياة الأدبية والفكرية التي ازدهرت حول هذه الأديرة، حيث كانت ملتقى للشعراء والكتّاب، ومراكز للعلم والثقافة في ذلك العصر، كما يُلقي الضوء على التفاعل بين المسلمين والمسيحيين، ويعكس التسامح الثقافي الذي كان سائدًا في بعض الفترات من الحكم العباسي، يُعدّ كتاب "**الديارات**" من المصادر المهمة لفهم الجوانب الاجتماعية والثقافية للعصر العباسي، ويعكس صورة مغايرة عن التفاعل بين الأديان، حيث كانت الأديرة تُعتبر أماكن للراحة والاستجمام والتأمل، حتى لغير المسيحيين.

د- المصادر الأرمينية:

- متّى الرهاوي (Matthew of Edessa): هو مؤرخ أرمني عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، ويُعدّ من أبرز المؤرخين الأرمن في العصور الوسطى، وُلِد في مدينة الرها حوالي عام 1070م، وتوفي حوالي عام 1137، كان راهبًا ومؤرخًا نشطًا في توثيق الأحداث السياسية والعسكرية والدينية التي شهدتها المنطقة، أهم أعماله هو **"تاريخ متّى الرهاوي"**، الذي كتب باللغة الأرمنية، ويغطي فيه الأحداث من عام 952م حتى 1129م، مع التركيز على الصراعات بين الأرمن، والبيزنطيين، والسلاجقة، والصليبيين، والفاطميين، يُعتبر كتابه مصدرًا مهمًا لفهم تلك الفترة من منظور أرمني، حيث قدم معلومات قيمة عن الحملات الصليبية الأولى، وسقوط الرها، والأحداث الكبرى التي أثرت **في** بلاد الشام والأناضول.

سيمباد القائد (Sempad the Constable) هو واحدًا من أبرز الشخصيات السياسية والعسكرية في مملكة أرمينيا الصغرى خلال القرن 7هـ/13م، حيث لعب دورًا محوريًا فكان قائدا عسكريا ودبلوماسيا ومؤرخا، كان شقيقًا للملك **هيثوم الأول (حكم 633-671هـ / 1226-1270م)**، وكان قائدا أعلى للجيش الأرمني، واشتهر بكتابه **"Chronique du royaume de la Petite Arménie"**، الذي يُعدّ من أهم المصادر التاريخية حول **مملكة أرمينيا الصغرى** خلال الحقبة الصليبية، يروي الكتاب تاريخ المملكة وتحالفاتها مع الصليبيين والمغول، كما يوثق الأحداث السياسية والعسكرية التي خاضتها ضد البيزنطيين والمسلمين، ويبرز دور الأرمن في الصراعات الإقليمية، مما جعل كتابه مصدرا مهمًا لفهم تفاعل القوى المسيحية الشرقية مع الحروب الصليبية والتغيرات السياسية الكبرى في المنطقة.

المراجع:

فرح فرزلي و دراستها حول **مسيحيو المشرق في عهد الفرنجة:** ضمن كتاب **المسيحية عبر تاريخها في المشرق،** يعتبر من أهم المراجع التي أفادتني في استقصاء الوضع العام للمسيحيين الشرقيين خلال الحروب الصليبية، حيث ركزت على عرض رؤيتهم حول هذه الحملات التي لم تُستقبل دائمًا بالترحيب، بل كثيرًا ما اعتُبرت تهديدًا وجوديًا من قبل الطوائف المحلية، كما أعطتنا شواهد حول التوترات والاختلافات العقائدية والثقافية بين كل من الصليبيين و المسيحيين الشرقيين، وسعي بعض هذه الطوائف الحفاظ على استقلاليتها ضمن واقع جديد مفروض بالقوة.

علية الجنزوري وأطروحتها المعنونة بـ: إمارة الرها الصليبية ، التي تعتبر دراسة رائدة في تاريخ هذه الكونتية الصليبية إستفدنا منه في الفصل الثاني وبالتحديد في أوضاع الطوائف الشرقية تحت الحكم الصليبي و مناقشة العلاقة المتباينة التي جمعت بين الصليبيين والطوائف المسيحية المحلية، خاصة السريان و الأرمن .

سعيد البيشاوي وكتابه القيم **ممتلكات الكنيسة في مملكة بيت المقدس الصليبية،** من خلال تركيزه على التنظيم الاقتصادي والإداري لممتلكات الكنائس، إستطعنا أن نتبيّن كيف تعاملت الكنيسة اللاتينية في مملكة بيت المقدس مع أملاك وأوقاف الكنائس الشرقية، سواء عبر المصادرة أو الدمج ضمن النظام الإقطاعي الصليبي.

أسد رستم و كتابه **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى** :يعرض هذا الكتاب التاريخ الطويل لكنيسة أنطاكية، مركزًا على دورها في مواجهة التحولات السياسية والدينية في المنطقة، ما ساعدنا في تتبع موقف الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية من الحملات الصليبية، كما ساهم في توضيح طبيعة العلاقة بين الكنائس الشرقية و كنائس اللاتينية الوافدة على الشرق.

في كتابه ***The Latin Church in the Crusader States: The Secular Church***، يعرض المؤلف **Bernard Hamilton** نظام الكنيسة اللاتينية في الممالك الصليبية، وعلاقاتها بالكنائس المسيحية الشرقية، حيث أفادنا في إعتماد مشاهدات من سعي الكنيسة اللاتينية إلى فرض سلطتها الدينية والإدارية على حساب الكنائس الشرقية الأرمنية والسريانية و الملكانية، من خلال إنشاء بطريركيات وأسقفيات لاتينية موازية ومحاولات إخضاع رجال الدين المحليين للسلطة البابوية.

يعد كتاب ***Les colonies franques de Syrie aux XIe et XIIe siècles –***، لمؤلفه **Emmanuel Guillaume–Rey نموذجيا في** دراسة التنظيم الاجتماعي والعسكري للمستوطنات الفرنجية في المشرق، وقد إعتمدنا عليه في رصد دور المسيحيين الشرقيين في الحياة اليومية لتلك المستعمرات، سواء كحرفيين أو مزارعين أو حتى كوسطاء بين الصليبيين والمسلمين، ما يعكس موقعهم الحساس بين قوتين متصارعتين، ومعاناتهم مع واقع ديني وسياسي متقلّب.

كتاب ***The Armenian Kingdom in Cilicia during the Crusades: The Integration of Cilician Armenians with the Latins (1080–1393)***، للمؤرخ**Jacob G Ghazarian، الذي يدرس فيه** التجربة السياسية لمملكة أرمينيا

الصغرى في ظل التفاعلات المعقدة مع القوى الصليبية، ويُركّز على سعي الأرمن إلى خلق علاقات مع اللاتين، بدافع المصالح السياسية كما بين لنا الجانب المتوترة من العلاقة جراء محاولات روما فرض الوحدة الكنسية، وهو ما واجه مقاومة من قِبل جزء من الكنيسة الأرمينية، وضح لنا الدور الذي لعبه الأرمن كمسيحيين شرقيين حاولوا المناورة بين المحافظة على الاستقلال الديني والسياسي و في نفس الوقت الانخراط في العالم اللاتيني الصليبي.

الفصل الأول: مشاهدات من الوضع السوسيو– سياسي لمسيحيي الشرق خلال القرون 2–5هـ/ 8–12م.

المبحث الأول: التنوع الطائفي لمسيحيي الشرق والخصوصية الإثنو– جغرافية:

1. الطائفة السريانية
   - النساطرة.
   - اليعاقبة.
2. الروم الملكيون الأرثوذكس.
3. الموارنة (المردة).
4. الأرمن .
5. الأقباط.

المبحث الثاني: مشاهدات من أحوال نصارى المشرق الإسلامي قبل الوجود الصليبي

1. عقد الذمة دستور الذمي داخل المجتمع الإسلامي.
2. النصارى والاضطرابات السياسية داخل الدولة الإسلامية.
3. العلاقة بين الكنائس الشرقية والغربية قبل انطلاق الحملات الصليبية.

المبحث الثالث: الحملة الصليبية الأولى وصداها لدى الروم والسريان491–502هـ/1096–1110م.

1. الحرب المقدسة من الفكرة الدينية إلى الحملة العسكرية.
2. اللاتين يحطون الرحال في عاصمة الروم الأرثوذكس489هـ –490هـ/ 1096م – 1097م.
3. ملكانيو بيت المقدس في مواجهة الصليبيين 494هـ–1099م.
4. موقف الطوائف السّريانية اليعاقبة والنّساطرة من الحملة الصليبية الأولى. 491–492هـ/ 1098م –1099م.

المبحث الرابع: موقف الأرمن والموارنة من الولوج اللاتيني لأرض المشرق 498–502هـ/1096– 1110م.

1. نشاط الحملة الصليبية في أراضي التجمعات الأرمينية 489هـ– 491هـ /1096م – 1098م.
2. موقف الأرمن من تأسيس الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي. 489هـ – 492هـ / 1097م – 1099م
3. الموارنة والحملة الصليبية الأولى 491 هـ – 502 هـ/ 1098 م– 1109 م.

الفصل الأول: مشاهدات من الوضع السوسيو–سياسي لمسيحيي الشرق خلال القرون 2–5هـ/ 8–11م.

تميز العالم المسيحي الشرقي بخصائص جعلت منه فاعلا رئيسيا في تاريخ الديانة المسيحية، فهو مكان ميلاد السيد المسيح وتلاميذه من الرسل الذين سيحملون الرسالة إلى الأمصار من بعده، وقبلها كان الشرق هو قلب الحضارات القديمة ووعائها الفكري والفلسفي، والذي اختُزل مع نهاية العصور القديمة في كل من مدرستي الإسكندرية وأنطاكية، هذه المراكز ذات الثقل التي ستلعب بعد اعتناق فلاسفتها للمسيحية دورا رياديا في رسم الخطوط الرئيسية للعقيدة المسيحية، باعتبارها المفسر والضابط الأول للقوانين والأفكار اللاهوتية لهذا الدين، وسيخرج منها الآباء الأوائل للمسيحية الذين ستفتح خلافاتهم أبواب التنوع الطائفي والمذهبي داخل الكنيسة الجامعة.

المبحث الأول: التنوع الطائفي[1] لمسيحيي الشرق والخصوصية الإثنو– جغرافية:

تعود جذور مصطلح "**المسيحية الشرقية**" إلى مجمع[2] القسطنطينية[3] المسكوني المنعقد سنة 381م، فبالرجوع إلى قانونه الثالث، نلاحظ أنه أقر بتقسيم العالم المسيحي إلى عالم مسيحي غربي عاصمته روما، وعالم مسيحي

---

[1] – تُعرَّف **الطائفة** بمفهومها العام على أنها جماعة من الناس يشكلون تنظيما اجتماعيا محكوما بثقافة واحدة، تسعى للحفاظ عليها وتنقلها من جيل إلى جيل. ولديها إحساس بالتجانس القوي بداخلها وانفصالها النسبي عن ما حولها. وهذا التعريف يمكن أن يعبر عن مختلف أشكال الطائفية كالطوائف الحرفية أو الطوائف العرقية وحتى الطوائف الاجتماعية. غير أن الأكثر بروزا هي الطوائف الدينية التي يمكن حصر مفهومها في أنها عبارة عن "مجموعة دينية تهتم بممارسة عقائدها وشعائرها وتنظيم كيانها العائلي والاجتماعي" أو باعتبارها "كيان اجتماعي له عضويته و مؤسساته وأبنيته وأوقافه وشعاراته وعاداته"؛ أنظر: علي ليلة، **النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع: آليات التماسك الاجتماعي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2015، ص 177.

[2] –**المجمع** في المفهوم المسيحي هو عبارة عن مؤتمر يعقد كل ما دعت إليه الحاجة لمعالجة قضية أو لحل مشكلة أو لمناقشة أمر كثر فيه الجدال واحتدم فيه الصراع، سواء في أصول الديانة أو في فروعها. وفي هذه المجامع ثبتت بشكل نهائي عقائد الإيمان القويم ووضعت قوانين عديدة لحفظ النظام في الإدارة الكنسية. فهذه المجامع لها الكلمة الأخيرة في جميع القضايا المتعلقة بالعقيدة وحكمها فيها وفي غيرها من التنظيمات الكنسية وإدارتها هو الحكم النهائي. بل إن أحكام المجامع وقراراتها تقضي على أحكام البابوات وتنسخها. وهناك نوعان من المجامع المسيحية وهما المجمع المسكوني والمجمع المكاني .**فالمجمع المسكوني** أو العالمي هو كل مجمع حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة كلها، ولا يشترط في الأساقفة الحاضرين في مجمع مسكوني أن يبلغوا عددا معينا، كما أنه ليس من الضروري أن تكون جميع أقطار العالم ممثلة فيه أو أن الدعوة قد وجهت إلى أساقفتها، وإنما المهم في اعتبار المجمع مسكونيا أن يجري الاعتراف به في جميع أنحاء المعمورة أنه مجمع مسكوني. ويبلغ عدد المجامع المتفق على مسكونيتها سبعة مجامع هي :مجمع نيقية الأول 325، والمجمع القسطنطيني الأول 381م، ومجمع إفسس 431م، ومجمع خلقيدونية 451م، والمجمع القسطنطيني الثاني 553م، والمجمع القسطنطيني الثالث 680 – 681م، ومجمع نيقية الثاني 787م. وأما **المجامع المكانية** فهي التي كانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد

شرقي عاصمته القسطنطينية، ورغم اعتراض الكراسي الرسولية على هذا التقسيم واعتباره تقسيما سياسيا بحتا، فإنّه ثُبِّت في قوانين المجامع المسكونية التي تلته، ليتجسد المصطلح على أرض الواقع مع بداية ظهور الخلافات والانقسامات داخل الكنيسة المسيحية الموحدة التي كانت تعتبر ميثاق الإيمان النيقاوي[1] هو دستورها اللاهوتي[2]،

بدأ تداول مصطلحي الكنيسة "الشرقية" و"الغربية"، خلال القرن 5 م بسبب التصدع الذي حدث داخل الكنيسة السريانية تحديدا، وذلك عندما انفصلت الكنيسة النسطورية (الآشورية) عن بطريركية أنطاكية سنة 431

معينة أو رفضها أو النظر في بعض الشؤون المحلية الخاصة والمجمع المكاني لا يقل عن المجمع المسكوني أهمية وخطورة من حيث قدرته على تشريع شرائع جديدة أو إلغاء القائمة أو تعديلها، والفارق بينهما أن المجمع المكاني خاص بمنطقة أو مناطق جغرافية محددة، بينما المسكوني لا حدود لقراراته في العالم المسيحي والمجمع المكاني أسبق زمنا من نظيره المسكوني؛ فقد كان المجمع المكاني يعقد منذ أوائل القرن الثاني الميلادي، بينما لم يعقد أول مجمع مسكوني إلا في القرن الرابع الميلادي؛ للمزيد أُنظر: عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو، مصادر النصرانية، دار التوحيد للنشر، الرياض، 2007، ص 709 – 716.

[3] **مجمع القسطنطينية:** انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية سنة 381 م بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس وحضره 150 أسقفا، لمقاومة بدع كل من مقدونيوس وماراتونيوس الرافضة لألوهية الروح القدس واعتباره مخلوقا، ليثبت المجمع ألوهيته وبالتالي إقرار عقيدة التثليث وتأكيد أن الروح القدس أحد أقانيم الألوهية مكملا بذلك قانون إيمان نيقية؛ للمزيد أُنظر: ميشال أبرص، أنطوان عرب، **مدخل إلى المجامع المسكونية** ، توزيع المكتبة البولسية، ط1، 1996، ص 77؛ أحمد محمود هويدي، **مدخل إلى تاريخ الأديان**، بيان للترجمة والنشر و التوزيع، 2020، ص 158.

[1] – تتلخص عقائد الكنيسة الجامعة في نص قانون الإيمان النيقاوي الذي يُتلى وجوبا في الكنيسة أوقات العبادة وفي كل المناسبات والذي بدؤه: "**نؤمن بإله واحد**". وصيغ هذا القانون في مجمع نيقية سنة 325م، وعقائد الكنيسة أتت على الشكل التالي: **الله واحد كائن بثلاثة أقانيم** تعرف بالأب والابن والروح القدس، و**للأقانيم الثلاثة جوهر واحد. ولكل منها** خاصة به دون سواه فالأب هو الوالد، والابن له بالولادة هو السيد المسيح عليه السلام، والروح القدس له بالانبثاق – **الأقنوم الثاني هو السيد المسيح** من الثالوث الأقدس نزل من السماء وحلّ في أحشاء السيدة مريم العذراء، واتخذ له وبواسطة الروح القدس جسدا حقيقيا كاملا مثل البشر ما عدا الخطيئة، وولد بالجسد فأصبح إلها متجسدا تاما بلاهوته وتاما بناسوته –**صلب السيد المسيح حقا بالجسد وتألم ومات ودفن وقام**، بينما لاهوته لم ينفصل عن النفس والجسد حين كان معلقا على الصليب أو مدفونا في القبر. ومع هذا فلم يمسه الألم – **الروح القدس الأقنوم الثالث** من الثالوث الأقدس ينبثق من الأب – **القديسة السيدة مريم العذراء ولدت بالخطيئة الأصلية** من أبوين جسديين هما حنة ويواقيم (عمران). وحلّ عليها الروح القدس وطهّرها من الدنس الأبوي ثم حل عليها كلمة الله في أحشائها، ويعتبر النصارى بما أن المولود من السيدة مريم هو إله حق لذلك **فالعذراء هي والدة الإله**، وهي دائمة البتولية أي أنها كانت بتولا قبل الولادة وحين الولادة وظلت كذلك أيضا حتى النهاية، وأن أخوة السيد المسيح يعقوب ويوسي وشمعون المذكورين في الإنجيل المقدس هم أولاد يوسف النجار من زوجته السابقة، وتعتقد الكنيسة أيضا أن السيدة العذراء ماتت ودفنت ثم نقلها ابنها بجسدها إلى الفردوس– **لشفاعة الشهداء القديسين قوة فعالة عظمى** لأنهم أحياء عند الله ولأنهم بالإيمان لا يزالون يتكلمون بعد موتهم– **تقام الصلاة والقداديس** من أجل راحة الموتى المؤمنين طالبين لهم المغفرة والرحمة – **إن مجيء السيد المسيح حقيقة ثابتة**، وستكون قيامة عامة في انقضاء العالم، وأن الثواب والعقاب أبديان– **الأسفار المقدسة من كتاب العهد القديم هي قانونية** مثل باقي الأسفار الأخرى– **للكنيسة أسرار سبعة**؛ أُنظر: اسحق ساكا، **السريان إيمان وحضارة**، مطبعة مطرانية السريان الأرثوذكس، حلب، 1983، ج.1، ص 44 – 47.

[2] – للمزيد حول نشأة الكنائس المسيحية الشرقية أُنظر: ألبير أبونا، **تاريخ الكنيسة السريانية من مجيء الإسلام حتى نهاية العصر العباسي**، دار المشرق، ط 2، بيروت، د. ت، ج 2، 2002.

م، وانضوت تحت حكم الإمبراطورية الفارسية التي كانت حدودها السياسية تقع شرق مقر الكنيسة الأصلية للسريان في أنطاكية، فأصبحت تعرف الكنيسة النسطورية، بعد ذلك، باسم "**الكنيسة السريانية الشرقية**" أو "**كنيسة المشرق**" معتبرة كنيسة أنطاكية "**كنيسة سريانية غربية**"[1].

حمل المصطلح في بداياته دلالة جغرافية بحتة، قبل أن تتدخل الثقافات والخلافات اللاهوتية والكريستولوجية[2]، في وضع فوارق عقائدية واضحة بين ما هو غربي وما هو شرقي لتصبح الدلالة الجغرافية في المصطلح أمرا ثانويا، وهذا ما برهن عليه مجمع خلقيدونيا[3] 451 م الذي شطر الكنيسة الأرثوذكسية نفسها التي كانت تلقب بالشرقية إلى قسمين، فظهر مصطلح "**الكنائس الأرثوذكسية المشرقية**" أو المعروفة بالكنائس **اللاخلقيدونية** مقابل الكنائس **الخلقيدونية** التي جمعت تحت صعيد واحد كل من كنيسة القسطنطينية – المحسوبة سابقا على العالم المسيحي الشرقي – وكنيسة روما الغربية[4].

لكن بحلول عام 1054 م، ومع تفاقم الخلافات اللاهوتية[5] والسياسية بين القسطنطينية وروما حدث الشرخ الأكبر والنهائي بين كنيسة الروم الأرثوذكسية الشرقية بطقسها اليوناني بزعامة بطريركية القسطنطينية وبين

---

[1]– سمير عبده، **المسيحيون السوريون خلال ألفي عام**، دار علاء الدين للنشر، دمشق، 2000، ص 43 – 44.

[2]– **كريستولوجيا**: علم منشق عن علم اللاهوت المسيحي، يختص بالبحث في شخص السيد المسيح وطبيعته، بما في ذلك أمور مثل التجسد والقيامة وطبيعته البشرية والإلهية والعلاقة بينهما؛ للمزيد أنظر: Johnny turner ,**A biblical theology of Christian discipleship** ,WIP AND STOCK publishers, Eugene ,1st ed 2021,p5

[3] – **مجمع خلقيدونيا**، يعتبر المجمع المسكوني الرابع انعقد في مدينة خلقيدونيا واليها ينسب ودعا إليه الامبراطور مركيانوس أيام البابا لاون الكبير حضره 630 أسقفا، لإدانة آراء **أوطيخا** الذي وقع في خطأ عدم التمييز بين الطبيعتين الكاملتين في المسيح. وفيه انفصلت كنائس المشرق عن كنيسة الروم والكنيسة البطرسية؛ أُنظر: ميشال أبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص 78.

[4] – سمير عبده، المرجع السابق، ص 44 – 45.

[5] – **اللاهوت** أو "Theology" الثيولوجيا هو مصطلح مركب من "**ثيوس**" ومعناها إله و"**لوجوس**" ومعناها علم، أو علم الإلهيات ويعرف بالتأمل المنهجي في العقائد الدينية. ويدل المصطلح على دراسة العقيدة المسيحية. يربط المسيحيون هذا المصطلح بالسيد المسيح فاللاهوت عموما هو البحث في الذات الإلهية، واللاهوت المسيحي خصوصا هو البحث في طبيعة السيد المسيح. فاللاهوت يشمل طبيعة الله الممثلة في أقنوم الابن الأقنوم الثاني في الذات الإلهية، التي يدخل فيها تفاصيل لاهوته، وناسوته، وطبيعته. واللاهوت في المسيحية علم متكامل غايته الوصول إلى فهم الذات الإلهية عن طريق الاستدلال انطلاقا من أصول ومبادئ تفضي بنا إلى نتائج معينة؛ أُنظر: منصور المخلصي، **اللاهوت المعاصر، الله في اللاهوت المسيحي المعاصر**، الطيف للطباعة، د. ط، بغداد، 2002 م، ص 9؛ لويس غارديه وجورج قنواتي، **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، تر. صبحي الصالح، فريد جبر، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1969م، ج 3، ص18.

كنيسة روما الكاثوليكية الغربية بطقسها اللاتيني وتحت الزعامة المطلقة لأسقف كنيسة القديس بطرس في روما الملقب بالبابا، وقد اصطلح على الحدث تسمية **الانشقاق العظيم**[1]،

وخلاصة القول إنّ المقصود بالمسيحية الشرقية هي تلك الكنائس التي نشأت في العالم المسيحي الشرقي والذي يمكن حصره جغرافيا في حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية ومذهبيا في كل من الكنيسة النسطورية، واليعقوبية، والملكانية، والأرمينية، والمارونية، وهي ذات عرقيات مختلفة وطقوس لغوية وثقافية متنوعة، شملت كل من اليونانية، والعربية، والأرمينية والقبطية والسريانية، حيث أدت الخلافات اللاهوتية داخل الأمة المسيحية الشرقية إلى ظهور طوائف متعددة، فكان لكل طائفة مذهبها الاعتقادي، ولكل منها طقسها المستمد عادة من خلفيتها الإثنية وما تحمله من ثقافة لغوية، وكذا خصوصية جغرافية[2]، فنجد أن أغلب الطوائف المسيحية الشرقية تمركزت في أقاليم معينة هي في الغالب مواطنها قبل اعتناقها المسيحية.

1– الطائفة السريانية

تشملُ الكنيسةُ السّريانية كلّ السريان النّصارى طقسًا ولُغةً في ولاية الكُرسي الأنطاكي في قسميها الشّرقي والغربي، وجغرافيا، انتشر السريان في المنطقة الممتدة من طوروس شمالا إلى القدس جنوبا ومن شاطئ البحر المتوسط غربا إلى بلاد بين النهرين شرقا، حيث تركز وجودهم في الشمال وقل في الجنوب، باستثناء مدينة القدس[3].

المقر الرئيسي للسريان كما ذكرنا سابقا هو **كنيسة أنطاكية الرسولية** وتُعدّ المركز الأول للإشعاع المسيحي بعد القدس، فمنها كان ينطلق القديس بولس وإليها يرجع خلال رحلته التبشيرية بين الوثنيين، وقد استقر فيها القديس بطرس قبل أن يرحل إلى روما، وسلسلة بطاركتها كسلسلة باباوات روما تبدأ بالقديس بطرس، وفيها دُعِيَ المؤمنون لأول مرّة بالمسيحيين، وامتد نفوذ بطريركية أنطاكية من جبال طوروس إلى حدود مصر، وسيطرت

---

[1]-Linda Edwards, **A guide to beliefs ideas**, **theologies**, **mysteries**, **and movements** ,Westminster john Knox press,1st ed, London, 2001,p331, 332.

[2] – أنظر الملحق رقم 01 الذي يمثل خريطة لمناطق انتشار الطوائف المسيحية على أرض المشرق.

3– فرح فرزلي، **مسيحيو المشرق في عهد الفرنجة : الحروب الصليبية من وجهة نظر مشرقية**، ضمن كتاب **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ط 1، بيروت، 2001، ص 599.

شرقا حتى بلاد الجزيرة والعراق وبلاد فارس وما وراء النهر[1]، فكانت البطريركية الأنطاكية البوتقة التي انصهرت فيها الثقافات الشرقية والسامية مع الثقافة اليونانية، وملتقى للحضارات ومركز إشعاع في سائر أنحاء آسيا، وقد تناهى تأثيرها إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية نفسها[2].

استقلت عنها الكنيسة التابعة لحكم الساسانين سنة 428 م من خلال انقسام كنيسة السريان على نفسها لينبثق منها كل من **النساطرة** أصحاب **الكنيسة السّريانية الشّرقية** و**اليعاقبة** أصحاب **الكنيسة السريانية الغربية**، ثم كنيسة قبرص سنة 431 م، وخلال مجمع خلقدونيا سنة 451 م، انفصلت أقاليم فلسطين الثلاثة فكوّنت بطريركية ببيت المقدس[3]، ليبقي للبطريركية الأنطاكية 12 إقليما و 153 أبرشية ممتدة من كليكيا إلى شرقي الأردن[4].

- **النســاطـرة:**

نسبة إلى راهب أنطاكي يُدعى نسطوريوس[5] الذي وقف بوجه الفئات الخارجة عن الكنيسة، وله آراء خاصة بألوهية السيد المسيح وإنسانيته، كان خصمه كيرلس بطريرك الإسكندرية الذي عارض أفكاره ليقع خلاف كبير بينهما حول طبيعة السيد المسيح لأنّ كيرلس كان يرى أن للسيد المسيح الصفة الإلهية الكاملة وهي التي اتحدت معها الصفة البشرية، أما النسطورية فتقول باتحاد الكلمة بالإنسان ليس اتحادا جوهريا بل اتحادا في المشيئة[6]، ولم يقبل هؤلاء بمبدإ تبادل الصفات في السيد المسيح الذي يسوغ بأن الإله مات أو بأن السيدة مريم هي أم الإله[7]، ولما أراد الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني (Theodosius II (408 م- 450 م) وضع حد

---

[1] – هي أنطون، **المنثور في حقل التاريخ والفن واللاهوت**، دار ألف باء الأديب، ط 1، دمشق، 1996، ص 305.

[2] – أغناطيوس ديك، **الشرق المسيحي سلسلة من تراثنا**، المكتبة البولسية، د.ت، بيروت، ص 23 – 24.

[3] – أُنظر: الملحق رقم 02 يوضح خريطة توزع الأبرشيات المسيحية في العالم القديم.

[4] – أغناطيوس ديك، المرجع السابق، ص 24.

[5] – **نسطوريوس** وُلد **نسطور** في قرية مرعش الشامية الواقعة في جهة الشمال من حلب. وهو لاهوتي من أنطاكية انتخب لكرسي القسطنطينية في سنة 428 م. وكان بموجب المدرسة التي ينتمي إليها يشدد في تمييز الطبيعتين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية. فمريم لم تلد إلها وإنما ولدت إنساناً، وإنما اتحد به في المشيئة لا في الذات وليس إلها حقيقية بل بالموهبة والكرامة. ويقول بجوهرين وأقنومين. حوكمت أقواله في المجمع المسكوني الثالث الذي عقد في العام 431 م في مدينة أفسس، وكان من أهم مقرراته حرمان أسقف القسطنطينية؛ للمزيد أُنظر: محمد سعيد الطريحي، **شقائق النعمان في أحوال الحيرة وكوفان**، أكاديمية الكوفة، د ط، هولندا، د.ت، ص 58.

[6] – ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، تح. أحمد كنعان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط.1، بيروت، 1999، مج1، ص 199.

[7] – أغناطيوس ديك، المرجع السابق، ص 35.

للخلافات بين الرجلين، دعا كل رجال الكنيسة لعقد مجمع في أفسس سنة 431 م، الذي كانت نتيجته قرار حرمان لنسطوريوس[1].

رغم نبذ أفكارها من طرف ممثلي الكنيسة الجامعة فإن النسطورية انتشرت في بلاد الجزيرة والعراق ضمن الأراضي التابعة للإمبراطورية الفارسية آنذاك، ولم يتغير وضع النساطرة، مع الفتح الإسلامي، فالحكم في مملكة فارس لم يكن قط في يد المسيحيين، وعند استتباب أمر الخلافة بيد العباسيين وانتقال مركز الخلافة بعد زوال الأمويين من دمشق إلى بغداد التي أصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية، غدا للنساطرة مكانة مرموقة في الدولة العباسية، لينقل النساطرة مركز بطريركيتهم من المدائن إلى بغداد[2]، كما وجد لهم حضور في حلب وحمص التي اشتهرت بها كنيسة العباد النسطورية [3].

- **اليعـاقبــة:**

ويُعرفُ أهلها بالسّريان المغاربة، ولقبهم البعض **باليعاقبة** أو السّريان اليعاقبة الأرثوذكس نسبة إلى يعقوب البرادعي[4] أحد أركان كنيستهم في نشأتها، يرأسهم بطريرك أنطاكية مُباشرة، يقولون بالطّبيعة الواحدة للسّيد المسيح بعد الاتّحاد فلقبوا بالمونوفيزيّين[5]، ناوأت فرقتهم تعاليم مجمع خلقيدونية، وانشقت عن الكنيسة الجامعة واستقلت عنها، وقال اليعاقبة إن السيد المسيح جوهر واحد غير أنه من جوهرين، أي طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر

---

[1]– نقولا زيادة، **المسيحية و العرب**، دار قدمس للطباعة والنشر، ط 2، بيروت، 2000، ص 139 – 140.

[2]– أغناطيوس ديك ،المرجع السابق، ص 88.

[3]– متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، المكتبة البوليسية،جونية، 1997م ،ج.1، ص 595.

[4] – **يعقوب البرادعي Jacob Barados** :500–587م هو القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح والمدافع عنها. كان يعقوب أسقفا على كرسي الرها، وقد اشتهر بالبرادعى لارتدائه بردعة حصان تقشفا. يحسب له أنه بذل مجهودا منقطع النظير في الحفاظ على الوحدة اللاهوتية للكنائس اللاخلقيدونية حيث نجح سنة 560م في تنصيب كاهن لا خلقيدوني على بطريركية أنطاكية التي بقي كرسيها شاغرا لحوالي 40 سنة كما كرس مالا يقل عن سبعة وعشرين أسقفا بين أنطاكية ومصر، حرصا منه على خلق وحدة بين الكنيستين السريانية والقبطية الأرثوذكسيتين؛ للمزيد أُنظر: جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ج 3، ص 245.

[5]–**المونوفيزية** Monophysitism هو مصطلح يوناني مشتق من جذرين monos بمعنى **واحد** physis بمعنى **الطبيعة** أي **الطبيعة الواحدة**، وهي القول بأن المسيح ذو **طبيعة واحدة** اختلط فيها اللاهوت والناسوت معا؛ أُنظر: William J. Collinge, The **Historical Dictionary of Catholicism** , Rowman & Littlefield Publishers, 3ed , London, 2021, p. 304 .

الإله قديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركب النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا وأقنوما[1]واحدا، وهو إنسان كامل وإله كامل، وأن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، أي مرّت بمريم كمرور الماء بالمزراب، وإن ما ظهر من شخص السيد المسيح في الأعين هو كالخيال والصورة في المرآة، وإن القتل والصلب وقعا على الخيال[2].

يتركز الثقل الديمغرافي لطائفة اليعاقبة في البلاد الواقعة غربي الفُرات أي في بلاد الشّام وآسيا الصُّغرى، وقد كانوا يُشكّلون أغلبية السُّكّان بها، بينما تقل نسبة السريان عموما في الساحل والجبال الساحلية لبلاد الشام ثم إن عموم النصارى بجميع طوائفهم استوطنوا الحواضر الكبرى كحلب وحمص وحماة ودمشق وبيت المقدس من مدن الشام وكذا نجدهم في مدن الجزيرة مثل الرها وماردين وغيرها.

وُجدت المدن المسيحية المنسية في منطقتي حلب وحماة التي احتوت على الكثير من خرائب الكنائس الباكرة العائدة للفترة المسيحية الأولى والعهد البيزنطي، كما زخرت بالكنائس والأديرة المعمورة للسريان اليعاقبة، ففي حلب توجد كنيسة تنتمي إليهم، وأديرة ماروثا وسمعان، ودير البارة[3]، وفي مدينة حمص هناك كنيسة سيدة الزنار للسريان الأرثوذكس والتي تحتوي زُنَّار[4] السيدة العذراء، ويوجد في المكان الذي عمّد القديس حنانيا شاول كنيسة مكرسة باسم الأول، وكنيسة اليعقوبية التي تقع غربي باب توما وكانت وقفا للسريان اليعاقبة[5]، وكنيسة سرجيوس وباخوس وهي مركز المطرانية السريانية الأرثوذكسية في ذلك الوقت، بقرب باب الشرقي[6]، وهناك مركز آخر لمطرانية السريان الأرثوذكس في كنيسة بالقرب من الباب الشرقي في محلة حنانيا[7].

---

[1] – أقنوم: **الأقنوم Hypostasis** كلمة سريانية الأصل تعني الشخص أو الصفة وقد عُربت كما هي، وفي اليونانية تعنى **الوجه** . وأُستعملت للدلالة على **الأصل والجوهر**. اطلقها المسيحيون على الأب والابن والروح القدس باعتبارها جواهر متميزة بعضها عن بعض؛ للمزيد أُنظر: إبراهيم محمد تركى، **عالم الكلام بين الدين والفلسفة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، الاسكندرية، 2008، ص 36.

[2] – الشهرستاني ،**الملل و النحل**، دار المعرفة، ط.1، بيروت، 1990،ج.1، ص 270–272.

[3] – متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية** ، ج.1، ص 595.

[4] – الزُّنَّار والزُّنَّارة كلمة معربة من **السريانية** zonara و zennara و تأتي بمعنى الحزام الذي يلبسه المجوسي والنصراني على وسطه، واشتهر النصارى بعقده دون سائر أهل الذمة، حتى أصبح لفظ **عقد الزنار**كناية عن التنصُر وقطعه كناية عن الخروج من النصرانية. فكان يقال لكل من مرق عن دينه وانتحل الدين المسيحي "**لقد عقد الزنار** "؛ للمزيد أُنظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** (مادة زَنَرَ)، تح. محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط.8، لبنان، 2005، ص401؛ عبابنة يحيى زعبي، آمنة صالح، **معجم المشترك اللغوي العربي السامي معجم الالفاظ القديمة المشتركة بين العربية ومجموعة اللغات السامية**، هيئة أبو ظبي للثقافة والسياحة، الإمارات العربية المتحدة، د.ط، 2014، ص457.

[5] – ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تح. عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995، ج 2، ص 356.

[6] – متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، ج 5، ص 46.

[7] – محمد كرد علي، **خطط الشام**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط.3، بيروت، 1983 ، ج 6، ص 15.

لطائفة السريان اليعاقبة بغوطة دمشق الكثير من الأديرة أشهرها دير مار موسى الحبشي ومن الكنائس الكنيسة الميتروبوليتية، وكنيسة العذراء وكنيسة مار برصوم، وفي البادية أيضا لهم كنيسة مارسرجيوس وباخوس بالرصافة[1].

تعتبر الجزيرة الفراتية من الأراضي التي استقر بها السريان اليعاقبة، ومن أشهر حواضرهم بها الرها التي تمتعت بمكانة دينية سامية، فكان فيها الكثير من الكنائس والأديرة التي يضرب المثل بعظمتها[2]، ولعل أبرزها: كنيسة مار توما وكنيسة المعمودية التي يقال إنّ بها أثر للقديس يوحنا المعمدان وكذا يعقوب النصيبيني، وهناك العديد من الأديرة منها دير سنون ودير قوبا ودير زكي ودير المشارقة ودير والدة الإله ودير مار دانيال[3].

2– الروم الملكيون الأرثوذكس:

أجمع مؤرخو النصرانية على أن لقب "**الملكيون**" ظهر في القرن الخامس الميلادي أين أطلقه اليعاقبة على من خالفهم من نصارى الشرق ووافقوا مرقيان الملك على قبول تعاليم مجمع خلقيدونية سنة 451 م[4]، التي أقرت بمعتقد الطبيعتين للسيد المسيح معتبرين أن جزءًا من اللاهوت حلّ في النّاسوت، ذاهبين إلى أن الكلمة اتّحدت بجسد السيد المسيح وتدرّعت بناسوته ومازجته ممازجة الخمر باللبن، وإن القتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا، ويعتقدون بأن حضور البشر يوم القيامة يكون بالأبدان والأرواح معا، وأن الملذات الجسمانية بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون[5].

تعتبر أنطاكية هي المقر الأصلي لطائفة الروم الملكيين الأرثوذكس غير أنه تشدّهم إلى عاصمة بيزنطة القسطنطينية روابط الإيمان الواحد، ويؤلفون العنصر الأكبر عددا والأهم نفوذا والأكثر ثقافة في بلاد الشام، ويمكن الاستدلال على قوة الوجود الملكاني في أنطاكية من خلال كثرة الكنائس والأديرة المعمورة من طرف رعايا هذه الطائفة حيث نجد بها دير القديس أرسانيوس للروم الأرثوذكس، ودير السيدة للروم الأرثوذكس، ودير

[1] – إغناطيوس ديك، **المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع**، مطبعة الإحسان للروم الكاثوليك، حلب، 2008، ج1، ص356.

[2] – محمود الرويضي، **إمارة الرُّها الصليبية**، جامعة مؤتة، ط.1، عمان، 2002 ، ص 96.

[3] – متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، ج.1، ص 310 – 316.

[4] – حبيب زيات، **الروم الملكيون في الإسلام**، المطبعة البولسية، د. ط، لبنان، 1953، ج.1، ص1.

[5] – الشهرستاني ،المصدر السابق، ص 266 – 267.

القديس دوميتيانوس، ومن أشهر كنائس الروم كنيسة السيدة والدة الإله وكنيسة بولس وكنيسة القديسين قوزما ودميانوس وكنيسة القديس جاورجيوس [1].

تواجد الروم الملكيون الأرثوذكس في المناطق الساحلية مثل جبل لبنان والكورة ودير القديس جارجيوس الحميراء في وادي النصارى واللاذقية أين دير الفاروس[2]، كما يوجد عدة أديرة للملكيين مثل دير نباح السيدة في حمّا طورة، وكذلك دير مار يعقوب المقطّع، ودير سيدة البلمند بالقرب من طرابلس[3].

انتشر الروم الملكيون في المدن الداخلية الرئيسية لبلاد الشام، ففي **حلب** توجد عدة كنائس للملكيين الأرثوذكس، وفي مدينة **حماة** توجد كنيسة للسيدة مريم وكنيسة للقديسين قوزما ودميانوس[4]، وفي مدينة **حمص** تُوجد الكنيسة العظمى للروم الأرثوذكس وكنيسة الأربعين وكنيسة مار إليان الحمصي للروم الأرثوذكس، وفي **دمشق** توجد أكبر الكنائس التي كانت قبل الفتح والمعروفة بالكنيسة المريمة نسبة إلى مريم العذراء، ويُذكر أنها كانت تقع إلى يسار السوق المستقيم على نحو نصفه[5] قرب موقع مطرانية الروم الأرثوذكس[6] التي تحولت في القرن 7 هـ/13 م إلى مركز بطريركي، ويصفها ابن جبير[7] قائلا: "**وفي داخل البلد كنيسة لها عند الروم شأن عظيم، تعرف بكنيسة مريم، ليس بعد بيت المقدس عندهم أفضل منها، وهي حفيلة البناء، تتضمن من التصاوير أمرا عجيبا تبهت الأفكار، وتستوقف الأفكار، ومرآها عجيب، وهي بأيدي الروم، ولا اعتراض عليهم**

[1] – متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، ج.1، ص 421 – 423.

[2] – ابن بطوطة، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار**، دار الكتب العلمية، ط5، بيروت، 2011، ص 363 –364؛ محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ، 1999، ص 101.

[3] – متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، ج 7، ص 412 – 413.

[4]– المرجع نفسه، ج 3، ص 135.

[5]– ابن عساكر، المصدر السابق، ج 2، ص 356. متري هاجي أثناسيو، المرجع السابق، ج 5، ص 102.

[6]– مطرانية دمشق للروم الأرثوذكس تمركزت قرب الكنيسة المريمية. وتعاقب على مطرانية دمشق للروم الأرثوذكس 57 مطرانا إلى أن فتح الظاهر بيبرس أنطاكية 666 هـ/1268 م. فنقل الكرسي البطريركي إلى دمشق وتحولت دمشق من مطرانية إلى بطريركية؛ أُنظر: متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، ج 5، ص 119.

[7]– **رحلة ابن جبير**، دار صادر، د.ط، د. ت، بيروت، ص 255.

فيها"، وفي المكان القريب من دمشق عند داريا، المكان الذي ظهر فيه السيد المسيح لشاول توجد كنيسة اسمها رؤية بولس للروم الأرثوذكس وهي تحت إدارة مطران دمشق للروم الأرثوذكس[1].

لم يخل إقليم الجزيرة من المذهب الملكاني حيث كان لطائفتهم بمدينة **الرها** كنائس مشهورة مثل كنيسة أبجر الكبرى التي شيدت على أنقاض هيكل وثني، وكنيسة المسيحيين، وكنيسة أجيا صوفيا (الكنيسة المقببة)، وكنيسة يوحنا المعمدان[2].

3–الموارنة (المردة):

ينتسب أبناء هذه الطائفة إلى القديس مار مارون[3]، يدينون بالولاء لبطريركية أنطاكية السريانية إلا أن مقرهم الرئيسي هو دير مار مارون الكبير على مصب نهر العاصي الذي سيتغير جراء صراعهم مع البيزنطيين ثم المسلمين بعدهم، ويتحول مقر بطريركية موارنة الشرق إلى كفرحي ببلاد البترون[4].

رغم أن الطائفة المارونية تُحسب على السريان غير أنهم تفردوا في بعض المسائل اللاهوتية التي جعلتهم طائفة مميزة، فهم تقريبا الجماعة الأرثوذكسية الخلقيدونية الأكثر عددا في الشرق التي تلتزم بالأرثوذكسية طقسا ولغة لكنها توافق الطرح اللاهوتي الكاثوليكي القائل بالطبيعتين، وفي نفس الوقت تخالفهم بقولها بالمونوثيلية[5] أوالمشيئة

---

[1]– فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة في فلسطين حوالي 1130م/525هـ**، تر. سعيد عبد الله البيشاوي وفؤاد عبد الرحيم دويكات، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 39.

[2] – فيليب دي طرازي، **عصر السريان الذهبي**، مؤسسة هنداوي للنشر، د. ط ، المملكة المتحدة، 2014 ، ص 60.

[3]– **مار مارون**: راهب عاش أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي. واختلفت المصادر في مكان مولده بين حلب وأنطاكية، اعتزل مارون الناس في جبل سمعان شمال غرب مدينة حلب. وتفرغ للعبادة ونشر النصرانية بين القرى المجاورة. أخذ مارون بقرارات مجمع خلقيدونيا معارضا الكنائس اللاخلقيدونية المشرقية، وبعد وفاته قام أتباعه من المريدين والرهبان ببناء دير له في مكان وفاته بالقرب من أفامية على نهر العاصي وعُرف بدير مار مارون الكبير مركز الطائفة الروحي؛ أُنظر: اسطفان الدويهي، **تاريخ الطائفة المارونية**، تع. رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، د.ط، بيروت، 1890، ص17– 20؛ أسعد جرمانوس، **أصول المارونية السياسية وجذور الحريات اللبنانية**، دار المرد، د.ط، بيروت، 1996، ص20.

[4] – هنري لامس اليسوعي، **تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار**، دار الرائد، د. ط، بيروت، د. ت، ق.2، ص162.

[5] – **المونوثيلية Monotheisme** مذهب يقول بالمشيئة الواحدة وتفسيره أن للمسيح طبيعتين ولكن له إرادة واحدة ، وقد دعا إليه بطريرك القسطنطينية سرجيوس 610 – 638م، بتأييد من الإمبراطور البيزنطي هرقل Heraclius Flavius 610 -641 م، الذي أصدر بياناً سنة 638 م بذلك ، ظناً منه أن المسيحيين سيتقبلونه وأن هذا المذهب قد يؤدى إلى التقريب بين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وأصحاب مذهب الطبيعتين. فأثار هذا القرار عاصفة من المعارضة في العالم المسيحي انتهت سنة 680 م بانعقاد مجمع القسطنطينية الثالث المسكوني الذي أكّد أنّ للمسيح طبيعتين، مُضيفًا إليهما مشيئتين وقدرتين، ووسم القول بالمشيئة الواحدة بالهرطقة؛ أُنظر: استيفانوس قوميطا، **الدرة النفيسة في شرح حال =**

الواحدة[1]، إلا أن اللاهوتيين الموارنة أنفسهم يفندون اعتقادهم بالمشيئة الواحدة ويثبتون تمسكهم بالعقيدة الكاثوليكية منذ القرن الخامس الميلادي[2].

تمتد مساكن الطائفة المارونية من مصب نهر العاصي الذي به مقر قيادتها الروحية وهو دير مار مارون الكبير شمالا بين جبال اللكام شمالا وجبال الجليل جنوبا وجبال العلويين شرقا إلى البحر المتوسط غربا[3]، ومثلها مثل بقية الطوائف يمكن تتبع انتشارها الديمغرافي الدقيق من خلال رصد أماكن العبادة التي كانت عامرة خلال السيطرة الإسلامية على المشرق، فقد ورد أن للموارنة كنيسةً في **حمص** كما كان لهم في **دمشق** دير مار مارون الذي دعاه العرب دير مرّان[4]، وكان هذا الدير عامرا في عهد الخلافة الأموية مما يدل على أنه ربما أُنشئ قبل الفتح الإسلامي، ويحدّد المؤرخون أن كنيسة دير مران في سفح جبل **قاسيون**، ويظهر أنّ هذا الدير بقي عامرا حتى القرن 7 هـ/13 م، كما سكنوا في **شيزرو معرة النعمان** و**أفامية**، لقرب تلك المناطق من دير مار مارون[5]،

انتقل الموارنة إلى جبال لبنان بداية من القرن 2 هـ/8 م حيث سكنوا سفوح جبال لبنان الغربية، وكانوا منعزلين تماما عن الطوائف المسيحية الأخرى ثم عن المسلمين فيما بعد، وقد **وُجد** الموارنة بكثرة في جبل لبنان والمدن الساحلية أين انتشرت أديرتهم وأشهرها دير سيدة يانوح في **البترون**، سيدة هابيل بالقرب من **جبيل**، ومار إلياس أو اليشاع والسيدة في **لحفد**، ومار مارون في **كفرحي**، ومار أنطونيوس الكبير وهو من أكبر أديرة لبنان، ومار سرجيوس وباخوس في **بشري**، ومار قبريانوس **كفيفان**، ومار جرجس في كفر و**إهدن**[6].

4– الأرمـــــــن:

=الكنيسة، مطبعة القبر المقدس البطريركية، القدس، 1867م، ص 168– 171؛ متّى موسى، **الموارنة في التّاريخ**، دار قدمس، ط 1، دمشق، 2004 م، ص 457.

[1] – منذر الحايك، **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**، تق. سهيل زكار، دار الأوائل، دمشق، 2006، ج.1، ط 1، ص55؛ متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، ج 3، ص 236.

[2] – يوسف الدبس، **الحجة القاطعة الجلية على من ينكر ثبوت الموارنة في العقيدة الكاثوليكية**، المطبعة العمومية المارونية، د. ط، بيروت، 1905، ص 5 – 6.

[3] – عبد الله أبي عبد الله، **تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور**، دار ملفات، ط. 1، بيروت، 1997، ج.1، ص149.

[4] – متري هاجي أثناسيو، سورية المسيحية، ص193.

[5] – بطرس ضو، **تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري**، دار صيدون، د. ط، جونية، 1996، ج 2، ص 481 – 48.

[6]– متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية** ، ج7، ص 315.

الأرمن شعب قديم له لغته وكنيسته الوطنيّة أي الكنيسة الغريغوريّة الأرثوذكسيّة أو الرسوليّة، فهي أقدم كنيسة مسيحيّة وطنيّة في العالم، كما أنّ المملكة الأرمينيّة القديمة هي أوّل كيان سياسي اعتنق المسيحيّة واتّخذها ديانة رسميّة في القرن الثالث الميلادي، ومن الثّابت أنّ النّصرانيّة دخلت أرمينيّة عن طريق الرّها، لكن من أرسى دعائم النّصرانيّة فيها في العقد الثّاني من القرن الرّابع للميلاد هو القدّيس غريغوريوس المنوّر، أسقف قيصريّة كبّادوكيّا[1]، الذي تعمد على يده ملك أرمينيا **تيريداتس**(**Tiridates**)[2].

استنادا إلى الوثيقة الصادرة عن المجمع المقدس الذي عقده أساقفة الأرمن برئاسة البطريرك بابكين سنة 506 م والتي تقرر فيها مبادئ إيمان الكنيسة الأرمينية الغريغورية، فقد اعترفت بوثيقة الإيمان الصادرة عن مجمع أفسس 431 م، وشجبت تعاليم نسطوريوس باعترافها بتعاليم البابا كيرلس الأول والقديس أثناسيوس الرسول من قبله[3].

حرمت كتابات نسطوريوس بعد مجمع أفسس، فأخذ النساطرة ينشرون كتابات ثاودرس أسقف المصيصة ويترجموها إلى السريانية والأرمينية في محاولة لنشر أفكارهم، فرجع الأرمن إلى رئيس أساقفة القسطنطينية بروكلس يستشيرونه حول ما ورد في هذه الكتابات فحذرهم منها وأرسل إليهم ما عرف باسم **كتاب بروكلس** الذي ضمنه **تأكيدا للوحدة** الكائنة في السيد المسيح فثبت الأرمن على القول **بالطبيعة الواحدة**[4]، لذلك، يحسبون على الكنائس الشرقية الأرثوذكسية ويتوافقون مع مذهب اليعاقبة السريان والأقباط والأحباش، ويُعرف الأرمن الأرثوذكس بالغريغوريين نسبة لغريغوريوس المنوّر.

تعرضت مملكة أرمينيا الكبرى على طول تاريخها لهجمات كل من الفرس والبيزنطيين، وخلال مرحلة الفتح الإسلامي لأقاليم ما وراء النهر، وصلها المسلمون سنة 31هـ مما جعلها تتعرض لخطر التفكك والزوال لمرات عدة، لكن يمكن اعتبار التوسع السلجوقي ق 5 هـ/11 م هو الضربة القاسمة لهاته المملكة المسيحية، حيث وضعها في أزمة اجتماعية كبرى أدّت إلى هجرات بشرية للطائفة الأرمينية نحو مختلف أراضي المشرق، فاستقروا في

[1]– أنطوان خانجي ،**مختصر تواريخ الأرمن**، طبع بدير الآباء الفرنسيسكان، أورشليم، 1868، ص 6 .

[2]– متري أثناسيو، موسوعة بطريركية أنطاكية، ج2، ص 102.

[3] – عزت اسرائيل، **أرمن مصر أرمن فلسطين بعيدا عن السياسة**، تق. عاصم الدسوقي، العربي للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2017 ،ص 55.

[4] – أغناطيوس ديك، المرجع السابق، ص 37.

جبال طوروس و**إقليم قيليقيا**، والدليل على أنهم هاجروا بأعداد ضخمة هو أنهم مع بداية القرن 5 هـ/11 م أصبح لهم أسقف في كل من **طرسوس** و**أنطاكية**[1].

هاجرت موجة منهم نحو الأراضي الواقعة شمال الفرات وغربه، وكان من بينهم أمراء وملوك لهم، ومن أكثر الحواضر التي كان لهم فيها حضور قوي مدينة **الرها**، فكانت تضم أكبر تجمع للنصارى وخاصة من الأرمن والسريان، ويذكر أن بها قديما أكثر من ثلاثمائة دير، ومن أشهر كنائس الأرمن بها كنيسة السيدة العذراء[2]،

تزايدت وتيرة الهجرة بعد معركة مانزكرت (Menzikert) (ملاذكرد) سنة 463 هـ/ 1077 م، ويزداد عدد الأرمن في شمال بلاد الشام وكذا المناطق الساحلية منها مثل **جبال اللكام** و**اللاذقية**، أين استطاع جزء منهم الاستقرار تحت زعامة نبلائهم في إقليم طوروس الذين كانوا يدينون بالولاء لبيزنطة التي اعتبرتهم درعا ضد القوى الإسلامية، بينما اتخذ جزء منهم إقليم قليقية مستقرا لإنشاء إمارات أرمينية صغيرة بمعزل عن التدخل البيزنطي[3]، كما لجأت جماعات من الأرمن إلى **بيت المقدس** ومصر خلال القرن 5 هـ/11 م، والشاهد على ذلك، تلك الكنائس والأديرة العديدة التي عُرفت لهذه الطائفة بمصر مثل دير البساتين الذي يعتبر مقر البطريرك الأرمني ورهبانه وكذا دير الزهري ومار جرجس **بالقاهرة** ودير الخصوص **بأسيوط** ودير وادي النطرون[4].

5– الأقبـــاط:

الأقباط[5]هم في الغالب السكان الأصليون لمصر وسُمّوا بالأقباط تمييزا لهم عن العناصر الأخرى التي سكنت مصر كالإغريق والرومان واليونان[6]، وعادة يقصد بهم المصريون الذين تمسكوا بمذهبهم أمام الروم البيزنطيين وبدينهم أمام المسلمين، حيث ذكر المقدسي[7] الذي زار مصر في العصر الفاطمي "**أن عامة ذمة النصارى يقال**

---

[1] – فتحي اللهيبي، **دراسات في علاقات الأرمن والكرخ بالقوى الإسلامية في العصر العباسي**، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص23.

[2] – متري هاجي أثناسيو، المرجع السابق، ج.1، ص 310 – 312.

[3] – علية الجنزوري، **إمارة الرها الصليبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص 39.

[4] – ماجد عزت إسرائيل، المرجع السابق، ص 71 – 72.

[5] – ينسب الأقباط إلى قبطم بن مصرايم بن حام أحد أحفاد نوح عليه السلام. وتشير المصادر إلى أن مصر سميت باسم مصرايم بن حام؛ أُنظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 5، ص 173؛ المقريزي، **تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي**، تح. عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د. ط، القاهرة، 1995، ص 13.

[6] – المقريزي، **تاريخ الأقباط**، ص14؛ فاطمة مصطفى عامر، **تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي** ، القاهرة، 1999، ج 2، ص181.

[7] – **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي،القاهرة، 1991، ط.3، ص202.

لهم القبط"، ولطائفة الأقباط كرسي رسولي خاص بهم وهو الذي تأسس على يد القديس مرقص الرسول واحد من أصحاب الأناجيل الأربعة في **الإسكندرية** وعرفت بالكنيسة القبطية المرقسية الأرثوذكسية.

تقول طائفة الأقباط بعقيدة الطبيعة الواحدة ورفضت عقائد النساطرة وعقائد الخلقيدونيين، فهي تحسب على الكنائس اللاخلقيدونية حيث تتوافق مع كل من كنيسة الأرمن الغريغورية والسريان اليعاقبة الأرثوذكس كما تتبعها كنيسة الأحباش وقد جددت وثيقة الإيمان المشترك بين هذه الكنائس خلال القرن 5 هـ/11 م[1]، تعتبر أرض مصر هي موطن الأقباط ومكان الانتشار الديمغرافي للطائفة ولا تجد لهم حضور بشري في أرض المشرق خارج مصر إلا في بيت المقدس الذي يحتوي على ممتلكات[2] لكل الكنائس المسيحية الشرقية.

- **بيت المقدس أرض لجميع الطوائف:**

تُعدّ الأراضي المقدسة مهد المسيحية، حيث وُلد المسيح وترعرع ونشر دعوته بين بني اسرائيل الذين أنكروا رسالته فقاموا بتعذيبه وصلبه، مما أدى إلى قيامته في اليوم الثالث كما يزعم النصارى، وتُعدّ بيت المقدس أُم الكنائس والتي أصبحت بطريركية بعد مجمع خلقدونية واستقلالها عن أنطاكية، لكنها بقيت مرتبطة ببطريركية أنطاكية روحيا وثقافيا وطقسيا، ثم أخذت الكنيسة الجامعة تنقسم تباعا لأسباب دينية، وسياسية وقومية، حتى وصلت للانشقاق العظيم في القرن 11 م/5 هـ، فصارت الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين تتبع بطريركية القسطنطينية، رغم محافظتها على صلاتها بالكرسي البطرسي أيضا[3].

الشاهد على أقدمية وتجذر الوجود المسيحي في القدس ذلك التعدد والتنوع الكبير في الكنائس والأديرة الموجودة ببيت المقدس وبالخصوص في البلدة القديمة، فمن أبرز الكنائس المشتركة بين كل الطوائف نجد **كنيسة القيامة**[4] التي تُعرف عند الغربيين بكنيسة القبر المقدس، وهي كنيسة شيدتها **الملكة هيلانة**[5] والدة الامبراطور

---

[1] – عزيز سوريال عطية، **تاريخ المسيحية الشرقية**، تر. إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005 ، ص 62 – 75.

[2] – ومن أهم ممتلكات الأقباط في بيت المقدس نجد دير السلطان وهو من الأديرة القديمة بالقدس، وقد احتله الرهبان اللاتين بعد استيلاء الصليبيين على المدينة. ولكن صلاح الدين الأيوبي أرجعه للأقباط الأرثوذكس بعد تحرير بيت المقدس، فعُرف من وقتها باسم دير السلطان. يلاصق هذا الدير سطح كنيسة القيامة من الجهة الشرقية، ولدير السلطان أهمية خاصة عند الأقباط لأنه طريقهم المباشر للوصول إلى كنيسة القيامة. كما نجد أيضا دير مار أنطونيوس ودير مار جرجس الذي يحوي على كنيسة من هيكل واحد ويقام فيها قداس كل يوم خميس للأقباط. بينما يقيم به الأرمن قداساً في يوم الاحتفال بعيد مارجرجس. وللراهبات القبطيات دير القديسة مريم الذي يقع قرب الباب الجديد؛ للمزيد أنظر: فادي شامية، **الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس**، ضمن كتاب **دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس**، تحرير محسن محمد صالح، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط.1، بيروت، 2010، ص 247 – 248.

[3] – فادي شامية، **المرجع السابق**، ص 246.

[4]– دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب 1106–1107م**، تر.و تع. سعيد البيشاوي، داود إسماعيل أبو هدبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2003، ص 109.

الروماني **قسطنطين الأول** Constantius I (306- 337 م)، وذلك سنة 335 م، ويقوم على خدمة كنيسة القيامة وإقامة الصلوات فيها ممثلون عن الطوائف المسيحية الموجودة بالقدس، أما مفاتيح كنيسة القيامة فتتوارثها أسرتان مقدسيتان مسلمتان، وهما: أسرة نسيبة وأسرة جودة، وذلك منذ الفتح العمري للمدينة[1]، ونجد أيضا **كنيسة الميلاد** في بيت لحم[2].

وجدت أيضا أماكن تاريخية تحولت الى مزارات مثل **كنيسة القديس يوحنا** في وادي الأردن، و**دير القديس سابا**[3]، ومن الأماكن الدينية التي كانت حكرا على طوائف دون أخرى وتعتبر ممتلكات أبدية للطوائف المسيحية، والتي تنتشر في البلدة القديمة نذكر: **دير مار مرقس** للسريان اليعاقبة في بيت المقدس[4]، وللأرمن **دير الزيتونة،** وهو دير قديم للراهبات الأرمنيات، ويعرف أيضاً باسم **دير مار آركنجل،** كما نجد **كنيسة حبس المسيح** التي تقع في حارة السعدية، حيث شيدت في المكان الذي جلد وحبس فيه السيد المسيح حسب معتقدهم[5].

---

[5] – **بنت هيلانة** في المكان ثلاثة أبنية أولها كنيسة الجلجلة في مكان الصلب (حسب المعتقد المسيحي)، وتقع على يمين الداخل إلى كنيسة القيامة، وثانيها فوق القبر المقدّس. وهو المكان الذي يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح دفن فيه، وثالثها فوق البئر التي وجدت فيها الصلبان الثلاثة التي حدّد مكان الكنيسة من خلالها. لكن الصليبيين الذين احتلوا القدس وحدوا الكنيسة هندسيا على شكل صليب.

[1] – حسن مصطفى خاطر، **موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك**، مؤسسة الرسالة بإشراف المجلس العلمي الفلسطيني، د. ط، **القدس**، 2004، ج 2، ص 249.

[2] – دانيال الراهب، المصدر السابق، ص72.

[3] – المصدر نفسه، ص 69،70.

[4] – اسحق ساكا، المرجع السابق، ج 5، ص66.

[5] – ابن الوردي سراج الدين عمر البكري، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور و لجيد الزمان عقد درر**، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1906 م، ص 33.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية لنصارى المشرق الإسلامي قبل الوجود الصليبي:

حدثت العديد من الخلافات الدينية بين الكنيسة البيزنطية الخلقدونية والكنائس اللاخلقدونية، خصوصا عندما استولى البيزنطيون على مناطق الثغور وأنطاكية والجزيرة العليا، فاضطهد البيزنطيون السريان والأرمن والنساطرة ليجبروهم على اعتناق مذهبهم الملكاني، ولاقى هؤلاء شتى ألوان العذاب، ففضل النصارى السريان والأرمن حكم المسلمين الذين أظهروا تسامحا مع أهل الكتاب عكس البيزنطيين أبناء دينهم، فالمسلمون لم يتدخلوا أبدا في شؤون كنائسهم بل كانوا يدافعون عنهم ويحفظونهم في دينهم وأعراضهم وأموالهم مقابل الجزية كما نص على ذلك عقد الذمة.

1– عقد الذمة دستور الذمي داخل المجتمع الإسلامي:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسس في المدينة الدولة الإسلامية وأرسى نُظُمها القائمة على التمييز بين أتباعه وأتباع الديانات الأخرى من جهة، وبين سكان البلاد التي يحكمها المسلمون وتلك التي يحكمها غير المسلمين من جهة أخرى[1]، ويستطيع أهل الذمة الذين يعيشون في ديار الإسلام الاحتفاظ بشرائعهم السماوية ويتمتعون بحماية المسلمين شرط دفع الجزية والخضوع للسلطة الإسلامية، ومنه ظهرت أسس عقد الذمة الذي يأتي بمفهوم العهد أو معاهدة الحماية التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع رؤساء هاته الطوائف الدينية، حيث تمتعوا بموجبها بحقوقهم **في ظلّ** الدولة الإسلامية مقابل الجزية التي شُرِّعت بالرجوع **إلى القرآن**

[1]– حسن الزين ، **الأوضاع القانونية للنصارى و اليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني**، دار الفكر الحديث ، بيروت، 1988، ص 7 – 10.

الكريم والسنة النبوية الشريفة من جهة، ثم عهود الذمة التي صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1] وعن خلفائه من جهة أخرى[2].

يعين مقدار الجزية عادة في عهد الذمة أو في خطاب موجه من الحاكم إلى شعوب بلدان الفتح، ولكن لهذا المقدار أهمية بالغة كانت تزداد مع تطور الدولة الإسلامية وحاجاتها المالية والعسكرية والسياسية المتغيرة باستمرار، ويتضح بأن مقدار الجزية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقى ثابتاً ولم يطرأ عليه تغيير طيلة حياته، أما في عهد الخلفاء الراشدين[3]، فكان مقدار الجزية يعين في معاهدة الصلح أو في خطاب موجه إلى السكان في مناطق الفتح، عن طريق مبلغ يفرض على كل بالغ من أهل الذمة، ويلاحظ في هذه الفترة أن هذا المبلغ المحدد لم يكن مستقراً، بل كثيراً ما كان يطرأ عليه التعديل زيادة أو نقصاً[4]، خاصة وأن الجزية تُؤدّى من أجل حماية الأنفس والأموال، وتطبيقاً لهذا المبدأ، أعاد أبو عبيدة بن الجراح جميع ما حصله من الجزية إلى نصارى بلاد الشام عندما أصبحت قدرته على حمايتهم مجرد احتمال[5].

---

[1]– يُذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الجزية من أهل نجران النصارى وهم أول من أعطى الجزية. وبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، فصالح رسول الله أهل نجران على: "ألفي حلة في صفر، وألف حلة في رجب، ثمن كل حلة أوقية، والأوقية وزن أربعين درهما"؛ أُنظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993، ص 573؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، تح. سهيل زكار، دار الفكر، ط 1، 1992، ص 75. ؛ ابن الأثير، **الكامل في تاريخ**، المكتبة العصرية، ط. 1، بيروت، 2008، ج 2، ص 118– 126؛ الذهبي ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2005 ، ج.1، ص 363–364.

[2] – أبو يوسف، **كتاب الخراج**، دار المعرفة للطباعة والنشر، د .ط، بيروت، 1979، ص 122 – 126.

[3] – وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه (11–13هـ/632–634م) الجزية من أهل الحيرة وجلهم نصارى وقتها، حيث صالحهم على تسعين ألف درهم وتتابعت الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13 – 23هـ/–644م) وتتالت عقود الصلح على نفس الوتيرة وتباينت بنودها أحياناً، فقد صالح عمر بن الخطاب بني تغلب على أن عليهم العشر مضاعفاً من كل عشرين درهما درهم وقد فرض خالد بن الوليد على سكان دمشق جزية مقدارها دينار واحد على كل حالم مع جريب من الحنطة يضاف إليه مقدار من الزيت". وصالح أهل بيت المقدس عمر بن الخطاب مثل ما صولح أهل الشام من أداء الجزية وذلك في سنة 17هـ/638م. ويلاحظ أنه في حالة زيادة ثروة الذمي كان يتبع ذلك زيادة في المبلغ الذي يدفعه ويحصل العكس عندما تنقص ثروته إذ يخفض المبلغ المفروض دفعه، وأن معظم مدن الشام صالح أهلها النصارى المسلمين على الجزية؛ أُنظر: البلاذري، المصدر السابق، ص 163–145؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 2، ص 182– 212.

[4] – حسن الزين، المرجع السابق، ص 227 – 231.

[5] – محمد بن عبد الله الأزدي، **كتاب فتوح الشام**، تص. وليم ناسوليس الايرلندي،Baptist Mission Press ، كلكتة، 1854، ص 137 – 138.

وفي العهدين الأموي والعباسي، عرف مقدار الجزية تغييرات كانت أحيانًا كبيرة ومتباينة، وقد ذكرت بعض المصادر السريانية والقبطية والإسلامية، أن عددًا من الخلفاء لجأ إلى زيادة ضريبة الجزية استدراراً لعائدات مالية جديدة، فهذا عبد العزيز بن مروان (27 هـ– 86 هـ/ 647 م – 705 م) والي الأمويين على مصر يقوم بفرض الجزية على الرهبان الأقباط ويقدرها بدينار واحد رغم أن الحكام المسلمين منذ عهد النبوة كانوا يعفون رجال الدين من الجزية[1]، وسبب ذلك هو تفطن الجباة لتهرب الكثير من أهل الذمة من دفع الجزية بتحولهم للسلك الديني[2] بالاضافة إلى تضخم ثروات رجال الدين ما جعله يرى أن فرضها على المطارنة و البطاركة أولى من فرضها على عامة الذمة[3]، وكذلك الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136–158هـ/ 754–775م) الذي قيل أنه أثقل الجزية على النصارى[4]، كما أن الخليفة هارون الرشيد (170–193هـ/786–809م) سلك سياسة كانت تجنح دائماً إلى زيادة ضريبة الجزية[5]، غير أن الكثير من المصادر الإسلامية تقول إن السياق التاريخي الذي اتخذت فيه مثل هذه القرارات له مبرر واضح.

في المقابل نجد العديد من الخلفاء والعمال تسامحوا مع النصارى مثل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99–101هـ /717–720م) الذي كان حريصا على إسقاط الجزية عن الذمي بمجرد دخوله الإسلام، ودليل ذلك، ما كتبه لعمّاله بأنه من دخل الإسلام واختتن يعفى من الجزية، ولا يجوز جباية الجزية من غير الفائض عن حاجة الذمي[6]، أما الخليفة المأمون (198–218هـ/813–833م) فيذكر المؤرخ ميخائيل السرياني[7] أنه أعطى أوامره بعدم استعمال القسوة في التعامل مع أهل الذمة لوالي مصر وعماله ووضع عن الذميين نصف الضريبة.

---

[1] – ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، تح.علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، القاهرة، 1995، ج.1، ص 150.

[2] – عبدالله السعدي، **النظام المالي المالي في العصر الاول العباسية والمقارنة بالأنظمة الحديثة**، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة، 1989م، ص 49

[3] – جاك تاجر، المرجع السابق، ص 61.

[4] – ميخائيل السوري الكبير، **تاريخ ميخائيل السوري الكبير**، تر. مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين للنشر، حلب، 1996، ط. 1، ج 2، ص 416.

[5] – الرهاوي المجهول، **تاريخ الرهاوي المجهول**، تر. الأب ألبر أبونا، مطبعة شفيق بغداد، د. ط، 1986، ج 2، ص 13 – 14.

[6]– جمال محمد داود ، **العرب و الأرض في العراق في صدر الإسلام**، الشركة العربية، د.ط، عمان ، 1979، ص 116.

[7]– المصدر السابق، ج3، ص 40.

وعلى الرغم من تسامح المسلمين مع النصارى خصوصاً في بلاد الشام من خلال تغاضيهم عن تطبيق تفاصيل عقد الذمة إلا أنهم في كثير من المراحل التاريخية ألزموهم بتلك الشروط المأخوذة عن العهدة العمرية والتي خُص بها أهل الذمة ليتميز المسلمون عنهم، كما كان على المحتسب أن ينطلق في معاملته لأهل الذمة من القواعد التي تعتمد على القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة والعادات والتقاليد المتبعة في المجتمعات الإسلامية[1]. فكان لزاما تقيدهم بها ومن مظاهرها ما يلي:

– عدم بناء كنائس أو أديرة جديدة، ويُحظر عليهم تحديث ما خرب منها، ضيافة من مر من المسلمين ثلاث ليال، ويُمنع إنزال جواسيس الأعداء في الكنائس وأن يكون النصارى عيونا للمسلمين، وعدم إظهار الطقس النصراني والدعوة إلى تنصير أحد من المسلمين ويُحظر تعليم القرآن على أبناء النصارى، وفي الوقت نفسه، لا يجوز منع النصارى من الدخول في الإسلام، واحترام المسلمين بالقيام لهم في مجالس إذا أرادوا الجلوس وعدم التشبه بهم في ملبسهم، لأن الجند من المسلمين كان لهم لباس خاص غير مسموح لسواهم بلباس مثله، لذلك، كان إجبار الذميين على لبس الغيار[2] ليس احتقاراً لهم بل تمييزاً لهم عن الجند.

– يُحظر على الذمي التحدث بكلام المسلمين وأن يتسموا بأسمائهم أو يتكنوا بكناهم[3]، ويمنع على الذميين النصارى ركوب السروج وتقلد السيوف وكذلك حمل السلاح وصناعته وعدم نقش الخواتم بالعربية، كما يُحظر بيع

---

[1] – و ذكر الماوردي في عقد الجزية شرطان: الأول مستحق بستة شروط:أن لا يذكروا كتاب الله بطعن ولا تحريف له .أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتكذيب وازدراء–أن لا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه–أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح– أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.–أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغناء هم.فهذه الشروط الستة هي حقوق ملزمة فتلزمهم بغير شرط، وإنما تشترط إشعاراً لهم وتأكيداً لتغليظ العهد عليهم ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعيدهم، وكذلك بعض هذه الشروط تفرض شرعاً على المسلمين أيضاً، أما الشرط الثاني فهو المستحب وهو مبنى على ستة شروط أيضاً: تغيير هيئاتهم بلبس الغيار والزنار–أن لا يعلوا على المسلمين في الأبنية ويكون إن لم ينقصوا مساويين لهم–أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم–أن لا يجاهروهم يشرب خمورهم ولا بإظهار صلباتهم– أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ونياحة–أن يمنعوا من ركوب الخيل ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير،وهذه الشروط الستة المستحبة لا تلزم بعقد الذمة حتى تشترط فتصير بالشرط ملتزمة ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم، لكن يؤخذون بها إجبارا ويؤدبون بها زجراً، ولا يؤدبون إن لم يشترط عليهم ؛ أنظر:الماوردي، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية** ، دار الفكر ، بيروت، د.ت، ص 145

[2] – **الغيار** هو أن يغيروا لون ثوب **واحد** من ملابسهم لا يلبس المسلمون مثل لونه إمّا في عمائمهم، أو قمصانهم، ويكونون فيما سواه مثل ملابس المسلمين. ويفرق بين غيار النصارى واليهود ليتميزوا. والألوان ليست بشرط لا يتجاوز إنما الاعتبار بلون متميز. فإذا صار مألوفا منعوا من العدول عنه إلى غيره، كي لا يقع الاشتباه؛ أُنظر: الماوردي، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو مختصر شرح المزني**، تح. علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 1994، ج.14، ص 326.

[3] – حسان حلاق، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، 1999، ط. 2، ص 85 – 86.

الخمور وسقايتها لأحد، مع وجوب لبس الزُّنانير في وسط الثياب، ويترتب على مخالفة الذمي هذه العهود فسخ عقد ذمته[1].

– يقع على عاتق المحتسب معرفة هذه الأمور وإلزام الذميين بعدم مخالفة الأحكام الإسلامية، غير أنه من الأهمية بمكان القول إنّ المجتمع الإسلامي رأى من واجبه أيضا أن يكفل للذميين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[2].

2– النصارى والاضطرابات السياسية داخل الدولة الإسلامية،

لقد ساهم الخلاف المذهبي بين الطوائف المسيحية في انتشار الوشاية والمكائد بينهم ومحاولة كسب الخلفاء المسلمين وإيغار صدورهم تُجاه من يخالفهم في المذاهب من المسيحيين، ومثال ذلك استغلال اليعاقبة الحروب القائمة بين الدولة البيزنطية والدولة الأموية، لتشويه صورة الطائفة الملكانية الموجودة بالأراضي الإسلامية واتهامها بعدم الولاء وبالتجسس لصالح الإمبراطورية البيزنطية، وكان نتيجة ذلك تضييق الأمويين على الملكيين ومنعهم من إقامة بطاركة لهم في أنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية[3].

ومن بين الاضطرابات السياسية التي أحاقت بالدولة الإسلامية ما عرف بثورة المردة أو الجراجمة نسبة إلى مدينة جرجومة في جبال اللكام، وكانوا على شيء من الاستقلال الداخلي، وقد استخدمهم المسلمون لما فتحوا أنطاكية سنة 17 هـ/ 638 م كأدلاء في معابر الجبال، واشتهر الجراجمة كجنود مرتزقة في جيش الروم، فأصبحوا شوكة في خاصرة المسلمين بشنهم للغارات المتكررة على بلاد الشام[4].

أبرز هذه الغارات هي التي كانت سنة 46هـ/ 666م عندما استعان البيزنطيون بهم للقيام بعّدة غزوات في مناطق بالشام، مما جعل معاوية بن أبي سفيان يدفع الجزية للبيزنطيين مقابل أن يمتنع هؤلاء عن مساعدة المردة،

[1] – ابن الأخوة، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، دار الفنون، د. ط، كمبردج ، 1937، ص 40 – 41.

[2] – حسان حلاق، المرجع السابق، ص 87.

[3] – أسد رستم، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، منشورات المكتبة البولسية، ط.1، جونية، 1988، ج 2، ص 63.

[4] – يوسف دريان، **البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة**، المطبعة العلمية، بيروت، 1904، ص 35؛ عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ج.1، ص 164.

وعليه انسحبت جموع الجراجمة من جبال لبنان، ولكنْ في سنة 70هـ/689م أثناء خلافة عبد الملك بن مروان عاد الجراجمة فاجتاحوا جبال لبنان[1]، كما فعلوا أثناء خلافة معاوية وتحصنوا في مرتفعاته الشمالية، و قد قبل عبد الملك أن يدفع الجزية إلى الإمبراطور جستنيان الثانيJustinien II (685-711م/ 65-92هـ) وأن يدفع الجراجمة مبلغ ألف دينار كل أسبوع[2]، وكأنه في إذعانه هذا، على حد قول البلاذري[3] : "اقتدى في صلحه بمعاوية".

وعلى عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور فجرت ثورة النصارى جبل لبنان بسبب انتهاك قبائل مسلمة لأراضيهم سنة 143هـ/759م، حيث ظهر رجل من أهل المنيطرة سمى نفسه ملكا، ولبس التاج وأظهر الصليب، واجتمع نصارى جبل لبنان يساندونه، ثم استفحل أمرهم، فظهر الجيش العباسي عليهم، فأمر أمير دمشق صالح بن علي بإخراج من بقي في الجبل، وتفريقهم في بلاد الشام وكورها، انتقد الإمام الأوزاعي هذا العمل من قبل العباسيين، لأنه إن كان من نصارى لبنان المعتدي على حقوق السلطان، فإن منه البريء وليس من الجائز أن يرحل عن أرضه وأملاكه ويعامل البريء كالمجرم[4].

وفي سنة 152هـ/769م أغار المسلمون على وادي مرعش[5] واتهموا النصارى بالتجسس لصالح الدولة البيزنطية، فرحلوهم إلى الرملة وأسكنوهم بها، وكذلك فعلوا بنصارى سميساط، وقد انفرد بهذه الرواية كل من المؤرخين السريانيين ابن العبري والميخائيل السرياني، معتبرين أن اتهامات التجسس كانت باطلة [6]، لكن ما يؤكده السياق التاريخي أن قرارات ترحيل النصارى من مناطق الثغور إلى الداخل الشامي تعتبر استراتيجية عسكرية

---

[1] – اندمج الجراجمة بسكان الجبال من النصارى الذين كانت لغتهم سريانية، وبعد اندماج الجراجمة بسكان الجبل الأصليين، أصبحوا في هذه الحقبة يعرفون بالمردة. قد أسفرت عملية الاندماج هذه بين الجراجمة ونصارى لبنان عن قيام الطائفة المارونية؛ أُنظر: محمد سامي سلطان، **موقف نصارى بلاد الشام من الحروب الصليبية 488–690هـ/1095–1291م**، أطروحة دكتوراه، جامعة بيروت العربية، 2013، ص 96.

[2] – يوسف الدبس، **تاريخ سورية الديني والدنيوي**، المطبعة العمومية، بيروت، 1900، ج 5، ص 160– 110. عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ص 188–189.

[3] – المصدر السابق، ص 187–188.

[4] – فيليب حتي، **لبنان في التاريخ**، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك، 1959، ص 298–300؛ بطرس ضو، المرجع السابق، ج2، ص 638.؛ محمد علي مكي، المرجع السابق، ص 76.

[5] – **مرعش**: مدينة في الثغور، بين الشام و بلاد الروم وهي من أعمال حلب عامرة ولها مياه وزروع وأشجار، ولها حصن منيع، وخرج منها جماعة من أهل العلم والعبادة؛ أُنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 107؛ ابن العديم، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ص 235.

[6] – ميخائيل السوري الكبير، المصدر السابق، ج 2، ص 416.

عباسية بسبب الخصوصية الإثنية والدينية لهذه المناطق وكذا الحساسية العسكرية كونها مناطق صدام مستمر مع الروم البيزنطيين، وبالتالي تأمين دفاعي للثغور الإسلامية[1].

كانت في أكثر الأحيان تأتي الاتهامات زورا وبهتانا بحق المسيحيين من قبل بعض المتعصبين من المسلمين، ومثال ذلك ما جرى لنصارى الرها الذين شكا مسلموها للخليفة هارون الرشيد مدعين أن الإمبراطور البيزنطي نقفور الأول Nikephoros Phokas (802-811م/ 186-195هـ) يزورهم كل سنة ويصلي في كنائسهم، فتحقق الخليفة من الأمر واستبان له افتراؤهم فعاقبهم بالضرب وطردهم[2]، وقد أخذ الخليفة المأمون سنة 215 هـ/830 م عهدا من نصارى المدن الخاضعة للدولة البيزنطية أمام أساقفتهم وكهنتهم بألا يخونوا المسلمين وألا يساعدوا البيزنطيين وعيّن عليهم حاكما ثائرا على البيزنطيين يُدعى عمانوئيل الرومي[3].

3– العلاقة بين الكنائس الشرقية والغربية قبل انطلاق الحملات الصليبية:

تحدثت المصادر التاريخية عن وجود علاقات ومراسلات بين الكنائس الشرقية الأرثوذكسية وكنيسة روما الكاثوليكية ومن يتبعها من الأمراء الأوروبيين، وذلك منذ القرن 5هـ/10م –11م[4]، إن توقيت هذا التقارب جعل العديد من المؤرخين يربطون بينه وبين اختمار فكرة الحرب المقدسة اتُجاه الشرق ففي النهاية ثبت عن البابا أوربان الثاني اتخاذه إنقاذ المسيحيين الشرقيين ذريعةً لهذه الحملة المسلحة التي دعا إليها والتي أصبحت أمرا واقعا مع نهاية القرن الحادي عشر للميلاد، لذلك، كان لابد من رصد جذور هذه العلاقات ومرجعيتها اللاهوتية ومحاولة تتبع تطورها مضمونا وغاية وتداعياتها على الشرق تحديدا، وهل يمكن أن تعتبر دافعا وسببا فاعلا في انطلاق الحملات الصليبية من العالم اللاتيني الغربي نحو المشرق الإسلامي؟ وكيف كان رد فعل المسيحيين الشرقيين من هذا الغزو الغربي؟

- **الأرمن وعلاقتهم بالكرسي الرسولي اللاتيني قبل491 هـ/ 1098 م:**

[1] – مصطفى شاكر، **دولة بني العباس**، وكالة المطبوعات، 1973، ج.1، ص 369.

[2] – ميخائيل السوري الكبير، المصدر السابق، ج 2، ص 433؛ الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 14.

[3] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 38 – 39.

[4] – Gérard Dédéyan , **Les Arméniens en Occident**, **fin du Xe siècle – début du XIe** ,Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public , Année 9 , 1978 , pp. 123-139.

كان الأساقفة وبعض رجال الدين الأرمن، قد تعودوا منذ القرن السادس الميلادي على شدّ الرّحال من حين لآخر إلى المزارات الدينية المسيحية الغربية التي تزخر بها القارة الأوربية، ومنها: قبرا القديسين بطرس وبولس في مدينة روما، وهو ما يعتبر في الكتابات الغربية حجاً إلى الأماكن المقدسة المسيحية[1]، ومِن أشهر الرحلات الأرمينية إلى الأماكن المقدسة الغربية نذكر:

– زيارة **القديس سمعان** (Siméon،de polirone Saint)، الذي توجه من أرمينيا الكبرى إلى القدس وزار فيها كنيسة القيامة، ثم انتقل إلى روماسنة سنة 373 هـ/983م، وحظي بمقابلة البابا **بنديكتس السابع 974–983 Benoit VII**م، والتقى في مجلسه بقس أرميني آخر كان يحسن اللغة اللاتينية، ثم زار القديس داوين(Davin)، من أرمينيا الكبرى، في منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بيت المقدس، ومنها انتقل إلى روما، وبقي في إيطاليا إلى أن وافته المنية سنة 448 هـ/1050 م[2].

غير أن زيارة الجاثليق[3] **جريجوري الثاني فيكاياسر** (Le Catholicos Grégoire Vekayaser) تعد أشهر الزيارات الدينية الأرمينية التي تزامنت مع بداية التحضير للحملة الصليبية الأولى في أوروبا سنة 467 هـ/1074 م، وزار فيها القسطنطينية وروما والقاهرة، كان هدفه من هذه الزيارات الثلاث كسب دعم هذه القوى ومناصرتها للأرمن، وإذا كانت الزيارات التي قام بها بعض رجال الدين الأرمن، ومعهم بعض أتباعهم إلى إيطاليا وفرنسا، خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، قد ساهمت في التعريف بأرمينيا لدى النورمان والفرنجة، فإن الزيارة التي قام بها هذا الجاثليق إلى روما والمهمة الدبلوماسية التي أداها لدى البابا **جريجوار السابعGrégoire VII** 1020– 1085 م[4]، والمراسلات التي جرت بينهما، قد أحدثت تقاربا بين الكنيسة الأرمينية والكنيسة الكاثوليكية، وتركت صداها في المؤسسة البابوية[5].

---

[1] – Gérard Dédéyan Op. cit, pp. 123-139 ؛ محمد زرقوق، **سفارات الكنيسة الأرمنية إلى القسطنطينية وروما والقاهرة وأثرها على اندلاع الحروب الصليبية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 51، 2019، ص 59.

[2] – محمد زرقوق، المرجع السابق، ص 59 – 60.

[3] – **الجاثليق أو الكاثوليكوس** هو لقب لإحدى الرتب الكهنوتية المسيحية – ويعتبر أعلى رتبة دينية في الكنيسة الأرمنية – أول من تقلدها هو غريغوريوس المنور أو المستنير سنة 257– 331م؛ للمزيد أنظر: يوشع براور، **عالم الصليبيين**، تر. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة ، 1999، ص 83.

[4] – **البابا غريغوري السابع 1073 – 1085 م**: من أشهر باباوات الكرسي الرسولي البطرسي في روما، ألماني الأصل كان صاحب حماس ديني شديد، بالإضافة إلى رؤيته الاستشرافية حول الصراع بين الشرق والغرب وفكرة جيش المسيح والحرب الصليبية؛ للمزيد أُنظر: قاسم عبده قاسم، **مفهوم الحروب الصليبية**، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص 31.

[5] – Gérard Dédéyan, Op. cit, pp. 123-139

- **الروم الملكيون الأرثوذكس يستنجدون بالغرب الكاثوليكي:**

أراد بعض المؤرّخين الغربيين أن ينسبوا اشتعال نيران الحُروب الصّليبية إلى شخصيتين تزعمتا العالم المسيحي الشرقي الأرثوذكسي وقتها وهما الإمبراطور البيزنطي والبطريرك المقدسي للروم الأرثوذكس، حيثُ أوردوا في أدبياتهم رسالة بعث بها الإمبراطور **ميخائيل السابع دوكاس** 1059-1071**Michel VII Doukas**م إلى البابا **جريجوري السابع** عام 1073 م/ 465 هـ يدعوهُ فيها إلى تقديم الدعم العسكري له لمحاربة المسلمين الأتراك في الأناضول[1]، أما الرسالة **الثانية** فهي التي وجهها الإمبراطور ألكسيوس كومنين سنة 1088 م/481 هـ إلى الكونت **روبير فلاندرز 1035–1093م Robert de Flandre** يطالبه فيها بإرسال النجدة العسكرية له من الفرسان اللاتين[2].

وفي رحلة الحج الشهيرة التي قام بها **بطرس الناسك** [3]**Pierre l'Ermite**وأوردها وليم الصوري يذكر لقاء بطرس مع البطريرك المقدسي سيمون أو سمعان ودار حوار بينهما حسب قول بطرس وصف له فيه معاناتهم تحت حكم المسلمين وضعف الإمبراطورية البيزنطية على حمايتهم مستنصرا إخوانه في الدين من اللاتين كي ينقذوهم، وكان رد بطرس: "**أُنظر أيها الأب المبارك أنه إذا توفر لكنيسة رومة وأمراء الغرب مبلغ ألمعي ثقة يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها فلا شك أنهم سوف يبادرون إلى بذل الجهد لتقديم العلاج بأسرع ما يمكنهم قولا وعملا ،،، وعليك أن تثابر في الكتابة إلى قداسة البابا وإلى الكنيسة في رومة وأن تؤكد الخطاب بخاتم سيادتكم، وأما أنا فلن أتراجع من جهتي عن حمل هذه الرسالة،،،**"[4].

-[1]Oldenbourg Zoe, **the crusades**, trans. Anne Carter, Pantheon, book-New York, 1965,pp75-77

[2]-Constantine Paparrigopoulos. **Lettre d'Alexis I Comnène à Robert I**, **Comte de Flandre**, Bulletin de Correspondance Hellénique, Année 1880, T4,pp. 24-29.

[3] – **بطرس النّاسك**: واعظ وخطيب، وُلد في مدينة أميّان Amiens الفرنسية نحو سنة 1050 م/ 441 هـ، وهلك سنة 1115 م/ 508 هـ، ويبدو أنّهُ لم يكن وحده الدّاعي للحملة نحو الأراضي المقدسة، وأنّ كثيرًا من الدُّعاة في عصره كانوا يحملون الاسم أو نسبوا إليه لشهرته؛ للمزيد أُنظر: رانسيمان، **تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم**، تر. نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 2، مصر، ج.1، ص198؛ قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص 98 – 102.

[4] – وليم الصوري، **الحروب الصليبية**، تر. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للطباعة،د.ط، القاهرة، 1991، ص 91، 92.

لكن الحقائق أكدّت براءة الزعماء السياسيين والدينيين المسيحيين الشرقيين من هذه التُّهم، خاصة مع عدم وجود نسخ أصلية لهذه المراسلات، ثم كيف يُمكن أن يدعو البيزنطيون غرماءَهم التقليديين من اللّاتين الكاثوليك ليستولوا على إمبراطوريتهم بعد أن حاربوهم بكلّ جُهدهم، وأخرجوهم منها خاصة وأن أحوالهم بعد خُروجهم كانت أفضل من قبلها؟ ثم كيف يُمكن التّصديق بأنّ ألكسيوس كومنينهُو مَن دعاهم وطلبهم ما دام البابا نفسهُ في رسالته إلى الإمبراطور يرجوه أن يُساعد هذا المشروع الصليبي، ولم يذكر أنّهُ شرع فيه إجابة لطلبه؟ فالحقيقة أنّ باباوات رُوما أنفسهم عزموا على مُحاربة المسلمين في بلاد الشّام، وتخليص الأراضي المقدّسة منهم ليضعوا أيديهم على كنائس الشّرق[1]، ولا يمكن أن يغيب هذا عن إمبراطور مثل ألكسيوس السياسي العالم والمتدين المتمسّك بالعقيدة الأرثوذكسية[2].

وواقع الأمر أن الأباطرة البيزنطيون طلبوا بعض الجُند المرتزقة لمساعدتهم، ولم يطلُبوا جُيوشًا مثل التي سوف تتوافد عليهم أثناء الحملة الصّليبية الأولى، هذه الأخيرة التي بدأت البابوية الدعوة لها في مجمع **بياكنزا Piacenza** بإيطاليا شهر مارس 488 هـ/ 1095 م، وبسبب فشله عاود البابا أُوربان الثّاني دعوته في المجمع الكنسي الشهير الذي عقد بمدينة كليرمونت[3] في نفس السنة، والذي انتهى بإلقاء خُطبة حماسية، يدعو فيها البابا الكاثوليك إلى حمل السّلاح لإجلاء الوثنيين عن بيت المقدس، ومُساعدة أشقّائهم المسيحيين في المشرق[4]، وكان الهدف المباشر للحملات الصّليبية هُو السّيطرة على الأماكن المقدّسة في رُبوع الشّام، ولكن الأسباب، وهي كثيرة، تنأى تمامًا عن النّاحية الدّينية، وبالتأكيد لا تأخذ المصلحة البيزنطية بعين الاعتبار أيضا،

المبحث الثالث: الحملة الصليبية الأولى وصداها لدى الروم والسريان 498 هـ –492 هـ / 1096م – 1099 م،

1. الحرب المقدسة من الفكرة الدينية إلى الحملة العسكرية:

[1]– محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، دار النهار، ط.5 ، بيروت ، 2006، ص 110.

[2]– جراسيموس مسرة، **تاريخ الانشقاق**، المطبعة الشرقية،د.ط، الاسكندرية ، 1894، ج.2، ص 147.

[3] – **كليرمونت Clermont**، مدينة وسط شرق فرنسا ضمت مجمعا كنسيا ألقيت فيها الخطبة الصليبية الشهيرة للبابا أوربان الثاني؛ للمزيد أُنظر: قاسم عبده قاسم، **الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق**، العربية للدراسات والنشر، د. ط، د. ت، ص 73.

[4] – محمد مؤنس عوض، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12– 13 م/ 6 –7 هـ**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1999، ص 65.

الحروب الصليبية عبارة عن حملات عسكرية، دينية الطابع، سياسية واقتصادية الهدف والمآلات، انطلقت من الغرب الأوروبي الكاثوليكي الذي كان يعيش ذروة عصوره المظلمة، حيث اتخذ الدين غطاء وذريعة **لعسكرة الحج**[1] نحو الأراضي المقدسة "جنة الشرق" و"أرض الرب" كما صورتها البابوية صاحبة الدعوة الصليبية، هذه الدعوة التي تعتبر ذروة ما وصل إليه اللاهوت المسيحي الغربي في تبريره وتجسيده لفكرة **الحرب العادلة**[2] على أرض الواقع، معتمدين على مصطلحات معينة مثل "**الحرب المقدسة**" وسيلةً لدعاية سايكو–دينية يستثيرون من خلالها عواطف الأوروبيين الواقعين أصلا تحت أفيون البابوية طيلة المرحلة القروسطية، وكذا تسمية المشاركين في تحرير قبر ابن الرب من أيدي الكفار السراسنة ب "**جنود المسيح**" الذين سينقذون إخوانهم المسيحيين الشرقيين من ضيم السلطة الإسلامية الظالمة هناك، لكن واقع الأمر لم يكن سوى خطة عسكرية من المؤسسة الدينية والسياسية الأوربية للهروب من الواقع الحضاري المزري الذي كانت تتخبط فيه أوروبا اقتصاديا واجتماعيا خلال هذه المرحلة من تاريخها[3]،

بعد خطبة البابا أوربان الثاني التي كانت في نوفمبر 1095م/486هـ انطلقت الحملة الصليبية الأولى لكن انطلاقتها الأولى كانت عشوائية وغير نظامية عرفت تاريخيا بالحملة الشعبية التي قادها كل من **بطرس الناسك**

[1] – كان الحج إلى الأماكن المقدسة من الطقوس المعروفة في الديانة المسيحية وقد تداولت الأدبيات الأوروبية الوسيطية قصصا عن هذه الرحلات الإيمانية وما صاحبها من كرامات ومشاهدات إعجازية ورؤى مقدسة لكثير من الحجاج الأوروبيين الذين ذهبوا في رحلة شاقة نحو الأراضي المقدسة طمعا في التكفير عن الذنوب والخطايا، ما جعل البابوية مع مرور الوقت تربط فكرة الغفران برحلة الحج المقدس بل اتخذته عقوبة كنسية لمرتكبي الخطايا الكبيرة. ويذكر المؤرخون تزايد وفود الحجاج الكاثوليك إلى فلسطين خلال القرن الحادي عشر الميلادي ما جعل فكرة استرداد الأرض التي ولد فيها المسيح وشهدت آلامه وفداءه مطروحة بقوة في الغرب المسيحي، وذلك عن طريق القيام بحملة حج مسلحة، ودليل ذلك أن المعاصرين للصليبيين لم = =يفرقوا بين الحج والحملة الصليبية؛ أنظر: قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ماي 1990، ص20 – 23.

[2] – تعتبر الحرب المقدسة مفهوما دخيلا على تعاليم المسيحية الأولى التي تدعو إلى السلم والمحبة وتنبذ العنف والحرب ما جعل آباء المسيحية الأوائل يواجهون مشكلة في التوفيق بين هذه التعاليم ومقاومة الشر الحتمي في الحياة الدنيا حيث التزم الآباء الشرقيون بإدانة كل عنف حتى وإن كان دفاعيا معتبرين مرتكبه مذنبا وعليه اعتزال الجماعة المسيحية والتكفير والتوبة، بينما نلاحظ أن آباء الكنيسة الغربية وبسبب الأوضاع المضطربة سياسيا وعسكريا كانوا أكثر لينا مع النصوص المقدسة وأعطوا تفسيرات وتأويلات بررت من خلالها الحرب على أساس ديني وسميت بالحرب العادلة. وكان زعيم هذا التنظير هو القديس أغسطين Augustinus(354–430م) الذي وضع شروطا معينة لشن حرب عادلة تتمحور حول السبب العادل وهو في الغالب دفاعي وأن تكون المرجعية للسلطة السياسية في اتخاذ قرار الحرب ثم أن تكون دوافع المشاركين فيها سليمة حتى تكون مباركة من الرب. لكن هذه النظرية تطورت وأصبحت أكثر مرونة مع مرور الوقت فما كاد يأتي القرن 11م حتى استغنت الكنيسة الغربية عن كل هذه الشروط وشنت حربا صليبية هجومية ذات مرجعية دينية معتبرة أنها حرب عادلة؛ للمزيد أنظر: قاسم عبده قاسم، **الحملة الصليبية الأولى**، ص 20.

[3] – قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية، ص**23 – 38.

Pierre L'Ermiteو **والتر المفلس Walter sant–avoir**[1]اللّذَين قاما بشبه هجرة بشرية سنة 1056 م/487 هـ بدون تأطير سياسي ولا تخطيط عسكري نحو أراض مجهولة بالنسبة لهم، فتعرضوا إلى صدمات كثيرة طيلة سير رحلتهم عبر الأراضي الأوروبية الشرقية، حيث كانت وجهتهم بطبيعة الحال القسطنطينية عاصمة الروم الملكيين الأرثوذكس[2]، التي اتّخذت إجراءات وقائية مُستعجلة لتقليل الأضرار ومنع المقاتلين من مُمارسة السّلب والنّهب والتّخريب، كما أصدر الإمبراطور ألكسيوس الأوامر للمسئولين بخزن المؤن والحُبوب ووضعها في أماكن آمنة وتحت حراسة مُشدّدة، وهكذا استعدّت المدينة لقُدوم الغربيين اللّاتين[3]، وكان هؤُلاء من المقاتلين غير المدرّبين الذين ارتكبوا الكثير من الفظائع، فوقعت مذبحة راح ضحيّتها أربعة آلاف مدني في بلغراد، نهبوا البُيوت الكبيرة خارج المدينة، ثُمّ أحرقوها بالنّار وسلبوا الكنائس الأرثوذكسية[4].

توقع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين فشل هذه المغامرة خاصة أنها ستواجه في آسيا الصغرى قوة عسكرية لا يُستهان بها ممثلة في السلاجقة، فاستقبل بطرس النّاسك سنة 488 هـ/1095 م، وأوضح له مخاطر اختراق قُوّاته للأناضول، لأنّ في ذلك مُجازفة كبيرة إذا ما تصدّت قُوّات السّلاجقة لقُوّاته، وبعد أن اقتنع بُطرس بذلك، عسكرت قُوّاته على ضفاف مضيق البُوسفور تحت حراسةٍ مُشدّدة من الجانب البيزنطي عند نيقوميديا[5]، وراحت جُموع الفرنجة من كلّ الأجناس تتسابق وتتنافس في شنّ الغارات على المناطق الزّراعية، فسلبوا سُكّان القُرى دُون تفرقةٍ بين المسلمين والأرثوذكس[6]،

لم يستجب اللاتين لنصيحة الإمبراطور البيزنطي بوُجوب بقائهم في قلعة كيفيتوت حيثُ المعسكر الفرنجي، وعدم القيام بأيّ تحرّكٍ قبل وُصول القُوّات النّظامية، وراحت تلك القُوّات غير النّظامية تتوغل عبر آسيا الصُّغرى في الطّريق إلى نيقية، فتصدى لهم السُلطان السلجوقي **قلج أرسلان الأوّل** (485 _ 500 هـ/ 1092 _

---

[1] – **ولتر المفلس**: رجل نبيل المولد من بلدة بواسي (Poissy) الألمانية، وأول من انطلق مع بطرس الناسك في رحلة الحج ؛ أُنظر: قاسم عبده قاسم، **الحملة الصليبية الأولى**، ص 103.

[2] – رانسيمان، المرجع السابق، ج.1، ص 197 – 198.

[3] – أنا كومنينا، **ألكسياد**، تر. حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2004 م، ص 389.

[4] – نجيب اسطيفان، **صراعات الكنيسة وسُقوط القسطنطينية**، دار التّكوين، ط 1، دمشق، 2011م ، ص 181– 182.

[5] – **نيقوميديا Nicomedia** : مدينة هامة في إقليم بيثينيا، أطلق عليها الجغرافيون المسلمون اسم نقموذية كانت قاعدة عسكرية بيزنطية؛ أُنظر: الادريسي، المصدر السابق، ص 802؛ نعيمة محمد ابراهيم، **آسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر**، دار الافاق العربية ، ط 1، القاهرة، 2014، ص 61.

[6] – أنا كومنينا، المصدر السابق، ص 391.

1107 م)[1] وهزمهم عند نهر داركون وأبادهم حتى لم ينجُ منهُم سوى ثلاثة آلاف، فتدخل ألكسيوس وبادر بنقل النّاجين بالسّفن إلى القسطنطينية[2].

بعد فشل الحملة الشعبية انطلقت الحملة الرسمية أو حملة الأمراء سنة 489 هـ/1097 م، متوجهة نحو بلاد الشام بقيادة أمراء أوروبا وسادتها المنتظمين في أربعة جيوش وعلى رأسهم **بوهيموند بن جوسكارد Bohemond Gui– chard** (498 – 491 هـ / 1098 – 1104 م)، وابن أخته **تانكرد الهوتفيلي Tancred Hauteville** (498- 506 هـ/ 1104-1112 م)، **وغودفري دي بويون**(1100 - 1099م / 493 – 494 هـ)، وأخوه **بلدوين Baudouin I** و**ريموند دي تولوز Raymond Toulouse** (الصنجيلي)[3]، حيث شدت هذه الجيوش رحالها من أوروبا الغربية على أن يكون الملتقى في القسطنطينية التي اعتبروها محطة لمّ الشمل والانطلاقة الثانية، مراهنين على دعم حاكمها الأرثوذكسي لهم لتسهيل سبل الولوج إلى أرض المشرق[4]، التي ستشهد بداية الاحتكاك الصليبي مع الطوائف المسيحية الشرقية، خاصة بعد عبورهم البوسفور نحو آسيا الصغرى معقل المسيحيين الأرمن والسريان والروم، فكان نشوء علاقة بين الصليبيين اللاتين وبين المسيحيين المحليين أمرا حتميا.

نجحت حملة الأمراء في الاستيلاء على سواحل بلاد الشام والأراضي المقدسة مؤسسة الإمارات اللاتينية على أرض المشرق بداية بكونتية الرها التي أسسها **بلدوين دي بويون** سنة 491هـ/ 1098م، وتليها إمارة أنطاكية التي استولى عليها **بوهيموند بن جوسكارد** سنة 490هـ/1097م[5]، ثم سقوط القدس وتحولها إلى إمارة بزعامة **غودفري دي بويون** سنة 492هـ/1099م الملقب بحامي القبر المقدس[6]، لتصبح مملكة بعد تتويج أخيه

[1] – تمارا تالبوت رايس، **السلاجقة تاريخهم وحضارتهم**، تر. لطفي الخوري، إبراهيم الداقوقي، مكتبة الإرشاد، بغداد، 1968، ص 55.

[2] – مُؤرّخ مجهول، **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، تر. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958 م، ص 193؛ أنا كومنينا، المصدر السابق، ص 392 – 393؛ وليم الصوري، **تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار**، تر. حسن حبشي، القاهرة، 1991، ج.1، ص 127.

[3] – سهيل طقوش، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار النفائس، ط.1، بيروت، 2011، ص 78 - 72.

[4] – أنا كومنينا، المصدر السابق، ص 393 - 394.

[5] – وليم الصوري، المصدر السابق، ج.1، ص 115 - 421.

[6]- Alan V. Murray ,The Crusader Kingdom of Jerusalem A Dynastic History 1099-1125, Prosopographica et Genealogica, G.B, 2000,p74 .

بلدوين ملكا عليها سنة 494هـ/ 1100م، وآخر هذه الكيانات الصليبية تأسيسا هي كونتية طرابلس التي أسسها الكونت **برتراند بن ريموند** سنة 502هـ/1105م[1].

2. اللاتين يحطون الرحال في عاصمة الروم الأرثوذكس 490 هـ – 1096 م:

توجس الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس من نية هؤلاء الأمراء اللاتين وطموحاتهم، خاصة أنّ دعوة البابا أُوربان لا تصبّ مطلقا في صالح القسطنطينية ولا تترجم نوعية المساعدة التي كانت تبتغيها، ففكرة شن حرب مُقدّسة ضدّ المسلمين لم تكُن مُغرية لشعب بيزنطة الأرثوذكسي، لا سيما وأنّ لها تجارب مع هذا العدو التقليدي، وسبق وخاض جيشها حُروبا لعدّة قُرون، كادت تُخاطر بوُجودها في بعض الأحيان،

ثم إنّ بيت المقدس كان جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطور مازال يعدّ ذلك الأمر حقيقة ماثلة أمام عينيه، رغم الظُّروف المفروضة على فلسطين آنذاك، كان يطمح ألكسيوس إلى إعادة المدينة المقدّسة إلى حضن إمبراطوريته الأرثوذكسية، عندما تسنح الظُّروف وتتوفّر القُوّة لتحقيق ذلك الهدف، معتبرا المهمّة شأنًا داخليًا يخصّ القسطنطينية وحدها، ولا يحقّ لبقية العالم النّصراني الكاثوليكي التّدخل فيه أو مُناقشته أو مُعالجته[2]، وكذا سعيا لصد أي محاولة لتغلغل الكنيسة اللاّتينية الكاثوليكية إلى قلب الكنيسة الأرثوذكسية بواسطة الدّعاية والتّبشير[3]،

جمع الإمبراطور ألكسيوس أجزاء المشهد، ولاحت الصُّورة أمامه قاتمةً مُثيرة للتّشاؤم، فبدلًا من بُزوغ بصيص الأمل باستعادة إمبراطوريته سيادتها على المقاطعات التي خسرتها للمُسلمين، سوف يتدفقُّ إلى مناطق الأناضول مئات الآلاف من المقاتلين غير المنضبطين ومن اللُّصوص والجائعين الذين لا تستطيع أجهزة الدّولة السّيطرة عليهم، وفي ظلّ تلك التّقديرات وخشية أن تعيث تلك القُطعان البشرية الفساد في الأرض، قرّر الإمبراطور توخي الحذر حتى في تقديم الدّعم والتّمويل لهؤلاء الأمراء[4]،

لم تكن شكوك الإمبراطور ألكسيوس كومنين من نوايا الفرنجة الحقيقية تساوره من عدم، وهو العدو التقليدي للنورمان، وتجربته مع ملك النُّورمان روبرت جويسكارد[5] والد بوهيموند الأوّل خير دليل، فهو يفهم جيدا

---

[1] – وليم الصوري، المصدر السابق، ج.1، ص 209 – 210.

[2] – أنا كومنينا، المصدر السابق، ص99 ؛ نجيب إسطيفان، المرجع السابق، ص 181.

[3] – جراسيموس مسرة، المرجع السابق، ص 147؛ أمال حامد زيان غانم، **الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين والحملة الصليبية الأولى في ضوء كتاب "ألكسياد"**، دار الثقافة العربية ، القاهرة، 2010، ص 58 – 65.

[4] – أنا كومنينا، المصدر السابق، ص 390 – 394.

[5] – **روبرت جويسكارد Robert Guiscard** : ملك نورمندي من عائلة هوتفيل أعظم أبناء تانكرد والذي آلت إليه زعامة النورمان عام 1057 م بعد وفاة أخيه الأكبر. استطاع جويسكارد أن يحصل من البابا نقولا الثاني على اعتراف بالفتوحات التي حققها جويسكارد في جنوب

العقلية المادية الغربية وطموحات البابوية العقل المدبّر لكنسية رُوما اللّاتينية الكاثوليكية التي تود السّيطرة على الولايات الشّرقية من الإمبراطورية الأرثوذكسية وإقامة إمارات مُرتبطة بالغرب الكاثوليكي، تعمل للتّضييق على أتباع الكنائس الأرثوذكسية ومُحاربتهم بقصد تأسيس كنائس تابعةٍ للكرسي الرّسولي اللّاتيني الكاثوليكي في رُوما بعد تقويض السيادة الإسلامية على تلك المناطق[1].

توافدت بعد مُدّةٍ الجُيوش النّظامية بداية سنة 490هـ/ 1097م، وأقسم أُولئك الأُمراء يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، الذي لم يُناد إلى حرب صليبية ولم يُصادق عليها أو يخطط لها، ولا يستطيع في الوقت نفسه مُعارضة دعوات وحملات تُشنّ لتحرير الأماكن المقدّسة من أيدي المسلمين، وهُو بالتّالي لا يستطيع منع زحف مُقاتلين يحملون صليب المسيح على أكتافهم، فتعهد ألكسيوس بتأمين ممر لتلك القُوّات بشرط ألّا تنحرف عن هدفها، ولا تسعى إلى تحقيق مكاسب على حساب مُضيفها، ولا تُسيء إلى رسالتها وتُوقع الأذى بالقسطنطينة وبكنيستها الأرثوذكسية، ولكن التّاريخ، بعد ذلك، برهن على أنّ هذا القَسَم الذي أدّاه القادة الفرنجة للإمبراطور البيزنطي لم يرُقْ للبابا أُوربان الثّاني لأنّ قصده لم يكن تخليص النّصارى الشّرقيين من المسلمين بل إخضاعهم لسلطانه وخُصوصًا الملكيين "الأرثوذكس" والاستيلاء على بلاد الشّام وخيراتها[2].

ساهم البيزنطيون ورعاياهم من الروم الملكيين في تمويل هذه الحملة بعد هذا القَسَم الذي قدّمه الأمراء اللاتين، حيث تم تقديم هدايا قيمة من أموال وذهب وفضة لقادة الجيوش الصليبية[3]، وجعل ألكسيوس أسواق القسطنطينية وضواحيها حكرا على الجيوش الصليبية من أجل ضمان التمويل الكافي لها وتسخير العتاد الحربي البيزنطي لخدمتهم[4]، فنجد أن ألكسيوس قد عرض على غودفري نقل الجنود عبر البسفور بالسفن البيزنطية، وعندما وصل الجيش الذي كان بقيادة **ستيفن أف بلو Stevin of blu** و**روبرت فون فلاندرز**

إيطاليا مقابل إعلان ولائه للكرسي البابوي واشتهر بعدائه للبيزنطيين وحروبه معهم؛ أُنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية ، ط2، بيروت، 2015، ص312 - 313 .

[1] – سهل طقوش، تاريخ الحُروب الصّليبية، ص 64.

[2] – للمزيد من التّفاصيل حول قَسَم الأمراء الفرنجة الولاء للإمبراطور ألكسيوس أُنظر: مُؤرخ مجهول، المصدر السابق، ص 202 – 204؛ ريموندأجيل، **تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس**، تر. حسين محمد عطية، تق. جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 184؛ أنا كومنينا، المصدر السّابق، ص 404 – 410؛ وليم الصوري، المصدر السّابق، ج.1، ص 145 _ 193.

[3] – سعد خليل الشعيبات، **مصادر تمويل الحملات الصليبية 488 – 648 هـ/1095 – 1250 م**، الآن ناشرون وموزعون، ط1، عمان، 2021، ص175 .

[4] – أنا كومنينا، المصدر السابق، ص 402 – 403؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج.1، ص 252 - 253.

Robert Von Flanders II(1111 –1065م) إلى القسطنطينية عام 488هـ/ 1096م، حصل على تمويل كاف من الإمبراطور، فتزودوا بعملات نقدية وملابس حريرية وأطعمة وخيول وهدايا[1].

كما أرسل الإمبراطور البيزنطي مع الصليبيين فرقة من الأدلاء والمرشدين والجنود الذين سيقودونهم عبر مسالك آسيا الصغرى لأنّهم أكثر دراية بدروب التضاريس والديموغرافيا، وقدّرتهم المصادر اللاتينية بحوالي ألفي شخص يقودهم رجل بيزنطي يُسمّى تاتيكيوس كما ورد عند ويليام الصوري، وقد لعب الأدلاء دورا حاسما في المواجهات العسكرية بين الصليبيين والمسلمين لما قدّموه من توجيهات ونصائح طبوغرافية ساهمت في وضع الخطط الإستراتيجية العسكرية مثلما حدث في معركة دوريليوم 490هـ _ 1097م[2] .

أكملت القُوّات الرّئيسية الفرنجية سيرها حتّى أنطاكية، والتي كان بها نسبة كبيرة من النّصارى وخُصوصًا من طائفة الرُّوم الملكيين الأرثوذكس، فهي مركز بطريركيتهم للكرسي الملكي الأنطاكي، وأثناء توغّلهم في أرباض أنطاكية من أجل تزويد الجيش بالمؤن، قدّم الرّهبان الأرثوذكس في جبال الأمانوس والنّصارى الملكيين القاطنين في القرى المجاورة جميع ما لديهم للفرنج، وتعاون الأسقف اللّاتني الكاثوليكيّ **أدهيماردي مونتيل ADHÉMAR de Monteil**(**1055–1098م**) مُمثّل البابا في الشّرق والبطريرك الملكي الأرثوذكسي لبيت المقدس سمعان تعاونًا وثيقًا، فحرّرا رسالتين إلى الغرب يحُضّان فيهما النّصارى من جميع الطّوائف على القيام بالواجب تُجاه جنود المسيح، وتكلّم سمعان في إحداهما بصفته زعيم أساقفة الرّوم الملكيين الأرثوذكس واللّاتين الكاثوليك، وهدّد كلّ من يتوانى عن تنفيذ النّذر الصّليبي بالحرمان الكنسي، واعتبر أدهيمار مُمثّل البابا في الشّرق بطريرك بيت المقدس سمعان بطريركًا رسوليًا[3]، وتُوفّي أدهيمار في رمضان 491 هـ/ أوت 1098 م، وفي شوال 491 هـ/ سبتمبر 1098 م، حرر الأمراء الفرنجة المجتمعون في أنطاكية رسالة إلى البابا أوربان الثاني، وذكروا خبر وفاة أدهيمار ورجوه أن يجيء إلى أنطاكية ليرعى أبرشيّتها[4].

رغم الانتهاكات العديدة التي قام بها الجيش الصليبي تُجاه مسيحيي الشرق طوال سير الحملة وعدم اقتناع أغلب القادة بالقسم الذي أدوه للإمبراطور البيزنطي الأرثوذكسي فإن هناك من القادة الصليبيين من اعتبروا أن التحالف مع المسيحيين الشرقيين خاصة من أتباع طائفة الروم الأرثوذكس – مذهب بيزنطة – يصب في مصلحتهم، فعند عودة ثلاثة من القادة الفرنجة إلى أوطانهم بعد سُقوط بيت المقدس وهُم "ريموند الصّنجيلي"

[1] – سعد خليل الشعيبات، المرجع السابق، ص169 – 170.

[2] – مزا بنت زيد البقمي، **الأدلاء ودورهم في بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية 490– 690هـ/1098–1291م**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة، 2017، ص 60 – 61.

[3] – ريموناجيل، المصدر السابق، ص 270 – 276.

[4] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 277.

و"روبرت النُّورماني" و"روبرت أوف فلاندرز"، احتجّوا بعنف على مُهاجمة إخوانهم النّصارى من الملكيين الأرثوذكس، وهذا دليل على رغبتهم في الحفاظ على خُطّة البابا أُوربان الثّاني لتحقيق المصالحة مع الكنيسة الشّرقية الأرثوذكسية، مع الوفاء بقسمهم لألكسيوس كومنين[1].

عُرف عن النورمانديين عداؤُهم للبيزنطيين منذ بداية استقرارهم في المجال المتوسطي، حيث عملوا على تقويض النفوذ البيزنطي في الحوض الشرقي، ويبدو أن الحملة الصليبية لم تكن تمثّل لهم سوى استمرارية لمشروعهم الاستعماري الذي بدأ بصقلية وجنوب إيطاليا وامتد إلى السواحل المتوسطية، لذلك، نلاحظ أنّ بوهيموند وتانكرد أرادا أن يتحديا بيزنطة الأرثوذكسية من خلال صبغ كنيسة الإمارة بالصّبغة اللّاتينية الكاثوليكية ومحو أيّ أثر أرثوذكسي فيها لحنقهم بشكل خاص وحنق جميع الفرنجة بشكل عام على الكنيسة الملكية الأرثوذكسية[2]، وبعد عودته إلى إيطاليا سنة 598 هـ/ 1104 _ 1105 م، جمع بوهيموند جيشًا من جنسيات مُتنوّعة لمحاربة الإمبراطورية البيزنطية[3].

3. ملكانيو بيت المقدس في مواجهة الصليبيين 494 هـ – 1099 م:

وصل الفرنجة إلى بيت المقدس في 15 رجب 892هـ/ 07 جوان 1099م، وعند دُخولهم بيت المقدس ليلة 21 شعبان 492هـ/ 14 جويلية 1099م ارتكبوا مذبحة مُروّعة بحقّ سكانه، خاضوا فيها حتّى كعابهم في دماء القتلى، كان سمعان الثّاني بطريرك بيت المقدس للرُّوم قد تُوفّي قبل استيلاء الفرنجة على بيت المقدس، فأقام الرُّوم الملكيين الأرثوذكس بطريركًا خاصًا لبيت المقدس اسمه " أفتيموس"، فاعترف به اللّاتين اضطراريًا، ولكنّهم لم يسمحوا لهُ أن يأتي إلى بيت المقدس إلّا مرّة في السّنة أثناء عيد الفصح ليخدم القُدّاس[4].

ووافق البطريرك "دايمبرت" بوهيموند على السياسة الكنسية، فأبعد الكهنة من الرُّوم الملكيين الأرثوذكس، ومن باقي الطّوائف عن كنيسة القيامة، وعيّن كاهنًا لاتينيًا للخدمة في هذه الكنيسة، ثُمّ قبض على الكهنة

---

[1] – المعاضيدي خاشع وآخرون، **تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د.ط، العراق، 1981، ص 47؛ مصطفى حسن محمد الكناني، **العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى 1095–1171م/488–567هـ أضواء جديدة على الحركة الصليبية**، تق. جوزيف نسيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981، ص139.

[2] – مصعب حمادي نجم الزيدي، **الصليبيون في بلاد الشام**، دار النهضة العربية، د. ط، بيروت ، 2013، ص233.

[3] – أنا كومنينا، المصدر السابق، ص 72، 73. وليم الصوري، المصدر السابق، ج 2، ص 270 – 271.

[4] – هاجم النورمانديون دورواز سنة 501هـ/ 1107م، لكن تمكّن البيزنطيون من إنزال الهزيمة بجيش بوهيموند، مما اضطره إلى توقيع صُلح **ديفول Devol**أو **ديابوليسDeabolis** سنة 501 هـ/1108 م، وكان من ضمن شُروط الصُّلح مُوافقة بوهيموند على عزل البطريرك الكاثوليكي في أنطاكية وتعيين بطريركًا أرثوذكسيًا محلّهُ؛ أنظر: جراسيموس مصرّة، المرجع السابق، ج 2، ص 155 – 156.

الأرثوذكسيين مُطالبًا بعودة الصّليب المقدّس، وأمر بتعذيبهم فقبلوا مُكرهين وقدّموا الأثر المقدّس لهُ، فأثار البطريرك اللّاتيني الكاثوليكي باستبداده غضب الشّعب الأرثوذكسي وكهنتهوزاد النّفور والتّباعد[1].

لم تحن القسطنطينية لنفسها أيّة ثمرةٍ من إبعاد السّيادة الإسلامية عن الأراضي المقدّسة حينما رفض قادة الحملة الصّليبية إعادة الأراضي التي استولوا عليها إلى السّيادة البيزنطية استنادًا إلى ما قطعوهم على أنفسهم من وُعودٍ بهذا الشّأن، فالحملات الصّليبية التي قام بها الغرب من أجل تحرير الأراضي المقدّسة ونصارى الشّرق زادت من نكبة الشّرق النّصراني، وخُصوصًا كنيسة أنطاكية، لأنّهُ بالرّغم من الوُعود التي قطعوها على أنفسهم بإعادة الأراضي التي استولوا عليها إلى البيزنطيّين، فقد حكموا تلك البلاد واضطهدوا الكنيسة الأرثوذكسية فيها[2]،

4. موقف الطوائف السّريانية اليعاقبة والنّساطرة من الحملة الصليبية الأولى 491 هـ–1098 م/ 492 هـ – 1099 م.

سعى الفرنجة منذُ الحملة الصّليبية الأولى للاستيلاء على أكبر عدد من الأراضي التي يمرون عبْرها في طريقهم إلى بيت المقدس، ولقد وجدوا إعانة كبيرة من السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة، إذ كانوا يُيسّرون السّبيل أمام الفرنجة، وقد خشي الأمير ياغي سيان صاحب أنطاكية عند محاصرة الفرنجة لها سنة 491 هـ/1098 م، تمرّد من بداخلها من النّصارى، فعمد إلى حيلة عجيبة، فأخرج جميع الذُّكور منها حتّى يحمي ظهره وقت المواجهة مع الصليبيين، ممّا اضطرّهم للفرار إلى عدوّه[3].

أما عن ردة فعلهم ساعة استيلاء الصليبيين على أنطاكية فيصفها الصوري[4] في قوله: "**أما من كان يسكنها من المسيحيين والسريان والأرمن ومؤمني الشعوب الأخرى فقد جاوزت فرحتهم كل فرحة لما جرى**"، وقد ترجموا هذه الفرحة من خلال مساعدتهم الصليبيين في معرفة خبايا المدينة وقتل من فيها من

[1] – وديع بشور، **أضواء على حروب الفرنجة والتركمان: الحروب الصليبية 1095 – 1302 م**، دار سين، دمشق، 2007، ص 112.

[2] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 294 – 295؛ أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 279.

[3] – ابن الأثير، المصدر السّابق، ج 8، ص 309. حسن حبشي، **الحربُ الصّليبية الأُولى**، دار الفكر العربي، ط 1، د. ت، مصر، ص 49.

[4] – الصوري، **الحروب الصليبية**، تر. حسن حبشي، الهيئة المصرية الأمة للكتاب، 1991، ج.1، ص 358.

المسلمين[1]، وعندما أغار **ريموند الصّنجيلي** على تل منّس تمكّن بمُساعدة أرمنها وسُريانها من التّغلّب على الأتراك[2]،

كان **بلدوين دي بويون** قد انفصل عن الحملة عند مرعش سنة 491 هـ/1098 م وسار نحو المناطق الدّاخلية، سعيا لإقامة إمارة مُستقلّة، وقد تمكّن من دُخول الرُّها في الجزيرة الفُراتية شمالا بمُساعدة الأرمن، وكانت الرُّها تحت حُكم أمير أرمني يتّبعُ الكنيسة اليُونانية الأرثوذكسية يُدعى" **ثوروس**"، وكان يدفعُ الجزية للسّلاجقة، ولما اقترب الفرنجة من الرها، طرد الأهالي النّصارى وخُصوصًا من السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة في المدن الحاميات العسكرية التّركية، وفتحت أبوابها للفرنجة، خاصة وأن "ثُوروس" نفسه لم يكُن مرغوبًا فيه مِن قِبَلِ رعاياه وخُصوصًا من قبل السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة، وذلك بسبب مذهبه الملكاني أولا ولأنهُ أنهكهم بالضّرائب ثانيا، فما إن وصل " بلدوين" إلى المدينة بعد مُدّة من بقائه فيها حتّى انقلب السُّكّان جميعًا على ثُوروس، وعذّبوه وقتلوه، وسحلوا جُثّته في الشّوارع، وثبّتوا رأسه على قضيب خارج كنسية المخلص للسُّريان اليعاقبة الأرثوذكس، ونصّبوا " بلدوين دي بويون" أميرًا عليهم في 2 ربيع الآخر 491هـ/ 9 مارس 1098م[3].

وبعد السيطرة على أنطاكية اتجه الفرنج الى بيت المقدس مرورا ببعض بُلدان السّاحل الشّامي، فتلقّاهم بعضُها بالعطف والتّأييد والمبادرة للاعتراف بالتّبعية لهُم على شرط الاستيلاء على بيت المقدس كما فعل أهالي بيروت، وأخذ آخرون في مُقاومتهم كأهل صيدا، وجازاهم الفرنجة بالعُنف والشّدّة، ثُمّ توالت الإمدادات الفرنجية من الرُّها وأنطاكية، وساروا في سبيلهم قُدمًا فمرّوا على صور وعّكا واللّد والرّملة، حيثُ عقدوا مجلس الشورى للتّشاور فيما ينبغي عليهم فعلهُ[4].

انقسم الجمع إلى فريقين، أمّا الفريق الأوّل فرأى أن يتم الزحف على مصر، وحُجّتهُ في ذلك أنّهُ بمُحاربتها والقضاء عليها وتحطيم قواها يضمنُ الجبهة الجنوبية، وتكْفَل لهُم حُرّية التّجارة البحرية والبرّيّة وسلامة الشواطئ،

---

[1] – وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج.1، ص 358. ابن الأثير، المصدر السّابق، ج 8، ص 312. ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، تح. خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ط. 1، ص 241.

[2] – ابن العديم، زبدة، ص 242.

[3] _ الرهاوي المجهول، المصدر السّابق، ص 456.

[4] – مُؤرّخ مجهول، **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، تر. حسين حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958، ص 113–114. وليم الصّوري، المصدر السابق، ج 2، ص 63؛ رنسيمان، المرجع السّابق، ج.1، ص 398؛ سعيد عبد الفتّاح عاشور، **الحركة الصليبية صفحة مشرق في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى**، المكتبة الانجلو مصرية، 2010، ط 1، ج.1، ص 238.

وعدم تعرّضها لخطر الأُسطول الفاطمي، وأمّا الفريق الآخر فقد رأى أنّ الحكمة وسداد الرّأي تُحتّمان عليه وُجوب الزّحف مُباشرة على بيت المقدس والاستقرار والتّحصّن فيها، وزعيم هذا الرّأي **غودفري دي بويون** الذي ما كاد يصل إلى القبيبة حتى وفدت عليه جماعات كثيرة من نصرانيّي بيت لحم، ومن بينهم السّريان اليعاقبة والنّساطرة، يحثّونه على الإسراع لما نصب نفسه من أجله، ويَعِدُونه بالمعونة وهي في أيديهم مُيسّرة، وذلك، لأنّ عمال الدّولة الفاطميّة يستعملونهم في تحصين المدينة[1].

وأرسل جودفري طليعة استكشافيّة، تتحقّق له من صدق الأمر بقيادة بلدوين دي بورغوتانكرد، على رأس ثلّة ضئيلة من الفرسان ذهبوا إلى بيت لحم، فبلغوها مع الفجر، فلمّا علم بها نصرانيّوها من السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة خرجوا **حاملين الصلبان والأناجيل، مرتلين تراتيلهم مهللين ممجدين الرب، واستبدّت بهم الفرحة فمضوا يقبّلون أيدي الفرسان**، إذ رأوا فيهم مخلِّصين لهم مؤملين أن تعود مملكة ابن السماء على أيدي فرسانه، وقدموا بهم إلى الكنيسة التي قامت بها ذات المجد أم يسوع الطفل مخلص العالم، وأرادوا إظهار ما في نفوسهم من الفرح فرفعوا راية تانكرد وركّزوها عالية على كنيسة أم الإله، فلم يعدْ ثمّة شكّ يراود نفوس الفرنجة من نوايا النّصارى ببيت لحم من جميع الطّوائف[2]، لاسيما السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة.

وصل الصليبيون مدينة بيت المقدس في رجب 492 هـ/ جويلية 1099 م، ومن أهمّ الأعمال التي قام بها افتخار الدّولة الأفضل بن بدر الجمالي[3] أن أخرج سكانها النّصارى من المدينة خوفا من اتّصالهم بالفرنجة، وكان هناك بالمدينة المقدّسة طائفة لا بأس بها من السّريان اليعاقبة الأرثوذكس، ولهم نيابة بطريركيّة فيها، وكذلك من النّساطرة، وكان بين النّصارى الشّرقيّين وخصوصا من السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة فرقتان تقاتلان المسلمين إلى جانب الفرنجة في مملكة بيت المقدس[4].

---

[1] – حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى**، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، ط 1، مصر، د. ت، ص80.

[2] – حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص 80.

[3] – **الأفضل بن بدر الجمالي**: هو أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الحمالي. تسلم الوزارة الأفضل بعد وفاة والده وقد كان حسن التدبير فحل الرّأي. وفي أيامه أخذ الفرنجة بيت المقدس وله عدة مواقع مع الفرنجة حيث اتصل مع طغتكين صاحب دمشق للتعاون من أجل الجهاد ضد الفرنجة، قُتل الأفضل سنة 515 هـ/ 1121 م؛ أُنظر: ابن خلكان، وفيات، ج 2، ص 448 – 451. حسن حبشي، المرجع السابق، ص 81 – 94.

[4] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 314 – 315.

وقدمت إلى يافا بعضُ الأساطيل الجنويّة مُحمّلةً ببضائع إلى المهاجمين وما هم في حاجة إليه من الذّخيرة والأخشاب والعمّال، ولم يكتفوا بذلك، بل أرسلوا قوّة من رجالهم أخذت تتجسس مسترشدةً بالجماعات النّصرانيّة المحليّة كالسّريان والنّساطرة في الوقوف على الأماكن التي تتوفّر بها الأخشاب، بعد زمن قصير تمكّن الفرنجة من احتلال بيت المقدس، حيث ارتكبوا مجزرة كبيرة داخل المسجد الأقصى، قتلوا فيها النّساء والأطفال والشّيوخ، وكانت الجُثث ملقاة في الأزقّة والأسواق، بينما خرج افتخار الدّولة ومن معه من برج داوود نحو عسقلان[1].

رحّب السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة بقدوم الفرنجة باسم الأخوة الدّينية، آملين أن يجدوا حلّا لمشاكلهم، وتخليصا لهم من سيطرة السّلاجقة على مُقدّرات البلاد، وفي الحقيقة لولا ما قدّمه السّريان اليعاقبة والنّساطرة، وكذلك سائر النّصارى بشكل عام لما أمكنهم تحقيق النّجاح الذي حقّقوه من احتلال البلاد، ولكن من المعروف أنّ الفرنجة اعتبروا السّريان اليعاقبة والنّساطرة، وجميع النّصارى الشّرقيّين سكّان بلاد الشّام، هراطقة غير جديرين بالاحترام.

ما كادت أقدام الفرنجة تطأ المدينة المقدّسة حتّى كشفوا عن سوء نيتهم بالنّسبة للسّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة، فقام البطريرك أرنولف (Arnulf) أثناء ولايته الأولى سنة 492 هـ/ 1099م باستبعاد جميع المذاهب الشّرقيّة بمَن فيهم اليعاقبة والنّساطرة من كنيسة القيامة وسلبها امتيازاتها، ولما تولّى من بعده البطريرك دايمبرت Daimbert (1099- 1100 م/ 492 هـ) كان أقسى منه قلبا، وأشدّ عداوة، فلم يكتفِ بإبعادهم عن كنيسة القيامة بل طردهم من جميع أديرتهم، ومنشآتهم، يتساوى في ذلك مَن كان مِن الملكيين الأرثوذكس أو المونوفيزيّين كالأرمن واليعاقبة والنّساطرة[2].

المبحث الرابع: موقف الأرمن والموارنة من الولوج اللاتيني لأرض المشرق 498 هـ – 1096 م/ 492 هـ – 1099 م.

[1] – مؤرخ مجهول، أعمال الفرنجة، ص 116– 119؛ وليم الصوري، المصدر السابق، ج 2، ص 94 – 128؛ ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص 140؛ إسحاق أرملة، **الحروب الصليبية في الآثار السريانية**، المطبعة السريانية، بيروت، 1929 م، ص 27.

[2] – فوشيه الشارتري، **تاريخ الحملة إلى القدس**، تر. زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، د. ت، ص 79.

توغلت الحملة الصليبية الأولى– بعد التقاء جيوشها في بيزنطة – داخل أراضي آسيا الصغرى، التي كانت تعج بالنصارى الشرقيين، وعلى رأسهم طائفة الأرمن، ذات الخصوصية التاريخية والجغرافية في هذه المنطقة[1]، حيث نجد رعايا هذه الطائفة حاضرين في المشهد السياسي والاجتماعي بقوة، سواء كأهل ذمة داخل الإمارات الإسلامية أو في تجمعات سكانية موالية لبيزنطة، وحتى كإمارات مستقلة مثل آل روبين وآل أوشين، اللتين شكلتا النواة الأولى لما سيعرف لاحقا بأرمينيا الصغرى، ففيم تمثّل موقفهم من هذه القوة السياسية والعسكرية اللاتينية الوافدة على أرضهم؟

ألزم الإمبراطور البيزنطي ألكسوس كومينين قادة الحملة الصليبية الأولى، برد المدن البيزنطية، التي سبق وأن استولى عليها سلاجقة الروم إلى السيادة البيزنطية، وذلك في حال تمكنهم من استرجاعها [2]، وهو ما تم بالفعل بعد محاصرة الصليبيين للعاصمة السلجوقية نيقية[3] وتفاجئوا باستسلامها للبيزنطيين بعد مباحثات سرية تمت بين بوتوميتيس مندوب ألكسيوس وحامية المدينة سنة 490 هـ/1096 م، ثم أعقبها هزيمة الجيش السلجوقي في معركة ضوروليوم 490 هـ/1097 م [4]، وبعد هذه الانتصارات الإستراتيجية للصليبيين على المسلمين، أمسى الطريق إلى أسيا الصغرى والأراضي الإسلامية ممهدا، وكان أول ما صادفهم في رحلتهم – ما بعد نيقية – هي تلك التجمعات والإمارات الأرمينية المتوطنة في كل من قبادوقيا وقليقية وأعالي الجزيرة الفراتية، وستتباين المواقف السياسية على حسب سير الأحداث وتضارب المصالح و توافقها.

1– نشاط الحملة الصليبية في أراضي التجمعات الأرمينية (489 هـ – 1096 م/ 491 هـ – 1098 م):

[1] – ك. أ . إستارجيان، **تاريخ الأمة الأرمينية**، مطبعة الإتحاد الجديدة ، الموصل ، 1951، ص 204–205.

[2] – المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص 30 – 38؛ ريموندأجيل، المصدر السابق، ص 75؛ ابن القلانسي، ذيل، ص135 .

[3] – **نيقية:** مدينة قديمة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، لا يُعرف بانيها وتقع على ساحل الأناضول الغربي عند بحر مرمرة. لها مكانة دينية عند الروم. فتحها الأتراك السلاجقة عام 1075 م. وكانت عاصمة لهم لأكثر من 20 سنة ثم استردها منهم الامبراطور البيزنطي ألكسوس كومنين؛ للمزيد أُنظر: أحمد رشاد، **إمبراطورية نيقية البيزنطية وعلاقاتها بالغرب اللاتيني والشرق الاسلامي 1204–1261 م**، بيان ترجمة نشر توزيع، 1999، ص 64 – 65.

[4] – المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 35 – 38؛ للمزيد حول معركة ضوروليوم، أُنظر: قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص 191.

دخل الصليبيون قبدوقيا[1]، وأول ما صادفهم حصنٌ أرمنيّ لصاحبه سيمون[2] الذي وُصف بالمناعة، فصعُب على الصليبيين اختراقُه ليلجأوا إلى التفاوض مع صاحبه الذي سيصبح حليفا لهم، حسب ما جاء على لسان المؤرخ المجهول[3] الذي يقول إن الصليبيين: " **دخلوا بلاد الأرمن ،،، وأفضى بهم السير إلى حصن شديد المناعة ،،، يقيم فيه رجل اسمه سيمون من أهل البلد**"، ثمّ يكمل في تلميحه إلى التفاوض الذي تمّ بين سيمون الأرميني والصليبيين قوله: "... **على أن يوكلوا إليه أمر الدفاع عن تلك البقعة من الأرض فمنحه الفرنجة إياها وأقام بها مع أبناء جنسه**"، والواضح أن المقصود هنا بأبناء جنسه هم الأرمن، أي أنهم أبقوه على رأس هذا الحصن على أن يكون تابعا لهم.

وتوجهوا، بعدها، إلى قيصرية[4] التي وصلوها بسهولة، بل استُقْبلوا بترحاب في كل من كومانا "**التي بادرت بالاستسلام وهي فرحة أشدَّ الفرح**"، ثم جكسن التي قال عن رد فعل سكانها المؤرخ المجهول: "**وسرعان ما أوطأنا مسيحيوها فناءهم واستسلموا لنا**"، إذن، مبدئيا نلاحظ أنه كان للصليبيين قبول لدى الأرمن في المدن التابعة لقبادوقيا وأنهم رحبوا بهم وبحكمهم لأرضهم ولعل سبب هذا التأييد يرجع إلى:

– القوة العسكرية للصليبيين من جهة، والبحث عن حليف ضد المسلمين والبيزنطيين من جهة أخرى، وكذا ضعف الأرمن في هذه المدن بالذات لافتقادهم للقوة والتمثيل السياسي فهي أقرب إلى تجمعات سكانية منها إلى كيانات سياسية قادرة على المواجهة.

– بالوصول إلى قليقية، تبدو الأحداث أكثر ديناميكية، فرغم تساهل النصارى الشرقيين هناك إلى حدّ ما مع الصليبيين، فإن الأوضاع كانت أكثر تعقيدا، وهو ما حدا بالصليبيين إلى بذل جهد أكبر من أجل كسب الأرمن

---

[1] – **قبادوقيا أو كابادوكيا**: هي منطقة تاريخية في آسيا الصغرى وسط الأناضول أطلق على جزئها الشمالي بونطوس، وعلى جزئها الأوسط والجنوبي كبادوكيا العظمى . وهي من أكبر أقاليم آسيا الصغرى يمتد من جبال بنطس حتى طرسوس ومن البحيرة الملح حتى الفرات؛ أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 344.

[2] – **سيمون**: وردت شخصية سيمون في العديد من الدراسات التاريخية بألقاب وأصول مختلفة، حيث يذكره رانسيمان على أنه الأمير سمعان الأرمني الذي احتل الصليبيون قراه ثم سلموها له بصفته تابعًا لهم؛ للمزيد، أُنظر: المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص46؛ رنسيمان، المرجع السابق، ص 271.

[3]– المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص 46.

[4] – **قيصرية** أو **قيسارية**: هي مدينة كبيرة تقع في بلاد الروم وسط الأناضول. وهي من أهم المدن التاريخية فيها. حاصرها معاوية سبع سنين إلا شهراً. وأصبحت مركزا لحكم السلاجقة؛ أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 478؛ خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تص. بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1891، ص 51.

لصفهم، خاصة مع وصول الحملتين الفرعيتين اللتين انفصلتا عن الجيش الصليبي الرئيسي[1]، حيث وصلت الأولى بقيادة الأمير تنكريد[2] ثم أعقبتها حملة الكونت بلدوين البولوني، واللاّفت في الأمر أنّ الجيشين اصطدما بقوى سياسية وعسكرية كان لها أطماع في قليقية غير قابلة للتنازل كما يبدو، ويمكن إجمال هذه القوى فيما يلي:

– التجمعات الأرمينية الواسعة المتمركزة في مدن طرسوس[3]، وأذنة[4] والمصيصة[5].

– الإمارات الأرمينية الناشئة: إمارة أوشين بن هيثوم غربي قليقية، وإمارة آل روبين شرقي قليقية، والحاميات السلجوقية المنتشرة في مدن قليقية لضمان بقاء السيادة السلجوقية على الإقليم، هذا بالاضافة إلى المنافسة الشديدة بين كل من تنكريد وبلدوين لفرض سيادتهم على الإقليم ممّا زاد في تعقيد الموقف[6].

كانت طرسوس بوابة قليقية التي توقف عندها الصليبيون، وأول من وصلها كان تنكريد الذي واجه على أطرافها حامية سلجوقية لم تصمد أمامه وولت على أعقابها إلى داخل المدينة، ومع حلول الليل فرّ الأتراك من المدينة متسللين، ليخرج سكان المدينة الذين كانوا أخلاط من الأرمن والإغريق للترحيب بالصليبيين هاتفين: "**بادروا أيها الفرنجة المنتصرون، بادروا فإن التّرك الذين اضطربوا خوفا قد انصرفوا جميعا في آن واحد**"[7] .

---

[1] – فوشيه الشارتري، **الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة الى بيت المقدس 1095 – 1127 م**، تر. قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ط.1، القاهرة، 2001 م، ص 108 – 109؛ الصوري، المصدر السابق، ج.1، ص 236 – 241.

[2] – **تانكريد Tancrède de Hauteville (1075 – 1112م)**: كان زعيماً نورمانياً من عائلة الهوتفيل وأحد قادة الحملة الصليبية الأولى. هو ابن أخت بوهيموند برز في معارك قليقية واستولى على طرسوس. واشتهر بنزاعاته مع قادة الحملة. وبعد الاستيلاء على القدس حصل على لقب أمير الجليل والوصي على إمارة أنطاكية أثناء وجود خاله في الأسر(1101–1102م). ثم أصبح حاكمها بعد عودة الأخير الى إيطاليا؛ للمزيد أُنظر: محمد مؤنس عوض، **معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب**، مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة، 2015 م، ص 382 – 383.

[3] – **طَرَسوس: مدينة** مشهورة بين أنطاكية وحلب. كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي وبينها وبينه اثنا عشر ميلاً. وهي مدينة كبيرة عليها سوران من حجارة، كما أنها في غاية الخصب وكثيرة المتاجر والعمارة. وبينها وبين الروم جبال متشعبة من اللكام هي الحاجز بين الروم والمسلمين؛ للمزيد أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 28 – 29؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، دار صادر، د. ط، بيروت، د. ت، ص 249.

[4] – **أذنة:** بلد من الثغور بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلا بناها الرشيد على نهر جيحان وأكملها المأمون؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج.1، ص 133.

[5] – **المصيصة:** هي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس؛ أُنظر: الحموي، ج.5، ص 145.

[6] – فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص 106 – 107. الصوري، الحروب الصليبية، ج.1، ص237–241.

[7] – المؤرخ المجهول، أعمال، ص 44 – 45.

هذا بالنسبة إلى طرسوس أما أذنة فتتضارب رواية المؤرّخ المجهول[1] بخصوص موقف الأرمن فيها مع رواية الصّوري[2]، حيث يشير أوّلهما إلى أنّ المدينة استسلمت لتنكريد، أمّا ثانيهما فيقول أنّ تنكريد عندما بلغ أذنة لم يأذن له أهلها بدخولها، ويرجع السّبب في ذلك إلى أنّ الأرمن فيها كانوا تحت هيمنة أحد الفرسان من الصّليبيّين "**جيلف**" أو "**ولف"Welf**[3]، الذي كان قد نجح بمهاجمة الحامية السّلجوقيّة فيها، واضطرّها إلى الهرب لذا فقد تصرّف تنكريد تجاه الموقف الذي استجدّ أمامه، باعتباره زائرا لا غازيا، فراسل "جيلف" طالبا منه السماح له بدخول ارضه لحاجته للمؤونة و السلاح، استجاب جيلف وأمد تنكريد بما يحتاجه[4].

التقى تنكريد هناك بالأمير أوشين (ت1110م) وهو مؤسس بيت هيثوم الأرميني الشهير، حيث وجه أنظاره ناحية المصيصة، "**فحمد لتنكريد قدومه وتدخّله غير أنّه ألحّ عليه أن يمضي إلى مامسترا أي (المصيصة)، حيث تلهّف جميع سكانها من الأرمن على الخلاص من قبضة التّرك (السّلاجقة)**"، وقد عقّب رانسيمان[5] على نصيحة أوشين الأرمني للأمير تنكريد بالتّوجّه إلى المصيصة بقوله: "**... كان حريصا على أن يرى الفرنج ينفذون إلى دائرة نفوذ خصمه قسطنطين الروبيني**".

تحرك تنكريد نحو المصيصة التي وصف الصوري[6] رد فعل سكانها اتُجاه قُدوم الصليبيين في قوله: "**وسُرعان ما استسلمت لهُ مدينتان هامّتان هُما " أُذنة" والمصّيصة"، كما دان لهُ كثيرٌ من الحُصون**"، وهُو ما يُفهم منهُ أنّ المدينتين المشار إليهما، قد حوصرتا من قبل الأمير تنكريد، ثُمّ استسلمتا في إطار صيغة ما، وإنّ ذلك دفع كثيرًا من الحُصون في " قليقية" للخُضوع له.

---

[1] – نفسه.

[2] – الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 239 _ 240.

[3] – **جيلف**، فارس برجندي جاء مع الحملة الصّليبية الأُولى من أجل تحرير القُدس يُشير الصّوري أنّ "جيلف" " ويُشير إليه رنسيمان ب "ولف" (Welf)، كان قد انفصل عن الجيش الأصلي مع ثُلّة من الجنود وجمع إليه حشدًا كثيفًا من النّاس انخرطوا تحت رايته. وشاءت الصّدفة أن تُؤدّي به إلى أُذنة، حيث طرد منها التُّرك (السّلاجقة) واستولى عليها قسرًا؛ أُنظر: الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 239. رانسيمان، تاريخ الحُروب الصّليبية ، ج.1، ص 280.

[4] – الصوري، الحروب الصليبية، ج.1، ص 239.

[5] – تاريخ الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 283.

[6] – المصدر السابق، ج.1، ص 45.

كانت مُدن أُذنة والمصّيصة موضع تنافس كبير بين الإمارتين الأرمينيتين **إمارة روبين**[1] الواقعة في شرقي " قليقية"، **وإمارة أوشين**[2] الواقعة إلى الغرب منها[3]، ولهذا، مع تواتر الأخبار بوصول حملتي الأمير تنكريد والكونت بلدوين إلى هذه المدن، ومُحاولتهم استغلال وضع الأرمن فيها لتأسيس إمارة صليبية[4]، دفع كل من أوشين وقسطنطين الأول الروبيني (1092–1100م) للتحرّك السريع من أجل تدارك الوضع، من خلال التحايل الدبلوماسي على الصليبيين، وهو بالفعل ما لجأ إليه أوشين في توجيه أنظار تنكريد إلى المصيصة بدل أذنة التي كانت ضمن أطماعه، وهو نفس التكتيك الذي لجأ اليه قسطنطين، فبعد أنّ تمكن الأمير تنكريد من السّيطرة على قليقيّة بكاملها، وإخضاعه للغالبيّة الأرمنيّة فيها، يغادرها فجأة بعد تلقّيه مساعدات من الأمير الأرمنيّ "قسطنطين" ليلتحق بالجيش الرئيسي الذي كان في طريقه لحصار مدينة أنطاكية، تاركا في قليقية حاميات عسكريّة ونوابا عنه في إدارة شؤونها[5].

أما بالنسبة إلى إقليم الجزيرة[6] الفراتية الذي كان معقلا للتجمعات الأرمينية[7]، اتجه إليه بلدوين البولوني الذي انفصل عن الجيش الرّئيسي، علّه يُوفّق في منطقة الفُرات بعد إخفاقه في قليقية، وكان مَن وجه أنظاره إلى

---

[1] – **إمارة روبين:** إمارة تأسست على يد الأمير الأرمني روبين الذي هاجر إلى قليقية بعد موقعة ملاذكرد سنة 463 هـ/ 1071 م، حيث فرض هيمنته على بعض مواقع قليقية وجعل من قلعة كورموزول قاعدة عسكرية ليلتف حوله الأرمن ويسيطر على مواقع عديدة شرقي الإقليم ويجعل من سيس عاصمة له وكان ذلك سنة 474 هـ/ 1082 م. وكان رافضا لموالاة بيزنطة؛ للمزيد أُنظر: ك. أ. إستراجيان، **تاريخ الأمة الأرمنية من القرن السابع قبل الميلاد الى نهاية القرن العشرين الميلادي**، مطبعة الاتحاد الجديد، د. ط، الموصل، 1951، ص205 – 207.

[2] – **إمارة اوشين:** أسس هذه الإمارة الأمير أوشين بن هيثوم عقب هربه الى قليقية بسبب موقعة ملاذكرد سنة 463 هـ/ 1071 م. اتخذ من غربي قليقية موطنا لنفوذه ومن قلعة لامبرون مقرا وعاصمة لإمارته منذ سنة 474 هـ/1081 م، واعلن تبعيته لبيزنطة؛ للمزيد أُنظر، ك. أ. إستراجيان، المرجع السابق، ص 214 – 217.

[3] – رنسيمان، تاريخ الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 283.

[4] – فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص 105 – 107؛ الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 256.

[5] – الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 247.

[6] **– الجزيرة الفراتية:** وتسمى بإقليم "أقور". وهو ذلك الإقليم الواقع بين نهري دجلة والفرات عند خروجهما من بلاد الروم أي الجزء العلوي الشمالي لبلاد مابين النهرين. قيل إنها إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه وأهله وهو ثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم، واسعة الخيرات بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة؛ للمزيد أُنظر: المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ط.2، مدينة ليدن، 1902، ص124 – 125؛ الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص22.

[7] – بعد انهيار إمارة فيلاريتوس الأرمنية ظهرت مجموعة من الإمارات على يد نبلاء أرمن في إقليم الجزيرة وفي الغالب هي ست إمارات: الرها وملطية ورعبان وكيسوم ومرعش والبيرة وكركر؛ للمزيد، أُنظر: فتحي اللهيبي، المرجع السابق ، ص 21.

هذا القطر، هو شخص أرمني يدعى **بقراط**[1] أو بكراد، وحدث أن التقيا في نيقية وبقي مرافقا لبلدوين في زحفه إلى أن أقنعه بالتوجه إلى إقليم الجزيرة.

استطاع بلدوين أن يُحرز تقدّما كبيرا في الجزيرة، فاستولى على المواقع والمدن والقلاع شمالها، وذلك بفضل العنصر الأرميني الذي كانت له السّيادة في تلك الجهات، والذي نظر إلى تقدّم الفرنجة بعين الرّضا للخلاص من حكم السّلاجقة المسلمين والبيزنطيّين، فلم يُصادف بلدوين صعوبة في الاستيلاء على تل باشر[2] والراوندان، بفضل مساعدة الأرمن وثورتهم ضدّ الحاميات السّلجوقيّة من ناحية، وضُعف تلك الحاميات من ناحية أخرى، وكان الصُّوري[3] قد نفى أيّة مُقاومة للأرمن ضد الصليبيين، يقُول إنّهُم بمُجرّد وُصول حملة الكونت بلدوين غادروا **"قلاعهم من تلقاء أنفسهم،،، وهاموا على وجوههم على الرغم من أنه ــ أي بلدوين ــ لم يرسل رجلا واحدا من رجاله لقتالهم"**، وعلّل ذلك التّرحيب بأنّ الأرمن لم يكونوا راضين أن **"يتسوّد عليهم قوم من غير ملّتهم"** ويعني بذلك السّلاجقة.

لم يقتصر تعاون الأرمن مع حملة الكونت بلدوين الصليبيّة على التّرحيب به وتسلميه مدنهم[4]، بل **"حالفه أيضا أمراء تلك النواحي المسيحيّون (من الأرمن وغيرهم) وأخلصوا النية في مصادقته، وآزروه، فيما يفعله،،، وأمدّوه بالجند وبذلوا له الطاعة الصادقة"** حتى ملك **"من ناحية أغلبها،،،"**[5]،كما لعب الأميران الأرمنيان فير (Ver) ونيكوسوس (Nicusus)، دورا مهما بوقوفهم في صفوف جيش بلدوين ضد السّلاجقة، لذلك، عهد بتل باشر للأمير فير وبالراوندان للأمير بقراط[6]، ممّا يدلّ على أنّ الكونت بلدوين بدأ

---

[1] – **بقراط** (Bagrat): من أشراف الأرمن وأخ الأمير كواسيل حاكم إمارتي كيسوم ورعبان. وقد كان في نيقية فارا من الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس؛ أُنظر: الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 256.

[2] ــ **تل باشر**: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب. بينهما يومان. وأهلها نصارى أرمن؛ أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص 40.

[3] – الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 256.

[4] – فوشيه الشارتري، **الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة الى بيت المقدس 1095 – 1127 م**، تر. قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ط.1، القاهرة، 2001م، ص 108 – 109.

[5] ــ الصوري، الحروب الصليبية ،ج.1، ص 257.

[6] Albert d'Aix , **histoire des faits et gestes dans les regions d'outre–mer depuis l'annee 1095 jusqu'a l'annee 1120 j.c**, imprimerie de A.Belin, Paris, 1824,p124,125.

يمارس سلطاته حاكمًا بُعَيد وصوله إلى تل باشر، ويبدو أنّه واجه بعض المشكلات هناك، بقيام رفيقه ومستشاره الأرميني بقراط بالتآمر عليه.

وسواء أكانت هذه المؤامرة حقيقة أم مجرد وشايات فقط، فإن بلدوين أمر باستعادة حصن الرّاوندان، وألقى القبض على بقراط، وأخضعه للتّعذيب واعترف بالمؤامرة، ثم تمكن من الفرار، والالتحاق بأخيه كواسيل صاحب كيسوم ورعبان في إمارته، مستقرّا في الجبال المجاورة لتل باشر والراوندان[1].

تطلّع الأرمن في كلّ من قبادوقيا وقليقية إلى التّعاون مع الحملة الصليبية الأولى، ودعمهم في ذلك حكام كل من إمارتي روبين، وأوشين الأرمينيتين الطامعتين في التخلص من السيطرة السلجوقية حيث ساهموا بشكل فعّال في طرد الحاميات السلجوقية من مدن طرسوس وأذنة والمصيصة، وتحقيق الاستقرار السياسيّ والاجتماعيّ، وفي المقابل ساهموا في تذليل الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الأولى خلال عبورها أراضيهم في آسيا الصّغرى، سواء عن طريق تقديم الخدمات التموينية، أو المساعدة في توجيه الجيش الصّليبيّ نحو الطرق الأكثر أمنا، ولكن الملاحظ أن هذا الدعم الأرمني جاء مغلفا بالحذر خوفا من أيّة خطوة قد يتخذها الصليبيون تهدّد وجودهم السياسي[2].

2 – موقف الأرمن من تأسيس الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي 489 هـ – 1097 م/492 هـ – 1099 م:

وردت روايتان عن الكيفية التّي تمّ بمُوجبها اتّصال الأرمن في الرُّها بالقائد الصّليبي بلدوين؛ إحداهما التي قدّمها "الشّارتري"، وهُو مُؤرّخ مُعاصر للحملة ومُشارك فيها، والأخرى ذكرها الصوري، وهُو مُؤرّخ مُتأخّر، جاءت رواية الشارتري، رغم كونه المؤرّخ المرافق لحملة بلدوين، مُختصرةً إلى حدّ كبير، حيثُ ذكرت أنّ أمير الرُّها ثورس أو

[1] – Christopher MacEvitt,**crusades and the Christian world of the east rough tolerance**,university of Pennsylvania press Philadelphia, U.S.A, 2008, p 71-73؛ فاطمة الطراونة، **دور الأرمن في الحروب الصليبية 1096/1152 م**، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، الأردن، 2002، ص 109.

[2] – فاطمة طراونة، المرجع السابق، ص 100 – 101.

طوروس، أرسل وفدًا إلى الكونت بلدوين بعد أن سمع عن انتصاراته العظيمة يطلبُ إليه القُدوم إلى الرُّها في إطار عرض قدّمهُ هُو إليه[1].

ويسرد لنا الشارتري[2] فحوى العرض الذي ينص على مجيء الكونت بلدوين إلى الرُّها **"لكي يُصبحا _ أي ثُورس وبلدوين _ صديقين كوالد وولده طالما كتبت لهُما الحياة"**، ثم "،،، **إذا ما صادف ومات دوق الرُّها، فإنّ لبلدوين أن يتملّك المُقاطعة على الفور، ميراثًا دائمًا لهُ، وكأنّهُ الابن الشّرعي للدّوق[3]"**.

تم الاتفاق فعلا وبدأ بلدوين ممارسة دوره في دعم ثوروس الذي أنفذه مع قوات مدينة الرها إلى سميساط التي كانت تحت حكم الأمير بُلك، وبمجرد وصول قوات النصارى إليها ومحاولتهم نهبها، تصدى لهم أميرها وقتل منهم الكثير، وقيل حوالي الألف رجل من الأرمن لقي حتفه، وقد اتخذ أرمن الرها من هذه الحادثة ذريعة للتخلص من حاكمهم ثوروس، الذي أذاقهم المظالم طيلة مدة حكمه، فكان أن تآمر عليه مستشاروه العاملين معه في القصر مع العامة، فقتلوه من أجل أن يحكمهم الفرنجة[4] .

وبغضّ النّظر عمّا إذا كان بلدوين على علاقة وعلم بحركة الأرمن ضدّ حاكمهم ثورس أم لا، فالمؤكد أنّ الأرمن في الرُّها كانوا هُم من أسقط إمارة ثوروس في 7 ربيع الثّاني 491 هـ/7 ماي 1097 م، وهُم من رفعوا بلدوين بعد يومين من ذلك التّاريخ على رأس كونتية صليبية، ووصف الصوري[5] التنصيب فقال: **"وقطعوا لهُ يمين الولاء، ثُمّ طلعوا به في موكب بهيّ، مهيبٍ، إلى قلعة المدينة، وأعطوه كُلّ ما اكتنزهُ واليهم السّابقُ طوال سنينٍ عدّة من الأموال والثّروات الكبيرة ومن ثمّ عاد الهدوء يُرفرفُ على المدينة"**.

كانت كونتية الرُّها أوّلُ إمارةٍ ينجحُ الصّليبيون في إقامتها، إضافة إلى أنّ سيطرة بلدوين على منطقة أعالي الفُرات، تعني سيطرة على مواقع حيوية ذات أهمّية كُبرى في حماية أيّة خطوات مستقبلية للصّليبيين ودعمها في بلاد الشّام، خاصة مع انضمام الأرمن إلى جيش إمارة الرُّها، فرسانًا ومشاةً، تحت قيادة الصليبيين، واستطاع

---

[1] – Albert d'Aix, Op.cit.,p128. ؛ الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 256 – 257.

[2] – الشارتري، تاريخ الحملة، ص 52.

[3]– الدّوق Duge، لقبُ أوروبي أُطلق على بعض السّادة الإقطاعيين. وهو مشتق من اللفظ اللاتيني **دوكس** أي الزعيم، ومرتبة هذا اللقب أعلى من مرتبة لقب الأمير. وفي انجلترا، يحمل القليل من الناس خارج العائلة المالكة هذا اللقب ويحظى أكبر أبناء الدوق بلقب لورد؛ أُنظر: **الموسوعة العربية العالمية**، مج.10، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط. 2، الرياض، 1999 م، ص 466. محمد سعيد عمران، **حضارة أُوروبا في العُصور الوُسطى**، دار النّهضة العربية، ط 1، بيروت، 1991 م، ص7.

[4] – فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص 108؛ الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 262 – 263.

[5]– الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 264 – 263.

بلدوين بمساعدتهم أن يُوسّع أراضي الكونتية، فبالإضافة إلى الراوندان وتل باشر، اشترى سميساط من حاكمها بُلك، واستولى على سروج[1] وعلى الكثير من المواقع والمدن في شمالي الجزيرة الفراتية[2].

امتدّت رقعة إمارته فوق مساحة من الأرض تقع من شرق نهر الفرات إلى غربه، وجاورت إمارة الموصل، وهدّدت مدن ديار بكر مثل نصيبين وماردين وحرّان[3]، بل شمالي العراق كلّه، كما سيطرت على الطّرق المؤدّية إلى حلب والموصل[4]، ولعبت هذه الإمارة اللاتينيّة دور الحاجز في الشّمال الشّرقي، بحيث تلقّت الهجمات الإسلامية الأولى بدلا من الإمارات الأخرى.

بوصول الحملة الصّليبيّة الأولى إلى قليقية في شوّال 490 هـ/ أيلول 1097 م، توجهت الأنظار نحو أنطاكية، ووجد الفرنجة في الأرمن حلفاء لهم ضدّ السّلاجقة من ناحية، وضدّ الدّولة البيزنطيّة من ناحية أخرى، فدعم الأرمن الجيوش الصّليبيّة المتهالكة جراء رحلتها الصعبة عبر هضبة الأناضول خاصة مع وعورة الممرّات المرتفعة في طوروس، كما قاموا بدور المرشدين ثمّ ساعدوهم خلال حصار أنطاكية، بل يذكر ابن العديم[5] إنّ جماعة من أرمن حلب كانت قد عملت على إعاقة تحركات جيش السلاجقة الذي توجه إلى فك الحصار الصليبي على أنطاكية وبلغ عددهم حوالي ألف وخمسمائة أرمني حيث تجمعوا في كمين قرب تل قباسين[6] وأعاقوا السلاجقة ليومين.

يعود الفضل في دخول الفرنجة إلى أنطاكية لرجل أرمينيّ يُدعى "فيروز"[7]، الذي وطّد بوهموند صلته به، وكان فيروز قد اعتنق الإسلام وارتقى إلى وظيفة رفيعة في حكومة ياغي سيان، وعلى الرّغم من تظاهره بالولاء لسيّده، فإنّه كان شديد الحقد عليه، لأنّه فرض عليه أخيرا غرامة لاختزانه القمح، وكان فيروز يتولّى قيادة القوّات المرابطة في برج الأختين، الذي يشرف على ما يليه من قطاع من سور المدينة المطلّ على الخارج، وقد ذكر المؤرخ

---

[1] – **سروج**: هي بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر؛أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 216.

[2] – الشّارتري، تاريخ الحملة، ص 53، الصّوري، الحُروب الصّليبية، ج.1، ص 263؛ شاكر أبو بدر، **الحُروب الصّليبية والأُسرة الزّنكية**، مكتبة كُلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د.ط، بيروت ، د.ت، ص 25 – 26.

[3] – **حرّان**: مدينة عظيمة، من مدن مضر، على الفرات؛ أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص 390.

[4] – Albert d'Aix , Op.cit.,p129-132.

[5] – ابن العديم، **زبدة** ، ص 131.

[6] – تل قباسين، حصن بالقرب من حلب؛ أُنظر: البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع**، تح. علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت، 1992 ، ط.1، مج.1، ص272.

[7] – **فيروز**: اختلفت المصادر في تسميته وأصله. فورد باسم ورزباه، وكذلك روزبه. أما أصله فهناك من يقول تركي في حين ذهب آخرون إلى أنه أرميني؛ للمزيد، أُنظر: المؤرخ المجهول، أعمال، ص 65؛ ابن القلانسي، ذيل، ص 143؛ ابن العديم، زبدة، ص 153.

المجهول[1] على لسان فيروز الأرميني وعده لبوهيموند حيث أخبره: "**إنني أقوم بحراسة ثلاثة أبراج، وإنني أعده بها عن طيب خاطر وسأسلمه إياها يوم يشاء، وسأرحب به فيها**"، **فحثّ بوهيموند على حشد القوى الفرنجيّة وأن يقودها نحو الشّرق،** ويتظاهر بأنّه سائر لمنع تقدّم كربوغا صاحب الموصل، ثمّ يعود إلى الجهة الغربيّة والشّماليّة الغربيّة في خطوة لإيهام من بداخل المدينة بأنّ الفرنجة يرتحلون **فيخلدوا،** ثمّ يعمد إلى فتح باب البرج أمام جنوده[2].

ليلة 28 جمادى الأولى 491 هـ/ 2 جوان 1098 م، نُفّذت الخطّة بإحكام، فدخل الجنود الفرنجة أنطاكية في صباح اليوم التّالي، بعد أن فُتحت أبوابها أمامهم، وتعرّض المسلمون للسَلب والنَهب والقتل، ورحّب الأرمن الموجودون داخل المدينة بالفرنجة، وساعدوهم في قتل المسلمين والتّعرّف على خفايا المدينة، وعندما حاول ياغي سيان الهُروب من المدينة سقط عن فرسه، فقتله الأرمن وقطعوا رأسه، وحملوه إلى بوهيموند وريموند دي صنجيل، وانتهى الصراع على زعامة أنطاكية باختيار بوهيموند أميرا عليها، ليُؤسّس الإمارة اللّاتينيّة الثّانية بعد الرُّها[3].

3– الموارنة والحملة الصليبية الأولى 491 هـ – 502 هـ/ 1098 م– 1109 م:

تركز الوجود الماروني قبل الحُروب الصّليبية في جبل لُبنان بصفة أساسية، متوسطين مجموعة من القوى السياسية، فمن الغرب، كانت بيروت وجبيل تحت حُكم الفاطميّين، وطرابلس تحت حُكم ابن عمار، ولم يكن لهُم منفذ عبر البحر إلّا من مُدن ثانوية وهي البترون[4] وطبرجا وجونية[5]، ومن جهة الجنوب كان التّنوخيُّون، هذا وقد كان شرق وبلاد الشّام وشمالها تحت حُكم السّلاجقة، وحرّض السّلاجقة التنوخيين على الموارنة[6].

---

[1] – المؤرخ المجهول، أعمال، ص 66.

[2] – المصدر نفسه، ص 86 – 70.

[3] – للمزيد من التفاصيل حول سقوط أنطاكية بيد الفرنجة أُنظر: فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص115؛ مؤرخ مجهول، أعمال الفرنجة، ص 49 – 70؛ وليم الصوري، المصدر السابق، ج.1، ص 311 – 361. ؛ ابن العديم، زبدة، ص 238 – 241.

[4] – **البترون:** مدينة قديمة جدا على الساحل الشامي شمال جبيل. واسم البترون يختلف حوله المؤرخون والباحثون. فمن قائل إنه تسمية يونانية أصلها « **بوتريس** »، أي **عنقود العنب** إلى قائل إنه تسمية عبرانية بمعنى **بيت المقدّم**؛ أُنظر: جرجي أفندي بني، **تاريخ سوريا**، المطبعة الأدبية، بيروت، 1881 م، ص 424.

[5] – **جونية:** من أعمال طرابلس من ساحل دمشق؛ أُنظر: عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 189.

[6] – فرح فرزلي، **مسيحيو المشرق في عهد الفرنجة**، ص 563. مؤنس عوض، **عصر الحروب الصليبية – بحوث ومقالات**، عين للبحوث والدراسات، ط. 1، القاهرة، 2006، ص 160 – 163.

بعد أن انتهى الصليبيون من السيطرة على أنطاكية، شدوا الرحال إلى بيت المقدس، فلما بلغوا عرقة[1]، نزلت من جبل لُبنان وُفود من الموارنة من جبل سير والضّنية وجبيل والبترون وطرابلس في عيد الفُصح[2] مُرحّبين بهم ومحتفلين معهم، ويصفهم الصوري[3] بقوله: "**لم يكن هؤلاء الناس قليلي العدد، وقدّروا بأنّهم أكثر من أربعين ألفًا، وكانوا شعبًا قوي البنية ومقاتلين شجعانًا، قدّموا فوائد عظيمة للمسيحيين في المعارك الصعبة التي كانوا قد خاضوها مرارًا مع العدو**"، حيثُ عرضوا خدماتهم على الصليبيين لمعرفتهم بتلك المنطقة فكانوا أدلّاء لهُم، رافقوا الصليبيين إلى بيروت مُتّبعين طريق السّاحل الذي نصحهم به موارنة طرابلس[4]، وعلى حدّ قول ابن الأثير[5] إنّ أهل الجبل أي الموارنة قد عاونوا الفرنجة في مُحاصرتهم طرابلس، مرّ الفرنجة عبر السّاحل الشّمالي من لُبنان دُون أن يجدوا أيّة مُقاومة، كما تطوع فرقة من موارنة البترون في الجيش الصليبي كمشاة ورماة[6]، بالاضافة إلى أنهم ساعدوهم في إيجاد المواد الأولية التي احتاجها الصليبيون من أجل صناعة أسلحتهم.

نزل أهلُ جبّة بشرّ الموارنة، فبايعوا "ريموند" وعرّفوه أمر طرابلس، وأنّ الرّعيّة فيها من النّصارى "**وأنّ صاحبهُ مُتغلّب عليه، وحسّنوا لهُ المقام، ووعدوه على أخذه فأقام**"، وحضر لريموند خلقٌ من موارنة المناطق المحيطة بطرابلس، وعجز ابن عمّار عن ترحيله، وقد أعان الموارنة ريموند بقتل عدد كبير من المسلمين في حملته الثّانية على طرابلس سنة 495 هـ/1102 م[7]، وعندما حاصر برتراند ابن ريموند طرابلس سنة 502 هـ/ 1109 م ساندهُ الموارنة من جبل لُبنان في الاستيلاء عليها في 11 ذي الحجّة 502هـ/ 12 جويلية 1109

---

[1] – **عرقة**: بلد في شرق طرابلس بينهُما أربعة فراسخ. وهُو آخر عمل دمشق. وفي سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل. وعلى جبلها قلعة لها؛ للمزيد، أُنظر: عبد الله أبي عبد الله، المرجع السّابق، ج 4، ص 109.

[2] – **عيد الفصح أو عيد القيامة**: هو عيد يحتفل به المسيحيون لاعتقادهم بقيامة المسيح فيه بعد ثلاثة أيام من صلبه وموته. وله طريقة خاصة في حساب موعد الاحتفال به حسب تقويم كل طائفة؛ للمزيد، أُنظر: مارك شنودة، **الأفخاريستية سر الحياة**، تق. الأنبا رافائيل، د. ط، د. ت، ص 20.

[3] – المصدر السابق، ج 2، ص 62.

[4] – الصّوري، المصدر السابق، ج2، ص 62،63؛ اسطفان الدّويهي، **تاريخ الأزمنة**، تح. الأباتي بطرس فهد، دار لحد خاطر، بيروت، د. ت، ص 87.

[5]– **الكامل في التاريخ**، مر. محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت ، 1987، مج.8، ص 311.

[6]_ محمد علي مكي، المرجع السابق، ص 112.

[7] – ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 311.

م[1]، وبذلك، يتّضح دور الموارنة الكبير في تشديد الحصار على طرابلس وسُقوطها، وقد اشتهر الموارنة برمي النشّاب الخارق على القوس الثّقيل[2]، ولم يقف دور الموارنة عند حدّ المؤازرة على إسقاط طرابلس، بل تعدّاه فيما بعد إلى تأخير عودتها للمُسلمين في السّنين التّالية حتّى عصر دولة المماليك[3].

وقد ساند الموارنة الملك بلدوين الأوّل سنة 504 هـ/ 1110 م، ومعهم الفرنجة من إمارة طرابلس بحصار بيروت، حيثُ تجمّع الموارنة ومعهُ فرنجة إمارة طرابلس في جبيل، واجتمعوا مع جيش الملك "بلدوين" الأوّل في مرج الغازية، فسار فرنجة طرابلس والموارنة على الطّريق الجبلي، أمّا جيشُ الملك فسار على طريق السّاحل، وقاموا بنهب وإحراق ما وجدوا، وقتلوا وأسروا كلّ من وجدوه من السكّان، فلم ينجو سوى الغائبين والمنهزمين والمختبئين، واستطاع الفرنجة ومعهم الموارنة مُواصلة حصار بيروت التي استولوا عليها بالفعل[4].

لتمتدت من تخوم إمارة طرابلس اللّاتينية من فُتوح كسروان جنُوبًا إلى بلاد اللّاذقية شمالًا، ومن مشارف وادي العاصي شرقًا إلى البحر غربًا، فشملت مُعظم المناطق المارونية من جبل لُبنان، وأصبح الموارنة ذوو قوّة ونُفوذ عندما حلّ الفرنجة في أرضهم، حيث ساهموا في غزوات الفرنجة، كما أنهم استمرّوا على عاداتهم، يحكُمهم أعيانُهم على طريقة الإقطاعيّين، ومرجعهم بطريركهم[5] .

كان يُدير الطّائفة المارونية البطريرك يُوسف الجرجسي[6]، الذي انتخب بعد سنة من استيلاء الفرنجة على بيت المقدس سنة 494 هـ/ 1100 م، بطريركًا على كرسي أنطاكية وسائر المشرق في مقرهم بدير يانوح في جبّة المنيطرة حيثُ أشرف الجرجسي من هذا المقر البطريركي على التّعبئة العامّة التي قام بها الموارنة للمُشاركة في الحملة الصّليبية الأولى التي دخلت السّاحل عن طريق طرابلس سنة 492 هـ /1099 م[7].

أثبت النّجاح العسكري الذي أحرزه الفرنجة في بلاد الشّرق تفوّق الغرب الكاثوليكي على بيزنطة الأرثوذكسية، وجعلهم قُوّةً ضامنة للنّصرانية، فاقتنع البطاركة الموارنة على ما يبدو، بضرورة تقرّب كنيستهم من رُوما، وإنّ أوّل من سعى إلى هذا التّقرّب البطريرك يُوسف الجرجسي، الذي أرسل وفدًا يُمثّلهُ مع الوفد الفرنجي

---

[1]_ ابن القلانسي، ذيل، ص 165.

[2] – ابن الشّحنة، **الدرُّ المُنتخب في تاريخ مملكة حلب**، دار الكُتب العربي، ط1، دمشق، 1984 م، ص 264.

[3] – عمر عبد السّلام التّدمري، **تاريخ طرابلس**، دار البلد، ط 1، طرابلس، 1978 م، ص 326.

[4] – إصطفان الدويهي، **تاريخ الطّائفة المارونية**، ص 102 – 103.

[5]– نفسه.

[6] – **البطريرك يُوسف الجرجسي**: يُعدُّ من آخر بطاركة يانوح. وفي عهده أعلن الولاء لرُوما عندما ذهب إلى البابا باسكال الثّاني ليزُفّ مع الوفد الفرنجي خبر سُقوط بيت المقدس؛ أُنظر: فهد بطرس، **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**، دار لحد خاطر، ط. 1، 1984، ص 150.

[7] – متّى موسى، المرجع السابق، ص 322.

الذي ذهب إلى رُوما ليزّف إلى البابا باسكال الثّاني احتلال بيت المقدس مُعلنًا فيها طاعته لكرسيّ رُوما الكاثوليكي، حيثُ صرّح بثباته في المعتقد الكاثوليكي، فأرسل البابا إليه تاجًا وعُكّازًا[1].

وعندما استولى الفرنجة على سواحل بلاد الشّام لم يعترضوا على الموارنة في تدبير أُمورهم الدّاخلية، ولم يمسّوا ما كانوا عليه من استقلال، فلم ينصبوا عاملًا على غير المدن السّاحلية[2]، ولم يكتف الموارنة بالعمل مع الفرنجة كأدلّاء، بل أمدّوهم بالطّعام وبالعلف، والذّخائر والأسلحة، كما شاركوا في كثير من المعارك حتّى تمّ توطيد دعائم مملكة بيت المقدس اللّاتينية، وإمارة طرابلس ومُدنها كجبيل والبترون، وبقية السّاحل اللُّبناني[3].

نجم عن كلّ هذه الجرائم البشعة التي ارتكبها اللاتين في حملتهم الصليبية الأولى ضد الشعوب الشرقية أن انطفأت مصابيح كنيسة القيامة عشيّة عيد القيامة يوم سبت النّور في سنة 495 هـ/1101 م ممّا أرغم الصليبيين الكاثوليك على مراجعة علاقاتهم مع النّصارى الشّرقيّين كالسّريان اليعاقبة والروم الأرثوذكس، فأقدم الملك بلدوين الأول على رفع الظّلم عن النّصارى الشّرقيّين، والاهتمام بإحساسهم ومشاعرهم من خلال إعادة مفاتيح كنيسة القيامة إلى الرّوم الملكيين الأرثوذكس التي أُخذت منهم، وإعادة بعض كهنتهم إلى الكنيسة، وأجاز لهم أن يستخدموا لغتهم في محاكمهم، فاستعمل السّريان اليعاقبة الأرثوذكس والنّساطرة اللّغة السّريانيّة، وسمح لهم أن يسيروا وفق عاداتهم وتقاليدهم، وليس للكنيسة اللّاتينيّة الكاثوليكيّة أن تتدخّل في شؤونهم الدّينيّة، كما أجاز لهم الهجرة من البلاد المجاورة الخاضعة للمسلمين إلى مملكة بيت المقدس التي هجرها أصحابها المسلمون[4]، لكن الثابت من كل هذه الأحداث أن الحملة الصليبية الأولى ستكون نقطة تحول في تاريخ المسيحيين الشرقيين اجتماعيا وسياسيا.

[1] – الدّويهي، **تاريخ الطّائفة المارونية** ، ص 91؛ يُوسف الدّبس، **الحُجّة القاطعة**، ص 50.

[2] – نفسه.

[3] – عبد الله أبي عبد الله، المرجع السّابق، ج 2، ص 29.

[4]– فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص 104.

الفصل الثاني:الواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الصليبي (491 هـ – 690 هـ / 1098 – 1291 م)،

المبحث الأول: الحضور السياسي لمسيحيي الشرق داخل مؤسسات الحكم الصليبية 504–690هـ/ 1110م– 1291م

1. المشاركة الإدارية والتنظيمية،
   - المصاهرات السياسية طريق إلى مناصب الحكم الصليبية،
   - الدور الإداري والقضائي للمسيحيين المحليين،
2. المسيحيون الشرقيون والنظام الحربي الصليبي،
3. المسيحيون الشرقيون والسلطة الدينية الصليبية،

المبحث الثاني: النشاط العسكري للطوائف المسيحية الشرقية مع الصليبيين 504–690هـ/ 1110م– 1291م

1. الدعم العسكري الأرميني– السرياني للصليبيين،
2. الدعم العسكري الماروني للصليبيين،
3. صور من تمردات المسيحيين الوطنيين على حكامهم الصليبيين،

المبحث الثالث: مملكة أرمينية الصغرى وتجربة الحكم الذاتي لمسيحيي الشرق تحت لواء اللاتين (504هـ–685هـ /1198م_1291م)،

1. مملكة أرمينية الصغرى كفاعل سياسي في المنطقة،
   - التحالف الروبيني– الصليبي والسعي إلى التاج الملكي،
   - مملكة أرمينيا الصغرى و أزمة الحكم في إمارة أنطاكية،
2. الدور العسكري الصليبي لمملكة أرمينيا الصغرى،
   - التحالف الأرميني _ المغولي،
   - الصدام الأرميني – المملوكي،

الفصل الثاني: الواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية تحت حكم الكيانات الصليبية في المشرق 1098م – 1291م .

ساهم التوزيع الديمغرافي للطوائف المسيحية الشرقية على أراضي المشرق في تحديد مسار واقعها السياسي الذي ستعيشه خلال فترة الوجود الصليبي بالمنطقة، حيث نلاحظ أن الإمارات الصليبية تأسست في المناطق التي بها أغلبية مسيحية، خاصة كونتية الرها وإمارة أنطاكية، وبنسبة أقل كونتية طرابلس ومملكة بيت المقدس، وقد تناولنا فيما سبق ذلك الحضور الفاعل للعنصر المسيحي المحلي طيلة سير الحملة الصليبية الأولى، وكيف كان لعناصر منهم أدوار حاسمة في تمكين الصليبيين من السيطرة والاستقرار ضمن أقاليم آسيا الصغرى والجزيرة والساحل الشامي، فكيف كانت الأوضاع السياسية لهذه الطوائف في ظل الحكم الصليبي؟ وهل كانت عنصرا مؤثرا أم متأثرا داخل المنظومة السياسية للاتينيي الشرق؟

المبحث الأول: الحضور السياسي لمسيحيي المشرق داخل مؤسسات الحكم الصليبية:

تمتعت الجماعات المسيحية الشرقية بالتسيير الذاتي منذ فترة طويلة، والذي تطور خلال فترة السيادة الإسلامية على المشرق، ونظرا إلى أن هذه الجماعات المسيحية كانت محرومة من صفة الدولة فإنهم وجدوا في مؤسساتهم الدينية بديلاً للدولة، حيث قامت السلطة الدينية للطوائف المسيحية الشرقية بتنظيم حياة رعاياها وإقامة العدالة بينهم، ولكي يتفادى المسيحيون الشرقيون التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية لطوائفهم، قاموا بتطوير مؤسساتهم الخاصة ذات الخلفية العقائدية المسيحية، وجدير بالذكر أن الغزو الصليبي لم يُحدث تغييرا في التنظيم الطائفي التقليدي للأقليات المسيحية[1].

1. المشاركة الإدارية والتنظيمية:

أظهر الصليبيون عند دخولهم المشرق عدم استعداد تنظيمي، حيث يقول في هذا الصدد المؤرخ رينيه غروسيه: "**لقد توغل البارونات الفرنجة بدون استعداد في هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف والمعقد أشد التعقيد، وكان عليهم ارتجال النظم لإنشاء دولتهم، وإتباع سياسة ثابتة إزاء الأهالي، وابتكار نظام إداري ينسجم مع البيئة**"[2]، فالظروف الاستثنائية والخصائص الفريدة التي أحاطت بنشأة الكيانات الصليبية، فرضت عليها واقعا

[1] – يوشع براور، **الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس**، تر. عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. 1، مصر، 2001، ص 185 – 186.

[2] – أنظر: **Histoire des Croisades**, Librairie Academique Perrin, Paris , 1968 ,V.1,p. 313

إداريا وتنظيميا مميزا، جمع بين الصرامة والشدة حينا، واللين والموادعة أحيانا، ويتجلى ذلك في عدم تخليهم عن نظام الحكم الإقطاعي[1] الأوروبي بتقاليده المتوارثة من بلدانهم الأصلية وخاصة فرنسا[2]، إلى جانب إبقائهم على التقاليد الإدارية المحلية، سعيا منهم لخلق مناخ سياسي يخدمهم والرعية المتعودة على الإدارة والسياسة البيزنطية – الإسلامية، ثم العمل على إدماجهم في مؤسسات الحكم واستغلالهم من أجل المصلحة الصليبية بداية من المرحلة الأولى – التأسيسية– لوجودهم[3].

- **المصاهرات السياسية طريق إلى مناصب الحكم الصليبية:**

سعى حكام الفرنجة إلى توطيد علاقتهم بالأُسر المسيحية الشرقية ذات النفوذ السياسي في المنطقة، وذلك تدعيما للسلطة السياسية الصليبية في المشرق، ونلاحظ استشراء ظاهرة الزواج السياسي، ممّا أعطى لبعض القوى المسيحية الشرقية كالأرمن والبيزنطيين فرصة المشاركة في حكم الإمارات الصليبية[4]، سواء عن طريق الأميرات الشرقيات اللاتي تزوجن بقادة صليبيين، وأصبحن أميرات أو ملكات قرينات[5] ساهمن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في مقاليد الحكم، أو عن طريق أبناء الملوك الصليبيين – ولاة العهد – من نسائهم الشرقيات الذين ورثوا مناصب آبائهم محافظين على ذلك الانتماء لأخوالهم الشرقيين.

يعتبر كونت الرها بلدوين دي بوين أول من شجّع على المصاهرات السياسية، حيث تزوج أثناء حكمه للرها من أردا (Arda) الأرمينية ابنة ثاتول (Thatol) حاكم مرعش وفي روايات أخرى ابنة الأرميني طوروس

---

[1] – أطلق مصطلح النظام الإقطاعي على النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ساد أوروبا خلال العصور الوسطى. ويرتبط هذا النظام ارتباطا وثيقا بالأرض. فمالك قطعة الأرض هو السيد والحاكم. ويخضع له التابع الذي يعمل في الأرض ويقدم له فروض الولاء والطاعة؛ أُنظر: محمد على إسماعيل وآخرون، **الإقطاع ونشأة الجيش الصليبي ببيت المقدس**، مجلة كلية الآداب، العدد 17، مصراتة، يونيو 2021، ص 239.

[2] – جونا ثان رايلي سميث، **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص**، تر. صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والنشر، ط. 1، دمشق، 1989، ص 21.

[3] – سعيد عاشور، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى**، ج. 1، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. 1، القاهرة، 2010، ص 387.

[4] . F.Charles-roux, **France et chretiens d'orient** , FLAMMARION , Paris , 1939,pp 20 ,21

[5] – عالجت القوانين الصليبية حق السيدات في الوراثة وصانت لهن حقوقهن في الوصاية على أطفالهن، كما لم تحرم النساء من العرش لأنه لا فرق بين التاج والإقطاع وبما أن كثيرا من النساء اللاتي ورثن إقطاعيات قد استطعن إدارتها بكفاءة عالية، مُنحن حق حكم الممالك الصليبية وتسييرها، مع اشتراط أن يكون لهذه الحاكمة زوج يساعدها في إدارة هذه الحكومة كما جاء في قوانين بيت المقدس؛ أُنظر: عبد الحافظ محمد علي، **مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية 1131–1187م**، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، ط. 1، مصر، 1984، ص14 – 15.

الأول[1]، التي سوف تصبح أول ملكة قرينة لبيت المقدس وأول مسيحية شرقية أرمينية تصل لهذا المنصب، غير أن مصيرها بعد الانتقال من الرها إلى بيت المقدس يكتنفه نوع من الغموض، حيث أنها انفصلت عن بلدوين وعاشت راهبة في أحد أديرة بيت المقدس، خاصة وأنها لم تنجب الوريث الذي كان يسعى إليه بلدوين[2]، وما يؤكد أنه زواج من أجل المصلحة السياسية هو طلاقه لها بعد أن أصبح ملكا لبيت المقدس وانتهاء حاجته لولاء الأرمن، كونهم قلة في جنوب بلاد الشام ووسطها، عكس ما كان عليه الحال في الرها[3].

حذا حذو بلدوين الأول الكثير من النبلاء الصليبيين، فهذا **بلدوين الثاني دي بورج Baldwin II** خليفته على الرها ثم على بيت المقدس، يتزوج من **مورفيا**(Morphia) الأرمينية ابنة جبريل صاحب ملطية[4]، وتؤكد المصادر أنها كانت أرثوذكسية المذهب ولم تغيره بعد زواجها، وقد نُصِّبت رفقة زوجها كملكة قرينة لبيت المقدس، كما تميزت عن الملكة السابقة بكونها استطاعت منح الملك بلدوين الثاني ورثة لعرشه، ورغم أنهنّ كنّ أربع بنات، فقد صار لكلّ واحدة منهن دور مهم في حكم الشرق اللاتيني خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي[5].

حكمت ابنتهم الكبرى **ميليسندا** (Melisende of Jerusalem) بيت المقدس خلفا لوالدها[6]، وتُعدّ أول ملكة نصف أرمينية لبيت المقدس تمنح صلاحيات واسعة في حكم مملكة صليبية مناصفة مع زوجها **فولك أنجو الخامس**(Folk of AnjouV) (1131-1143م/538-526هـ)[7]، بل وصلت حد الصراع معه من أجل الحفاظ على صلاحياتها التي أراد انتزاعها منها، وتدخلت في قضايا سياسية عديدة مثل تقييد تدخلات

---

[1] – Jacob G.Ghazarian, **the armenian kingdom in cilicia during the crusades The integration of cilician armenians with the latins 1080– 1393**, CURZON caucasus world, 1st ed,England, 2000, p.102؛ أنظر: فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 51.

[2]Bernard hameilton ,**Women in crusader states** :**The queens of jerusalem** (**1100 – 1190**) , Published by Cambridge University Press,1987 ,pp 144, 145.

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص 271.

[4]Jacob G.Ghazarian , op.cit.,p 102 ; Bernard hameilton, op.cit, p 147.

[5]Natasha R. Hodgson, **Women**,**crusading and the holy land in historical narrative**,the boydell press,1st ed.,U.K,2007,p76.

[6] – عبد الحافظ محمد علي، مشكلات الوراثة، ص 16؛ أنظر:Bernard hameilton ,Op.cit ,p146

[7] – **فولك أنجو**: أمير فرنسي رشحه الملك لويس السادس لبلدوين الثاني ملك بيت المقدس زوجًا لابنته الكبرى ووريثته على عرش مملكة بيت المقدس، حيث استقبله بلدوين وزوجه ابنته وأقطع له مدينتي صور وعكا. وأعده سياسيا وعسكريا لاعتلاء عرش المملكة من بعده؛ للمزيد، أُنظر: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 284. يوسف الدبس، المرجع السابق، مج 6، ص 58.

زوجها فولك في شؤون إمارة أنطاكية سنة 531 هـ/1136 م لتفسح المجال إلى عودة أختها **آليس** (Alice) النصف أرمينية أيضا من منفاها وإطلاق يدها في إدارة شؤون أنطاكية رغم معارضة بارونات الإمارة[1].

استفردت ميليسندا بالمنصب الملكي بعد وفاة زوجها، باعتبارها وصيةً على ابنها بلدوين الثالث القاصر حتى يبلغ السن القانوني [2]، وقد عرف عنها حكمتها وميولها للطوائف المسيحية الشرقية، والشاهد على ذلك أنها حلت أزمة طائفة اليعاقبة الأقباط في بيت المقدس[3]، فعندما فر هؤلاء من كنائسهم بالقدس جراء الحملة الصليبية الأولى قام اللاتين بالاستيلاء عليها لصالحهم، حاول اليعاقبة استعادتها مرارا إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل حتى تدخلت الملكة ميليسندا سنة 531 هـ/1137 م، وأمرت بإرجاع جميع أملاك الكنيسة القبطية اليعقوبية، وفسّر البعض ميولها الشرقي هذا كون أمها تنتمي للشعب الأرميني الذي كنيسته محسوبة على المذهب اليعقوبي أيضا، يُضاف إلى ذلك أنّ **أردا** (Arda) كانت على مذهب الرومالأرثوذكس، وميليسندا نشأت في مجتمع رهاوي مسيحي شرقي أيضا[4]، ما جعلها توصي بكل أملاكها بعد وفاتها لدير القديس سابا الأرثوذكسي كما فعلت والدتها [5].

لعبت كل واحدة من أخواتها دورا في حكم إحدى الإمارات الصليبية، حيث تزوجت **آليس**(Alice of Jerusalem) سنة (520 هـ/ 1126 م) بأمير أنطاكية **بوهيموند الثاني**(Bohemond II) في صفقة سياسية، لتنجب له طفلة هي الأميرة **كونستانس** (Constance) التي صارت الوريثة الشرعية لإمارة أنطاكية، وذلك وفقاً للقانون الإقطاعي الغربي[6]، غير أنها حين وفاة والدها بوهيموند الثاني لم تكن قد تجاوزت السنتين من عمرها، لتنتزع الوصاية والدتها آليس التي ستدخل في صراع مع والدها الملك بلدوين الثاني ثم مع خليفته فولك، وكذلك مع السلطة الدينية الكاثوليكية في أنطاكية، ولأن الكل انقلب ضدها ستلجأ للتحالف مع المسيحيين الشرقيين من داخل الإمارة وخارجها[7]، حتى أنها سعت لتزويج ابنتها من أمير أرثوذكسي بيزنطي من

[1] – عبد الحافظ محمد علي، مشكلات الوراثة، ص 30.

[2] – الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 799 – 800.

[3]Christopher MacEvitt ,**crusades and the Christian world of the east rough tolerance**,university of Pennsylvania press Philadelphia, U.S.A, 2008, p 122.

[4] – عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة، ص 31.

[5]Bernard hameilton ,Op.cit.p156.

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ص 532.

[7] – رنسيمان، الحملات الصليبية، ج 2، ص 230.

أسرة آل كومينين[1]، ومنه تسليم عرش أنطاكية الصليبي إلى غرمائهم من الروم الأرثوذكس[2]، أما الأخت الثالثة **هوديرنا** (Hodierna) ابنة بلدوين الثاني فتزوجت بكونت طرابلس **ريموند الثاني** (Raymond of tripol) سنة 531 هـ/1133 م)[3].

لم يستقطب ملوك بيت المقدس في زواجهم السياسي الأرمينيات فقط، بل فرضت عليهم مصالحهم مع البيزنطيين الزواج من **ملكانيات**، فتزوج **بلدوين الثالث** ملك بيت المقدس (593 – 558 هـ /1144– 1162 م)، من الأميرة **ثيودورا** (Theodora) ابنة إسحاق الأخ الأكبر للامبراطور البيزنطي مانويل كومينين[4]، وتزوج **عموري الأول** Amolric I ملك بيت المقدس (1162 – 1174م / 558 – 570 هـ) من **ماريا كومينينا**Marie Comnene، قريبة الإمبراطور البيزنطي مانويل من أجل تعزيز التحالف العسكري مع البيزنطيين بعد حملته الفاشلة على مصر، فولدت له بنتا هي **إيزبيلا** التي ستصبح ملكة على بيت المقدس أيضا[5].

أما بالنسبة لكونتات الرها، فاستمر تقليد الزواج السياسي مع خلفاء بلدوين الثاني على الكونتية ونبلائها حيث تزوج **غاليران** (Galeran of Le Puiset) – ابن خالة جوسلين الأول – من ابنة سيد البيرة الأرميني "أبو الغريب" الذي سوف يتنازل لغاليران عن البيرة ويستقر في عين زربة[6] بقليقية[7].

---

[1] – أرسلت الأميرة أليس سنة 530هـ/1135م إلى الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين، تعرض عليه زواج ابنتها الأميرة كونستانس من ابنه مانويل. وقد صادف هذا العرض قبولا حسنا من قبل الإمبراطور، لأن ذلك يعني دخول أنطاكية في تبعية بيزنطة. وبذلك، وتحقق هدفها بالاستقلال، غير أن تدخل نبلاء أنطاكية وملك بيت المقدس فولك حال دون ذلك؛ أُنظر: أحمد عبد الكريم سليمان، عبد الحافظ محمد علي، **المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري والتاسع والثاني عشر الميلادي**، دار النهضة العربية، 1982، ج 2، ص74.

[2] – رنسيمان، الحملات الصليبية، ج 2، ص 230 – 231.

[3] –Guida M.Jackson, **women leaders of africa** , **asia**, **Middle east**,**and pacific**,Xlibris Corporation, U.S.A , 2008,p 219.

[4] – وليم الصوري ، **تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار**، ضمن سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، 1995،ج 7، ص 226.

[5] – إمام الشافعي محمد حمودي، أشرف صالح محمد سيد، **الانحراف الجنسي في عصر الحروب الصليبية**، دار البشير للثقافة والعلوم، ط 1، 2018، ص 83؛ سعيد البيشاوي، **ممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 118.

[6] – **عين زربة:** بلد كان يسمى قديما سيزاريا، وهي مدينة مشهورة بالثغور الشامية قرب المصيصة بين سيس وتل حمدون. تقع هذه البلدة في جبل ذات قلعة مستعلية عنها وهي عامرة آهلة. لها نهر وبها ثمار كثيرة حسنة وافرة الخيرات؛ للمزيد، أُنظر: الإدريسي ت. 560 هـ، **نزهة المشتاق في**

تزوج جوسلين الأول(Joscelin I De Courtenay) كونت الرها (1119 - 1131م/513 – 526 هـ) من أميرة أرمينية أيضا هي شقيقة توروس الأول أمير قليقية[1]، ورُزق منها بابن سيكون وريثه على عرش الكونتية وهو **جوسلين الثاني** والذي لقبته المصادر العربية بجوسلين الأرميني[2] كونه نصف أرميني ولأنه تزوج أيضا من **بياتريس من زردنا** (beatrice of zerdana) أو **بياتريس من صهيون** (beatrice of saone) حسب مصادر أخرى[3].

تولت **بياتريس** مهاما سياسية وعسكرية بعد هزيمة زوجها أمام المسلمين ثم وفاته، وأصبح لها حق التصرف في بقايا قلاع كونتية الرها الصليبية التي سقطت في يد الزنكيين، بل وصل بها الأمر إلى تسليم كل من: تل باشر، والراوندان، وسميساط، وعينتاب ودلوك وألبيرة[4] للبيزنطيين مقابل قيمة من الذهب وتوفير دخل ثابت لها ولأولادها، محتفظة بقلعة واحدة هي قلعة الروم الواقعة على الفرات، ولأنه عرف عن بياتريس تعصبها للكنيسة الأرمينية وعقيدتها المونوفيزتية، نجدها قد سلمت القلعة إلى الكاثوليكوس الأرميني جريجوري الثالث (Greogere III)[5].

- **المناصب الإدارية والقضائية:**

اعتمد حكام كونتية الرها الصليبيون على نسبة كبيرة من الموظّفين الأرمن والسريان في مؤسسات حكمهم، وذلك لتميز هؤلاء بالحنكة الإدارية وتشربهم للنّظم البيزنطيّة، فشارك كبار أعيان الأرمن ونبلائهم والسريان في المجلس الاستشاريّ المعروف بمجلس الإثنى عشر المأخوذ عن النظم البيزنطية في الرُّها[6]، لكن بعد ازدياد هجرة الفرنجة، بدأ بلدوين دي بويون يحد من الأعضاء الأرمن والسريان في المجلس الاستشاريّ، مدعما لعضوية الفرنج

اختراق الآفاق، اعتنى به أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020، ص 464؛ ابن الأثير الجزري ت. 630 هـ، **اللباب في تهذيب الأنساب**، تح. عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، د. ط، بيروت، 2000، ج 2، ص 135.

[7] Christopher MacEvitt , op.cit.,p 88.

[1] – فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 53.

[2] – ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح. يوسف علي الطويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، 2012،ج 2، ص 274.

[3] Robert lawrence Nicholson,**Joscelyn III and the fall of the crusader states 1134–1199**, E.J. Brill, 1973,p1,2.

[4] – أُنظر الملحق رقم 03 التوضيحي لمجال الرها الجغرافي مع تحديد أهم حواضرها و هويتهم الطائفية.

[5] رنسيمان، الحملات الصليبية،ج 2، ص 318؛ فاطمة سليم الطراونة، المرجع السابق، ص 159.

[6] _Corliss K. Slack , **Historical Dictionary of the Crusades** ,2nd ed, the scarecrow press, U.K , 2013,p103

على حسابهم[1]، ولم يلبث الفرنجة أن أصبحوا طبقة عسكريّة حاكمة، تحكم عناصر مسيحية شرقيّة حُصِرَ نشاطها في الزّراعة والتّجارة[2].

أدار المسيحيون المحليون أيضا بعض المناطق المحيطة بإمارتي الرها وأنطاكية تابعين للحكام الصليبيين فيها، وأخلصوا في الأعمال التي أوكلت إليهم، فعهد بلدوين بإدارة تل باشر والراوندان إلى أميرين أرمنيين، كما أقرّ الأرمن الذين أعلنوا تبعيّتهم له مباشرة في الرُّها على إماراتهم الأرمينية وإقطاعاتهم[3].

جعل بلدوين الثاني على رأس أولوياته – بعد استلامه حكم الكونتية – تحسين علاقته بالنصارى الذين بدؤوا يأخذون صورة سيئة عن الصليبيين جراء أزمتهم مع الكونت السابق بلدوين الأول، ما جعله يقوم بخطوات ترميمية لهذه العلاقة بداية من زواجه بابنة أمير ملطية[4] الأرميني، ورفع من شأن النبلاء الأرمن الذين أهينوا في عهد سابقه[5]، هذه الخطوة فعلت فعلها في معالجة الآثار التي نجمت عن محنة الأرمن، وساهمت في الربط بين مصالح الأرمن ومصالح الكونتية الصليبية، لذلك، فقد شهدت هذه الحقبة تحركات أرمينية واسعة للتقارب مع الصليبيين داخل الكونتية وخارجها [6].

اعتمدت إمارة أنطاكية على المسيحيين المحليين بشكل واسع وأصبحوا بمكانة النبلاء والسادة اللاتين داخل التراتبية الإدارية الإقطاعية[7]، ويُرجع رانسيمان[8] هذه السياسة إلى العقلية النورماندية المستمدة من أبناء

---

[1] _ Matthieu d'Edessa, **Chronicle**, **in Recueil des Histoiens des Croisades Documents Armeniens**, Paris , 1869, vol.1, p.53.

[2] _ Grousset rené, **Histoire des Croisades**, Librairie Academique Perrin, Paris , 1968.Vol.1 pp.62.

[3] _ Setton Kenneth M. , **A History of the Crusades**, Universtiy of pensylvania Press, , Edited py Marshall W. Baldwin , V.1,p 302.

[4] – **ملطية**: بلد من جملة بلاد الشام ،قديماكانت تدعى ملطينة ،وهي مدينة محصنة من أكبر مدن الثغور ، بها جبال كثيرة غير أن الروم تغلبوا عليها مرات فغيروا محاسنها وسلبوا نعمها ، ومنها إلى سميساط أحد وخمسون ميلاً، وتعد من أشهر مدن ارمنية الصغرى؛ أنظر: الادريسي، المصدر السابق، ص 468؛أبو الفداء، تقويم البلدان،ص 235.

[5]– **المؤرخ السرياني المجهول**،الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، تر. وتح. سهيل زكار ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ط.1 ، دمشق 1984 م ، ج.2،ص 462.

[6]– سعيد عاشور ،الحركة الصليبية، ج1،ص 425–427 ؛فاطمة الطراونة ،**دور الأرمن في الحروب الصليبية 1096؛ 1152م، رسالة ماجستير جامعة مؤتة**،الأردن ، 2002، ص 127،128.

[7]– فتحي اللهيبي، ،المرجع السابق، ص 55،56.

[8]– المرجع السابق، ج.1، ص 355 ،356،

عمومتهم في صقلية، لأنهم وجدوا في أنطاكية مجتمعا محليا متعلما من أصل يوناني وسوريايي وأرميني باقيا منذ العصور البيزنطية، شبيها بتلك التركيبة التي وجدوها وتعاملوا معها في صقلية غداة إنشائهم مملكتهم فيها وفي جنوب ايطاليا، فعزز أمراء أنطاكية أنفسهم باستغلالهم للمسؤولين المولودين محليا والذين كانوا يعتمدون كلية على مَنْ كان الأمراء يولونهم من معروف.

عُيِّنَ في كل من أنطاكية واللاذقية وجبلة سيد برتبة دوق والذي كان مسؤولا بشكل كامل على البلدية، والأمير هو الذي يعينه أو يفصله كما يحلو له، لكن أثناء فترة توليه لمنصبه يبدو أنه كان عضوا من أعضاء المحكمة العليا، ودائما ما كان دوق اللاذقية ودوق جبلة يعينون من بين المسيحيين المحليين، أما دوق أنطاكية فكان ذا مولد فرنجي نبيل، غير أن من يساعده هو فيكونت[1] يكون غالبا من المسيحيين المحليين أيضا[2].

ارتبط حكام كونتية طرابلس بطائفة الموارنة أيما ارتباط، ومنحوهم امتيازات إدارية دونا عن بقية الطوائف المسيحية القاطنة بالكونتية، وأولى هذه الامتيازات هو حفاظ الموارنة على نوع من الاستقلال الإداري والسياسي لجبل لبنان مركز تواجد الطائفة رغم دخوله ضمن حكم الصليبيين[3]، فصار يحكُمهم أعيانُهم على طريقة الإقطاعيّين، ومرجعهم بطريكهم وإليه ترجع زعامة الطائفة.

أُدمج الموارنة في الوظائف الإدارية المنظِّمة للعلاقة بين الحكام أو الأسياد والسكان المحليين، من خلال اعتماد منصب (الريس Rays) أو "المختار"[4] ضمن التراتبية الإدارية الإقطاعية الصليبية، وكان المختار في الغالب أحد رؤساء العشائر المحلية المكلف بشؤون المسيحيين الوطنيين، والمسؤول أمام الملك أو السيد الإقطاعي عما يدور في المجتمع المحلي، كما كان له الحق في المشاركة في المحكمة الصغرى للقرية الإقطاعية[5].

---

[1] – **الفيكونت**: من أهم موظفي الإدارة الإقطاعية ينوب عن الملك الصليبي في إدارة شؤون الوحدات الإقطاعية الكبرى ويتولى جباية الضرائب المحلية ويرسلها إلى خزينة الدولة الصليبية. وكان مسؤولا عن المحاكم المحلية وعن حفظ الأمن بوجه عام؛ أنظر: رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 488؛ مصعب حمادي نجم الزيدي، المرجع السابق، ص 98.

[2] – رانسيمان ، المرجع السابق، ج.1، ص356.

[3] – علي عبيد الريكاني، **الطائفة المارونية في لبنان منذ النشأة الى نهاية الحملات الصليبية (398–1292م)**، مجلة قضايا تاريخية، ع 3، العراق، 2016، ص 36_49.

[4] – تجدر الإشارة إلى أن نظام رؤساء القرى كان معمولا به ومعروفا قبل مجيء الفرنجة إلى الشام ولفظ "**الريس**" مستمد من الكلمة العربية الرئيس؛ أُنظر: على سيد علي، **العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط 1، مصر، 1996، ص 175 – 176.

[5] – أحمد حطيط، **سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية 1098_ 1290م**، دار المحجة البيضاء، ط 1، لبنان 2010، ص 127.

تقلد المسيحيون المحليون جملة من الوظائف الإدارية، ولعل أبرزها الكتبة والمترجمون وهم مساعدو الرياس، ويذكر أن عدد الكتبة (scribani) في طرابلس خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي زاد بشكل ملحوظ، وكان بعضهم أعضاء في المحاكم البرجوازية المحلية، أما المترجمون (dragoman) فرغم أن معظم أسمائهم الواردة كانت لاتينية، فثمة مايؤكد وجود العديد من المترجمين من المسيحيين المحليين الذين أتقنوا اللغة العربية واللغات الأوروبية الوافدة عليهم[1].

تمتع المسيحيون الشرقيون في ظل الحكم الصليبي بنوع من الاستقلالية القضائية، حيث وُجد نوعان من الهيئات القضائية ارتبطت وظيفتها بالمسيحيين الوطنيين، وهما محكمة الفندق أو السوق (Cour de la Fond)، والتي يبدو أن مجلسها القضائي يتألف من ستة أعضاء، أربعة من الفرنجة واثنان من الوطنيين الشاميين، وكذلك محاكم السكان الوطنيين (Civil Courts) في مختلف إقطاعيات الإمارات الصليبية، وكانت هذه المحاكم تختص بالقضايا المتعلقة بالسكان المحليين من غير الفرنجة، المقيمين في مدن المملكة وقراها، وذلك على أساس ديني، أي كان للمسيحيين الشرقيين (بمختلف طوائفهم) ولليهود وللمسلمين، محاكم تحكم بحسب قوانين كل طائفة[2].

2. المسيحيون الشرقيون والنظام الحربي الصليبي:

تَدعَّمت التركيبة البشرية للجيش الصليبي في مملكة بيت المقدس وبقية الإمارات الصليبية بالعديد من العناصر المسيحية المحلية، وذلك بسبب النقص العددي اللاتيني، وكانت أكثر الطوائف انضماما إلى الجيوش الصليبية هي طائفة الأرمن والموارنة الذين عملوا فرسانًا وجنودًا تحت القيادة الصليبية[3].

أصبح المسيحيون الشرقيون بمرور الوقت جزءا من هيكلة الجيوش الصليبية خاصة مع اعتماد الصليبيين على فئة **المرتزقة** (The Mercenary) داعما للتشكيلة العسكرية الصليبية، فنجدهم منتشرين في أغلب أقسام الجيش بداية بما عرف **بالسرجندية[4]The Sergents**، وهم مِن الوطنيين أو مِن عامة الصليبيين

[1] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 345. أحمد حطيط، المرجع السابق، ص129.

[2] – سعيد البيشاوي، ممتلكات الكنسية، ص75.

[3] – ر. س. سميل، **فن الحرب في المائة الأولى**، تر. سهيل زكار في الموسوعة الشاملة، دار الفكر، ط 1، دمشق، 2008، ص 83.

[4] – **السرجندية:** مصطلح يطلق على مجموعة من الجنود المسلحين بأسلحة خفيفة والمستعدين دائما للقتال. وقد يختلف الاستعداد بين هؤلاء الجنود المشاة من حيث المهارة والتجهيز العسكري. فيسمى فرد المشاة الذي يحمل السلاح في الجيش الإقطاعي فترة العصور الوسطى بالأعزل أو السوقة (Imbellis) وما أن يتسلح ويصبح مهيأ لقتال العدو ويتلقى تعليماته من قائد المجموعة التي يتبعها حتى يصبح جندي مشاة ويسمى بيادة

المتواجدين بإقطاعيات أسيادهم، ولأنهم لم يتمتعوا بالنسب الشريف مثل الأسياد، تزوجوا من المسيحيات الوطنيات[1].

استحدث الصليبيون أيضا فرقة محلية ضمن الجيوش الإقطاعية، ونجدها كذلك ضمن فرسان الجماعات الدينية الداوية والإسبتارية[2]، ونقصد بذلك فرقة **التركوبولي Turcopolier**)، التي ورد ذكرها في الكثير من المصادر التاريخية التي تتحدث عن الجيوش الصليبية، فهذا أسامة بن منقذ[3] يذكر تعداد جيش كونتية طرابلس فيقول إنه يضم "،،،**ثلاثمائة فارس ومائتي تركبولي، وهم رماة الإفرنج**"، كما تحدث عنهم عماد الدين الأصفهاني الكاتب[4] في وصفه للجيش الصليبي "... **أن العدو ركب في سبعمائة فارس وألف تركبولي ومعه ألف رجل...**"، وذكرهم ابن واصل[5] فقال: "... **ولم يزالوا سائرين حتى أتوا عين جالوت، فنزلوا عليها، وهم ألف وخمسمائة رمح، ومثلهم تُركُبُولِي وخمسة عشر ألف راجل**"، وغيرها من المصادر التي تكرر فيها ذكر هذه الفرقة الحربية.

اختلف المؤرخون في تحديد طبيعة التركيبة الطائفية لعناصر التركوبولي بين من يرى بأنها كتيبة شملت عناصر من قسم الفرسان والمشاة من طائفة الأرمن، وكذلك فئة من حملة الأقواس ينتمون غالبا إلى طائفتي السريان والنساطرة، أي أنها تشكلت من عناصر مسيحية محلية[6]، بينما يذهب آخر إلى أنها ضمت بين صفوفها مرتزقة من المسلمين التابعين للإمارات الصليبية، فيما يؤكد رأي ثالث أن من انضم لهاته الفرقة من المسلمين إنما هم من

(Pedites). واختلف المؤرخون في كون عبارة عن جنود مشاة فقط أو أن منهم الفرسان يحملون أسلحة خفيفة؛ للمزيد، أُنظر: ر. س. سميل، المرجع السابق، ص 153. محمد على اسماعيل وآخرون، المرجع السابق، ص 245 – 246.

[1] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 292.

[2] – طالب عبد الفتاح صواني، **القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الاسلامي 294– 196هـ/1099– 1219م**، مؤسسة أسوار، ط.1، عكا، 2000، ص67. مصطفى محمد حناوي، **عصر الحروب الصليبية الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي** ، مكتبة الرشد، الرياض، 2004، ص 133.

[3] – الاعتبار، ص 51.

[4] – الفتح القسي في الفتح القدسي، ليدن، 1888، ص 14.

[5] – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج 2، ص 149 – 150.

[6] – يحي حسين عمار، **تاريخ الملك العادل نور الدين محمود الدولة الزنكية في الموصل وحلب ودمشق**، د. ن، ط 1، بيروت، 1991، ص99.

المرتدين للمسيحية، وذلك لأن الصليبيين كانوا يرفضون انضمام المسلمين إلى صفوفهم وإن كانوا مرتزقة مأجورين[1]، ومهما يكن فإن النواة الرئيسية التي تكونت منها هذه الفرقة هي من السكان المحليين المسيحيين[2].

التركوبولي لفظة يونانية معناها أبناء الترك، وهو مصطلح أطلقه البيزنطيون على إحدى الفرق العسكرية لديهم التي ظهرت غالبا بعد معركة ملاذ كرد 463 هـ/1071 م، أين استحدث البيزنطيون فرقة مكونة من المرتزقة الأتراك، لها دراية بأسلوب الحرب الخاطفة التي برع فيها السلاجقة[3]، إذن، فهذه الفرقة عبارة عن محاكاة للتنظيم العسكري البيزنطي حيث استحسن الفرنجة هذه الإستراتيجية لتُجسد على أرض الواقع ويصبح التركوبولي من أعمدة الجيش الصليبي في المشرق، وأهم ما ميزها عن مثيلتها البيزنطية هو أن عناصرها أغلبهم كانوا من الطوائف المسيحية الشرقية[4].

3. المسيحيون الشرقيون والسلطة الدينية الصليبية

حاول الصليبيون التوأمة بين السلطة الدينية والزمنية في المملكة، حيث أشارت وثائق محكمة بيت المقدس إلى صلاحيات الكرسي المقدسي، وجاء فيها أن بطريرك القدس والملك الصليبي يتشاركان حكم دولة القدس الصليبية بتقاسم السلطة فيها[5]، **ومنه** فإن السلطة الدينية نافست السلطة الزمنية، غير أن أول حكامهم الأمير جودفري اعتبر نفسه حاميا للقبر المقدس (Advocatus Sancti Sepulchri)[6] وتابعا للكنيسة على غرار النظام الإقطاعي الذي كان سائدا في أوروبا، وجاء اختياره لهذا اللقب اعترافا منه بأن الدولة الجديدة ليست لها الصفة السياسية فحسب، بل لها الصفة الدينية التي تجعل للكنيسة نوعا من الإشراف عليها[7]، وبالمقابل

---

[1] Brian todd carey and others, **Warfare in the Age of Crusades The Latin East** ,1st ed, PEN & SWORD BOOKS, LIMITED ,England , 2022, p.59.

[2] – أنظر: Brian todd carey and others, Op.cit,pp 59, 60 ; Ian heath, **Armies and enemies of the crusades 1096–1291**, 2.ed, a wargames research group Ltd publication, 2019,pp 126, 127.

[3] – ر. س. سميل، المرجع السابق، ص 75؛ Ian heath , Op.cit ,p126; Steve tebble, **the crusader armies 1099–1187** ,**Yal university press**,U.K. ,2018 ,p 108.

[4] – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج. 2، ص 149– 150.

[5] – إرنست باركر، **الحركة الصليبية**، تر. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط. 2، لبنان، 1967، ص66.

[6] – رفض الأمير جودفري أن يصبح ملكا ويرتدي تاجا من الذهب في المكان الذي ارتدى فيه المسيح (عليه السلام) حسب قوله تاجا من الشوك؛ أنظر: الشارتري، تاريخ الحملة، ص111؛ الصوري، تاريخ الحروب، ج.1، ص 456 – 457 .

[7] – عبلة المهتدي الزبدة، **صلاح الدين و تحرير القدس**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1994 م، ص 42.

نجد أن بطريرك القدس تمتع بصلاحيات واسعة إلا أن سلطته بقيت ضعيفة أمام قوة ونفوذ الملك الصليبي[1]، فمعظم البطاركة كانوا أوفياء للملوك الصليبيين ومؤيدين لهم باستثناء قلة منهم[2].

أبقى الصليبيون على التنظيم الكنسي الذي ساد بلاد الشام في الفترة الإسلامية، والذي ينص على أن يكون بتلك البلاد كرسيان بطريركيان كبيران يترأسان الإدارة الكنسية للطوائف المسيحية الشرقية، أحدها في القدس والآخر في أنطاكية[3]، لكنّ الصليبيين أعادوا النظر في تقسيم الأبرشيات[4] التابعة لهذين الكرسيين، فنشأت تدريجيا خمس أبرشيات كبرى[5] تابعة للكرسي البطريركي المقدسي يرأس كل منها رئيس أساقفة، وهي أبرشيات صور وقيصرية وبيسان وبصرى وعمان، وخضع لرئيس أساقفة صور كل من أسقف بيروت وأسقف صيدا وأسقف بانياس وأسقف عكا، وخضع لرئيس أساقفة قيصرية أسقف سبسطية، ولرئيس أساقفة بيسان أسقف طبرية وجبل الطور[6].

أما كرسي أنطاكية فأبقوا له خمس عشرة أبرشية عوض ست عشرة أبرشية، وهي أبرشيات المصيصة والبارة وأفامية ومنبج والرها وبانياس وجبلة طرابلس واللاذقية وحارم أو (أرتاح)، ومرعش وقيسون وقوروش ورفنية وطرطوس وجبيل، ونزعوا منه أبرشية صور وسائر فينيقية الساحلية التي ضُمت إلى بطريركية بيت المقدس، فنشأ خلاف عنيف بين البطريركيتين دام أعواما طوالا، أصرت فيه بطريركية بيت المقدس بوجوب الملائمة بين الحدود السياسية والحدود الكنسية، مستندة في ذلك إلى التعليمات الصادرة عن البابا أوربانوس الثاني، واستمسكت

---

[1]– رانسيمان، تاريخ الحروب، ج. 2، ص498؛ هانس إبرهارد ماير، **تاريخ الحروب الصليبية**، تر. عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، 1990، ص 248.

[2] – من أشهر البطاركة الذين حاولوا تحدي السلطة الزمنية في مملكة بيت المقدس هو الفرنسي ستيفن الشارتريStephen Chartres (522–524هـ/ 1128–1130م)، رجل دين وصل إلى الأرض المقدسة في رحلة حج، وعندما توفي البطريرك جرمون وقع اختيار رجال الدين عليه ليكون بطريركا لبيت المقدس وقد توفي سنة 1130م/ 524هـ، ساءت علاقته بالملك بلدوين الثاني كثيرا، لا سيما أنه حاول إعادة السيادة البطريركية على المملكة؛ أُنظر: يعقوب الفيتري، **تاريخ بيت المقدس**، تر. سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط. 1، الأردن، 1998، ص 91.

[3] – الصوري، تاريخ الحروب، ج.1، ص 562.

[4] – **الأبرشية**: كلمة يونانية معناها الإقليم، وهي مقاطعة أو ولاية الأسقف أو المطران، وتطلق على المنطقة التابعة للتقسيم الإداري الكنسي، يرعى شعبها المطران أو الأسقف ويساعده الشمامسة والكهنة؛ أُنظر: عبد المنعم عبد الله خلف الدليمي، **الألفاظ اليونانية في المؤلفات العربية وتأصيلها**، دار غيداء للنشر، 2017، ص 37.

[5] – أُنظر الملحق رقم 04 الموضح للأبرشيات التابعة لكرسيي أنطاكية وبيت المقدس و الخلاف الطارئ زمن الصليبيين.

[6] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 296.

بطريركية أنطاكية بقرارات المجامع المسكونية ووجوب إبقاء القديم على قِدَمِهِ مطالبة بإعادة الأبرشية إلى كنيستها الأم[1].

عمل الفرنجة منذ دخولهم بلاد الشام على إضفاء تغييرات إدارية على مستوى المؤسسة الدينية، بدأت بتقليص سلطة رجال الدين المسيحيين الشرقيين وسلب ممتلكاتهم باعتبارهم هراطقة ضالين ومنشقين عن الكنيسة[2]، فعينوا بطريرك لاتينيفي القدس مباشرة بعد احتلالهم للمدينة عام 492هـ/1099م، وهو أرنولف Arnulf مستغلين في ذلك فرصة تغيب بطريركها اليوناني سمعان الثانيSymeonII (1092-1099م/ 485- 492هـ)، الذي غادر المدينة واتجه إلى قبرص قبل وصول الصليبيين، وقد سيطر أرنولف على الشؤون الروحية للمسيحيين في القدس وأبعد القساوسة الذين يؤدون الشعائر الشرقية[3]، كما تمتع بامتيازات واسعة تمثلت في امتلاكه حيّا خاصا به في القدس مع حرية إصدار القوانين والتشريعات الدينية[4].

مورست على كرسي أنطاكية نفس القرارات التعسفية، فرغم عدم شغور بطريركيتها عشية الاحتلال الصليبي فإن بوهيمند الأول أمير أنطاكية (1098 - 1108م / 491هـ- 501هـ) قام بطرد البطريرك اليوناني حنا الرابع John IV ، وعين بدلاً منه بطريرك لاتيني يُدعى برنارد دي فالنس Bernard De (1135 Valence- 1110م / 504هـ- 529هـ)، الأمر الذي ترتب عليه ازدياد هوة الخلاف بين اللاتين وكنيسة الشرق وأوجد صدعا بينهما[5]، خاصة مع لجوء بطريرك أنطاكية الى القسطنطينية وممارسة صلاحياته من هناك الى غاية سقوط إمارة أنطاكية الصليبية [6] .

---

[1] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 296.

[2] – فرح فرزلي، **مسيحيو المشرق في عهد الفرنجة**، ص 555.

[3] – عبد العزيز جمال الدين، **تاريخ مصر من خلال مخطوط تاريخ البطاركة لابن المقفع ابن المقفع**، مكتبة مدبولي، ط. 1، القاهرة، 2006، ج. 3، مج. 2، ص 1222.

[4] – رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص498؛ هانس إبرهارد ماير، المرجع السابق، ص 248.

[5] – ميخائيل السرياني، **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير**، تعريب صليبا شمعون، تق. يوحنا إبراهيم، دار ماردين للنشر، حلب، 1996، ج 3، ص 153؛ براور، عالم الصليبيين، ص 103 – 104؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج.1، ص 479 – 480. سمير عبده، المسيحيون السوريون، ص 87؛ أنظر أيضا: Hamiltton Bernard **thelatin church in crusader states the Secular Church**,Variorum publications ltd london 1980, pp, 178-183.

[6] – أنظر الملحق رقم 05 وهو عبارة عن جدول يوضح حالة الانفصال الجغرافي والسياسي في البطريركية الأنطاكية خلال القرنين 12 و13 الميلاديين بسبب العدوان الصليبي عليها.

لم تقتصر عملية إحلال رجال الدين اللاتين محل رجال الدين الشرقيين على المنصب البطريركي فقط، بل شمل حتى المناصب الأسقفية التي طُرد منها الشرقيون وعُيّن مكانهم أساقفة لاتين باعتبارها شاغرة، وألزموا رجال الكنائس البيزنطية والمشرقية بالاعتراف بالأساقفة اللاتين الجدد والخضوع لهم، وما زاد الطين بلة هو تلك التداعيات التي نجمت عن تكريس الكنائس اللاتينية تحت سماء بلاد الشام وما أعقبها من دمار للكنائس الشرقية وما صحبها من سلب ونهب لممتلكات هذه الكنائس، وهو الأمر الذي كان يبرره اللاتين بأنهم الورثة الشرعيون لأملاك روما الشرقية، وقد ظهرت هذه العملية بوضوح في الكنائس الكبرى وفي المدن أكثر من الريف[1].

وكان نتيجة ذلك حدوث حالة من التوتر الدائم بين الطوائف المسيحية الشرقية وبين اللاتين، خاصة مع عدم اعتراف بطاركة الطوائف المشرقية بالبطريركيتين اللاتينيتين التي استحدثها الصليبيون في كل من أنطاكية وبيت المقدس، واعتبروا الإقدام على تنظيمهما عملا مخالفا لنصوص المجامع المسكونية، إذ لا يجوز أن يكون للأبرشية الواحدة أكثر من رئيس واحد، ورأوا في تدعيم السلطات لهذا العمل الشاذ اغتصابا لا مبرر له[2]، ليجتمع بطاركة بيت المقدس الشرقيون بعد وفاة سمعان الثاني، وينتخبوا **أغابيوس الأول Agabius**[3] خلفا له، ثم نقلوا الكرسي البطريركي من قبرص إلى القسطنطينية مؤكدين الاحتفاظ بالسلطة الروحية في بيت المقدس وسائر المشرق، مع بقاء الشرائح الدنيا من رجال الدين الشرقيين في المقاطعات الصليبية وإقرارهم بالتبعية السياسية اللاتين لتسيير شؤون رعاياهم المستقرين هناك، مع الاحتفاظ بطقوسهم ومراسمهم الدينية المتمايزة في كنائس حساسة مثل كنيسة الميلاد ببيت لحم وكنيسة االقيامة[4].

أما بالنسبة للأرمن فقد حاول رجال الدين اللاتين في البداية فرض سيطرتهم على الإكليروس[5] الأرميني، ولكن قوبل ذلك بكراهية ورفض شديد من جانب رجال الدين الأرمن، ثم وجد اللاتين أن هذه السياسة سوف تؤدى إلى عدم مساندة الأرمن لهم ضد أعدائهم المسلمين والبيزنطيين، فأحسنوا للإكليروس الأرميني وتركوا لرجال الدين الأرمن كنائسهم وأديرتهم ولم يتدخلوا في شؤون عقيدتهم، وإزاء هذا الموقف حضر العديد من أساقفة الأرمن

---

[1] – براور، الاستيطان الصليبي، ص 268.

[2] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص257؛ براور، الاستيطان الصليبي، ص 268– 269.

[3] – أُنظر الملحق رقم 06 جدول بأسماء بطاركة بيت المقدس الشرقيين الذين لجأوا للقسطنطينية خلال فترة الوجود الصليبي.

[4] – براور، عالم الصليبيين، ص 104.

[5] – **الإكليروس**: **Clergé** كلمة يونانية الأصل ومعناها القسم أو الميراث، حيث اصطلح على خدمة الدين عند النصارى بالإكليروس إشارة الى كونهم قسم الرب أو ميراثه. وذهب البعض إلى القول بأنها دلالة على رتبة أو مقام من يتولونإقامة ورعاية العبادات في الكنائس التي يسوسها أساقفة. والمراتب الإكليريكية الرئيسية ثلاث هي: الأسقف، والقس، والشماس؛ للمزيد، أُنظر: بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، مج. 4، مطبعة المعارف، بيروت، 1880م، ص 146 – 147.

عددا من المجامع الكنسية التي عقدتها الكنيسة اللاتينية في بلاد الشام، وأبدوا استعدادهم لقبول سيادة روما، وأصبح أساقفتهم ورؤساء أساقفتهم في بلاد الشام مساعدين للبطاركة اللاتين[1] .

المبحث الثاني: النشاط العسكري للطوائف المسيحية الشرقية مع الصليبيين 504–690هـ/ 1110م–1291م .

وقفت الطوائف المسيحية الشرقية إلى جانب الصليبيين في صداماتهم العسكرية ضد المسلمين، وذلك بنسب تفاوتت من طائفة إلى أخرى، وقد لاحظنا أن أكثر الطوائف مساندة للصليبيين هما طائفتا الأرمن ثم الموارنة وذلك لأسباب دينية وسياسية متعددة، وتليها بقية الطوائف الأخرى التي كان تواصلها مع الصليبيين محتشما مثل طائفة النساطرة، وأخرى وصلت علاقتها مع الصليبيين حد القطيعة مثل طائفة الأقباط أو التي تحالفت مع المسلمين ضد الكيانات الصليبية في بعض الوقائع الحربية كالملكانيين والسريان أحيانا، هذا الأمر الذي يفرض علينا في سردنا للأحداث التاريخية العسكرية إلى التركيز على إمارات صليبية دون أخرى.

1. مشاهدات من الدعم العسكري الأرمني والسرياني للصليبيين:

أظهر المسيحيون المحليون في الرُّها – خاصة الأرمن – الإخلاص والولاء لبلدوين البولوني (1098_1100م /492 _494هـ)، حيث كانوا مُستعدّين للحرب معه حتى الموت من أجل تحقيق مساعيه وبناء دولته[2]، فقد سعى إلى تعميق روح الصمود أمام المخاطر الخارجية إذ تمكن سنة 491هـ/1097م بمساعدة المسيحيين المحليين من مقاومة حصار فرضه على المدينة حاكم الموصل الأمير كربوغا (489 – 495 هـ / 1095 –1101م) الذي انتهى بتقهقر القوات الإسلامية عن الرها، ممّا زاد في شعبية بلدوين لدى هاته الطوائف، فصحبته فرقة عسكريّة أرمينية إلى أنطاكية لمساعدة الفرنجة المحاصرين للمدينة[3].

عمل بلدوين على توسيع إمارة الرُّها، مستفيدا من دعم المسيحيين المحليين له، حيث رافقوه في حملته التي توجّه بها إلى سميساط بداية حكمه سنة 491 هـ/ 1098 م، مرغما صاحب المدينة على التنازل عنها مقابل عشرة آلاف قطعة ذهبية دفعها له[4]، وكان أن ردّ في حملته هذه عددا من الأسرى الرهاويين الأرمن الذين كان

[1] – السيد الباز العريني، **الشرق الأوسط والحروب الصليبية**، ص 31– 32؛ براور، عالم الصليبيين، ص109.

[2] _ الصوري، الحروب الصليبية، ج. 1، ص 264.

[3] _ Hrant pasdermadjian, **Histoire de l'Arménie depuis les origines jusqu'au traité de Lausanne**, A. Bontemps, 1964, p.201.

[4] – الشارتري، المصدر السابق، ص 107. فاطمة الطراونة، المرجع السابق، ص 129.

صاحب سميساط قد احتجزهم في قلعتها[1]، وفي سنة 494 هـ/1100م تحالف مع المسيحيين الأرمن وتوجهوا إلى سروج التابعة لسقمان بن أرتق[2] فأحدثوا مجزرة بحق أهلها من المسلمين، وأخذوا من تبقى أسرى إلى الرها[3].

نجح بلدوين في الحد من اعتداءات الأراتقة والسلاجقة المتكررة على الفلاحين السريان والأرمن وأراضيهم، من خلال توجيهه غارات متكررة عليهم، فكانت النتيجة توسيع حدود الكونتية، وتخليصها من تلك الأخطار، وكسب طائفة الأرمن التي ساعدته في التوسع على الكثير من المواقع والمدن في شمالي الجزيرة الفراتية، لتمتد إمارته فوق مساحة من الأرض تقع بين شرق نهر الفرات وغربه، مجاورة إمارة الموصل، ومهددة مدن ديار بكر مثل نصيبين وماردين وحرّان[4]، وأغلب مدن شمالي العراق، مُحكمةً سيطرتها على الطّرق المؤدّية إلى حلب والموصل، وهو ما جعل هذه الإمارة اللّاتينيّة تؤدي دور الحاجز في الشّمال الشّرقي، بتلقّيها للهجمات الإسلامية الأولى[5].

سرعان ما ستسوء علاقة بلدوين مع المسيحيين الشرقيين من سكان الرها خاصة مع طائفة الأرمن والتي تعتبر الداعم الأول له، لتنتهي مدّة إمارته على هذا الوضع سنة 494 هـ/1100 م، حيث ذهب إلى بيت المقدس ليخلف غودفري على حكمها، و يصبح أوّل ملكٍ عليها في 5 محرّم 494 هـ/ 10 نوفمبر 1100 م خلفا لجودفيري مُؤسّسا مملكة بيت المقدس اللّاتينيّة، وترك حكم الرّها لابن عمه بلدوين دي بورغ Baldwinde Bourg الذي سيلقب باسم بلدوين الثاني[6] .

---

[1] _ الصوري، الحروب الصليبية، ج. 1، ص 261. رنسيمان، الحملات الصليبية، ج. 1، ص 290.

[2] – **معين الدين سقمان الأول بن أرتق** (495 – 498 هـ/1101م– 1104م) ولي مع أخيه إمرة القدس بعد أبيهما أرتق. ثم انتزعها منهم ابن بدر أمير الجيوش الفاطمي، لتتوجه أنظاره نحو إقليم الجزيرة ويستولي على حصن كيفا سنة 495 هـ. ثم ضم إلى دولته مدينة ماردين وما إليها. وفي سنة 502 هـ انقسمت هذه الدويلة إلى مملكتين: إحداهما بالحصن والأخرى بماردين. أما مملكة الحصن فاستمرت إلى سنة 620 هـ وانتهت على يد الأيوبيين. وأما مملكة ماردين فاستمرت إلى سنة 811 هـ، أي بعد ظهور المملكة العثمانية؛ للمزيد، أُنظر: محمد الخضري بك، **محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية: الدولة العباسية**، تح. محمد أحمد إبراهيم، مراجعة: أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2020 م، ص 507.

[3] _ **سروج**: مدينة في إقليم الجزيرة الفراتية جنوب غرب مدينة الرها. وترجع تسميتها للفظ السرياني Seruj. يحدها من الشمال الشرقي حرّان من ديار مضر. وقد دخلت في حماية المسلمين منذ العهد الراشدي؛ للمزيد، أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 216؛ سعيد البيشاوي، **سروج في العهدين الفرنجي الصليبي والأيوبي**، مجلة دراسات موصلية، العدد 63، القسم الأول، الموصل، 2022، ص 225– 226.

[4] _ **حرّان**: هي مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة الفراتية. وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان. وهي طريق الموصل والشام والروم، وكانت مركزاً من مراكز الثقافة اليونانية؛ للمزيد، أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 390.

[5] _ سهيل طقوش، المرجع السّابق، ص 97 – 98.

[6] – الشارتري، تاريخ الحملة، ص 85.

سيجعل بلدوين الثاني من ترميم العلاقة مع المسيحيين الشرقيين أولوية له في سياسته للكونتية، لدرايته بأهميتهم لضبط الوضع داخليا وصد الأخطار المتربصة به خارجيا[1]، فاستعاد التحالفات مع أمراء الأرمن المحيطين به كالأمير الأرمني كواسيل، أمير رعبان[2] وكيسوم[3] الذي تعهد بالوقوف إلى جانب الكونتية وتجديد الثقة بينهما [4]، فقام بتزويده بقوات عسكرية أرمينية، وتحالف كواسيل مع بلدوين الثاني من أجل فك أسر الأمير بوهيموند الذي أسره الدانشمند[5] سنة 493هـ /1099م، وكان سبب هذا التحالف تخوفهما من تزايد مطامع تنكريد في ضم المناطق شرقي أنطاكية إلى إمارته، حيث تبرّع بمبلغ من المال قدره عشرة آلاف قطعة ذهبية من الفدية المطلوبة لفك أسر بوهيمند الأول[6].

شارك المسيحيون المحليون في جميع المعارك مع جيش بلدوين الثاني، وقدم الأرمن في الرها دعما بشريا وماليا كبيرا للجيش الصليبي خلال حملات بلدوين الثاني على مدينة سروج[7] سنة 494 هـ/1100 م، فقد ذكر المؤرخ السرياني المجهول[8] أن أرمن منطقة الفرات والرها وضعوا أنفسهم تحت تصرف الفرنجة، وتُعدّ معركة حران[9]

---

[1] – فاطمة الطراونة، المرجع السابق، ص 136–137.

[2] – **رعبان:** مدينة قديمة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات. وبينها وبين الحدث سبعة فراسخ (42 كم)، وهي معدودة من العواصم. ويُنسب إليها جماعة منهم: بنو الرعباني بحلب . تُعد قلعة حصينة جدا وكان لسيف الدولة بن حمدان بها واقعة مع الروم. وقد خرب المغول قلعتها وسلموها للملك الأرمن. لكن الظاهر أعاد الإعمار بها مرة أخرى؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج. 3، ص51؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج.1، ص 159.

[3] – **كيسوم:** مدينة كبيرة قديمة وولاية واسعة ذات حصن قوي وهي من أعمال سميساط. بها قلعة تحصن فيها الخارجي نصر بن شبث على عهد المأمون؛ أُنظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج. 1، ص 260. اليعقوبي، البلدان، ص 121.

[4] – أبو محمد اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج. 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 118.

[5] – **الدانشمند:** لفظ فارسي معناه صاحب علم. أُطلق هذا اللقب على الفقهاء أو المعلمين فيما وراء النهر. ويُذكر أن الدانشمند كمشتكين أحمد دانشمند بن علي كان معلما للتركمان وتقلبت به الأحوال حتى ملك بعض البلاد. فقد كان تحت إمرة السلاجقة ثم أسسوا إمارتهم بعد معركة منازكرد 463 هـ/1071 م. وتموقعت شمال شرقي الجزيرة حول قيصرية وسيواس وأماسيا. يعتبر الأمير غازي بن دانشمند من أقوى حكامها وقد منحه الخليفة العباسي لقب ملك. وكانت لديهم مواجهات عديدة وبطولية مع الصليبيين حيث جعلوا بقاءهم في منطقة آسيا الصغرى صعبا ومتوترا؛ أُنظر: حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، مصر، 1978، ص 287. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج. 1، ص 79.

[6] – متى الرهاوي، **تاريخ متى الرهاوي الافرنج، المسلمون، الأرمن**، تر. محمود الرويضي، عبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر، الأردن 2009، ص 134 – 135؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص 135.

[7] – **سروج:** مدينة بنواحي حران من بلاد الجزيرة على بعد 40 كلم الى الجنوب من الرها. ومن حكامها بلك بن بهرام بن أرتق، استولى عليها الصليبي بلدوين لتصبح المدينة الثانية في الأهمية بعد الرها وأقطعها لفوشيه دي شارتر؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص26. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص353.

[8] – الحملتين، ج 2، ص 462.

[9] – **البليخ** : هو نهر بالرقة يصب في الفرات؛ أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج. 1، ص 61.

سنة 498 هـ/1104 م، أكثر وأهم النشاطات العسكرية الصليبية التي أثبت فيها الأرمن استماتتهم في دعم بلدوين الثاني أمام المسلمين بقيادة جكرمش صاحب الموصل، وسقمان بن أرتق صاحب حصنكيفا[1]، لدرجة أن أغلب من قُتل في المعركة كان من القوات الأرمينية، وقد بلغ عدد القتلى حسب بعض التقديرات ثلاثين ألف مسيحي [2]، وكانت هزيمة هذه المعركة ثقيلة على الصليبيين خاصة مع سقوط أميرهم بلدوين الثاني أسيرا في يد المسلمين، فخيم الحزن والألم على جميع الصليبيين داخل الكونتية وخارجها.

حاول الأرمن والفرنجة إنقاذ الوضع الداخلي للرها بسرعة، فقرروا اختيار تانكرد أميراً لهم، ولكن سرعان ما هددت الجيوش السلجوقية بقيادة جكرمش صاحب الموصل إمارة الرها، فأمر تانكرد جميع سكان المدينة الأرمن وفرسانها وحاميتها بحمل السلاح، وقد بذلوا كل ما في وسعهم لمساعدة تانكرد كي يرد الأتراك عن الإمارة، وبالفعل كان لجهود الأرمن في تلك المدة أثره الفعال في صد هجمات السلاجقة، كما وقع الكثير من الأتراك أسرى بيد الفرنجة والأرمن، وكان ذلك في ذي القعدة 497 هـ/جويلية 1104 م[3] .

تواصل الحضور العسكري للمسيحيين الشرقيين في عهد جوسلين الأول دى كورتناى (513-526هـ/1119-1131م)[4]، ولعبوا أدوارا حاسمة في الصراع الصليبي ــ الإسلامي، خاصة بعد الأزمة التي تعرضت لها كونتية الرها، فعندما كان جوسلين عائداً إلى إمارته ومعه غاليران[5] صاحب البيرة، التقى بجيش الأمير **بُلك بن بهرام**[6] الأرتقي قريباً من سروج حيث كان يشن الغارات على إقليم الرها، فهاجمه جوسلين غير أنه انهزم ووقع في الأسر مع غاليران وفرسانه، وكان ذلك في 9 رجب 516 هـ/13 سبتمبر 1122 م[7].

---

[1] – **حصن كَيفَا**: ويقال لها كيبا. وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر وهي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة. وهي لصاحب آمد من ولد داود سُقمان بن أرتق؛ أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 305 – 306.

[2] – متى الرهاوي، المصدر السابق، ص 138 – 139.

[3] –:-Grousset rené , histoire des croisader, Vol.1 ,pp.245-246 ؛ ابن الأثير، ج 8 ، ص330.

[4] – فاطمة طراونة، المرجع السابق، ص 138.

[5] – **غاليران Galeran**: هو ابن خالة جوسلين حاكم الرها وذكره ابن القلانسي باسم كليان؛ أُنظر ابن القلانسي، ذيل، ص208.

[6] – **بلك بن بهرام**: صاحب قلعة خرتبرت استلم راية الجهاد بعد عمّه إيلغاز يصاحب ماردين. وكان خصماً عنيداً للصليبيين في بلاد الشام. حاصر الرُها سنة 516 هـ/1122 م، وأسر جوسلين وابن خالته جاليران صاحب البيرة في سنة 516 هـ/122 م، استشهد وهو يحاصر منبج؛ أُنظر: نعيمة عبد السلام الساحلي، **التوجهات السياسية للدولة الأيوبية**، تق. أحمد إيبش، دار قتيبة، ط.1، دمشق، 2009 م، ص226.

[7] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 109 – 110؛ ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ص 181.

قرّر الملك بلدوين الثاني مهاجمة بلك الذي كان يحاصر كركر[1] على نهر الفرات من أجل تخليص جوسلين وغاليران من الأسر، وعسكر يوم 19 صفر 517 هـ/18 أفريل 1123 م، بين كيسوم وسميساط، أثناء ذلك خرج بلك إلى الصيد، فترصد معسكر الفرنجة وهزمهم ليقع الملك بلدوين الثاني أسيراً وسار به إلى خرتبرت[2] حيث جوسلين وغاليران[3]، تضاربت روايات المؤرخين اللاتين والسريان في تفاصيل فك أسر جوسلين الأول غير أنها اتفقت على دور الأرمن في فك أسره[4]، ممّا زاد من توطد علاقة جوسلين الأول بطائفة الأرمن حتى نهاية حكمه، استطاع الأرمن تحرير أميرهم والملك بلدوين الثاني وغاليران من الأسر، وجميع الفرسان الفرنجة والأرمن، وغيرهم ممن كان محتجزاً في قلعة خرتبرت، وساعدهم في إتمام مهمتهم سكان القلعة من الأرمن أيضا[5].

لم يقتصر الأمر على إطلاق سراح الأسرى، وإنما سيطر الملك بلدوين الثاني وجوسلين على القلعة، وذلك يوم الثلاثاء 12 جمادى الآخرة 517 هـ/6 أوت 1123 م، واستوليا على كل ما كانت تحتويه من أموال وغنائم تعود ملكيتها للأمير بُلك، وعندما اكتشف أصحاب الأمير بُلك المؤامرة، تقدموا من المناطق المجاورة وأحاطوا بالقلعة، فتقرّر عندئذ تحرير جوسلين وحده للذهاب إلى الرُها وجلب المساعدة[6]، وقد اختاروه بفعل محبة الأرمن له لزواجه من أميرة أرمنية، كما أنه عاملهم بالحسنى ولم يضطهدهم ولم ينكّل بهم كما فعل سلفه بلدوين الثاني.

---

[1] – **كركر**: مدينة لطيفة بها قلعة حصينة جدا وهي على شط الفرات ولها قرى عديدة؛ أُنظر: غرس الدين خليل الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تص. بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892 م، ص51.

[2] – **خرتبرت**: وهو الاسم الأرميني لحصن زياد الواقع في ديار بكر من بلاد الروم. وبينه وبين ملطية مسيرة يومين ويفصل بينهما نهر الفرات؛ أُنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج. 2، ص 355 – 356.

[3] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 111 – 113.

[4] – اتفقت الروايات المصدرية الفرنجية والسريانية على دور الأرمن في إطلاق سراح جوسلين الأول واختلفت في سرد التفاصيل فقط؛ للمزيد، أُنظر: المؤرخ السرياني المجهول، الحملتان، ج 2، ص485؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، دار المشرق، بيروت، تر. إسحاق رملة، تق. جان موريس فييه، بيروت، 1991 م، ص139.

[5] – متى الرهاوي، المصدر السابق، ص 227؛ محمود سعيد عمران، **القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين 493–531هـ/1100– 1137م**، دار النهضة العربية، د. ط، بيروت، 1986، ص 60.

[6] – يُذكر أن الأمراء الصليبيين الذين في الأسر استحلفوا جوسلين بأن "لا يغير ثيابه، ولا يأكل لحماً، ولا يشرب القربان إلى أن يجمع الجموع الفرنجية ويصل بهم إلى خرتبرت ويخلصهم"؛ أُنظر: ابن العديم، زبدة، ج. 2، ص 145.

تمكن جوسلين بمساعدة ثلاثة من الخدم من اختراق صفوف المحاصرين، فاجتاز نهر الفرات بمساعدة أحد الرعاة الأرمن، وكانوا دليله حتى وصل تل باشر، ثم قصد بيت المقدس ليجمع الجيوش لإنقاذ الملك بلدوين الثاني، وبفضل البطريرك اللاتيني الكاثوليكي، جرى حشد العساكر[1].

علم بُلك بمساعدة الأرمن على خروج الأسرى فتوجه بجيشه إلى خرتبرت، فحاصرها وعرض على الملك بلدوين الثاني التخلي عنها مقابل الخروج إلى بلاده بأمان إذا سلّم القلعة، لكنّه رفض، فشدّد بلك حصاره على القلعة، واستطاع النقابون أن يحدثوا ثغرة في أحد الأسوار نفذ منها الجيش الأرتقي واستباحها، فأنزل بُلك عقوبته الشديدة بالأسرى وخصوصاً الأرمن، فبعضهم قطع إرباً، والبعض الآخر دفنوا وهم أحياء[2].

لم تتوان بعض العناصر الأرمينية في الرها بتقديم أرواحها فداءً للأمير جوسلين، وأثبتوا بطولتهم وبذلهم لذاتهم وأظهروا مدى صلتهم وحبهم للأمير جوسلين، بعد أن أطلق سراح بلدوين مقابل فدية وشروط من طرف الأراتقة[3]، استدعى نبلاء المملكة وأمرَهم بقبول ابنته ميليسندا وزوجها فولك ملكين عليهم، وتوفي يوم الجمعة 25 رمضان 525 هـ/ 21 أوت 1131 م ودفن في كنيسة القيامة، بعد أن حكم ثلاثة عشر عاماً، ثم خلفه فولك الذي توج في كنيسة القيامة في 19 شوال 525 هـ/ 14 سبتمبر 1131 م[4]، ولم يمض وقت طويل على وفاة الملك بلدوين الثاني حتى لحق به ابن عمته، ورفيق عمره الأمير جوسلين، بسبب إصابات لحقت به أثناء انهيار البرج عليه، وتوفي يوم الخميس 8 ذي القعدة 525هـ/ 1 أكتوبر 1131م، ودفن في كنيسة دلوك[5] للسريان الارثوذكس[6].

ورث جوسلين الثاني إمارة الرها عن أبيه، وكان أكثر أمراء أهل الرها قرباً للمسيحيين الوطنيين لأنه كان ابناً لأرمينية، وظلّ الأرمن والسريان ينعمون بالهدوء في عهده وحبّ أميرهم لهم[7]، انتهج جوسلين الثاني سياسة

---

[1] – محمود سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى، ص 64 – 65.

[2] – متى الرهاوي، المصدر السابق، ص 228؛ ابن القلانسي، ذيل ، المصدر السابق، ص 210؛

[3] – أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص89؛ ابن العديم، زبدة، ج. 2، ص 221 – 222.

[4] – تيسير بن موسى، **نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين**، الدار العربية للكتاب، د. ط، 1979، ص 114.

[5] – **دلوك**: مدينة قديمة بين حلب وأنطاكية لها ذكر. وكانت عامرة. ولها بناء الروم عالية مبنية بالحجارة. بها قلعة منقوبة في الصخر حصينة. وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها أسواق جليلة مقصودة؛ أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج. 4، ص 461. العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح. مهدي النجم، دار الكتب العلمية، د. ط، لبنان،2010 ،ج. 27، ص 19.

[6] – محمد سامي سلطان، المرجع السابق، ص 128.

[7]– Grousset rené , Histoire des croisades , vol 1, pp 172-173 .

تقضي بأنه إذا ما أراد لإمارة الرها الاستمرار وعيش الفرنجة بها بأمان واستقرار فإنه ينبغي عليه مع أتباعه من الفرنجة والأرمن أن يسايروا الأراتقة المحيطين بإمارة الرها من الشرق والشمال، ويجب عليهم أن يُبدوا استعدادهم بأن يحالفوهم ويقيموا علاقات صداقة معهم، للوقوف في وجه سياسة عماد الدين زنكي التوسعية[1]، لأنها تشكل خطراً مشتركاً للطرفين[2].

وعندما كان عماد الدين زنكي يحاصر الرها سنة 539 هـ/1144 م، طلب من أهلها وخاصّة الأرمن تسليم المدينة في مقابل المحافظة على أرواحهم، فرفضوا بشدة[3]، حيث كان جوسلين الثاني قد تعهد لأهالي الرها من الأرمن والسريان الأرثوذكس بحماية المدينة أثناء تواجده بتل باشر، وقد تولى هيو الثاني رئيس أساقفة الرها اللاتين الكاثوليك الدفاع عن المدينة، واشترك معه باسيل مطران الرها للسريان اليعاقبة الأرثوذكس، ويوحنا مطران الرها للأرمن الغريغوريين الأرثوذكس، وأبديا تضامنا مع الفرنجة في الدفاع عن أسوار المدينة وقلعتها[4].

قرّر عماد الدين الاستيلاء على المدينة بالقوة، وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأرمن جهدهم لسد الثغرة التي فتحت والدفاع عنها، ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم مصيرهم المحتوم آنذاك، فبعد أن انهار جانب من السور، اندفع المسلمون إلى داخل المدينة كالسيل في 6 جمادى الآخرة 539 هـ/ 23 ديسمبر 1144 م بعد حصار دام 28 يوما، وفي فصل الشتاء، فرّ السكان خاصةً الأرمن فزعين باتجاه القلعة للاحتماء بها، فإذا هيو الثاني قد أغلق الأبواب في وجوههم، وظل هو داخل المدينة يحاول عبثاً إعادة الأمن إلى نصابه، وهلك في الفوضى آلاف الناس وخصوصاً من الأرمن تحت الأقدام، وكان هيو الثاني نفسه من بينهم[5]، ليستعيد عماد الدين زنكي أولى الأراضي المغتصبة من الصليبيين.

---

[1] – أصبح عماد الدين زنكي أميرا على الموصل وبلاد الشام والجزيرة سنة 523 هـ/1126 م. فجعل الموصل عاصمة له وقد امتدت إمارته من آمد شمالا وحتى تكريت جنوبا ومن شهرزور شرقا الى سواحل الشام غربا، كما نجح في تحقيق الاستقرار الداخلي، وكذلك إخضاع القوى المحلية والتصدي = =للأخطار الخارجية خاصة ضد الغزاة الصليبيين الذين انتزع منهم الرها أولى إمارتهم تأسيسا؛ للمزيد، أُنظر: بن واصل محمد بن سالم ، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح. جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957، ج.1، ص 11.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص 480.

[3] – ابن العديم، زبدة، ج 2، ص 278.

[4] – المؤرخ السرياني المجهول، الحملتان، ج 2، ص 505.

[5] – علية الجنزوري، المرجع السابق، ص 372.

استشهد عماد الدين عقب فتحه الرها بعامين عندما قتله بعض غلمانه في قلعة جعبر على الفرات، وتقاسم ولديه إمارته فقصد سيف الدّين غازي[1] الموصل، واستقرّ الأمر له فيها يوم الإثنين 7 ربيع الآخر 541 هـ/ 15 سبتمبر 1146 م، بينما استقرّ أخوه نور الدّين محمود في حلب يوم الخميس 10 ربيع الآخر 451 هـ/ 18 سبتمبر 1146 م[2]، سعى الأرمن باتفاق مع جوسلين الثاني للاستفادة من وفاة عماد الدين زنكي، فدبروا مؤامرة للتخلص من الحكم الإسلامي للمدينة، حيث اتجه جوسلين وبلدوين صاحب كيسوم ومرعش نحو الرها بهدف استردادها في شهر ربيع الآخر 541 هـ/سبتمبر 1146م[3].

اعتبر نور الدين محمود محاولة جوسلين الثاني تحدياً له، فخرج من حلب بجيوشه في جمادى الآخرة 541 هـ/ نوفمبر 1146 م، نحو الرها ليجد جوسلين الثاني نفسه محاصرا بين الحامية من الداخل وجيش نور الدين محمود من الخارج، فلم يقو على ملاقاة كل هذه الجموع، رغم أن الأرمن انظموا تلقائيا أثناء خروجهم من المدينة الى الجيش الصليبي، غير أنّ السريان اليعاقبة الأرثوذكس والنساطرة لم ينظموا لهم عن طيب خاطر[4]، واشتبك المسلمون مع الفرنجة واستطاع المسلمون هزيمتهم، لكن جوسلين هرب ثم أُسر[5].

تكبد المسيحيون الشرقيون خسائر بشرية كبيرة، فكان من بين القتلى المطران السرياني الأرثوذكسي باسيل، ووقع أسقف الأرمن الغريغوريين يوحنا بالأسر[6]، وخرج الأرمن من الرُها بعد أن أدركوا ما ينتظرهم، وقد أضرموا النيران في بيوتهم، لكن أكثرهم لم يتمكن من النجاة ووقعوا تحت ضربات المسلمين، وتراجعت مكانة الرها بعد أن خلت من سكانها، وبذلك، واجهت مملكة بيت المقدس سيلاً متواصلا من اللاجئين الأرمن[7].

---

[1] _ **الأمير سيف الدّين غازي:** هو سيف الدّين غازي بن عماد الدّين زنكي بن آق سنقر، صاحب الموصل، وكان منطويا على خيرٍ وصلاحٍ ويحبّ أهل العلم. وبنى بالموصل المدرسة العتيقيّة. توفيّ سنة 544 هـ/ 1149 م. ودُفن في مدرسته؛ أُنظر: ابن خلكان، المصدر السّابق، ج 4، ص 3 – 4.

[2] – محمود الرويضي، **إمارة الرها الصليبية (1098–1155م/ 490–550هـ)**، رسالة دكتوراه، جامعة الأردن، 1997، ص 592.

[3]-:-Grousset rené, Histoire de croisader ,Vol2. pp.42 ؛ وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج 3، ص 261.

[4]– سامي سلطان، المرجع السابق، ص84.

[5]– ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج. 2، ص 275 – 276؛ فاطمة طراونة، المرجع السابق، ص 157 – 158.

[6] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ص339؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص 86؛ ابن قاضي شبهة، **الكواكب الدرية في السيرة النورية**، تح. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، ط. 1، بيروت، 1971، ص123؛ ابن شداد عز الدين، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة**، وزارة الثقافة، ط. 1، دمشق، 1991، ج. 3، ص95.

[7] – ابن القلانسي، **تاريخ دمشق 360–555هـ**، تح. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط.1، دمشق، 1983، ص 450؛ أبوشامة، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تع. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2002، ج. 1، ص 195 – 196.

وقد تجلى حزن الأرمن على سقوط الرها في يد زنكي من خلال تلك البعثة الأرمينية التي توجهت إلى روما في جمادى الآخر 540 هـ/نوفمبر عام 1145 م لطلب النجدة من البابا إيوجين الثالث (1145م – 1153)، عاقدة صلحا مع الكنيسة اللاتينية، وقد صاحب تلك البعثة هيو أسقف جبلة اللاتيني الذي أثار فكرة حرب صليبية جديدة لاسترداد الرها[1]، ومن مظاهر حزن الأرمن أيضا على الرها تلك المراثي الشعرية والنثرية، ومن أشهرها القصيدة التي كتبها *نرسيس* الرابع شنورهالي أي الموهوب المتوفى في عام 1173 م/596 هـ، وهي مرثية طويلة عن سقوط إمارة الرها[2] .

2. الدعم العسكري الماروني للصليبيين:

تنوع الدعم الماروني للصليبيين ضد القوى الإسلامية بين دعم لوجيستي مثل عملهم كأدِلَّاء ومترجمين للصليبيين، وكذلك توفير المؤونة من طعام والميرة وذخائر وأسلحة، ودعم عسكري مباشر من خلال مشاركتهم جنودًا في كثير من المعارك، وقد اشتهر الموارنة برمي النشّاب الخارق على القوس الثّقيل[3]، ليكون للموارنة دورا رئيسيا في توطيد دعائم مملكة بيت المقدس اللّاتينية، وتمركزهم في إمارة طرابلس ومُدنها كجبيل وبترون، وبقية السّاحل اللُّبناني[4].

نزل أهلُ جبّة بشرّي[5] من الموارنة، فبايعوا "ريموند" وعرّفوه أمر طرابلس، وأنّ الرّعيّة فيها من النّصارى تدعم ريموند بفلول من موارنة المناطق المحيطة بطرابلس، وأعانوه بقتل عدد كبير من المسلمين في حملته الثّانية على طرابلس سنة 495 هـ/ 1102 م[6]، وساند موارنة الجبل **برتراند ابن ريموند** *Bertrand son of Raymond* سنة 502هـ/ 1109م، في الاستيلاء على طرابلس في 11 ذي الحجّة 502هـ/ 12 جويلية 1109م[7]، من خلال تشديد الحصار عليها حتى سُقوطها، ولم يقف دور الموارنة عند الهجوم، بل

---

[1] – علية الجنزوري، المرجع السابق، ص 316 – 317.

[2] – سمير عربش، **الأرمن أرض وشعب**، مؤسسة دار الريحان للطباعة والنشر، (د.ط) 1991، ص94.

[3] – ابن الشّحنة، **الدرُّ المُنتخب في تاريخ مملكة حلب**، دار الكُتب العربي، ط1، دمشق، 1984 م، ص 264.

[4] – عبد الله أبي عبد الله، المرجع السّابق، ج 2، ص 29.

[5] – **جبة بشري**: جبة بالفينيقي أي ارتفاع. منطقة تضم أعالي جبل لبنان في سفح جبل المكمل. أشهر قراها بشري **واهدن**. وهي الموطن الرئيسي للتجمعات المارونية. عرفت بكونها مقر البطريركية المارونية. ومن أشهر معالمها دير قنوبين؛ أُنظر: بولس مسعد، **دليل لبنان وسوريا**، د. د. ن، 1913 م، ج.1، ص 42.

[6] – ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 311.

[7] – ابن القلانسي، تاريخ، ص 165؛ متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركيةٌ أنطاكيةٌ**، مطبعة بطريركية الروم الكاثوليك، دار صادر، ط. 1، جونية، 1997، ج 6، ص 181؛ عمر عبد السّلام التّدمري، المرجع السابق، ص 314.

استماتوا في الدفاع عن المستعمرات الصليبية وتأخير عودتها إلى المسلمين في السّنين التّالية حتّى عصر دولة المماليك[1].

ساند الموارنة الملك "بلدوين" الأوّل سنة 504هـ/ 1110م، ومعهم الفرنجة من إمارة طرابلس بحصار بيروت، حيثُ تجمّع الموارنة مع فرنجة إمارة طرابلس في جبيل، واجتمعوا مع جيش الملك بلدوين الأوّل في مرج الغازية قرب مدينة صور، فسار فرنجة طرابلس والموارنة على الطّريق الجبلي، أمّا جيشُ الملك فسار على طريق السّاحل، وقاموا بنهب ما مروا به وإحراقه، وقتلوا وأسروا كلّ من وجدوه من السكّان، فلم ينجو سوى الغائبين والمنهزمين والمختبئين[2]،

استطاع الفرنجة ومعهم الموارنة مُواصلة حصار بيروت التي استولوا عليها، وقد استعان الملك "بلدوين" الأوّل وبرتراند صاحب طرابلس في سنة 505هـ/ 1111م بالموارنة، حيثُ شارك أميرهم الفرنجة في ردّ حملة الأتابك مودود التونتكين[3] صاحب الموصل، والتي أرسلها السُّلطان السّلجوقي مُحمّد، فانسحب مودود عندما علم بكثرة عددهم من دُون حُدوث قتال معهم[4].

شكل المعينيون[5] والشّهابيّون[6] والتّنّوخيّون[7] حلفًا مدعومًا من أتابكة دمشق الأتراك للوُقوف بوجه الفرنجة وحُلفائهم الموارنة، ممّا دفع الفريقين إلى المواجهة والصّراع، فكانت كسروان[8] وأعالي المتن والسّاحل الممتد من

---

[1] – عمر عبد السّلام التّدمري، المرجع السابق، ص 326.

[2] – إصطفان الدويهي، **تاريخ الطّائفة المارونية**، ص 102 – 103.

[3] – **مودود بن التونتكين** (593 – 507هـ؛ 1109 – 1113 م): يُلقب بـشرف الدين. هو من أبرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه السّلجوقي. كان فارسًا شُجاعًا ومُجاهدًا استولى على الموصل سنة 502 هـ؛ 1108 م. وتولى حكمها نيابة عن السلطان. لعب دورا كبيرا في جهاد الصليبيين. قام بحملتين ضدهم، ولقي مصرعه بجامع دمشق، حيث اغتالته يد الحشاشين عند خُروجه من جامع دمشق بعد صلاة الجُمعة؛ أُنظر: ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 187؛ ابن الأثير، المصدر السّابق، ج 8، ص 402 – 403.

[4] – عمر تدمري، التاريخ السياسي والحضاري لطرابلس، ص 300.

[5] – **المعينيون**: ينتسب **الأمراء** المعنيون إلى الأمير معن بن ربيعة بن أيوب من قبيلة ربيعة ، إحدى القبائل العربية . كان موطنهم الأول بين شمال شرق الجزيرة العربية وجنوب العراق. هُزم أميرهم معن بن أيوب في معركة إنطاكية ضد الصليبيين. ثم نزلوا في البقاع . وانتقلوا الى جبال لبنان المشرفة على صيدا وبيروت لحماية هذه الثغور والسواحل الجنوبية من الهجمات الصليبية. ومنع تقدم الصليبيين بعد احتلالهم الساحل اللبناني؛ للمزيد، أُنظر: عبد الله أبي عبد الله، المرجع السّابق، ج.1، ص 105.

[6] – **الشهابيون**: ينتسب الشهابيون إلى مالك الملقب بشهاب من سلالة مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر الملقب بقريش. وجاء لقب الشهاب من استيطانهم قرية الشهباء إحدى قرى حوران بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب سنة 15هـ/636 م. حلّ الشهابيون في وادي التيم وعلى سفوح جبل لبنان من ناحية البقاع على زمن الزنكيين. وكان لهم مع الصليبيين مواجهات عديدة. لعل أشهرها معركتا وادي التيم الأولى والثانية 1173م التي قتل فيها ثلاثة آلاف صليبي، وثلاثماية وخمسين شهابياً. وفي النهاية انتصر الشهابيون بقيادة أميرهم منقذ. يحي حسين عمر، المرجع السابق، ص 58.

بيروت إلى نهر الكلب[1]، هي ساحةُ المواجهة بين الطّرفين، حيثُ شهدت أعنف المعارك بينهُما[2]، وعمل الموارنة على ردّ جميع الحملات التي سُيِّرت ضدهم في الفترة الممتدة بين سنتي 559هـ/ 1164م إلى 662هـ/ 1264م، في وقت لم تكن فيه الحاميات العسكرية التي أُبقيت لحماية الوُجود اللّاتيني في الشّرق تتعدّى المئات من الجُنود[3].

جهز الأمير الماروني يُوحنّا سنة 647 هـ/1249م خمسة وعشرين ألف مُقاتل، رغم الخلافات في الصّفّ الماروني الواحد وبين أُمراء الفرنجة، وأرسلهم ابنهُ لاستقبال الملك الفرنسي لويس التّاسعLouis IX[4] – 1226 (1270م) الخارج من أسر مصر عند وُصوله عكّا[5]، ووضع نفسه تحت تصرّفه من أجل تحرير البلاد من المسلمين، ورغم أن الملك صرف النّظر عن مهمّته الأساسية، ورجع إلى بلاده، فقد كتب خطابا أثار الجدل بين الباحثين[6]، يقال إنّه ضمنه اعتزازا بالصّداقة المارونية _ الفرنسية، شاكرًا أمير الموارنة والبطريرك الماروني على

---

[7] – **التنوخيون**: من قبائل العرب خرجت من موطنها الأصلي باليمن وانتشرت شمالا إلى الحيرة ومنها إلى بلاد الشام ليساهم العباسيون في تأسيسهم لإمارتهم العربية الإسلامية على الساحل الشامي. وعند مجيء الصليبيين قاموا باحتلال المنطقة الغربية التنوخية في لبنان ودخلوا في صراع معهم. وقد وطد التنوخيون بزعامة بحتر بن كرامة علاقتهم مع نور الدين زنكي لمواجهة الصليبيين. وعند استرداد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس ولبنان قام بتثبيت = =الأمير التنوخي جمال الدين جحى بن كرامة على إقطاعهم؛ للمزيد، أُنظر: راتب حمود نصر الله، **الموحدون والدروز جذوة العروبة والإسلام**، مطبوعات محمد سعيد الطريحي، هولندا، 2022 م، ص 100– 103.

[8]– **كسروان**: منطقة تقع في قلب جبل لبنان. وهي منطقة جبلية وعرة. سُمّيت كسروان نسبة الى كسرى ثاني أمراء المردة. وكانت تسمى قبله الداخلة والعاصية لشدة بأس أهلها، معناها بالفينيقية جبل شجر الغار، سكانها كانوا خليط بين الطوائف الإسلامية والنصرانية؛ للمزيد، أُنظر: منصور طنوس، **نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية**، د.د .ن.، ط. 1، لبنان، 1884م، ص 4 – 7.

[1] – **نهر الكلب**: اسمه عند قدماء اليونان ليقوس أي الذئب. يخرج من مغارة جعيتا ويصب في البحر بين غزير وبيروت، وطوله 30 كم؛ أُنظر: إدوارد إلياس، **مشاهد الممالك**، مؤسسة هنداوي، 2017 م، ص281.

[2] – عبد الله أبي عبد الله، المرجع السّابق، ج.1، ص 30.

[3]– Paul Des Champs ,**La Défense du Royaume de Jérusalem**. **Etude historique**, **géographique et monumentale**, Paris, Geuthner, 1939, p. 5.

[4]_**الملك الفرنسي لويس التاسع**: تولى الحكم في فرنسا قاصرا في الثانية عشرة من عمره تحت وصاية أمه التي كانت ناجحة في الداخلية والخارجية. وحكم بنفسه منذ سنة 632 هـ/ 1235 م، متابعا سياسة والدته مع النبلاء ورجال الدين. لكنه أخفق في الحملات الصليبية؛ أُنظر: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا، ص 221 – 223.

[5] – جوانفيل، **مذكرات القديس لويس وحملاته على مصر والشام**، تر.حسن حبشي، دار عارف، القاهرة، 1968م، ص 185.

[6] – حسب أغلب الباحثين فهذه الرسالة مختلقة ولا أساس لها. فرغم أهميتها فلا وجود لها في دور المحفوظات الفرنسية الديبلوماسية والوطنية. لو وجهت رسالة بهذه الأهمية الى البطريركية المارونية لاحتفظت بها بكثير من الحيطة كما تحتفظ برسائل كثيرة أقل أهمية من هذه الرسالة. عادل اسماعيل، **انقلاب على الماضي**، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، 2003م، ص 54.

إخلاصهم، ومانحًا الشّعب الماروني حمايته، وحماية حُلفائه مُلوك فرنسا، كما وردت البطريركية المارونية رسائل شُكر ودعم من الباباوية تقديرا للمساندة المادّية والمعنوية التي قدّمها الموارنة لرّعايا الغرب الهاربين من الجبهة[1].

هاجم الموارنة سنة 662هـ/1264م الظّاهر بيبرس لدى مُحاصرته قلعة شقيف أرنون[2] اللّاتينية، وعندما هاجم الظّاهر بيبرس مدينة طرابلس اندفع الموارنة من الجبال المشرفة على المدينة وهزموه، وتصدوا له أيضًا عندما هاجم حصن الأكراد سنة 664هـ/ 1266م، وفي سنة 677هـ/ 1278م بدعم من الموارنة المحيطين بطرابلس منع السّلطان سيف الدّين قلاوون من دُخول المدينة[3]، وفي المقابل نرى أنّ الفرنجة لم يُحرّكوا ساكنًا عندما حاصر المماليك جُبّة بشرّي ودمّروها سنة 682هـ / 1283م[4].

بعدما نجح المماليك سنة 681هـ/ 1282م في شق الصّفّ الماروني عن طريق الدّخول اليعقوبي الكثيف إلى جُبّة بشرّي، وانفصال جُبّة المنيطرة عن موارنة الجُبّة الشّمالية، رأوا أنّ الفُرصة سانحةً لوضع اليد على عُنق الحليف الماروني مُقدّمة لاستفراد الفرنجة والقضاء عليهم نهائيًا، وكانوا قد حاولوا عدّة مرّات في السّابق دُخول طرابلس التي يُسيطر عيها الفرنجة، وفشلوا نتيجة النّجدة التي كانت تفكُّ الحصار باندفاع غريب من قبل موارنة الشّمال، وأدرك المماليك أنّهم إذا نجحوا في اعتقال البطريرك الماروني **دانيال الحدشيتي**(1277 – 1283م)[5]، يسهلُ عليهم تصفية الجيب الماروني الشّمالي بكامله، وبالتّالي الانقضاض على الفرنجة في طرابلس وغيرها من المناطق اللّبنانية[6].

---

[1]_ يوسف الدبس، تاريخ سورية الديني والدنيوي، ج 6، ص 274.

[2]_ منذر الحايك، **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**، تق. سهيل زكار، دار الأوائل، ط. 1، دمشق، 2006م، ج.1، ص 54؛ جوزيف نسيم يوسف، **العدوان الصليبي على مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م، ص 67 – 68.

[3]_ **شقيف أرنون:** الشقيف كالكهف وأرنون اسم رجل إما رومي أو إفرنجي. وهو قلعة حصينة جدا في كهف قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل الشامي. وتقع فوق جرف جبلي تطل من صخرة مرتفعة على نهر الليطاني. أطلق الفرنجة على قلعتها اسم Beaufort؛ أُنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 356؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح. نجيب مصطفى فواز، حكمت كلشي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، مج 28 – 29، ص 277.

[4]_ متري هاجي أثناسيو، المرجع السابق، ج 6، ص 181؛ عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 52.

[5]_ إصطفان الدويهي، تاريخ الطائفة المارونية، ص 111 – 112؛ يوسف الدبس، **الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤسّل**، ص 139- 140.

[6] – **البطريرك دانيال الحدشيتي** 1277-1283) : ابن جبّة بشرّي الأول بعد سلسلة بطاركة بلاد جبيل. والثاني باسم دانيال، بعد دانيال الشاماتي. وقع بأسر المماليك بعد اجتياحهم لجبّة بشرّي ثم قتل في أسره؛ أُنظر: عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ص 95 – 98.

تابعت الحملةُ على الجبّة الشّمالية زحفها مُحتلّة ومُدمّرة كلّ القُرى الباقية في طريقها من إهدن[1] إلى الحدث، دون مُقاومة تُذكر وُصولًا إلى عُمق الكورة، حيثُ تُوجد بعض المساكن المارونية في كفر سارون وسط التّجمّعات اليعقوبية السّريانية الأرثوذكسية، فدمّرت البيوت والأملاك وهُجّرت، في حين لم يلحق أي ضرر باليعاقبة السّريان الأرثوذكس، وبسقوط آخر معاقل المارونيّة في الشّمال، انهارت مدن السّاحل اللّاتينيّ الواحدة بعد الأخرى، من طرابلس إلى عكّا، خلال أقلّ من عشرة أعوام، وبعدها جاء دور جبّة المنيطرة التي سقطت هي الأخرى بيد المماليك، فلم تجد من يُساندها ويُنجدها[2].

3. صور من تمردات المسيحيين الوطنيين على حكامهم الصليبيين :

أخذ أهالي الرُّها وخصوصا الأرمن ينظرون إلى بلدوين على أنّه طاغية فظ وعنيف وجشع، وأدرك عقلاء الأرمن أنّ بلدوين جاء لا ليُحرّرهم، ولكن ليبني لنفسه سلطانا، بل إنّ الأرمن الذين قاسوا من الاحتقار والاضطهاد الدّينيّ من قِبل البيزنطيّين، وجدوا في فرسان الفرنجة خصما لا يقلّ خشونة عن البيزنطيّين[3]، ممّا دفعهم إلى التخطيط للإطاحة به أو اغتياله، وبالفعل اتصلوا بالأرمن خارج الرها، بل وصل بهم الأمر للاتّصال بالأراتقة، في ديار بكر لالتماس المساعدة[4].

اكتشف بلدوين خيوط هذه المؤامرة، وألقى القبض على زعمائها، بل وتصرف معهم بقسوة كبيرة، فسمل عيون البعض ونفى آخرين، وصادر أملاكهم، وقد طالت هذه العقوبات حتى صهره ثاتول الذي فرّ خلسة نحو الجبال المجاورة، كما فرض غرامات مالية وصلت إلى عشرين ألف قطعة ذهبية وزّعها على وافديه من اللاتين[5].

عاد حكم الرها إلى بلدوين الثاني الذي حاول خلال فترة حكمه إرجاع ثقة مسيحيي الرها بالحكم الصليبي إلا أن محاولات التقارب الأرميني الصليبي تعرضت إلى انتكاسة، بسبب النتيجة التي آلت إليها موقعة حران 498هـ/ 1104م، فقد قُتل فيها أعداد كبيرة من الأرمن، وتمّ أسر الكونت بلدوين الثاني لتدخل الكونتية

---

[1] – **إهدن**: أو "عدن" وهي قرية حسنة الموقع كثيرة المياه جيدة الهواء موطن الموارنة. تقع ناحية جبة بشري من شمالي لبنان على رأس جبل وإلى الجنوب الشرقي من طرابلس. أُنظر: هنري لامنس، **تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار**، مجلة المشرق، السنة السادسة، العدد 1، بيروت، 1903، ص 133.

[2]– يوسف الدبس، تاريخ سورية الديني والدنيوي، ص 364 – 365.

[3]– Albert d' Aix , Op.cit., pp.442

[4]– Setton Kenneth M., Op.Cit., Vol.1, p.38

[5] – الصوري ، الحروب الصليبية، ج. 2، ص 28 ، 29. رنسيمان، الحملات، ج. 2، ص 219.

في أحلك فترات تاريخها، خاصة بعد أن رحل بوهيموند إلى إيطاليا وتم تنصيب تانكرد على إمارتي أنطاكية والرها معاً[1]، ليصبحا إمارة لاتينية موحدة، لم يجد الأرمن في سياسة حاكمهم الجديد خلال سنة من حكمه، ثم خلال خمس سنوات **من حكم من عيّنه نائبا عنه فيها صهره ريتشارد دي سالرنو** (Richard of Salerno) بين سنتي (497-502هـ/1104-1108م)[2] ما يخفف عنهم خاصة بعد التضحيات التي قدموها في حملتي سروج وحران.

سلك تانكريد سياسة تحرت التركيز على جمع ثروات وخيول كثيرة من الأرمن والسريان، ومصادرة أملاكهم إلى جانب إخفاقه العسكري الذي أودى بحياة الكثير من أهالي الرها في مواجهة جكرمش وهجومه على الرها سنة 499هـ/1105م، والسياسة المجحفة نفسها اتبعها ريتشارد دي سالرنو أيضا، كما عمل على تفكيك وحدتهم[3]، فقد قال السرياني المجهول[4] إنّه عامَل الأرمن: **"بعنف، وعذبهم، وسجنهم، وأنزل بهم الذل،،، وجمع منهم كثيرا من الأموال"**، ووصفه بأنه كان: **"مغتصبا وعابر سبيل، وليس سيدا حقيقيا وراثيا"**، كره الأرمن الفرنجة النورمنديين، وسعوا للتخلص من حكمهم[5] .

أُطلق سراح بلدوين دي بورج سنة 502هـ/1108م بعد أن جمع الأرمن فديته، وفرحوا بعودته ليخلصهم من حكم ريتشارد دي سالرنو[6]، وبعد أن كانت سياسة بلدوين في حكم الرها تقوم على أساس الربط بين الفرنجة والأرمن، إذا به يغير سياسته تغييراً تاماً، فاستبعد الأرمن من حسابه تمامًا واعتمد في حكومته اعتماداً واضحاً على رجاله من الفرنجة وحدهم، عندما رأى الأرمن أن الفرنجة زادوا عدواة عن الأتراك فضلوا حكم المسلمين عليهم، فاتصلوا بالأتابك مودود أمير الموصل عارضين استعدادهم لتسليمه الرها، ولما علم بلدوين الثاني بهذه الاتصالات، انتقم منهم، وطردهم من الرها[7].

---

[1] – رانسيمان، الحملات، ج.2، ص 44؛ Grousset rené , Histoire des croisades , vol.1, p408

[2] – علية الجنزوري ، المرجع السابق، ص 345، 346.

[3] – المؤرخ السرياني المجهول، الحملتان، ج.2، ص 469؛ فاطمة سليم الطراونة، المرجع السابق، ص 141.

[4] – الحملتان، ج. 2، ص 469.

[5] – فاطمة سليم الطراونة، المرجع السابق، ص 143.

[6] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق ص91 – 93؛ محمود سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، 1986، ص 29 – 43.

[7] – ابن الأثير، الكامل، ج.10، ص 501-503؛ الرويضي، المرجع السابق، ص299-304.

عدّ الفرنجة تحالف الأرمن مع المسلمين خيانة كبرى ضد النصرانية، فضلاً عما يسببه من تهديد للإمارات اللاتينية في شمالي العراق وبلاد الشام، فقرّر بلدوين الثاني القضاء على بقية الإمارات الأرمنية في المنطقة، فطرد أمير البيرة أبا الغريب في سنة 511هـ/1117م، ومنحها إقطاعاً لابن عمه غاليران، ثم هاجم الأمير بقراط شقيق كوغ باسيل، واستولى على قلعة قورس الواقعة شمالي حلب، وغزا قسطنطين صاحب كركر، فأسره، وسجنه في سميساط، ولم يبق من الأسر الأرمنية المستقلة سوى أسرة روبين[1].

يروي الرهاوي المجهول[2] أن الفرنجة قبضوا على الكثير من الأرمن بذنب وبلا ذنب، ف"**قطعوا الأيادي وفقأوا الأعين وجدعوا الأنوف، فمات كثيرون منهم بالعذاب وآخرون قتلوا**"، أما متى الرهاوي[3] فيؤكد سياسة بلدوين الظالمة تجاه الأرمن، فيقول: "**تتبع بقسوة العديد من قادة الأرمن وأسقطهم الواحد تلوى الآخر،،، فأعدم أولاد الأمراء،،، وأُقتلعت أعين عدد كبير منهم وقُطعت أيديهم وأنوفُهم،،، وقاموا بتعذيب الأطفال الأبرياء نكاية بأهاليهم،،،**"، وفقد الأرمن نتيجة هذا الاضطهاد ثقتهم بالفرنجة، كما أن بلدوين الثاني لم يستمر طويلاً في حكم إمارة الرها، إذ تُوّج ملكاً على بيت المقدس في 20 ذي الحجة 511هـ /14أبريل 1118م على أثر وفاة ابن عمه الملك بلدوين الأول، فأصبح يُلقب بالملك بلدوين الثاني، وعُيّن جوسلين الأول دي كورتناي أميراً على إمارة الرها، ولشدّة بطش بلدوين الثاني واستبداده، كظم الأرمن غيظهم في سكون، ولما جاء جوسلين، والذي عمل على استرضاء الأرمن والتقرب إليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الفرنجة، لِيُعيد الثقة في الحكم اللاتيني إلى نفوسهم ويمحو الأثر السيء الذي تركه سلفه[4].

مرت فترة حكم **جوسلين الأول Joscelin I** (1072- 1131م/ 464هـ-525هـ) دون أن يحدث أي توتر في العلاقات بينه وبين طوائف المسيحيين الشرقيين في الرها، غير أن سياسة خلفه الكونت جوسلين الثاني **Joscelin II** (1131- 1159م) الاضطهادية للعنصر السرياني وتفضيله للعنصر الأرميني على حسابهم، تفاقمت عندما ضعف موقفه في بقايا أراضي كونتية الرها، ففي الوقت الذي كان نور الدين محمود منهمكا في اجتياح أراضي أنطاكية، اتّجه الكونت جوسلين الثاني إلى نهب الدير السرياني بارصوما الواقع قرب مدينة كركر في أعالي الفرات من الشمال، وهو مكان البطريرك السرياني[5].

---

[1] – متى الرهاوي، المصدر السابق، ص 201؛ فاطمة طراونة ، المرجع السابق، ص 188.

[2] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص98.

[3] – المصدر السابق، ص 202 – 203.

[4] – علية الجنزوري، المرجع السابق، ص 350.

[5] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 448.

ولم تسلم طائفة السريان من بطش الصليبيين أيضا، وتُعتبر حادثة تدنيس دير بارصوما أشهرها على الاطلاق، حيث وصل الكونت **جوسلين الثاني** يوم الجمعة، (18 جوان 1148م/ 29 محرم 543هـ) إلى دير بارصوما، فابتهج الراهب السرياني بوصوله، واستقبله خير استقبال معتقدا أنه قدم ليتفقد أحوال السريان وليصلي في الدير[1]، ولكن الكونت جوسلين الثاني تعامل مع مستقبليه بخبث ومكر، فنزل من على ظهر فرسه وأظهر خشوعا حتى دخل واستقر في الدير، وعندئذ، وبتحريض من الأرمن أمر فرسانه بإلقاء القبض على جميع الرهبان السريان، وزجّ بهم في السجن بحجة تعاونهم مع جيرانهم التركمان المسلمين[2].

أمر رجاله بجمع كل ما يحتويه الدير من الذهب والفضة والأواني الثمينة والسّجاد وتحميله على البغال والجمال ونقله إلى تل باشر، فاعترض بعض الرهبان الذين كانوا برفقته على أعماله بحجة أنهم قدموا معه لمحاربة التركمان ونجدة المسيحية وليس لنهب الأديرة، فأقام عدد منهم في دير بارصوما تحت إشراف الحامية الإفرنجية الأرمينية التي وضعها الكونت جوسلين الثاني للإشراف على الدير، وعاد عدد آخر منهم معه إلى تل باشر، بينما فارقه بعضهم مع عدد من العناصر السريانية يبحثون عن ملجأ يؤويهم من السيطرة الإفرنجية الأرمنية واضطهادهم[3].

أثبتت هذه الممارسات التعسفية الصليبية أنهم والبيزنطيون وجهين لعملة واحدة، خاصة فيما يتعلق بموقفهم تُجاه الكنائس المشرقية، ممّا جعل السريان يستنجدون بالمسلمين حيث قصدوا جارهم سلطان قونية **مسعود بن قلج أرسلان** (510-550هـ/1155 -1116 م)[4]، معتبرين أنفسهم من رعاياه والدّير من ضمن أملاك إمارته، وعاهدوه على مساندته ضد الكونت جوسلين الثاني، وخاصة بعد أن ظهر لهم أن العمل الذي قام به الكونت جوسلين الثاني خيانة للسريان وتدنيس لمقدساتهم[5].

دعم الموارنة الفرنجة في غزواتهم وحملاتهم على مدار مائتي عام، غير أن هذا الأمر لم يكن رادعا للتدخّل الفرنجي في الأُمور الدّاخلية للطائفة بل حتى في مُمارستهم لطُقوسهم[6]، وهذا ما رفضه موارنة المناطق العالية من

---

[1] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 2، ص 195 – 273.

[2] – المصدر نفسه، ص 273.

[3] – سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ج 5، ص 190 – 191.

[4] – **مسعود بن قلج أرسلان**: حكم بين 510-550هـ/1155 -1116 م . وهو سلطان دولة سلاجقة الروم التي اتخذت قونية عاصمة لها. من أبرز إنجازاته تصديه للحملة الصليبية الثانية 542هـ/ 1147م؛ أُنظر: النويري، المصدر السابق، ج 27، ص64 – 66.

[5] – نعيمة عبد السلام ساحلي، المرجع السابق، ص134.

[6] – كان الموارنة على خلاف فيما بينهم بشأن الدخول في طاعة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ولعلّ الموارنة الذين كانوا على صلة مع الفرنجة – ومنهم البطاركة وكبار الأساقفة – هم بالذات الفريق الذي أيد فكرة الاتحاد مع رومية. ولا بدّ أن الموارنة المتحفظين تجاه الفرنجة، هم أبناء العشائر في

الجبل، فبقوا متحفظين تجاه الفرنجة، كما كانوا متحفظين من قبل تُجاه المسلمين، ولم يتقبلوا التدابير الإدارية التي استحدثها أصحاب كونتية طرابلس لضبط أمور الجبل عن طريق التنظيم الإقطاعي، فكانوا بين فترة وأخرى يتحدّون الفرنجة ويثورون عليهم[1].

مِن المؤكّد أن الموارنة ككل لم يتعاونوا مع الصليبيين الزاحفين وذلك لأن بعض عشائر الموارنة من أعالي لبنان تعاونوا مع المسلمين ضد الصليبيين من خلال تعاونهم مع أتابكة دمشق ضد فرنجة طرابلس، حيث زحف الجيش الدمشقي حتى سهل طرابلس سنة 532هـ/1137م[2]، ليسلم أولئك الموارنة الجيش الإسلامي ممرات بشرى، وكانوا له أدلاء، وأسهموا في مقتل "بونز" Pons كونت طرابلس، ما جعل الصليبيين يحمّلون مسؤولية الهزيمة للخيانة المسيحية المارونية معتبرين هذا الدعم من مسيحي الجبل للمسلمين هو تهديد بالانحياز إلى إحياء السلطة الإسلامية، فما أن استعادوا طرابلس من جديد بعد هزيمتهم فيها حتى جمع ريموند الثاني (Raymond II) ابن الكونت القتيل رجاله سرًّا وصعد بهم جبال لبنان ليذيق الموارنة أنواع العذاب، فقتل أعدادا كبيرة منهم ثأرا لأبيه[3].

إنّ استئثار الفرنجة بالمناطق الخاضعة لها ولاسيما جبل لُبنان وسواحله، ومُعاملة هذه البلاد ككلّ أرض مُحتلّة، زعزع العلاقات المارونية الفرنجية، وخلافات أُمراء الفرنجة بين بعضهم البعض، وأتاح المزيد من التّفرقة والتّباعد بين القيادات المارونية واللّاتينية، فقد اشتدّ الصّراع بين فُرسان الدّاوية وفُرسان الإسبتارية حينًا، وحينًا آخر بين أُمراء طرابلس وجبيل، وأحيانًا بين هؤُلاء جميعًا ومُلوك بيت المقدس اللّاتينية حول السُّلطة والمغانم[4].

أدّت كل هذه الصّراعات في النّهاية إلى نُشوب البلبلة والضُّعف بين الموارنة والفرنجة أنفُسهم على حدّ سواء، وكانت نتيجة هذه الحال من التّناحر والصّراع، أن تملّكت العداوات النُّفوس، ولما حاول الموارنة رفع النّير

جبة بشري ومرتفعات بلاد جبيل و البترون هم الفريق الرافض لفكرة الاتحاد. والمؤكد أن حملة ريموند الثاني التأديبية ستكون ضد هؤلاء الموارنة من عشائر الجبل؛ أُنظر: كمال صليبي، **منطلق تاريخ لبنان 634– 1516م**، نوفل للنشر، ط.2 ، بيروت، 1992، ص91.

[1] – عبد الله أبي عبد الله، المرجع السّابق، ج 2، ص 35.

[2] – هشام ريمون، المرجع السابق، ص 257؛ عمر تدمري، المرجع السابق، ص 43.

[3] – محمود سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى، ص 86.

[4] – لقد تداخلت العلاقات المارونية الصليبية بشكل كبير ومعقد سياسيا، حيث نجد أن أساقفة بشري وجبتها كانوا على صلة بحكام طرابلس الصليبيين، بينما أساقفة المنيطرة وجبتها على علاقة وثيقة بحكام جبيل. لذلك، امتد الصراع الصليبي– الصليبي ليطال القيادات الروحية المارونية ويقسمها الى جبهتين؛ للمزيد من التفصيل، أُنظر: عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 52 – 53.

الفرنجي عن مناطقهم، شهدت جبّة المنيطرة وجُبّة البشرّي في سنة 630هـ/1233م حملات تأديبية قاهرة، فضعفت الثّقة المتبادلة، ممّا أدّى في النّهاية إلى الاستقواء بالأعداء والتّعجيل بإجلاء الفرنجة عن هذه المنطقة[1].

رد فعل الموارنة على بداية إجلاء الصليبيين من المشرق يلخصه المؤرخ أبو شامّة[2] في قوله: "**بلغني أنّ النّصارى ببعلبك سمخوا وسوّدوا وُجوه الصّور في كنيستهم على ما جرى على الفرنجة، فعلم الوالي فجناهم جنايةً شديدة، وأمر بصفعهم، وضربهم، وإهانتهم**"، ولم يُعرف في أيّ كنيسة تمّ ذلك في بعلبك نفسها، أو في المناطق الغربية منها أين يستقر بعض الموارنة، وربّما كانت القصّة ردًّا لتبرير ما قام به المسلمون في دمشق، فبعد هزيمة الملك لويس السابع وأسره في دمياط سنة 648هـ/ 1258م، أرسل المعظّم "توران شاه" ملابس الملك "لويس" الأسير إلى واليه على دمشق "جمال الدّين يغمور"، " **فدخل النّاس (المُسلمون) كنيسة مريم[3] بفرحة وسُرور ومعهم المغاني، ويطربون فرحًا بما جرى وهمّوا بهدم الكنيسة**"، وبما أنّ أبا شامّة مُؤرّخ رصين، فإنّه لا يُعرف بأيّ تلفيق، ولذلك، يتّضح بأنّ ما تمّ قد يكون بكنيسة مارونية جنوب البقاع، فصلات الموارنة بالملك لويس كانت وثيقة[4].

لجأ بعض الفرنجة بعد سقوط طرابلس وفرارهم من المماليك إلى السّاحل اللّبنانيّ وصولا إلى الزّاوية وزغرتا[5]، وبعضهم توجه نحو جبل المنيطرة وجبيل والبترون وكسروان، طالبين الحماية، فقدّم لهم البطريرك الماروني وسكّان هذه المناطق المأوى والمأكل، واستقبلوهم في قُراهم وداخل منازلهم رغم ضيقها، وهذا ما دفع **البابا إنوسنت الثّالث Innocent III**1160-1216م إلى للكتابة لبطريرك الموارنة شاكرا له المعاملة الحسنة

---

[1] _ ريمون هشام، دراسة تحليلية في تاريخ الموارنة في لبنان من النشأة حتى الانتداب الفرنسي، منشورات الجامعة الأنطونية، لبنان، ط.1، 2008، ص 339؛ عبد الله أبي عبد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 50 - 51.

[2] _ **الذيل على الروضتين**، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 2002 م، ج 5، ص 248.

[3] _ **الكنيسة المريميّة**: هي أكبر الكنائس التي كانت قبل الفتح. بناها أركاديوس قيصر المتوفى سنة 408م. وقد تهدمت أيام الظاهر بيبرس. وتقع إلى يسار السوق المستقيم على نحو نصفه، موقع مطرانية، دمشق وتوابعها للروم الأرثوذكس آنذاك. وعند فتح بيبرس لأنطاكية تحولت الكنيسة إلى مركز البطريركية. قال عنها ابن جبير عند وصفه معالم دمشق: "وفي داخل البلد كنيسة لها عند الروم شأن عظيم. تُعرف بكنيسة مريم، وليس بعد بيت المقدس عندهم أفضل منها. وهي حفيلة البناء. تتضمن من التصاوير أمراً عجيباً تبهت الأفكار وتستوقف الأبصار"؛ أُنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج 2، ص 356؛ ابن جبير ، رحلة ابن جبير، ص 283.

[4] _ منذر الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص 54.

[5] – **زغرتا**: هي قرية كبيرة في الساحل قريبة من طرابلس يمر قربها نهر أبو علي الذي يصب في طرابلس فيسقى أراضيها ويجعلها مخصبة للغاية وأهالي هذه القرية مشهود لهم بشدة البأس وصحة الأجسام. وهم يصرفون الشتاء في زغرتا والصيف في أهدن. حسن حلاق، المرجع السابق، ص 40.

التي يُعامِلون بها اللاتين، موصيا بالاستمرار في دعمهم معتبرا الموارنة أبناء البلاد، وبسبب هذا الدعم الماروني المستميت للفرنجة لقي هؤُلاء اضطهادًا وتنكيلًا من قبل المماليك إثر رحيل الفرنجة عن الشّرق[1].

فضّلت جماعات وأسر كثيرة من الموارنة المغادرة مع الفرنجة أثناء جلائهم عن مدن الساحل الشامي، فهاجر قسمٌ منهم إلى قُبرص وقسم إلى البلاد الأُوربية خاصة روما وفرنسا[2]، ويتّضح أنّ الموارنة كانوا الدّعامة الحقيقيّة والوحيدة لبقاء الفرنجة الغرباء، زهاء قرنين من الزّمان في المشرق.

المبحث الثالث: مملكة أرمينية الصغرى وتجربة الحكم الذاتي لمسيحيي الشرق تحت لواء اللاتين (594 هـ – 685 هـ /1198 م _ 1291 م):

ضمت آسيا الصغرى خلال القرن الخامس للهجرة الحادي عشر الميلادي نوعين من الزعامات الأرمينية، أما الأولى فهي تلك الإمارات التي كانت تتبع بالولاء إلى إحدى القوتين البيزنطية أو الإسلامية، أي أنها لم تكن ذات استقلال كلي، ومن بين هذه الإمارات نذكر إمارة مرعش، وإمارة الرها وإمارة كوغ باسيل في رعبان وكيسوم[3]، أما النوع الثاني من الزعامات فتتمثل بالتحديد في الإمارتين الروبينية والهيثومية اللتين ظلتا بعيدتين تماما عن الخضوع المطلق لبيزنطة، متخذتين إقليم قليقية موطنا لهم من أجل إحياء مملكةٍ أرمينية جديدةٍ[4] .

يُعدّ موقع قليقية موقعا إستراتيجيّا بامتياز إذ يحدها من الشرق جبال الآمانوس(اللكام)، ومن الشمال والغرب جبال طوروس، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط الذي تمتد سواحله من مدينة طرسوس إلى جنوب الإسكندرونة، ومن أهم مدنها طرسوس ومرسين ومرعش وعينتاب وزيتون[5]، وأدى استقرار الأرمن في هذه البلاد إلى فتح صفحة جديدة في تاريخهم، فهذه هي المرة الأولى التي أصبحوا فيها ضمن بلاد لها منفذ مباشر على

---

[1] _Azais l'Abbé et C. Domergue, **Journal d'un voyage en Orient**, Avignon, 1858, pp 156_160.

[2] _ أولفر أوف بادر بورن، **الاستيلاء على دمياط** ضمن الموسوعة الشّامية للحُروب الصّليبية، تح وتر. سهيل زكار، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1998 م، ج 33، ص 97.

[3] – فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 31 – 33.

[4] – فاطمة طروانة، المرجع السابق، ص 40؛ فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 33.

[5] – محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، 1997، ص 71.

البحار المفتوحة، مما مكنهم، بالتالي، من الاحتكاك والتعامل مع شعوب وأمم جديدة على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[1].

1. مملكة أرمينية الصغرى فاعلا سياسيّا في المنطقة:

- **التحالف الروبيني- الصليبي والسعي إلى التاج الملكي:**

يُعدّ روبين الأول RubenI (1080-1095م/473-489هـ) مؤسسَ الأسرة الأرمينية التي حكمت قليقية تحت اسمه على مدى القرون الثلاثة التي عاشتها بين أعوام 473- 489هـ/ 1080 -1375م، استطاع هذا الأمير أن يجمع شتات الأرمن الموجودين بهذا الإقليم ويعيد أمجاد أرمينيا الكبرى المستقلة، لكن هذه المرة في جنوب شرقي آسيا الصغرى، متخذا من قلعة كوروموزول القريبة من سيس[2]مقرا له، واضعا نواة مملكة أرمينية الجديدة، التي أطلق عليها أرمينية الصغرى[3].

لا يمكن معاينة المجال الحقيقي لممتلكات روبين، فمن المحتمل أنّه سيطر على جزء من المناطق الجبلية الواقعة جنوب شرق وشرق المصيصة وأبواب قليقية، ولم يلتمس الأمير روبين الأول المساعدة من الإمبراطورية البيزنطية، وإنما ظهر دائما بصورة المتفوق حتى وفاته، حيث كان يعتبر نفسه وريثا للأسرة الحاكمة في أرمينيا الكبرى سابقا[4].

تولّى الحكم بعد ابنه الأمير قسطنطين الأول (1095-1099م/489-493هـ) الذي يعتبر أول من حمل لقب بارون أو أمير بين الأمراء الأرمن الروبينيين، ويُعدّ وصول الصليبيين إلى الشرق في أواخر القرن 5هـ/ 11م، من العوامل التي هيأت الفرصة لتمكن تلك الإمارة من النمو والازدهار، حيث دخلت مع الصليبيين في علاقات ودية وتحالفات شجعتها على أن تتخذ موقفا معاديا للبيزنطيين الطامعين فيها[5].

---

[1] – مروان مدور، **الأرمن عبر التاريخ**، منشورات دار نوبل، ط2، سوريا، 1980 م، ص224.

[2] – **سيس**: أو سيسه قاعدة بلاد الأرمن جميعها قريبة من عين زربة. وبينها وبين المصيصة 24 ميلا. وهي من توابع حلب. بها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار. ولها إقليم به قرى عديدة غالبها نصارى. وكانت قاعدة الثغور الشمالية. ثم أصبحت دار إقامة ملوك أرمينية الصغرى؛ أُنظر: خليل بن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص50. محب الدين أبي الفضل محمد بن الشحنة، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، تح. يوسف بن اليان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1909، ص 188. القلقشندي، **ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشاء**، تح. محمود سلامة، مطبعة الواعظ، ط 1، 1906، ص 298.

[3] – علية الجنزوري، المرجع السابق ، ص44.

[4] – أنطوان خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 215؛ فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص34.

[5] – فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 34.

لم يكد يقترب القرن 6 هـ/ 12 م، من نهايته حتى كان أمراء قليقية من الأرمن قد أظهروا مهارة في الاحتفاظ بكيانهم وسط الاضطرابات السياسية والعسكرية المحيطة بهم، وهو ما دفع ليو الثاني أمير أرمينية الصغرى للتطلع إلى التاج الملكي[1]، من خلال بذل نفسه في مساعدة الصليبيين ودعمه العسكري لهم أثناء الحملة الصليبية الثالثة، حيث شاركت قواته بجانب جيش الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد في غزو جزيرة قبرص، وكان ذلك النشاط في حد ذاته كفيلا بإعلاء مكانة الأمير الأرميني ليو الثاني، وإظهار إخلاصه وتجاوبه مع الأهداف الصليبية[2]، ليتجه ليو الثاني بعدها إلى الإمبراطور الألماني هنري السادس[3] (586-593هـ/1190-1193م) والذي كان ينوي القيام بحملة صليبية جديدة تعوض ما فات أباه من مجد خاصة أنه كان يعتبر أقوى حكام غرب أوروبا، بالإضافة إلى وعده بتتويج كل من عموري وليو الثاني ملوكا على كياناتهم السياسية وذلك حال قدومه إلى الشرق[4].

وبالفعل تمت هذه الوعود عندما أرسل الإمبراطور هنري السادس قبل وفاته سنة 593هـ/1197 م الأسقف كونراد إلى الشرق ومعه تاجان، أحدهما لعموري لوزيجنان *Amaury* de *Lusignan* صاحب قبرص، والآخر للأمير ليو الثاني أمير قليقية، مما أدى إلى مولد مملكتين نصرانيتين صغيرتين على مسرح الشرق الأدنى، هما مملكة قبرص ومملكة أرمينية الصغرى، وتُوِّج ليو الثاني ملكا على أرمينية الصغرى في جانفي 1198

---

[1] – Sempad, **Chronique du royaume de la Petite Arménie**, in Recueil des historiens des croisades , documents arméniens , Vol.1, Paris, 1869,p.622؛ مروان المدور، المرجع السابق، ص203؛ حسين محمد عطية، **إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون**، دار المعرفة الجامعية، ط .1، إسكندرية، 1989، ص 204 .

[2] –Sempad, Op.Cit, Vol.1 pp.624؛ مروان المدور، المرجع السابق، ص 230 – 231

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة، ص 144؛ Setton Kenneth M. ,Op.Cit,Vol.2 ,pp.

[2] – مصطفى محمد حناوي، **عصر الحروب الصليبية: فرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي**، مكتبة الرشد، 2006، ص 310؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تأريخ العصور الوسطى، ص 237.

[3] – **هنري السادس**: حاكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الجرمانية (1190-1197م/586-593هـ) ابن الإمبراطور فريديريك بربا روسا أحد قادة الحملة الصليبية الثالثة. اشتهر هنري السادس بسعيه لإثارة حرب صليبية من أجل استعادة بيت المقدس مرة أخرى وتحقيق أطماع توسعية ضد الإمبراطورية البيزنطية. لذلك، نرى سياسته تتجه نحو إيجاد حلفاء جدد في المشرق بعد أن دب الضعف في الإمارات الصليبية، وعودة القوى الإسلامية والبيزنطية للظهور مرة أخرى على ساحة السياسة الشرقية، ما جعله يخلق مملكتين جديدتين في المنطقة في كل من قيليقيا – أرمينيا الجديدة – وقبرص؛ للمزيد، أُنظر: سوريال عطية، **العلاقات بين الشرق والغرب تجارية – ثقافية – صليبية**، تر. فيليب صابر سيف، دار الثقافة المسيحية، ط 1، القاهرة، 1972، ص 65.

[4] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 145.

م/ ربيع الأول 594هـ، وتمّ التتويج في كنيسة القديس بولس[1] في طرسوس[2] للأرمن الغريغوريين الأرثوذكس، وحضر هذا التتويج 15 أسقفا و29 أميرا أرمينيا وطائفة من الفرسان الصليبيين وكذلك ميتروبوليتان ترسوس اليوناني وبطريرك السريان، وسط ابتهاج الأرمن الذين رأوا في تحول البارونية إلى مملكة هو إحياء لملكيتهم القديمة في أرمينية الكبرى [3] منتزعين الاعتراف الثاني بمملكتهم الوليدة من بيزنطة العدو التقليدي، حيث أرسل الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث أنجيلوس 1195-1203م /591-599هـ تاجا إلى ليو الثاني[4] وتوجيه الدعوة إليه لزيارة القسطنطينية، وهكذا، أصبح لقب الملكية للأرمن معترفا به رسميا من جانب الغرب الأوروبي المسيحي والشرق البيزنطي، ونظر الشعب الأرمني إلى ملكهم ليو الأول ومن بعده ابنه ليو الثاني على أنهما أعظم أبطال أرمينية وأصبح بإمكانهم التصرف كندٍّ للاتين في بلاد الشام[5].

- **أرمينيا الصغرى وأزمة الحكم في إمارة أنطاكية الصليبية:**

تزامن التتويج الملكي الأرميني مع بروز مشكلة الحكم في أنطاكية الصليبية، من 603هـ/1206م إلى 616 هـ/1219 م، التي ترجع جذورها إلى زمن حكم **بوهيمند الثالث**Bohemond III (1164م-1201م/ 559-598هـ)، إذ لم يتمتع هذا الأمير بالحنكة السياسية الكافية التي تخول له مجابهة الاضطرابات السياسية، لتتواطأ زوجته مع ليون ملك أرمينيا الذي كرس جهده للاستيلاء على الإمارة وضمها إلى مملكته، فقد

[1] – **كنيسة القديس بولس الرسول:** تُعد كنيسة القديس بولس أول كنيسة بناها الفرنجة ومعهم أمراء الروبينين الأرمن أثناء قدوم الفرنجة في الحملة الأولى سنة1102/496. وفيها توج أول ملك أرميني ليو الثاني سنة 594 هـ/1198 م، وأصبحت كنيسة تابعة للأرمن الغريغوريين الأرثوذكس؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج. 3، ص653 – 636، متري هاجي أثناسيو، موسوعة بطريركية أنطاكية،ج 2، ص60.

[2] – **طرسوس** tarse : اسمها بالرومية تارسين وسُميت أيضا طريسوس. وهي مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية بين أنطاكية وحلب. وعليها سوران. وهي على غاية العمارة والخصب. وبينها وبين حد بلاد الروم جبال. وأهلها أخلاط من ناس من سائر الآفاق؛ أُنظر: الحموي ، معجم البلدان، ج. 4، ص 2؛ ابن العديم، بغية الطلب،ج.1، ص 175

[3] – مدور، تاريخ الأرمن، ص 231 – 232.

[4] – حسين محمد عطية ، المرجع السابق، ص 240؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج. 2، ص 145.

[5] – مروان مدور، المرجع السابق، ص 232.

تمكن من أسر بوهيمند الثالث في نواحي قلعة بغراس[1] سنة 589 هـ/1193 م، بعد دعوته لحضور حفل رسمي بمملكة أرمينية[2].

لم يتم إطلاق سراح بوهموند إلا بعد تنازله عن أنطاكية، لكن أهالي أنطاكية خصوصا النبلاء لم يرضوا بذلك حيث استنجد **البطريرك إيمري** Aimery وولي العهد ريموند الثالث بملك بيت المقدس **هنري أف شامباني** Henry of Champagne وتم حلّ المسألة سلميا، والاتفاق على توثيق الروابط السياسية بين الطرفين عن طريق المصاهرة السياسية بين كل من ريموند الثالث وأليس الأرمينية Alice ابنة روبين الثالث أخ الملك ليون الأول[3].

وبعد وفاة **ريموند الثالث**(1152-1187)Raymond III الوريث الشرعي لأنطاكية، الذي كان أبوه قد اعترف له بابنه ريموند روبين وريثا وكان ذلك سنة 594 هـ/1198 م، دون ذكر **بوهيمند الرابع** 1291 Bohemond V– 1233م/أمير طرابلس، الذي كان يطمح هو الآخر في وراثة العرش كونه الابن الأصغر لبوهيمند الثالث، ومن حقه أن يرث، ولهذا نراه يرفض ذلك[4]، ليقوم بوهيمند الثالث بنقل ريموند روبين وأمه إلى أرمينيا الصغرى خوفا على حياتهما من انتقام بوهيمند الرابع[5]، وأصبح بمقدرة هذا الأخير الاستعانة بالتنظيمات الدينية العسكرية الداوية والأسبتارية على الخصوص، ليضمن لنفسه حليفا ضد خصمه، بل نجده قد تحالف مع مسلمي حلب[6].

وبهذا، تداخلت عدة قوى سياسية وعسكرية في مسألة أنطاكية، لذا، لم يجد ليون الأول بدًّا من المضي في سياسته العدائية ضد بوهيمند الرابع، في حين لقي هذا الأخير تأييدا من النبلاء في أنطاكية رغم أن غالبيتهم من أصل بيزنطي، ولما أدرك بوهيمند الثالث نوايا ليون الأول التوسعية على حساب إمارته، قرر دعم ابنه في موقفه

---

[1] – **قلعة بغراس:** بغراس اسم بلدة أسفل جبل اللكام في ديار الشام. بها قلعة منيعة وقعت في ما بين أنطاكية وقليقية الأرمينية Armenian Cilicia، خلف جبل اللكام الهائل المعروف باسم أمانوس Ammanus. وبعدت عن أنطاكية بمسافة اثنى عشر ميلاً؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 224؛ محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة، ص 39.

[2] – محمد مؤنس عوض، **السياسة الخارجية للدولة النورية في الصراع الاسلامي الصليبي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ص 177؛ بوعمامة فاطمة، العلاقات الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة 1375 م، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر، س. ج. 1993 - 1994، ص 84.

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 908. حسين عطية، المرجع السابق، ص 237- 239.

[4] – أنظر :Cahen, **la syrie du nord a l'époque des croisades et la principauté franque d'Antiche**, librairie orientaliste paul Geuthner, paris , 1940, p.591.

[5] – ستارجيان، المرجع السابق، ص 221 - 224.

[6] – أُنظر: .Cahenclaude, op, cit., pp. 592-593:

تجاه الملك الأرميني[1]، وبهذا، أصبح موقف أمير طرابلس أقوى من ذي قبل و بإمكانه أن يرث عرش أبيه بأنطاكية، وحين وفاة والده سنة 598 هـ/1201 م، أتيحت له الفرصة بتولي العرش فيها[2]، حيث استقبله سكانها معترفين به دفاعا عن تراث اللاتين وحضارتهم وكنيستهم[3].

أثناء ذلك تحرك الملك الأرميني ليون الأول لاسترجاع حقوق ريموند روبن في أنطاكية وشكلت أطراف الصراع جبهتين، حيث ساندت الداوية[4] والملك الظاهر صاحب حلب بوهيمند الرابع، في حين وقفت الأسبتارية[5] إلى جانب ليون الأول[6]، والكل كان يسعى لتحقيق مآربه الخاصة.

بتولي بوهيمند الرابع على إمارة أنطاكية لم يرض ليون بذلك، فله طموحاته في المنطقة، لذلك، أعدّ العدة وتجهز لخوض غمار المعركة ضد خصمه مستندا لشرعية لريموند روبن في حكمها مدعوما من غالبية النبلاء[7]، ولكنه تراجع عن ذلك نتيجة تحرك القوات الإسلامية في حلب باتجاه حارم، يقول ابن واصل[8] في ذلك: "**في السابع والعشرين من ربيع الأول في هذه السنة 600 هـ/1203 م نازل ابن لاون ملك الأرمن أنطاكية، وجدَّ في حصارها والتضييق عليها فخرج الملك الظاهر من حلب، واتصل ذلك بابن لاون فرحل عن أنطاكية، ومرة أخرى، راسل أهل أنطاكية ليون الأول ووعدوه بتمليك المدينة، فسار باتجاهها ودخلها لكن سرعان ما انجلى عنها عندما علم بقدوم الملك الظاهر**".

---

[1] – بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص 87 – 88.

[2] – أُنظر: Stevenson, **the crusaders in the east**, cambridge univesity press, 1907, pp. 298-299. :

[3] – بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص 88 ؛ للمزيد، أُنظر أيضا: حسين عطية، المرجع السابق، ص 255.

[4] – **الداوية:** فرسان الداوية أو جماعة فرسان الهيكل Les templiers هي هيئة عسكرية دينية تابعة لفرسان المسيح الفقراء، الذين كانوا يعرفون في العصور الوسطى أيضاً بفرسان هيكل سليمان، نسبة إلى مقرهم ببيت المقدس. نشأت في القدس سنة 1118 زمن الحروب الصليبية. وكانت النواة الأولى للهيئة فرقة تألفت من تسعة فرسان اجتمعوا برئاسة هيودي باين لحماية الحجاج إلى الأماكن المقدسة ثم لحماية القبر المقدس؛ أُنظر:سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج.1، ص 425.

[5] – **الإسبتارية:** Les Hospitaliers ويعرفون أحياناً بفرسان القديس يوحنا أو بفرسان بيت المقدس، وهؤلاء الفرسان كانوا في الأصل أعضاء الهيئة العسكرية الدينية التابعة لمستشفى القديس يوحنا بالقدس. وسمّاهم العرب الفرسان الإسبتارية يرجع تأسيس هذه الهيئة إلى المواطن الأمالفي جيرارد Gerard ؛ **أُنظر:** ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص 141 (هامش)

[6]– أُنظر Stevenson, op. cit., p. 299. :

[7] – أُنظر: Cahen claude, op. cit., pp. 594-595.

[8] – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، (د. ت. ن.)، ج.3 ، ص 154 – 155.

من خلال ذلك، يتضح أن المسلمين في حلب كانوا حلفاء لأنطاكية، والذين يخشون توسع نفوذ الأرمن في المنطقة، ولهذا، تراهم يهبون على جناح السرعة لنجدتها، وبالتالي، أصبح بوهيمند الرابع يحظى بحماية المسلمين، أي أن الملك الأرميني أصبح في صراع مع مسلمي حلب[1].

أغار ليون الأول سنة 602 هـ/1205 م على ولاية حلب، فنهب وحرق وأسر وسبى، فخرج الملك الظاهر غازي لملاقاته وطلب المعونة من غيره من الملوك، والتقى الفريقان قرب حصن دربساك[2]، ودار بينهم الاقتتال، ولكن الغلبة كانت للأرمن حيث غنموا وعادوا إلى بلادهم[3]، ونتيجة لأعمال ليون التوسعية في المنطقة وعلاقاته السيئة مع أنطاكية والبيزنطيين، فضل عقد صلح مع الملك الظاهر غازي، بأن يعيد كل ما نهبه أثناء غارته على حلب وأن يصرف نظره عن أنطاكية[4].

ومن خلال ما قام به بوهيمند الرابع بتعيين بطريرك يوناني سيميون الثاني Symeon 2 سنة603هـ/ 1206م على كنيسة أنطاكية، يكون بذلك قد ضرب بحقوق اللاتين في المدينة، عرض الحائط، كما أنه بفعله هذا سيجعل التقارب أكثر بين الأرمن والبابوية، وفي ظل الصراع المتزايد استاء البابا انوسنت الثالث[5]Innocent 3 (1198-1216م/ 594-613هـ)، لذلك، **وعهد التسوية** إلى بطريرك القدس، وفي سنة 605 هـ/ 1208م، قام الملك ليون بحصار أنطاكية وتخريبها، واستعان بوهيمند بالسلاجقة ضدّ الأرمن، فقام البابا بمناشدة الظاهر صاحب حلب بإنقاذ أنطاكية من اليونانيين[6].

قام بوهيمند الرابع أثناء ذلك بقبول بطريرك لاتيني جديد في أنطاكية ليتناسى ليون ولاءه لروما ويتقرب من اليونانيين[7]، الأمر الذي رفضته الأسبتارية واعتبرته خطرا على مصالح المسيحيين الكاثوليك في الشرق، وقام البابا إينوسنت الثالث بتحذير بوهيمند الرابع وحثه على عزل البطريرك البيزنطي، مهددا إياه بالحرمان الكنسي،

---

[1] – بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص 89.

[2] – **دربساك**: قلعة من جند قنسرين شمال حلب على نحو ثلاثة أو أربعة مراحل منها. ولها من شرقيها مروج متسعة كثيرة العشب يمر بها النهر الأسود. وبها حصن. قريبة من إمارة أنطاكية في الاتجاه الشمالي الشرقي من حصن بغراس. أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج.1، ص467. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 260.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح أبو الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، مج. 10، ص 319 – 320.

[4] – بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص 89 – 90.

[5] – **البابا إينوسنت الثالث**: هو لوثر أوف سنجي lother of sengi ينتمي الى عائلة رومانية عريقة هي عائلة conti كان يبلغ من العمر 37 سنة عندما تولى منصب البابوية. درس اللاهوت في باريس والقانون في بولونا الإيطالية. سعى إلى تكريس نظرية السمو البابوي إيمانا منه بأحقية البابوية في تولية الملوك والأباطرة ورسم سياساتهم؛ للمزيد، أُنظر: Jacob (E) , Innocent III, in C.M.H. ed Hussey, London, 1975 , vol 4, pp 1-6 .

[6] – ستارجيان، المرجع السابق، ص222؛ أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص331 – 332.

[7] – رانسيمان ، المرجع السابق، ج 3، ص 183 – 184.

كما قام البطريرك بأنطاكية يحث الفرسان والنبلاء على الثورة ضد بوهيمند الرابع (1207–1208) مستعينا بالأسبتارية[1].

تمكن ملك أرمينيا الصغرى من دخول أنطاكية، وبمساعدة البطريرك، تمّ تنصيب حفيده ريموند روبن أميرا عليها، لكن بوهيمند لم يستسلم، إذ نجده يشن هجوما على أنطاكية بمساعدة الملك الظاهر، لذلك، رأى ليون الأول وحفيده أن خير حل هو الانسحاب من أنطاكية، ليدخل الحشاشون على خط الصراع ويقومون سنة 610 هـ/1213 م باغتيال ريموند ابن بوهيمند الرابع البالغ من العمر 18 سنة في كاتدرائية طرطوس[2].

سنة 631 هـ/ 1216 م، تمكن ليون من الاستيلاء على المدينة دون قتال و تمّ تنصيب حفيده ريموند – هيثوم بعد أن قدم فروض الولاء والطاعة إلى البطريرك اللاتيني الكاثوليكي الذي أعلنه أميرا على أنطاكية، وهو اللقب الذي لم يستطع بوهيموند أن يحصل عليه رسميا حتى ذلك التاريخ، ثم قدم البارونات الولاء لريموند أميرًا لهم، وتنازل للداوية عن قلعة بغراس، وأعاد للكنيسة اللاتينية أراضيها في قليقية، أما بوهيموند فغادر إلى حصن المرقب، ثم عاد إلى طرابلس بعد أن تأكد له سقوط أنطاكية بيد خصومه[3].

لكن العلاقة بين ريموند وليو ما لبثت أن ساءت، حيث هرب ليو من أنطاكية قبل أن يعتقله ريموند، وربّما شعر ريموند بأن وصاية ليو عليه قد أثقلت كاهله، خاصة أنه من حسن السياسة أمام رعاياه الجدد من اللاتين أن لا يبقى تحت وصاية أرمني، إرضاء لمشاعر اللاتين الذين كانوا يمقتون النفوذ الأرمني الذي يستشري في أنطاكية دون أن يجدوا وسيلة لصده[4].

لجأ ريموند الى إجراءات أثارت استياء السكان، وراح يبطش برجال الكنيسة والعامة على السواء[5]، وهكذا، ساء موقف ريموند في أنطاكية، وعادت الفرصة تتهيأ أمام بوهيموند الرابع لاستعادة سلطته في الوقت المناسب، بنفس الطريقة التي فقدها من قبل، فقد تمّ تنظيم مؤامرة على يد شخص يُدعى ويليام فارابل

---

[1] – أنظر : Delaville le roulx , **les hospitalliers en terre sainte et a chypre 1100–1310**, paris, 1904, p.134 .

[2] – بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص 91 – 92.

[3] – ابن واصل، المصدر السابق، ج 3، ص 233. رانسيمان، المرجع السابق، ج 3، ص 184 – 185؛ حسين عطية، المرجع السابق، ص 295 – 296.

[4] – ستارجيان، المرجع السابق، ص 222 – 223؛ Emmanuel Guillaume-Rey, **Résumé chronologique de l'Histoire des princes** d'Antioche, R.O.L., Vol.4 ,paris,1901 pp.397

[5] – Grousset rené,Histoire des croisades, vol3 , p.262,263.

guillaum farable الذي استدعى بوهيموند من طرابلس، فظهر الأخير فجأة في أنطاكية، وهتف سكانها بحياته، واستطاع ريموند أن ينجو بنفسه متوجها إلى قليقية، وعبثا حاول أن يسترد حظوة ليو الثاني، وذلك في صفر 616 هـ/أفريل 1219 م.

لم يعد أحد ينافس بوهيموند الرابع على أنطاكية، وفي سنة 616 هـ/1219 م، توفي الملك ليو الثاني الأرميني وهو غير راض عن ريموند روبين، وقبْلَ موته حرمَه من أن يرثه[1]، وعيّن ابنته وريثةً له تحت وصاية آدم حاكم بغراس السابق[2]، بعد موت ليو الثاني عاد ريموند إلى قليقية، واستولى على طرسوس وأضنة [3]، وبدأ في حصار المصيصة [4]عندما داهمته قوات قسطنطين رئيس عائلة هيثوم[5] الذي استبدله بارونات قليقية للوصاية على إيزابيلا ابنة ليو الثاني بدلا من آدم الذي اغتاله الحشاشون[6]، وقبْل وصول نجدة الإسبتارية من دمياط، كان ريموند وأمه أسرى لدى قسطنطين حيث مات ريموند بعد فترة وجيزة[7].

[1] – أنظر:.Grousset rené , Histoire de croisader, p 263 ,264 ؛ حسين محمد عطية، المرجع السابق، ص 302 – 304.

[2] – حسين محمد عطية، المرجع السابق، ص 315.

[3] – **أذنة أو** (أضنة):adana بلد من الثغور قرب المصيصة بينهما 12 ميلا. تقع على الضفة اليسرى من نهر سيحان. بناها الرومان وجددت عمارتها في الدولة العباسية. وقيل بناها هارون الرشيد سنة 90 هـ/709م، لكنه لم يتم بناؤها فأكمله ابنه محمد الأمين. وكانت منازل ولاة الثغور لسعتها؛ أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج.1، ص 132– 133؛ الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ودار السراج، ط 2، بيروت، 1980، ص 20.

[4] – **المصيصة** :Missis مدينة على شاطئ جيحون، من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان. وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفربيا. وبين المصيصة والبحر 12 ميلا. ومن أذنة إلى المصيصة مرحلة (35كم)؛ أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص 167؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص464؛ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص144.

[5] – حسن محمد عطية، المرجع السابق، ص 351 .

[6] – **الحشاشون** : جاءت هذه التسمية إما نتيجة استعمال هؤلاء للحشيش الذي تزخر به الطبيعة الجبلية في تلك البلاد التي استقروا فيها لصنع الأدوية وإما لأنهم كانوا يتعاطون الحشيش المخدر كي يصبح الفرد منهم كالآلة في يد الشيخ قبل أن يوجهه لتنفيذ مهمة ما وهذا ما أورده ماركو بولو. أما الشيخ امؤسس لهذه الطائفة هو الحسن بن الصباح الذي تعمق في دراسة العقيدة الاسماعلية. فألم بأصولها وأهم ما استخدمه من أسلحة هو الاغتيال. واتخذ الحسن بن الصباح مقرا لدعوته في قلعة ألموت المنيعة في خرسان. وتمددت الحشيشية باتجاه بلاد الشام وامتلكوا عدة حصون هامة قلاع الدعوة. وهي ستّ في سلسلة جبال اللكام والبهراء شمال الساحل الشامي منها القدموس والعليقة والكهف ومصياف والخوابي والرصافة؛ أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج. 1، ص 155 – 156؛ سهيل طقوش، **تاريخ المغول العظام والإيلخانيين**، دار النفائس، ط 1، بيروت، 2007، ص 132 – 133.

[7] – محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص 243.

عرض الأرمن على بوهيموند أن يتزوج **ابنة فيليب من إيزابيلا**[1]، وتم الزواج في سيس في جمادى الأولى 619 هـ/جوان 1222 م، غير أن فيليب قد أضاع المجد الذي بدأ به عهده كملك لقليقية الأرمينية، فأحاط نفسه بحاشية فرنجية، وأساء معاملة أتباعه من الأرمن، وبينما كان فيليب في طريقه إلى أنطاكية، دخل بعض الأرمن إلى قليقية واعتقلوه ووضعه قسطنطين في سجن سيس، ورفض طلب بوهيموند بإعادة ابنه إلى منصبه[2].

أرسل قسطنطين إلى بوهيموند كي يأتي لأخذ ابنه من قلعة العمودين، وبعدما وصل الأخير إلى تل حمدون أبلغه الرسل بأنه لا جدوى من ذلك فقد أمر قسطنطين بدس السم لفيليب الذي مات بعد ذلك بقليل[3]، وتمكن قسطنطين أن يسيطر على الأمور في قليقية، فزوج ابنه هيثوم بإيزابيلا أرملة فيليب الأنطاكي بعد أن سلمها له الأسبتارية الذي لجأت إليهم في حصن سلوقية[4]selfike، وصار هيثوم ملكا على قليقية منذ سنة 623 هـ/1226م، واعترف قسطنطين بتبعيته للبابوية في روما، وللإمبراطور الألماني فريديريك الثاني[5].

توفي بوهيموند الرابع في جمادى الآخرة 630هـ/مارس 1233م، ليتولى بوهيمند الخامس عرش أبيه في إمارة أنطاكية – طرابلس (1233م–1251م/ 631–649هـ)، وكان ضعيف الشخصية عكس والده، ونشبت النزاعات بينه وبين هيثوم ملك أرمينية الصغرى، معتبرا أن أسرة هيثوم لم تصل إلى حكم الإمارة الأرمينية إلا بعد التخلص بالقتل من أخيه فيليب، فاشترك مع الداوية[6] في حملة ضد أرمينية الصغرى سنة

---

[1] – عند وفاة ليون الأول الأرميني سنة 616 هـ/ 1219 م، لم يترك سوى ابنة صغيرة تسمى إيزابيلا. قام الأرمن بتزويجها من فيليب ابن بوهمند الرابع، والذي لم يكن وليا للعهد. وبهذا تم الزواج في سنة 619 هـ/ 1222 م؛ أُنظر: نهى فتحي الجوهري، **إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر ميلادي**، دار العالم العربي، 2008، ص 76 – 77.

[2] – حسين محمد عطية ، المرجع السابق، ص 318.

[3] -. Sempad, op.cit vol.1, pp .648

[4] – **حصن سلوقية**: يقع في مدينة سلوقية التي بنيت في القرن 3 ق. م بآسيا الصغرى. أما الحصن فكان موجودا في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. تتموقع قلعته فوق مرتفع صخري وهي ذات شكل بيضوي يحيط بها سور يحرسه ستة وعشرون برجا. وتبدو قلعته مثل قلاع المرقب والكرك الأسبتارية. وشغل دورا بارزا في الصراعي البيزنطي–الإسلامي، ليستولي عليه الأمير ليون الأول من يد البيزنطيين؛ أُنظر: عامر ونوس، **دراسة موجزة حول قلاع مملكة أرمينية الصغرى وحصونها ودورها في حماية المملكة 596–777هـ/1199–1375م**، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 141، عدد4، جامعة دمشق، 1021، ص 127 Boase,T.S.R. , Castles and churches of the crusading kingdom,Oxford University Press,1967,p180.

[5] -Sempad ,op.cit.,vol.1,pp.648 ؛ حسين محمد عطية ، المرجع السابق، ص 322.

[6] – تشكك قسطنطين وابنه هيثوم الأول في أن الداوية templer يدبرون مؤامرة ضدهم. فاعتقل قسطنطين بعض أعضاء الجماعة وأمر بإحراقهم أحياء وشنق البعض الآخر منهم. وهكذا، اجتمعت أحقاد بوهيموند وأحقاد الداوية ضد الأرمن وقررا معا القيام بحملة ضدهم. وفي الوقت الذي سعى بوهيموند الخامس إلى مساعدة الداوية على حساب الأرمن، لينتقم في نفس الوقت لمقتل أخيه؛ أُنظر: حسين محمد عطية، المرجع السابق، ص 351.

630هـ/1233م، وهكذا ظلت العلاقات يشوبها كثير من التوتر بينهما حتى وصول الملك الفرنسي لويس التاسع إلى بلاد الشام[1].

أدرك الملك الفرنسي لويس التاسع منذ وصوله إلى قبرص في سنة 646 هـ/ 1248 م الخطر الذي يتهدد البلدين، وتوسط للصلح بين بوهيموند الخامس أمير أنطاكية وهيثوم الأول ملك أرمينية الصغرى، لتخف حدة النزاع بينهما إلى غاية وفاة بوهيمند الخامس، واعتلاء ابنه بوهيمند السادس العرش والذي خضع لقرار لويس التاسع[2] القاضي بزواجه من ابنة هيثوم الأول **إيزابيل** في أواخر سنة 652 هـ/1254 م، بعد مغادرة لويس بلاد الشام إلى الغرب بأشهر قليلة، و بهذا تم توثيق روابط الصداقة وإزالة الأحقاد[3].

وبهذا تم توطيد أركان التحالف السياسي والعسكري بين إمارة أنطاكية ومملكة أرمينيا الصغرى[4]، وأظهر هيثوم حسن نيته تجاه بوهيمند السادس، إذ نجده يسعى لتسوية الخلافات بين الأمير وفرقة الأسبتارية، حيث تم في سنة657هـ/1259م عقد صلح بموجبه تنازل بوهيمند عن أملاك هذا التنظيم، وقد تمّ الاستيلاء على هذه الممتلكات أيام حكم الأمير بوهيمند الرابع، كما أنه ظهر في التسوية بين الأمير والثائرين عليه في ولاية طرابلس ووقف إلى جانبه في التخلص من نفوذ البيزنطيين في أنطاكية[5].

2. الدور العسكري الصليبي لمملكة أرمينيا الصغرى،

- **التحالف الأرميني- المغولي:**

عند اقتراب المغول من منطقة الشام، وبعد أن فشلت الحملة الصليبية السادسة في استرداد بيت المقدس سنة 642هـ/ 1244م[6]، عمل الصليبيون والأرمن على الاتصال بالمغول أعداء المسلمين عن طريق تقديم الدعوات لخاناتهم باعتناق الديانة النصرانية ومن ثَمَّ التحالف معهم لشن حملة صليبية مغولية مشتركة للانقضاض على المشرق الإسلامي وتدميره، ثم اقتسامه[7]، وقد سعى هيثوم الأول للتقرب مِن إمارة أنطاكية - طرابلس التي أبدى حاكمها بوهيمند السادس استعداده لهذا التحالف مفوضا هيثوم للتحدث باسم الصليبيين في تفاوضه

---

[1] - محمد صالح طيب الزيباري، **سلاجقة الروم في آسيا الصغرى**، دار دجلة، ط. 2، الأردن، 2009 م، ص 288 - 289.

[2] - حسين محمد عطية، المرجع السابق، ص 391.

[3] - جوزيف نسيم يوسف، **العدوان الصليبي على بلاد الشام**، دار الكتب الجامعية، ط.3، 1971، ص 310-311.

[4] - أنظر:- Grousset rené, L'épopéé des croisades, librairie académique perin, paris, 1995, pp. 296.

[5] - جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص 311-312.

[6] - ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق، تر. الياس شاهين ،دار التقدم، موسكو، 1986، ص300،301 .

[7] - نظير حسان سعداوي، **الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي**، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص 116.

معهم[1]، معتقدا أن الغلبة ستكون لهذه القوة الجديدة في بلاد الشام، عكس ما اعتقده أقرانه الصليبيون بأن المغول سيلحقون دمارا وخرابا بالمنطقة، ولهذا اعتبروه خائنا للقضية الصليبية، لكنّه استمر في التحالف مع المغول أثناء توسعهم في بلاد الشام[2].

كما أرسل هيثوم الأول سفارة أرمينية وعلى رأسها أخيه الكندسطبل[3] سمباد إلى قراقورم حاضرة المغول، وصلت هذه السفارة سنة 644هـ/1246م، حيث قابل سمباذ كيوك خان، وحصل منه على وعد يضمن فيه لأخيه الملك هيثوم الأول وحدة ممتلكاته وسلامتها، وحتى التوسع والاستيلاء على الحصون والقلاع التابعة للقوى الإسلامية المجاورة لمملكته، عاد سمباذ إلى سيس عاصمة الأرمن في سنة 648هـ/1250م، بعد أن دامت رحلته ثلاث سنوات[4].

تلقى الملك هيثوم الأول ملك أرمينية الصغرى دعوة من القائد المغولي بايجو لزيارة منكو خان في قراقورم[5]، وقد رأى هيثوم الأول بأن الوقت أصبح ملائما للاستفادة من المغول لضرب الخلافة العباسية في بغداد، واسترجاع بيت المقدس في أيدي المسلمين، فاتّجه سنة 651هـ/1253م إلى البلاط المغولي في قراقورم لزيارة منكو خان، وعند وصوله، عرض عليه جملة من المطالب، مثل دعوة الخان لاعتناق الديانة النصرانية، وطلب المساعدة والدعم العسكري والمادي لاسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين وطرد الخليفة العباسي من بغداد، وتمكين الأرمن من بسط سيطرتهم على جميع الأراضي التي اقتطعت من مملكته في فترات سابقة[6].

وعد منكو خان بتحقيق هذه المطالب موكلا إلى هولاكو في خرسان مهمة تحرير بيت المقدس وإعادتها للمسيحيين، والقضاء على الخليفة باعتباره العدو الأول لهم[7]، وإن المتأمل في مطالب الملك هيثوم الأول يجد أنها صليبية الطابع، وأن الملك هيثوم أراد أن يقود الحروب الصليبية من خلال تحقيق التحالف مع المغول الذي فشل البابا وملوك أوروبا في تحقيقه[8].

---

[1]- Grousset rené, Histoire des croisades, vol. 3, p. 576.P 215

[2] – عبد السلام عبد العزيزفهمي، **تاريخ الدولة المغولية في إيران** ، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 108.

[3] – **الكندسطبل (consstabul)**: كانت تعني في البداية وظيفة الأمير ثم عني بها فيما بعد أمير الجيوش؛ أُنظر: ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، تص. أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط. 2، لبنان، 1994، ص 448.

[4] – ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 256.

[5] – فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 87.

[6] – بلقاسم طبابي، **دراسات في السلطة والمجتمع في العصر الإسلامي الوسيط مصر والشام في العهد المملوكي أنموذجا: 1250 – 1517 م**، الدار التونسية للكتاب، 2013 م، ص 63 – 65.

[7] – لامبهارولد، **شعلة الإسلام**، تر.محمود عبد الله يعقوب، مكتبة المثنى، بغداد، 1967، ص 564.

[8] – فتحي اللهيبي، المرجع السابق، ص 87.

بدأت دلائل هذا الحلف الصليبي – المغولي تتجسد على أرض الواقع، عندما طلب هولاكو من الملك هيثوم الأول دعمه بجيش يشارك معه في الحملة المغولية على ديار بكر وبلاد الشام، ويقود الملك هيثوم الأول جيشا أرمينيا مكونا من ستة عشر ألف رجل[1]، ساهم في إسقاط مدينة ميافارقين الأيوبية وأنزل مذبحة كبيرة بمسلميها، وكذلك فعل بنصيبين وحران والرها والبيرة وسروج سنة 658 هـ/1260 م[2].

اشترك هيثوم الأول أيضا في احتلال المغول لحلب وارتكب المجازر بحق السكان المسلمين دون النصارى في سنة 658هـ/1260م[3]، وأشعل النار في الجامع الكبير والمساجد الأخرى في المدينة، وقد كافأ هولاكو هيثوم لقاء اشتراكه في هذا الهجوم بأن منحه كميات كبيرة من الغنائم في حلب فضلا عن منحه بعض أملاك الأيوبيين[4]، وتمّ بيْعُ الأسرى المسلمين الحلبيين البالغ عددهم مائة ألف أسير من النساء والأطفال والشيوخ في أسواق سيس عاصمة أرمينية الصغرى، ومنح هولاكو الأمير بوهيموند السادس أمير أنطاكية الصليبي، مدينة اللاذقية وبعض حصون الأيوبيين الواقعة على الساحل الشامي[5].

كما انضم هيثوم الأول والأمير بوهيموند السادس للقائد المغولي المسيحي كتبغا في احتلال مدينة دمشق سنة 658هـ/1260م وتدميرها وارتكاب المذابح في السكان المسلمين دون النصارى، وتمّ تحويل الجامع الكبير في دمشق إلى كنيسة بناءً على طلب الملك هيثوم الأول[6]، الذي أكمل المسيرة مع كتبغا حتى وصلوا إلى الحدود المصرية بعد احتلالهم مدينة غزة[7].

إلا أن ظهور المماليك في مصر أثناء تلك الحقبة قوةً عسكريةً كبرى في المنطقة أدى إلى إيقاف المد المغولي عندما حدثت المواجهة الكبرى في معركة عين جالوت في 15 رمضان سنة 658هـ /أوت 1260م حيث أوقع المماليك بالقوات الأرمنية الصليبية المغولية المتحالفة شر هزيمة، وتمّ تطهير جميع المدن الشامية كدمشق وحلب وحمص وحماة وباقي مدن الشام الصغيرة من جرائم المغول والأرمن والصليبيين[8].

---

[1]-John Joseph Saunders , The History of the Mongol Conquests Routledge, ،1971 ,p.113

[2]-. Grousset rené, Histoire des croisades, vol.3, p.580 ;John Joseph Saunders,Op.cit., p.113

[3] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة المصرية الحسينية، ط1، القاهرة، د. ت، ج 3، ص200 – 201؛ المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح. محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1997 م، ج.1، ق 2، ص 422.

[4] – عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 1025.

[5] – رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 526؛ فؤاد الصياد، **مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني** ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص 49.

[6] – فتحي اللهيبي ، المرجع السابق، ص 66.

[7] – الكتبي ابن شاكر، **عيون التواريخ**، تح. نبيلة عبد المنعم وفيصل السامر، دار الحرية، بغداد، 1977م، ج.20، ص 224.

[8] – الكتبي، عيون التاريخ، ج.20، ص 227، 228؛ سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ص 668.

إنّ المتتبع للوضع السياسي للمسيحيين الشرقيين الخاضعين تحت الحكم الصليبي يلاحظ تنوع حضورهم داخل النظام الصليبي بداية من المشاركة غير المباشرة في نظام الحكم ثم تمكين الأسر الارستقراطية المسيحية المحلية من الممارسة السلطوية تحت المظلة الصليبية سواء كسادة إقطاعيين تابعين للكونتات والملوك والأمراء الصليبيين أو كملوك متوّجين بمعية صليبية، ونقصد بذلك مساهمة الملوك الأوروبيين اللاتين في تحقيق الحلم السياسي للأرمن من خلال إحياء التاج الملكي الأرميني إطالة للوجود الصليبي في المشرق.

طغت المصلحة السياسية في علاقة الصليبيين مع رعاياهم من المسحيين الوطنيين حيث حاولوا في فترات كثيرة من وجودهم تجاوز الخلافات العقائدية من أجل استغلال هاته الطوائف إداريا وعسكريا لصالح الوجود الصليبي مع الحرص على تفوقهم وسموهم على هؤلاء الهراطقة.

- **الصدام الأرميني – الإسلامي:**

بعد هزيمة عين جالوت سنة 658هـ/1260م وتحرير بلاد الشام ورغم الخسائر التي ألحقها المماليك بالأرمن، استمرت مملكة أرمينية الصغرى بسياستها العدائية ومحاولة الإغارة على البلاد الإسلامية المتاخمة لحدودها، فقد أغار جيش الأرمن المنطلق من إمارة أنطاكية الصليبية على أعمال حلب في سنة 660هـ/ 1261م، وقاموا بعمليات السلب والنهب، لكن هذه الغارة صُدّت وأُخذ عددٌ كبيرٌ من الأرمن أسرى نحو مصر[1].

أعاد الملك هيثوم الأول الكرّة، ولم يعتبر من محاولاته الفاشلة والخسائر التي مُني بها سابقا، فجمع جيشه في صفر سنة 661هـ/جانفي 1262م، وأغار على أعمال حلب مرة ثانية حتى أُسر ثلاثمائة رجل، لكن إصابته في هذه المعركة بجراح أثّر في عزيمة رجاله بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة، وأُطلق سراحُ مَن أُسر[2]، ليعيد هيثوم الأول الكرة سنة 662هـ/1263م، فجمع قواته، وسار إلى هرقلة، ونزل على قلعة سرفندكار[3]، فخرجت القوات

[1] – اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1954، ج.1، ص 456؛ ابن أيبك، **كنز الدرر**، تح. سعيد عبد الفتاح عاشور، البابي، القاهرة، 1971، ج 8، ق 1، ص 90؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق 2، ص 476.

[2] – البونيني، ذيل مرآة الزمان، ج.1، ص 531؛ ابن أيبك، كنز الدرر، ج 8، ق 1، ص 94 – 95.

[3] – **سرفندكار** : قلعة من بلاد الأرمن. تقع في واد حصينة وبعض جوانبها ليس له سور لاستغنائهم عنه بالصخر. وهي قريبة من نهر جيحان من البر الجنوبي. وفي الشرق يبعد عنها تل حمدون نحو أربعة أميال؛ أُنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 257؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج.4 ، ص 139.

المملوكية من قلعة الجبل إلى حمص وحماة، فقاموا بهجوم مفاجئ على معسكر الأرمن، وتمَّ قتل **من قتل** من القوات الأرمينية ولاذ الباقون بالفرار[1].

قرر السلطان الظاهر656هـ-676هـ/ 1260-1277م توجيه حملة عسكرية تأديبية إلى أرمينية الصغرى، فهو لم ينس مواقف الأرمن المعادية ومحاولاتهم مع المغول لاحتلال بلاد الشام[2]، وعندما شعر الأرمن بذلك بادروا بإرسال رسلهم إلى الظاهر بيبرس بغية ثنيه عن غزو بلادهم، غير أنه رفض طلبهم إلاّ إذا تخلوا عن المواقع التي سبق أن احتلوها من البلاد الشامية وأن يدفعوا الجزية، ويفتحوا طرق التجارة بين أرمينية الصغرى وبلاد الشام حتى يتمكن التجار من شراء البضائع من الحنطة والشعير من البلاد الأرمينية[3].

رفض الملك هيثوم الأول شروط المماليك مُمَنيا نفسه بالدعم المغولي من خلال توجهه إلى مقابلة زعيمهم أبقا خان، غير أن السلطان الظاهر بيبرس باغتهم قبل تحقيق هذا الحلف العسكري على أرض الواقع، وأمر بشن هجومه على أرمينية الصغرى في 3 ذي القعدة سنة 664هـ /1265م بقيادة السلطان المنصور صاحب حماة شقيقه الأفضل[4]، ومعهم الأمير عز الدين يوغان المعروف بسم الموت[5]، والأمير سيف الدين قلاوون، فوقعت المعركة الحاسمة بغياب الملك هيثوم الأول وقتَل المماليك فيها ابن الملك هيثوم وشقيقه وهما ثوروس والكندسطبل سمباذ كما أسروا ابنه الآخر ليفون الثالث وابن عمّه مع عدد كبير من القتلى والأسرى، ونُهبت المصيصة وأذنة وطرسوس وإياس وفُتحت قلعة العمودين[6] وعدد من القلاع كما دُمّرت العاصمة الملكية سيس وأُحرق ما فيها من خزائن[7].

كتبت هذه الهزيمة بداية النهاية لمملكة أرمينية الصغرى، فالملك هيثوم الأول نفسه غدا عاجزا عن حماية مملكته أو القيام بأي فعل عسكري، واستسلم للتفوق المملوكي مذعنا للسلطان الظاهر، وشرع يفاوضه ملتمسا

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر في سير الملك الظاهر**، تح. عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976، ص 196؛ المقريزي، السلوك، ج.1، ق 2، ص 510.

[2] – ابن أيبك، كنز الدرر، ج 8، ق 1، ص 118؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج 20، ص 337.

[3] – عاشور فايد حماد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، دار المعارف، القاهرة، 1974، ص 91.

[4] – ابن العبري، **تاريخ الدول السرياني**، مجلة المشرق اللبنانية، ع 51، 1956، ص 145؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 553؛ Stevenson, the cruseders in the east, p. 333 ; Sanjian, Armenian communities, p. 15

[5] – العيني بدر الدين محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تح. محمد أمين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ج.1، ص 422.

[6] – **قلعة العمودين**: قلعة حصينة شاهقة للداوية بأرمينيا الصغرى. قام بيبرس بمحاصرتها. وكانت حاميتها تتكون من سبعمائة جندى. ولم تستسلم إلا بعد دفاع مرير ضد المماليك؛ أُنظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص 3.

[7] – الحريري، **الأخبار السنية في الحروب الصليبية**، مطبعة النيل، ط.2، مصر، 1911 م، ص 369؛ عاشور فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**، ص 91.

منه إطلاق سراح ولده الأسير، واعدا إياه ببذل الأموال والقلاع والحصون، فوافق السلطان الظاهر على إطلاق سراح ولده مقابل شروط تنفيذه جملة من الشروط، ومنها إطلاق سراح سنقر الأشقر الذي أسر في قلعة حلب من قبل المغول، والتنازل عن المدن والقلاع التي تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط أرمينية الصغرى بالعراق والشام[1].

توجه الملك هيثوم الأول إلى تبريز عاصمة المغول، حيث استجاب أبقا خان لطلبه بإطلاق سراح سنقر الأشقر، وتمّ عقد الصلح مع السلطان بيبرس وفق الهدنة التي كتبت في أنطاكيا سنة 666هـ/1267م والتي كان أمدها عشر سنوات[2]، وتضمن الصّلح العديد من البنود التي أذلت الملك هيثوم الأول، واستقر الصلح بين الطرفين، وساد الهدوء العلاقات الأرمينية المملوكية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال محاولات الملك هيثوم التوسط لإقامة صلح بين أبقا خان بن هولاكو والسلطان الظاهر بيبرس في سنة 669هـ/1270[3].

اعتلى الملك ليفون الثالث العرش بعد عودته من الأسر على إثر تنازل والده عن السلطة له واعتزاله السياسة ليمارس حياة الرهبنة في أحد الأديرة بعد سنة من ذلك، ويلاحظ أنه بعد تنازل هيثوم الأول عن العرش لولده ليفون الثالث اصطحبه إلى بلاط المغول ليقدمه إلى الخان على أنه خليفته وتابع لهم، فاستحسن أبقا ذلك وأقره ملكا أرمينية الصغرى، بعد زيارته الثانية لبلاط المغول[4]، فرغم استقرار العلاقات بين ليفون الثالث والمماليك في بداية حكمه فإنّه ظل ينظر لمغول فارس على أنهم القوة التي بإمكانها حماية مملكته أمام ضغط المماليك متبعا سياسة أسلافه في إمكانية التحالف مع المغول والصليبيين ضد المماليك، فأرسل عدة نداءات إلى الغرب الأوروبي لم يجن أي ثمرة منها بسبب انهماك الغرب بمشاكله الداخلية[5].

وبالفعل لم تطل هذه الهدنة التي نقضت من طرف الأرمن، فقرر السلطان الظاهر معاقبتهم بحملتين: الأولى بقيادة الأمير حسام الدين العينتابي سنة 671هـ/ 1273م، فأنزل بهم ضربة موجعة بالقرب من طرسوس[6]

---

[1] – محمد جمال الدين سرور، **الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره**، دار الكتب المصرية، د. ط، القاهرة، 1938، ص 115.

[2] – ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 333.

[3] – تنازل الملك هيثوم الأول بموجب هذه الهدنة عن القلاع والحصون في جبال الأمانوس. وهي دربساك وبهسنى ورعبان ومرزبان وشيخ حديد ، للسلطان الظاهر، على أن يصبح نهر جيحان حدا طبيعيا فاصلا بين الممالك الإسلامية وبلاد الأرمن، وأن يؤدي ملك الأرمن وولده ليفون الثالث اليمين ويحلف بعدم التعرض للبلاد الإسلامية المجاورة وبالفعل أدى الملك هيثوم القسم في أنطاكية، وحلف بعده ولده ليفون الثالث على نفس اليمين وهو مكشوف الرأس. التزم الملك هيثوم الأول بدفع الجزية التي فرضها عليه السلطان الظاهر. ووافق على عدم تجديد أو تحصين قلاع مملكة أرمينية الصغرى، وتعهد الملك هيثوم بعدم محالفة المغول والصليبيين ضد المسلمين؛ أُنظر: ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 329؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969، ج.4، ص 313. المقريزي، السلوك، ج.1، ق.2، ص 568.

[4] – ابن العبري، **تاريخ الدول السرياني**، مجلة المشرق اللبنانية، ع 50، 1956، ص 148.

[5] – المقريزي، السلوك، ج.1، ق.2، ص 584.

[6] – ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص417؛ أنطوان خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 243.

والثانية سنة 673هـ/1274م[1]، بقيادة الأمير قلاوون الألفي وبيلبك الخازندار، ولم يكد يستولي الجيش المملوكي على مدينة المصيصة حتى لحق بهم السلطان الظاهر فدمر المدينة وأحرق قصور ملك الأرمن[2]، وأرسل فريقا آخر إلى إياس فنهبوا وأحرقوا وقتلوا عددا كبيرا من الأرمن وفرّ الباقون الذين يقدر عددهم بألفي شخص بين أرميني وصليبي، ورغم نجاتهم من المماليك فإنهم لم ينجوا من البحر، فغرقت سفنهم التي كانت محملة بأكثر من طاقتها[3]،

توجه الظاهر بحملة عسكرية ضد المغول سنة 677هـ/1277م وأُعتبرت مكملة للحملات السابقة، فكانت معركة الإبلستين[4] وانتصر المماليك الذين قتلوا أكثر من ستة آلاف مغولي وفتحوا قيصرية[5]، التي ألجمت الأرمن وأبعدتهم عن ساحات القتال، فقد التزموا الهدوء تجاه المماليك، وبقي ملك الأرمن خاضعا للسلطان الظاهر حتى وفاته[6].

تولى السلطنة بعد الظاهر ابنه السعيد أبو المعالي محمد بركة خان (676هـ-678هـ/1277-1279م)، الذي سوف يباشر الصدام العسكري مع مملكة أرمينية سنة 677هـ/ 1278م، فسار إلى بلاد الشام بقوة تعدادها عشرة آلاف مقاتل بقيادة الأمير بدر الدين بيسري لغزو أرمينية الصغرى[7]، وأغارت هذه القوات على قلعة الروم ثم زاد تدعيمهم بعشرة آلاف فارس آخرين وعلى رأسهم حمو الأمير سيف الدين قلاوون الألفي[8]، فدخلوا أرمينية الصغرى، واحتلوا طرسوس[9].

---

4 – ابن شداد عز الدين ، **تاريخ الملك الظاهر**، تح. أحمد حطيط، مطابع مركز الطباعة الحديثة، بيروت، 1983، ص 106؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص 139؛ الحريري، الأخبار السنية، ص 377.

[2] – أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج 4، ص 9؛ الذهبي، دول الاسلام، ج 2، ص 175 – 176.

[3]– المقريزي، السلوك، ج.1، ق 2، ص 617 – 618.

[4] – **أبلستين albistan**: مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبسس. تقع على نهر جيحان عند سفح جبل كرد داغ. وقد اختلفت الروايات في ضبط اسم البلدة بحسب الاشتقاق الشائع . فقيل: أُبُلستين وآبلستان وأَبْلستين، على أن هذه الصيغ كلها ترجع الى الصيغة القديمة: أبلسثا. وكانت البلدة في حوزة الصليبيين بين سنتي 492-499هـ/ 1098 -1105م ثم انتقلت إلى يد السلاجقة. وفي سهل البستان أحرز السلطان بيبرس المملوكي نصرا عظيما على جنود أبقا سنة676هـ/ 1277م؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج.1، ص 75؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص220.

[5] – ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ج 2، ص 259.

[6] – المقريزي، السلوك، ج1، ق 2، ص 638؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938، ج 7، ص 186.

[7] – اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج 3، ص 97.؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص 141.

[8] – ابن هاشم الطباخ، أعلام النبلاء، ج 2، ص 348.

[9] – الذهبي، دول الإسلام، ج 2، ص 178؛ الدويهي، تاريخ الأزمة، ص 141.

أعدّ أبقا خان بن هولاكو العدة لغزو بلاد الشام، ولتقوية جبهته تحالف مع الأرمن لمهاجمة المماليك[1]، فأرسلوا قوة استطلاعية لمهاجمة بلاد الشام سنة 679هـ/1280م، وبالفعل، استطاعت احتلال عينتاب وبغراس وإحراق مساجد حلب ومدارسها ودار السلطنة ودور الأمراء بها[2]، لتنسحب تمهيدا للحملة الرسمية المغولية – الأرمينية البالغ تعدادها مائة ألف مقاتل[3]، منهم ثلاثون ألف ينتمون للكرج والأرمن[4] سنة 678 هـ/1279م 680هـ/1281م، ووصلت أطراف حمص حيث كان جيش السلطان المنصور قلاوون في انتظارها[5]، ودارت المعركة الحاسمة التي كان فيها النصر لصالح المماليك، كانت هذه الغزوة من أخطر الغزوات التي قام بها الأرمن والمغول منذ زمن هولاكو[6].

أرسل السلطان قلاوون في سنة 682هـ/1283م حملة إلى مملكة أرمينية الصغرى، وبعد أن احتلت بعض قلاع المغول توجهت إلى قلعة كختا الواقعة شرقي ملطية، وهي من أحصن قلاع الأرمن، فتمّ الاستيلاء عليها بعد أن استسلم أهلها، وتمّ تحصينها وتدجيجها بالمقاتلين والأسلحة، وأصبحت من القواعد الإسلامية لضرب الأرمن[7].

جعلت الهزائم المتوالية للأرمن الملكَ ليفون الثالث يسعى الى طلب الصلح وعقد هدنة مع السلطان المنصور قلاوون بغية الحفاظ على إمارته، وقد رأى السلطان أنه من الممكن عقد هدنة مع الأرمن وفق شروط يفرضها عليهم تؤمن المماليك مصالحهم أمدُها عشر سنوات بداية من ربيع الآخر سنة 684هـ /جوان 1285م، استمرت الهدنة طيلة حياة الملك ليفون الثالث، ثم في عهد خليفته هيثوم الثاني بداية من سنة 688هـ/1289م الذي استمر في موادعة المنصور قلاوون وخليفته، الأشرف خليل (689-692هـ/1290-1292م) وشراء مسالمته منذ بداية تولي السلطان الأشرف أمر السلطنة في مصر[8]، عمل الطرفان في بداية الأمر ضمن شروط

---

[1] – القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص 429 – 430؛ بدر، مغول إيران، ص 65؛ Howorth, A History of the mongols, vol. 3, pp. 278-281.

[2] – ابن أيبك، كنز الدرر، ج.8، ق.1، ص 283. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج.7، ص 299.

[3] – محمود خليل قداوي، **التحالف المغولي الأرميني الصليبي لاحتلال مصر وبلاد الشام**، مجلة تاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع 10، 1999، ص11.

[4] – أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج.4، ص 15؛ لامب، شعلة الاسلام، ص 604.

[5] – المدور، الأرمن، ص 237.

[6] – Setton Kenneth M., Op.Cit. , vol.2, p. 655.

[7] – المقريزي، السلوك، ج.2، ق.3، ص 716.

[8]– المقريزي، السلوك، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ط.2، القاهرة، 1970، ج.1، ق.2، ص 148.

الهدنة المعقودة في سنة 684هـ/1285م، إلا أن الأشرف خليل سرعان ما فسخ الهدنة بسبب تأخر هيثوم الثاني بدفع الجزية السنوية.

بعد أن تم للسلطان الأشرف خليل الاستيلاء على عكا سنة 690هـ/1291م، كتب كتابا إلى الملك هيثوم الثاني مذكرا إياه بمدى قوة الجيش المملوكي، وأمره بدفع الجزية السنوية المفروضة على بلاده إلى الخزينة السلطانية، وأمره بالحضور شخصيا لتأدية يمين الولاء والتبعية له قبل أن يرسل جيوشه لاكتساح مملكة أرمينية الصغرى وتدميرها كما حصل لعكا[1]، وبسبب عدم امتثال هيثوم الثاني لِما طُلب منه جهز السلطان الأشرف حملة عسكرية لمعاقبة الأرمن في ربيع سنة 691هـ/جانفي 1292م، وقادها بنفسه متوجها إلى حلب ومنها قصد قلعة الروم، مقر جاثليق الأرمن[2] التي امتازت بحصانتها، وبعد حصار دام أكثر من شهر[3]، اضطر أهلها إلى الاستسلام وطلب الأمان، بسبب قلة المؤن داخل القلعة وشعورهم بعدم جدوى المقاومة، إلا أن السلطان أصر على فتحها بالسيف بسبب مقاومة جاثليق الأرمن واعتصامه بالقلعة.

نجح السلطان الأشرف بالاستيلاء على القلعة رغم المقاومة، وكبّد الأرمن عددا كبيرا من القتلى، وهُدمت دور القلعة ونُهبت الأموال[4]، وتمّ أسر عدد كبير منهم ومن ضمنهم ستيفن جاثليق الأرمن (رئيس كنيسة أرمينية الصغرى)[5]، واحتفل المسلمون بسقوط قلعة الروم احتفالا كبيرا، وعلت الأصوات وأطلق عليها السلطان الأشرف اسم قلعة المسلمين بدلا من قلعة الروم[6]، وأرسل الأشرف خليل كتاب بشرى[7] إلى قاضي دمشق ابن الخوئي[8]، وعاد السلطان إلى دمشق والأسرى بين يديه في شعبان سنة 691هـ/جويلية 1292[9].

---

[1] – ستين زيتر، **تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس**، مطبعة بريل، ليدن، 1919، ص8.

[2] – ابن إياس، محمد بن أحمد، **بدائع الزهور في واقع الدهور**، مطابع الشعب، ج.1، القاهرة، 1960، ص 104.

[3] – ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تح. محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1967، ج.1، ص 149؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج 3، ص 106 – 107.

[4] – ابن الفوطي، الحوادث الجامعية، ص 474.

[5] – ابن العبري، **تاريخ الدول السرياني**، مجلة المشرق اللبنانية، ع 53، 1956، ص 40.

[6] – دافدسون، **تاريخ مصر**، تر.أحمد فهمي د. م، د. ت، ص 199؛ فايد عاشور، العلاقات السياسية بين المغول والمماليك، ص 128.

[7] – سعيد عاشور، **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1977، ص 260.

[8] – ابن أيبك، كنز الدرر، ج.8، ق.1، ص 333.

[9] – ابن حبيب، تذكرة النبية، ج.1، ص 164.

الفصل الثالث: المشهد السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الإسلامي (491هـ-690هـ/ 1098- 1291م).

المبحث الأول: الحضور السياسي للذميين النصارى في مؤسسات الحكم الإسلامية بالمشرق خلال القرون 5-7هـ/ 11-13م

1. نصارى العراق والشام.
2. نصارى مصر.

المبحث الثاني : دعم مسيحيو الشرق للمسلمين في صراعهم ضد الصليبيين 491هـ-690هـ/ 1098- 1291م

1. المطلب الأول: التحالف السرياني - الإسلامي

- السريان والأراتقة.
- السريان والزنكيون.

2. صلاح الدين يكسب تأييد الكنيسة السريانية والملكانية في بلاد الشام.
3. موقف الأقباط من الصراع الإسلامي- الصليبي .
4. المسيحيون الشرقيون والمماليك حتى 690هـ/1291م

المبحث الثالث: مؤامرات الطوائف المسيحية الشرقية ضد الحكم الإسلامي .

1. محاولة انقلاب أرمن الرها على عماد الدين زنكي 541هـ/ 1146م.
2. تآمر الأرمن ضد نور الدين محمود زنكي541هـ/ 1146م.
3. الحركات القبطية المناهضة للمسلمين في مصر.
4. التحالف النسطوري - الماغولي 656-685هـ/ 1258- 1260م .

الفصل الثالث: الواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الإسلامي (491هـ–690هـ / 1098– 1291م):

لم تشر المصادر التاريخية الإسلامية للوضعية السياسية للذميين النصارى في المشرق الإسلامي ونوع المعاملة التي كانوا يعاملون بها في الأيام العادية من قبل الحكام المسلمين من أراتقة وفاطميين وزنكيين وأيوبيين ومماليك وغيرهم من الدويلات المزامنة لفترة دراستنا، لكن حاولنا جمع ما تناثر من إشارات في المصادر عن شخصيات نصرانية كان لها مكانة بارزة بسبب تقلدها لمناصب مهمة في مؤسسات الحكم والإدارة الإسلامية، ومشاركتها في النكبات أو القضايا السياسية والعسكرية الكبرى التي مست الكيانات الإسلامية التي تعيش تحت كنفها، وسنحاول في الأسطر التالية جمع الشذرات التي تحويها هذه المصادر من أجل تقديم صورة واضحة للوضع السياسي للطوائف النصرانية الذمية داخل نظام الحكم الإسلامي، فإلى أي مدى كان لها وجود ودور في سياسة هذه الدول الإسلامية في فترة حساسة مثل مرحلة الوجود الصليبي في المشرق؟

المبحث الأول: الحضور السياسي للذميين النصارى في مؤسسات الحكم الإسلامية بالمشرق خلال القرون 5–7هـ/ 11–13 م

انقسم الفقهاء حول مسألة استخدام أهل الذمة في وظائف الدولة إلى فريقين: فريق منع الاستعانة بأهل الذمة في إدارة شؤون المسلمين منعا باتا، ومن هؤلاء أبو بكر الخلال (ت 311هـ /923م)[1]، وابن قدامة (ت620هـ/1223م)[2]، بينما أجاز فريق آخر استخدام أهل الذمة في بعض المجالات ومنع استخدامهم في مجالات أخرى، ومن هؤلاء الماوردي (ت450هـ/1058م) حيث بحث في كتاب الأحكام السلطانية أهم الوظائف والمناصب في الدولة وبيّن شروط من يتولى كل منصب من هذه المناصب[3].

يفرق الماوردي بين وظائف الدولة، فالوظائف الدينية التي يجري فيها تطبيق أحكام الإسلام أو التي يكون بيد أصحابها سلطة على المسلمين لا يجوز للذمي أن يتولاها، وعلى رأسها منصب الإمامة ويليه وزارة التفويض

[1] – الخلال أحمد بن محمد، **أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**، تح. سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص115 – 117.

[2] – المقدسي، **المغني على مختصر الخرقي في الفقه الحنبلي**، اعتنى به محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ج.8، ص414 – 415.

[3] – يحي حسن، **أهل الذمة في العراق في العصر العباسي الفترة السلجوقية نموذجا 447–560هـ؛ 1055– 1194م**، عالم الكتب الحديث، 2004، ص87.

فالإمارة ثم إمارة الجهاد، واستثناهم في مناصب إدارية أخرى كونها مهام دينية كالقضاء وولاية المظالم والحسبة، وفيما عدا ذلك فلا يُمنع الذمي من تولى الوظائف الحكومية[1].

وعليه، أجاز تولي الذمي عددا من المناصب في الدولة وعلى رأسها منصب وزير التنفيذ، ووظيفة كاتب الديوان، ولا يشترط الماوردي الإسلام فيمن يشغل هذه الوظائف، وأجاز الماوردي للذمي أن يتولى منصب عامل الفيء بشرط أن تقتصر مهمته جمع الفيء من أهل الذمة فقط، وأجاز الاستعانة بالذميين في قتال المشركين والمرتدين عن الإسلام مع عدم جواز استخدامهم في قتال أهل البغي من المسلمين[2] .

1. نصارى العراق والشام:

تزامن الوجود الأرتقي[3] في إقليم الجزيرة والشام مع بداية الصراع الإسلامي–الصليبي، باعتبار الأراتقة أحد أطرافه الفاعلين الذين عملوا على التصدي للوجود الفرنجي منذ بداية دخوله المنطقة الإسلامية، امتازت المناطق التي حكمها الأراتقة بغالبية العنصر السرياني على تركيبتها السكانية ما فرض عليهم التعامل مع الرعية بحكمة وحذر، حيث عامل الأراتقة رعاياهم من المسيحيين معاملة طيبة، وهناك بعض الإشارات القليلة التي وردت في ذكر بعض الشخصيات النصرانية التي حظيت بمكانة مهمة لدى الأراتقة، وأشهرهم **الحسن بن خالد بن محضر النصراني الماردیني** الملقب بالوحيد، عُرف بغزارة علمه وكان بينه وبين قطب الدين إيلغازي بن أرتق أمير ماردين صحبة من عهد الطفولة، فكان إيلغازي يعاتبه على الانقطاع عنه، وقلّده المناصب لخدمته إلى أن استجاب لدعوته، وسرعان ما تقدم عنده وصارت له المنزلة الرفيعة والاحترام والتقدير، وسافر إلى بغداد وعاد إلى ماردين حيث توفي سنة (600هـ/1203م)[4].

---

[1] – علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح. أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار قتيبة، ط. 1، الكويت، 1989، ص 40 _ 65.

[2] – المصدر نفسه، ص 40.

[3] – أقطع تتش لسقمان بن أرتق سروج وديار بكر. وغادر إيلغازي إلى العراق ودخل في الصراع بين السلاجقة. وتسلم شحنكية بغداد لكنه بعد مدة عُزل. فترك إيلغازي بغداد وتوجه إلى ديار بكر. واستطاع أن يضع يده على ماردين. أما سقمان بن أرتق فقد اتجه إلى سروج وبدأ من هناك نشاطا عسكريا وسياسيا واسع النطاق. واستطاع سقمان الاستيلاء على حصن كيفا. وفي سنة 496هـ/ 1102م، ساعدت الظروف سقمان على الاستيلاء على مدينة أخرى من أهم مدن ديار بكر وهي ماردين. لذلك، يُعتبر سقمان مؤسس الكيان الأرتقي في ديار بكر. لكن بعد وفاته انقسمت ممتلكات الأراتقة إلى إمارتي ماردين وحصن كيفا. فغدت ماردين تحت حكم إيلغازي وأبنائه من بعده،. وغدت إمارة حصن كيفا تحت حكم أبناء سقمان بن أرتق. ولعب الأراتقة على الساحة السياسية والعسكرية دورا هاما مع محيطهم الإسلاميّ والفرنجيّ. ولهم الدور البارز في الجهاد ضد الفرنجة وخصوصا إيلغازي الذي هزمهم هزيمة ساحقة في معركة ساحة الدم 513هـ/ 1119م. وانتهت دولتهم على يد قرا يوسف أمير دولة الخاروف الأسود (قراقوينلو) سنة 813هـ/ 1410م بعد أن عمرت مدة ثلاثة قرون؛ للمزيد، أُنظر: عماد الدين خليل، **الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام**، مؤسسة الرسالة، ط. 1، بيروت، 1980، ص 58 – 109- 392 - 393.

[4] – علي بن أنجب بن الساعي، **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، المطبعة السريانية الكاثوليكية، 1934، ص 67.

ولّى صاحبُ رأس عين الأرتقي الوزارة رجلا نصرانيا من **آل عبدون**، ومن كثرة تسامحهم معهم فوضوا إليهم أمور بعض القرى النصرانية الواقعة بإماراتهم **لذا حافظا على نشاطهم الديني طيلة الحكم الأرتق**، وعند استيلاء التتار على الإقليم قربوا النصارى إليهم وعّينوهم في مناصب حساسة، فصار **مسعود برقوطي الأربلي** حاكما على الموصل[1].

اشتهر عند الزنكيين من النصارى فخر الدين عبد المسيح، وهو من نصارى أنطاكية كان قد وقع أسيرا ثم وصل به الحال إلى أن جعله قطب الدين مودود بن زنكي(544-565هـ/1149-1170م) أمير الموصل نائبا له سنة563هـ/1168م ليصبح هو المقدم فيها والمدير لشؤونها، ولما أوصى قطب الدين لابنه عماد الدين من بعده نجح عبد المسيح في نقل الوصية لابنه الآخر سيف الدين، وذلك لأن عبد المسيح كان يكره عماد الدين لأنه طوع أمر عمه نور الدين زنكي[2].

ولما تولى سيف الدين الحكم بعد وفاة والده عام (565هـ/1165م) ظل عبد المسيح يتصرف كما يشاء في شؤون الموصل، وشدّد الضغط على الأهالي، وظل، كذلك، إلى أن جاء نور الدين زنكي ودخل الموصل ورتب أمورها وعاد إلى بلاد الشام مصطحبا معه عبد المسيح وسماه عبد الله[3]، ورد عن عبد المسيح أنه كان يتظاهر بالإسلام ويضمر النصرانية ويعامل النصارى خير معاملة ويبغض العرب وعلماءهم بغضا شديدا، وقد تولى النصارى مهام دبلوماسية أيضا حيث أوكل أمير الموصل جمال الدين المفريان أغناطيوس مفريان اليعاقبة في الموصل بسفارة إلى جورجي ملك الكرج لافتداء الأسرى، فنجح في مهمته، وكان ذلك سنة 561هـ/ 1162م[4].

2. نصارى مصر:

اتسمت السياسة الفاطمية اتجاه الطوائف النصرانية بمصر والذين كان أغلبهم من الأقباط بالتسامح، رغم وجود مخاوف وشكوك لدى الفاطميين من موقف الأقباط تجاه الصليبيين الذين احتلوا الأراضي المقدسة، وباتوا يهددون مصر أيضا، فالفاطميون لم يعرفوا شيئا عن الخلافات المذهبية بين أتباع الطبيعة الواحدة في الكنائس الشرقية وأتباع مذهب الطبيعتين التي يتبعها الصليبيون، ومن ثمة اعتبروهم على دين واحد و هو المسيحية، فكان من الضروري مراقبة سلوك الأقباط عن كثب من جانب السلطات، وظل هذا الوضع سائدا في الدوائر الرسمية

---

[1] – عبد الله حارثي، سعيد عاشور، **الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد**، الدار العربية للموسوعات، (د. ط)،2007، ص 492.

[2] – يحي حسين، المرجع السابق، ص 81.

[3] – ابن الأثير، الكامل، ج.11، ص355 – 356؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 183.

[4] – ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 174 – 185.

طيلة الفترة المأساوية للعدوان الصليبي على المنطقة، لكن هذه السياسة الحذرة لم تمنع الاعتماد عليهم في تسيير الدولة.

كانت الدولة الفاطمية في مصر والشام تدار بواسطة الدواوين أو "الوظائف الديوانية" المقسمة إلى ثلاثة أنواع: ديوان الإنشاء الذي يقوم بتنفيذ أوامر السلطة العليا، ودواوين المالية الذي يقوم بجباية الأموال وإنفاقها والإدارة المحلية التي تحكم الولايات، وكذلك، كانت الدواوين الرئيسية تنقسم بدورها إلى عدة دواوين فرعية[1]، وقد تولى أهل الذمة أرفع مناصب الدولة مثل وزارة التنفيذ ورئاسة الدواوين ليتطور الأمر وتسند وزارة التفويض لذمي نصراني لأول مرة في تاريخ مصر الإسلامية[2]، وسيشهد العصر الفاطمي الثاني استعمال أهل الذمة من طرف الخلفاء والوزراء في مختلف فروع الإدارة ودواوين الحكومة[3].

يؤكد المؤرخ القبطي ساويرس[4] أنه خلال منتصف القرن الخامس هجري وبالتحديد في خلافة المستنصر بالله 427- 487هـ/ 1036-1094م أن جميع مقدمي المملكة، والناظرين في دواوينها، وتدبير أمورها كانوا من النصارى، وسيطر القبط على دواوين مصر في خلافة الآمر بأحكام الله 490-524هـ/ 1101-1130م، إذ كانوا هم كتاب الدولة وخدام المملكة، ثم أحكموا قبضتهم على الدواوين، وزاد عددهم في جميع أرض مصر قبليها وبحريها وثغورها خاصة أثناء وزارة بهرام الأرمني[5]529-535هـ/ 1135 - 1140م وزير الخليفة الحافظ 520-545هـ/ 1130-1149م.

فضلا عن القبط، ضمّ المجتمع المصري طوائف أخرى من المسيحيين كالأرمن، الذين برز وجودهم في العصر الفاطمي، وكانوا يشكلون جالية كبيرة العدد سبق لهم أن قدموا بعد قضاء السلاجقة على مملكتهم الكبرى ثم بعد معركة مناذكرد 463هـ/1071م التي شتتتهم في أراضي المشرق الإسلامي من الأناضول شمالا وحتى مصر جنوبا هذه الأخيرة التي دخلوها مع بدر الجمالي (ت487هـ /1094 م) الوزير الفاطمي الأرميني الأصل، وذلك حينما طلب منه الخليفة المستنصر القدوم لوضع حد لنفوذ العناصر المتمردة في الجيش من الترك والسودان، ليصبح معظم الفرسان البيض في الجيش الفاطمي من الأرمن وكانوا محل تقدير ورعاية الفاطميين [6].

---

[1] – عبد المنعم ماجد، **نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، المكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1953، ج.1، ص 96.

[2] – ابن المقفع ، المصدر السابق، مج 3، ج.1، ص 29.

[3] – ستانلي لين بول، **تاريخ مصر في العصور الوسطى**، تر. أحمد سالم سالم، مر. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط. 4، القاهرة، 2016، ص 336.

[4] – المصدر السابق، مج 3، ج.1، ص 8 – 30.

[5] – **بهرام الأرمني**: أول نصراني يتولى وزارة تفويض للفاطميين وهو على دينه وذلك في 16 جمادى الآخر 529 هـ. وقد وصل الى مصر ضمن الأرمن الذين وفدوا مع بدر الجمالي؛ أُنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج.8، ص342.

[6] – ستانلي لين بول، المرجع السابق، ص 334 – 336.

يعتبر أبو المليح زكريا بن مينا، الكاتب القبطي المعروف **بمماتي**[1] أشهر رجالات أقباط مصر البارزين في وزارة بدر الجمالي، الذي أُسندت إليه كثير من الأعمال، أهمها تولي منصب "مستوفى الديوان" أو رياسة الديوان، بعد موته تولى ابنه المذهب بن أبي المليح زكريا الملقب (بالخطير) رئاسة الديوان "ديوان الجيش" أواخر أيام الدولة الفاطمية على عهد الخليفة العاضد لدين الله 544-567هـ/1149- 1171م، وسرعان ما سطع نجمه في دواوين الأيوبيين كما سيأتي لاحقا[2].

زمن خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل بن بدر، فُتح ديوان يسمى "ديوان التحقيق" سنة 501هـ/1107م، فتولاه أبو البركات يوحنا بن أبي الليث النصراني الملكاني[3]، الذي أصبح شخصية مرموقة على جانب كبير من السلطة والنفوذ بين رؤساء الدواوين، لأن ديوان التحقيق كان مختصا بمقابلة المصروفات والإيرادات الفعلية في مختلف الدواوين على المبالغ الرسمية في سجلات الدولة[4].

زادت مكانة الأرمن رفعة بعد أن تولى بهرام الأرمني – أخو أمير الجيوش بدر الجمالي – الوزارة في عهد الحافظ لدين الله سنة 529هـ/1134م، وقيل إن الشعب قبل على مضض هذا التعيين المنافي للنظم المتبعة والأعراف الشرعية، فاحتج رجال الحاشية، وأخبروا الخليفة الحافظ إنه لا يليق أن يتولى نصراني منصبا كوزارة التفويض، خاصة أنه من واجب الوزير أن يكون مع الخليفة في صلاة الجمعة، ولكن الحافظ أصر على رأيه مرخصا لقاضي القضاة أن ينوب عن بهرام في هذه المناسبة[5].

اتبع بهرام سياسة تفضيل العنصر الأرميني وتقريبه، فأَكْثَرَ من جلب الأرمن إلى مصر، حيث زاد عددهم وقوي أمرهم، وبلغوا نحو ثلاثين ألف[6] واستخدمهم في وظائف الدولة، فتحسّنت أحوالهم وامتلك بعضهم في

---

[1] – أصله من نصارى أسيوط. وينتسب إلى واحدة من أعرق الأسر القبطية وأكثرها ثراء بالصعيد و"**مماتي**" هو اللقب الذي اشتهر به ومنحته العامة إياه لأنه أثناء الشدة العظمى كان يفتح أبواب داره للفقراء وخصوصا لأطفال المسلمين يوزع عليهم الأقوات. فيطعمون وينصرفون. فإذا رأوه ناداه كل منهم "**مماتي**" وهو إذّاك نصراني. فاشتهر بهذا اللقب. توفي بحلب وأجمع المؤرخون في الثناء عليه؛ أُنظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح. إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، ط. 1، بيروت لبنان، 1993، ج.1، ص 635؛ ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، تح. عزيز سوريال، القاهرة، 1943م، ص 27؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص 93.

[2] – ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص 27؛ المقريزي، الخطط، ج. 2، ص 159؛ ابن الساعي البغدادي، **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، تح. مصطفى جواد، بغداد، 1934 م، ج.9، ص 302.

[3] – ابن المقفع ، المصدر السابق، مج.3، ج.1، ص 25.

[4] – حسنين ربيع، **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين**، مطبعة جامعة القاهرة، ط. 1، القاهرة، 1964 م، ص 83.

[5] – جاك تاجر، **أقباط ومسلمون من الفتح العربي إلى عام 1922م**، مؤسسة هنداوي، د. ط، المملكة المتحدة، 2017، ص 122.

[6] – تقي الدين المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح. محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د. ط، القاهرة، 1996، ج. 3، ص 159؛ شلبي إبراهيم جعيدي، **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي (567 – 648هـ/ 1171 – 1250م)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، القاهرة، 2003، ص 96.

قصورهم حاشية وخدما[1]، كما اشتغل أعداد منهم بالزراعة والتجارة، وجمعوا أموالا طائلة، وكان أغلبهم، في ذلك الوقت، على الديانة المسيحية، إنّ مثل هذه السياسة كانت سببا في تنامي حقد المسلمين المذهولين من ازدياد النفوذ النصراني الذي بدأ تأثيره يتعاظم خاصة مع بناء الكنائس والأديرة حتى خيف على مستقبل الديانة الإسلامية، وكذا، لوحظت غيرة الأقباط وقلقهم من ازدياد نفوذ هذه الطائفة المسيحية الجديدة بمصر[2].

تولى في وزارة بهرام ولأول مرة ديوان النظر في دولة الفاطميين شخصية نصرانية وهو صنيعة الخلافة الأخرم بن أبي زكريا القبطي (ت 542هـ/ 1147م) فقيل إنه لم يتقلد هذا الديوان نصرانيٌ إلا الأخرم[3]، وكان من المناصب الرفيعة لإشرافه على كل الدواوين المالية للدولة، وله الحق في عزل من يرى عزله، وتولية من يرى توليته من موظفي دواوين الأموال[4].

لما أطاح رضوان بن الوخشى بالوزير بهرام في جمادى الآخر سنة 531هـ/ 1132م، نجح في كسب عطف الجماهير باستغلال شعورهم الديني، وقال المقريزي[5] في هذا الشأن إن رضوان "**أوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس**"، فأخرج الموظفين النصارى الذين كانوا على عهد بهرام وعلى رأسهم الأخرم[6]، ثم أراد أن يحكم البلاد حكما مطلقا، ولكن الحافظ لم يسمح له بذلك، أما بهرام فاضطر أن يفر إلى أسوان أين استقر في دير مجاور لهذه المدينة حتى وفاته، وبرحيله زال النفوذ الأرمني في مصر[7].

لم يقتصر الأمر في العصر الفاطمي الثاني على تولي أهل الذمة رئاسة الدواوين فقط بل عُيِّنوا ولاةً للأقاليم، ففي عهد الحافظ لدين الله، أُسندت ولاية الغربية إلى تاج الدولة بهرام الأرمني النصراني قبل أن يتقلد الوزارة[8]، ولما أصبح وزيرا للتفويض أسند ولاية قوص إلى أخيه الباساك سنة 529هـ/1134م[9]، وهي تُعدّ أعظم

---

[1] – ابن واصل، المصدر السابق، ج.1، ص488؛ محمود السيد، **تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية**، مؤسسة شباب الجامعة، د. ط، الإسكندرية، 1998، ص 29.

[2] – الأمين عوض الله، **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**، دار المجمع العلمي، جدة، 1979، ص 59 .

[3] – القلقشندى، المصدر السابق، ج.3، ص 489.

[4] – عبد المنعم ماجد، نظام الفاطميين ورسومهم في مصر، ج.1، ص 112.

[5]– **الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تح. محمد زينهم ، مديحة الشرقاوي،مكتبة مدبولي،ط.1، القاهرة، 1998، ج.1، ص357.

[6]– المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج.3، ص 165.

[7] – حسن إبراهيم حسن، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية و الدينية بوجه خاص**، مر. محمد حسونة ،زكي المهندس، وكالة الصحافة العربية، 2021م، ص 60

[8] – ابن المقفع ، المصدر السابق، مج.3، ج.1، ص 28.

[9] – المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج.1، ص 204

ولايات الديار المصرية وقتها، ويسيطر واليها على جميع أرض الصعيد، ومنصبه أكبر مناصب الدولة بعد الوزارة[1]، وبسبب سياسته المسيئة لأهلها من المسلمين، حقدوا عليه، فاستغلوا فرصة الإطاحة بوزارة أخيه بهرام، وفجروا ثورة ضده عمّت جميع أنحاء قوص، ولم تنته حتى أمسكوا به، وقتلوه ومثّلوا بجثته، لكنّهم واجهوا انتقام بهرام الذي عاث فسادا في المدينة قبل أن يتوجه إلى أسوان ويستقر بها[2].

لقد تعرض النصارى في بداية الحكم الأيوبي، إلى بعض التقييد الإداري، فخلال وزارة أسد الدين شيركوه 564هـ/1169م ثم حكم السلطان صلاح الدين 564- 567هـ/1169-1171م، أمر بمنعهم من العمل في دواوين الدولة، إلا من أسلم منهم[3]، وقد ذكرت بعض المصادر تعسف صلاح الدين مع النصارى وأنه افتتح عهده بطرد الموظفين الأقباط من مناصبهم، وفي واقع الأمر إن هذه القرارات لم تكن سوى عملية تطهير للإدارة الفاطمية عامة وليس ضد الأقباط خاصة، والراجح أن ما دفع السلطان صلاح الدين في بداية حكمه باتخاذ تلك الإجراءات تجاه أهل الذمة راجع إلى جملة عوامل منها قيام بعض المسيحيين واليهود لاسيما ممن تضررت مصالحهم غداة سقوط الفاطميين بالمشاركة في المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضد الحكم الأيوبي بهدف إعادة الدولة الفاطمية، ثم إن غلبة روح الجهاد ضد الصليبيين كانت السمة البارزة لذلك العصر[4].

أدرك صلاح الدين سريعا كفاءة الأقباط وقدرتهم وأنهم لا يمثلون خطرا على السياسة الداخلية والخارجية للدولة الأيوبية في مصر، فاعتمد عليهم في إدارة شؤون الدولة[5] واتخذ له من الأقباط كاتبا وأمينا لأسراره وسماه الشيخ الرئيس صفي الدولة بن أبي المعالي، فكان يقرأ الرسائل الواردة إلى السلطان ويكتب أجوبتها[6]، وستصبح الكتابة من المناصب الحساسة التي تداولها الأقباط خاصة أن وظائف الإدارة العليا كانت أبوابها موصدة أمام النصارى في العصر الأيوبي إلا لمن اعتنق الإسلام منهم[7].

---

[1] – القلقشندى ، المصدر السابق، ج3، ص 493؛ أبو الفداء ، المصدر السابق، ج.3، ص 40.

[2] – ابن المقفع، المصدر السابق، مج.3، ج.1، ص 31.

[3]– المقريزي، السلوك، ج.6، ص153؛ أرثر ستانلي ترتون، **أهل الذمة في الاسلام**، تر. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1939، ص 129 – 130؛ سلام شافعي محمود، **أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي (467–648هجري/1074–1250م)**، دار المعارف، د.ط، 1982، ج.2، ص 216.

[4] – شوكت عارف محمد الأتروشي، **الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي**، د.ط، عمان، 2007، ص 69.

[5] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 638؛ جاك تاجر، المرجع السابق، ص 138.

[6] – **أبو المعالي**: المعروف بابن الشرافي ينتمي إلى عائلة شرافي القبطية. وكان أبوه من رجال الحكم زمن الخليفة الفاطمي العاضد. وكان هو محبوبا عند السلطان صلاح الدين؛ أُنظر: يعقوب نخلة روفيله، **تاريخ الأمة القبطية**، تق. جودت جبره، مطبعة متروبول، ط. 2، مصر، 2000، ص 176.

[7] – سلام الشافعي، المرجع السابق، ص 94.

كان عدد الكُتّاب الذميين النصارى كبيرا في دواوين الحكومة وفروع الإدارة المالية في الأقاليم، ومن أبرز الشخصيات القبطية التي تقلدت هذا المنصب الشيخ أبو الفتوح بن الميقاظ الملقب بنشوء الخلافة، الذي عمل كاتبا في ديوان الجيش في عهد السلطان العادل 539-615هـ/1144.- 1218م، واستغل نفوذه للتدخل في شؤون الكنيسة وإدارتها، وفي تعيين الأساقفة لمطرانية الحبشة[1]، بل كاد ينجح سنة 612هـ/1215م في تعيين صديقه القس داود بن لقلق في رئاسة الكنيسة المرقسية لولا أن خصومه تصدوا له وأفسدوا عليه خطته[2].

وكذلك، نجد أبا سعيد بن أبي اليمين النصراني القبطي المعروف بابن النخال كاتب ديوان الجيش عند السلطان العادل وأسلم على يده ثم أستوزره سنة (582هـ/1186م)[3]، واشتغل الأسعد بن صدقة كاتبا لدار التفاح في عهد الملك العادل، وكانت دار التفاح فندقا تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في ضواحي القاهرة[4]، وكان لهذا الكاتب القبطي مكانته المرموقة بين نصارى مصر.

وفي ديوان السلطان الصالح نجم الدين أيوب647-637هـ /1240-1249م، نجد من النصارى كاتبين من العائلة نفسها، وهما علم الدين إبراهيم بن أبي الثناء الذي التقى به الرحالة ابن سعيد المغربي[5] أثناء زيارته لمصر سنة 640هـ/ 1242م، وقال فيه: "**لقيته بالقاهرة، وهو مشتغل بعمل سلطاني، فشاهدت منه نصرانيا لطيف المحاضرة، ظريف المحاورة جيد الفكرة والبديهة**،"، واستمع إليه وأُعجب بنظمه للشعر.

أما أخوه تاج الدولة إسحاق بن أبي الثناء المعروف بابن كاتب قيصر فكان من كتاب النصارى الذين عملوا في خدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب،كما أمر السلطان نجم الدين أيوب باستخدام أحد الأقباط كاتبا في ديوان الإنشاء وهو الأمجد بن العسال، لينوب عن الكتاب المسلمين أيام الجمعة فينجز ما يطرأ من المهام كي لا تتعطل أعمال الديوان[6].

برز الأقباط في مجال الوظائف الإدارية كالخراج لشهرتهم الواسعة وخبرتهم في ذلك، حيث برعوا في مجال الحساب، مما دفع المسلمين إلى إرسال أبنائهم إلى كتاتيب النصارى لكي يتعلموا منهم الحساب[7]، ومن أشهر رجالاتهم في الجهاز الإداري الأيوبي الأسعد بن مماتي (ت606هـ/1209م)، الذي أسلم على يد أسد الدين

---

[1]- المصدر نفسه،ص 123-124.

[2] – ابن العميد المكين ، **أخبار الأيوبيين**، مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، بورسعيد، د. ت، ص 6 – 7؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 496.

[3] – ابن العديم، زبدة، ص75.

[4] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 92.

[5]- **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغرب في حلى المغرب**، تح. حسين نصار، مطبعة دار الكتاب، د. ط، الجمهورية العربية المتحدة، 1970، ص 301.

[6] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 227 – 236.

[7] – عبد الفتاح عاشور، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، د. ط، القاهرة، 1992، ص 56.

شيركوه[1]، وكان عالما، وعمل في دواوين الدولة الأيوبية طيلة حياته[2]، فتولى سنة (577هـ/ 1181م) ديوان الجيش[3]، وتولى، كذلك، إلى جانب وظيفته مهمة ناظر ديوان المال[4]، وله في ذلك كتاب شهير بعنوان (قوانيين الدواوين)، فكسب محبة السلطان وودّه ثم ابنه الملك العزيز، وعاش حياة مرفهة وامتلك الكثير من البساتين والمزارع[5]، واستمر ناظرًا للدواوين الأيوبية حتى سنة 602هـ/1205م، وعندما تولى الوزير صفي الدين بن شكر الوزارة زمن السلطان العادل، صادر أموال أكابر موظفي الدواوين، وترك، على إثرها، ابن مماتي مصر متجها إلى مدينة حلب، وبقي فيها حتى وافته المنية[6].

شغل نصارى آخرون مناصب أخرى في الدولة الأيوبية كابن المصرف الذي كان أمينا على أموال الدولة زمن السلطان صلاح الدين[7]، وبرز من الأقباط أيضا شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي (655هـ /1257م)، الذي أسلم زمن السلطان الكامل، وتولى نظر الدواوين في عهد السلطان الصالح أيوب وأنشأ المدرسة الفائزية في القاهرة[8]، وكذلك، كان الأسعد أبو الفرج صليب بن ميخائيل صاحب ديوان السلطان الصالح أيوب[9]، وظل الأقباط يشغلون مختلف المناصب الإدارية حتى نهاية العصر الأيوبي.

لم يفز كبار طوائف النصارى بالوظائف الهامة فحسب، بل فازوا أيضا بالألقاب الرنانة التي تدل على مكانتهم المرموقة في الدولة، فقد نُعِت أبو المليح بن زكريا مستوفي الديوان في وزارة بدر الجمالي بالشيخ الأثير نجيب الدولة، ومكينها[10]، أما أبو نجاح بن قنا المعروف بالراهب مستوفى الديوان في خلافة الآمر بأحكام الله، فقد تلقب بالأب القديس، الروحاني النفيس أبي الآباء وسيد الرؤساء مقدم دين النصرانية، وسيّد البتركية، صفيّ

---

[1] – الأسعد بن مماتي، المصدر السابق، ص26 – 27. ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج. 2، ص182–184.

[2] – ابن مماتي، المصدر السابق، ص 20.

[3] – **ديوان الجيش:** مهمة هذا الديوان تثبيت أسماء الجند وما لهم من الخيول والاقطاعات متابعة أحوال الجند من الحياة والموت والغيبة والحضور؛ أُنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج. 3، ص 565.

[4] – **ديوان المال:** يُعد من أهم الدواوين. ويشرف على جميع أموال الدولة. وجرت العادة أن يعين فيها موظف من أكابر الدولة يمتاز بحسن الإدارة عالما بشرائع الإسلام، ليفرق بين الحلال والحرام وذو معرفة في كيفية إدارة ديوان الخراج. انظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج. 3، ص 93.

[5] – ابن دقماق ، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، المكتب التجاري للطباعة وللنشر والتوزيع، بيروت، د. ت، ص 55.

[6] – بن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، طبعة باريس، 1839، ج. 1، ص 119.

[7] – يعقوب روفيلة، المرجع السابق، ص 184.

[8] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج. 3، ص 442.

[9] – يعقوب روفيلة، المرجع السابق، ص184

[10] – ابن المقفع، المصدر السابق، مج 2، ج 3، ص 220.

الرب ومختاره، ثالث عشر الحواريين[1]، كما لُقِّب أبو الفضائل الكاتب النصراني المعروف بابن دخان بلقب "خاصة الدولة"[2].

كذلك، لُقّب الأخرم النصراني "أمير الدواوين" في خلافة الحافظ لدين الله بلقب "صنيعة الخلافة، أبي الكرم"، ونُعِت الوزير بهرام الأرميني النصراني السيد الأجل وسيف الإسلام، تاج الخلافة و غياث الأنام[3]، ولَقّب صلاح الدين الأيوبي كاتبَه أبا المعالي بن شرافي باسم "الشيخ الرئيس صفي الدولة"[4]، كما نَعت السلطان الملك العادل كاتبَه القبطي المعروف بابن الميقاط بلقب "نشو الخلافة"[5].

أما بالنسبة إلى المماليك، فقد كانوا حذرين في البداية من إشراك المسيحيين المحليين في نظام الدولة بسبب تبعات الحروب الصليبية، والصورة التي تشكلت عند المشارقة تجاه المسيحيين، فلم تترك لبعض أولي الأمر أن يفرقوا بين الأقباط والصليبيين، واعتبروا أن الجهاد الديني ضد كل المسيحيين داخل مصر وخارجها واجبًا، لكن سرعان ما تغير موقف المماليك وأحسوا بمدى علم الأقباط وكفاءتهم وأمانتهم، فشغل الأقطاب مراكز هامة في عصر دولة المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م)، وعمل في خدمة شجرة الدر (648هـ/1250م) قبطي اسمه الوجيه المفضل، وكان كاتم سر شجرة الدر وسكرتيرا لها، وأستوزر السلطان قطز(657-658هـ/ 1259م-1260م) قبطيا، هو شرف الدين أبو سعيد هبة الله، ومنحه سلطة واسعة، وكذلك، كان لبيبرس(658-676هـ/ 1260-1277م) كاتب قبطي هو التاج بن سعيد الدولة[6].

---

[1] – ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج.1، ص 226.

[2] – أبو صالح الأرمني، **تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمني تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها**، المطبعة المدرسية، أكسفورد، 1853 م، ص 41.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج.5، 487.

[4] – أبو صالح الأرمني، المصدر السابق، ص 8.

[5] – ابن المقفع، المصدر السابق، مج 3، ج2 ، ص 123.

[6] – المقريزي، الخطط المقريزية،ج2 ، ص 90 – 96.

Morgan Robert, History of the Coptic Orthodox People and the Church of Egypt, FriesenPress, Canada, 2016, p11.

المبحث الثاني: دعم مسيحيو الشرق للمسلمين في صراعهم ضد الصليبيين 491هـ–690هـ/ 1098– 1291م،

لم يكن المسيحيون الشرقيون كتلة متجانسة تدعم الصليبيين، بل عانى السريان اليعاقبة والنساطرة من التمييز والاضطهاد داخل الإمارات الصليبية، ما دفعهم إلى البحث عن حلفاء أكثر إنصافًا، وفي هذا السياق، تحالفت هذه الطوائف مع القوى الإسلامية، مثل الأراتقة والزنكيين ثم الأيوبيين، مما أثر في موازين القوى في المنطقة، لكن ما العوامل التي دفعت السريان إلى تفضيل التحالف مع المسلمين بدلًا من الصليبيين؟ وما تأثير هذا الوفاق المسيحي الشرقي – الإسلامي ؟

1. التحالف السرياني – الإسلامي:

- **السريان و الأراتقة،**

كان لسياسة التمييز التي انتهجها الفرنجة في معاملتهم لسكان إمارة الرها أثر في ضعف الإمارة، إذ مالوا للعنصر الأرميني على حساب العنصر السرياني اليعقوبي والنسطوري ممّا جعل من السريان اليعاقبة والنساطرة عنصرا فعالا في تقويض الفرنجة في إمارة الرها، كما جعلهم على استعداد للتحالف مع أية قوة يمكن أن تخدمهم في ظل الحكم الفرنجي الأرميني[1].

إن سياسة الأمير جوسلين الثاني الاضطهادية للسريان اليعاقبة الأرثوذكس والنساطرة زادت من ضعف موقفه في بقايا أراضي إمارة الرها، ففي الوقت الذي كان نور الدين محمود منهمكا في اجتياح أراضي إمارة أنطاكية كان الأمير جوسلين الثاني يسعى لنهب دير مار برصوم للسريان اليعاقبة الأرثوذكس الواقع بقرب من مدينة كركر في أعالي الفرات من الشمال، وهو مكان إقامة البطريرك السرياني اليعقوبي الأرثوذكسي[2].

وبتحريض من الأرمن قام الأمير جوسلين الثاني يوم الجمعة 29 محرم 543 هـ/18 جويلية 1148م بزيارة دير مار برصوم[3]، فابتهج الراهب السرياني اليعقوبي الأرثوذكسي بوصوله واستقبله خير استقبال معتقدا أنه قدم ليتفقد أحوال السريان اليعاقبة الأرثوذكس وليصلي في الدير، ولكن الأمير جوسلين الثاني تعامل مع مستقبليه

---

[1] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 616.

[2] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 342.

[3] – **مار برصوم**: نسبة الى الناسك برصوم الذي ولد في قرية في كورة سميساط. اشتهر بأعمال النسك والتقشف. وفي سنة 409 م حج إلى بيت المقدس. ثم بنى ديرا عُرف باسمه. قاوم القديس برصوم تعاليم مجمع خلقدونية فألقى الإمبراطور البيزنطي مرقيانوس، بوشاية من الأساقفة الخلقدونيين، القبض عليه. وحوكم بالقسطنطينية. وتوفي سنة 457 م. وتعتبره الكنيسة السريانية الأرثوذكسية قديسا. هناك أكثر من دير باسم برصوم في قلعة الروم. دير بقرب قرية كفرتوتة وهشراي. كما أنه شُيدت كنائس عديدة باسم مار برصوم. منها كنيسة شهيرة للسريان الأرثوذكس في أنطاكية ترقى إلى القرن 6 هـ –12م؛ للمزيد، أُنظر: هاجي متري أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية سورية في الألف الأولى الميلادية**، المكتبة البوليسية، جونية، 1998، ج. 2، ص 650 – 654.

بخبث ومكر، فنزل من أعلى ظهر فرسه وأظهر خشوعا حتى دخل واستقر في الدير، وعندئذ، وبتحريض من الأرمن أمر فرسانه بإلقاء القبض على جميع الرهبان السريان اليعاقبة الأرثوذكس وزجّ بهم في السجن بحجة تعاونهم مع التركمان المسلمين من جيرانهم، ثم أمر رجاله بجمع كل ما يحتويه الدير من الذهب والفضة والأواني الثمينة والسجاد وتحميله على البغال والجمال ونقله إلى تل باشر[1].

اعترض بعض الرهبان الذين كانوا برفقته على أعماله بحجة أنهم قدموا لمحاربة التركمان ونجدة النصرانية وليس لنهب الأديرة، فأقام عدد منهم في دير مار برصوم تحت إشراف الحامية الفرنجية الأرمنية التي وضعها الأمير جوسلين الثاني للإشراف على الدير، وعاد عدد منهم معه إلى تل باشر بينما فارقه بعضهم مع عدد من العناصر السريانية يبحثون عن ملجإ يأويهم من السيطرة الفرنجية الأرمينية واضطهادها[2]، قصد هؤلاء جارَهم سلطان قونية السلطان مسعود بن قلج أرسلان (510–550هـ/1116–1155م)، كما اعتبروا أنفسهم من رعاياه والديرَ من ضمن أملاك إمارته، وعاهدوه على مساندته ضد الأمير جوسلين الثاني وخاصة بعد أن ظهر لهم أن العمل الذي قام به الأمير جوسلين الثاني خيانة للسريان اليعاقبة[3].

لم يقتصر سريان ونساطرة المنطقة على تحالفهم مع السلطان مسعود، بل قصدوا **الأمير قرا أرسلان** صاحب حصن كيفا، وتحالفوا معه في ربيع الثاني 544هـ/أوت 1149م، وحرضوه على مهاجمة الأملاك الشمالية الشرقية من بقايا أملاك إمارة الرها[4]،وأدرك الأمير جوسلين الثاني أن الوضع السيئ الذي آل إليه جراء هجمات المسلمين على أملاكه، هو نتيجة سياسة التمييز التي انتهجها مع رعاياه من سكان إمارة الرها وخاصة المعاملة السيئة للسريان اليعاقبة والنساطرة، فرأى أن يعدل عن تلك السياسة لعله يستطيع المحافظة على ما بقي من أملاكه غرب الفرات، فأعاد جميع ما نهبه من دير مار برصوم وأكرم الرهبان السريان اليعاقبة، فكان لذلك أثر في نفوس السريان اليعاقبة من سكان الدير إذ استبشروا خيرا[5].

ولكن جاء إدراك الأمير جوسلين الثاني لتلك الحقيقة متأخرا، لأن القوى الإسلامية تكاتفت لتمزيق بقايا إمارة الرها والاستيلاء عليها، إذ ما كاد ينتهي من خطر السلطان السلجوقي مسعود حتى واجه هجمات

---

[1] – الرهاوي المجهول، **تاريخ الرهاوي المجهول**، تح. سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، 1995، ج 5، ص 190 - 191.

[2] – الرهاوي المجهول، **تاريخ الرهاوي المجهول 1234م**، تر. ألبير أبونا، مطبعة شفيق، د. ط، بغداد، 1986، ج 2، ص 525؛ ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 342.

[3]– Grousset rené , Histoire des croisader, Vol.2, p.140

[4]– Ibid .

[5] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 111؛ ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 342.

الأراتقة على أعالي الفرات، وانتزاعهم للعديد من المواقع التابعة له بمساعدة السريان اليعاقبة والنساطرة من سكان تلك المناطق الذين فضلوا الحكم الأرتقي على حكمه[1].

إنّ سياسة السلطان مسعود المرنة أكسبته ثقة السريان اليعاقبة والنساطرة، وتفضيلهم على الحكم الفرنجي والأرمني، بينما سياسة الأمير فخر الدين قره أرسلان538-561هـ/ 1144 - 1166 م أكسبته تأييد السريان اليعاقبة والنساطرة وحتى الأرمن الحليف التقليدي للصليبيين، فعبروا عن رغبتهم في الانضمام إلى الهيمنة الأرتقية، خاصة مع المعاملة الحسنة التي وجدتها تلك العناصر من رفع مكانة رجال الكنيسة واحترام معتقداتهم الدينية في ظل حكم الأراتقة، لدرجة أن الأمير حسام الدين تمرتاش الأرتقي عندما قطع الأطباء الأمل من شفائه طلب من رجال الإكليروس السريان اليعاقبة إرساله إلى حصن مار برصوم، وأن يصلّوا من أجله ومنحه بركاتهم وأدعيتهم، وكان قد أخذ بيده وشفي من مرضه أثناء وجوده في الدير، مما جعله يغدق الأموال والهدايا والهبات على النصارى الشرقيين المقيمين كالسريان اليعاقبة والنساطرة داخل حدود إمارته، وجعلها سنة من بعده[2].

- **الزنكيون والكنيسة السريانية:**

بدأ عماد الدين زنكي 518-569هـ/ 1121-1171م حركة الجهاد الإسلامي، ووجه أولى ضرباته لإمارة الرها الصليبية، تلك الإمارة التي تركها حاكمها الصليبي جوسلين الثاني ليقيم في تل باشر، وعهد بمهمة الدفاع عنها لأهلها من المسيحيين المحليين، ولكن رغم ما بذله هؤلاء المسيحيون في الدفاع عن المدينة، فكان تنقصهم الخبرة الحربية لأنّ معظمهم من التجار ورجال الدين الذين لم يعتادوا حمل السلاح، فضلا عن قلة عددهم وعدم تكتل الصليبيين الموجودين في القدس وأنطاكية للدفاع عن الرها، مما أتاح الفرصة لعماد الدين زنكي للاستيلاء عليها عام 539هـ/1144م[3].

نهج عماد الدين زنكي مع حامية القلعة سياسة الرفق، فحاورهم طالبا منهم تسليم القلعة، ووعدهم أن يوفر لهم الأمان فاقتنعت الحامية الإفرنجية بالسلامة، وخرجت مجموعة منهم وعلى رأسهم الكاهن برصوما بن إسماعيل ليأخذوا الأمان لإخوانهم الموجودين في القلعة، فأقسم لهم عماد الدين زنكي أن يحفظ أرواحهم إن هم سلموا القلعة في الحال، ولم يكن، آنذاك، لحاميتها القدرة على الاستمرار في المقاومة لنقص المؤن والماء لديهم،

[1] – رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، تر. السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1968 م، ج 2، ص 527.

[2] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 624 – 625.

[3] – وليم الصوري، الحروب، ج 2، ص 727.

وكانت مقاومتهم قد استمرت ليومين، وهم يعلمون بتهديدات عماد الدين زنكي، فاستسلموا يوم الاثنين (28 جمادى الآخر 539هـ/25 ديسمبر 1144م) بعد أن أخذوا وعدا من عماد الدين زنكي بحفظ أرواحهم[1]،

عندما خرجت الحامية وسلمت القلعة لعماد الدين، استولى جنده على ما فيها من غنائم، ثم جمعوا من الإفرنج رجالهم وكهنتهم ونبلائهم وزعمائهم وانتزعوا منهم كل ما يملكون، وأرسلوا قسما منهم أسرى إلى حلب، بينما اختاروا أصحاب الحرف والمهن وشغّلوهم في حرفهم سخرةً، وعذبوا مائة شخص منهم، وقتلوا عددا آخر بالسيوف، ولعل أولئك كانوا من حامية القلعة الذين رفضوا الاستسلام في بادئ الأمر، في حين شمل عفو عماد الدين زنكي من كان بها من الأرمن والسريان واليونان أسوة بغيرهم من سكان المدينة الذين سبق وأن عفا عنهم، فكان التركمان يحافظون على حياتهم، ويقتلون الإفرنج حيث وجودهم[2].

عندما دخل عماد الدين زنكي الرها أسف على بلد مثلها أن يعمها الخراب، ورأى أن دمارها وترحيل أهلها لا يصب في صالح سياسته لتوسيع بلاده[3]، ولذلك، لم يأذن لقواته أن تمس الكنائس السريانية والأرمنية، وإنما اقتصر الأمر على تدمير الكنائس الكاثوليكية التابعة للإفرنج، واستخدم حجراتها في ترميم الثغرات التي حدثت في أسوار المدينة، وحوّل بعضها إلى إسطبلات وأماكن تخزين للأعلاف والمؤن، بينما أمن أهلها من المسيحيين الوطنيين على أموالهم وأولادهم وكنائسهم، وسمح للأرمن والسريان بالعودة إلى بيوتهم بل وأمر ببناء ما تهدم من كنائسهم، وأطلق الحرية الكاملة لسكان المدينة الأصليين في ممارسة شعائرهم الدينية، وأمر بترميم المسجد وتجديده وقد حوله الإفرنج إلى مسكن للمطران الإفرنجي[4].

تظهر الروايات الأرمينية والسريانية[5] أن سياسة عماد الدين زنكي في معاملته للأرمن والسريان لا تنم إلا عن رغبته في الاعتماد عليهم لحماية المدينة، فبينما كان الأسقف باسيليوس السرياني مسحوبا بحبل وهو عار ومحلوق الرأس، جذب انتباه عماد الدين زنكي لكبر سنّه، ولما علم أنه الأسقف باسيليوس السرياني، بدأ يلومه لعدم التعاون معه لتسليمه المدينة أثناء الحصار، غير أن باسيليوس أجاب بحنكة استطاع بها أن يكسب ود عماد الدين زنكي، ويظهر أن ما حدث كان لا بدّ أن يحدث بسبب ارتباطهم بالعهود والإيمان مع الإفرنج، وليس من الإخلاص والوفاء نقض تلك العهود والإيمان، وأجابه أن سكان الرها أصبحوا الآن ملك يدكه وأنه يستحق

[1] – ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 179؛ الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص150 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج.11، ص 99.

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 279؛ الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 152.

[3] – ابن الاثير، الكامل، ج.11، ص 99؛ ابن واصل ، مفرج الكروب، ج.1، ص 94.

[4] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص152. Grousset rené , Histoire des croisaders, vol.4. p31.

[5] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 236؛ الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 153.

الولاء، وإذا ما فرضنا يمين الولاء والتبعية لك فيجب أن نلتزم بالإخلاص والوفاء ضمن العهود والإيمان التي نرتبط بها معك كما فعلنا مع الإفرنج.

إن موقف الأسقف السرياني يعتبر بمثابة انضمام العنصر السرياني الرهاوي إلى سيادة عماد الدين زنكي، والرضا بحكمه فيها، وإكراما للأسقف السرياني، أمر عماد الدين زنكي بوضع الرداء الكهنوتي على أكتاف الأسقف وإدخاله إلى خيمته، ورفع من مكانته واتخذه مستشارا لإعادة إعمار المدينة، ووكل إليه مهمة إعادة بناء المدينة وترميمها، وإرجاع سكانها إليها[1]، وكان عماد الدين زنكي قد سبق وأعلن أن كل الذين هربوا يستطيعون العودة إلى بيوتهم[2].

لم يترك عماد الدين زنكي الأمور تسير حسب ما خطط لها في ذهنه فحسب وإنما نفذها عمليا، فأصدر أوامره في تنظيم ما اضطرب من أمور الرها وتعمير ما تهدم خلال أسابيع طويلة من القتال، ورتب من رآه أهلا لتدبير أمرها وحفظها والاجتهاد في مصالحها[3]، فعين عليها علي كوجك صاحب أربيل وشهر زور حاكما لها بمساعدة قطب الدين ينال بن حسان صاحب منبج وستة آخرين من الأمراء[4]، كما شكل عماد الدين زنكي حامية تركمانية قوية، ووضعها في الرها لتذود وتدافع عنها[5].

وقبل خروجه من الرها وزع على بعض سكانها المواشي والثيران والأعلاف رغبة منه في زيادة ثقة سكانها، ويبدو أن سياسته هذه قد حققت نوعا من التوافق بين المسلمين من التركمان وسكان الرها الأصليين، إذ لم تمض سنة على تلك السياسة، حتى اقترن حوالي مائة رجل مسلم من التركمان بمائة امرأة من الأرمن والسريان[6]، لتعود الرها إلى حالتها السابقة أيام كانت تابعة للمسلمين[7]، فالإصلاحات جعلت الرها كسابق عهدها بلدة مسيحية تضم العناصر الأرمنية والسريانية واليونانية، ولكن تحت وصاية الحكم إسلامي ووصايته، ويبدو أن عماد الدين

---

[1]- Grounsset , histoire des croisaders, vol.4.p.31-32

[2] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، 153.

[3] – القلانسي، الذيل، ص280؛. أبو الشامة ، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح. محمد حلمي محمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، د. ط، القاهرة، 1956، ج.1، ق1 ، ص 95؛ ابن العديم، زبدة حلب، ج 2، ص 279.

[4] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 152.ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تح. يحي عبادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978، ج 3، ق 1، ص94 – 95 . الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 152.

[5] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 162؛ ابن أثير ، الكامل، ج.11، ص 99.

[6] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 158.

[7] – ابن الاثير، الباهر، ص 69؛ ابن الاثير، الكامل، ج.11، ص 99؛ أبو شامة ، الروضتين، ج 1، ق 1، ص 95.

زنكي أدرك مدى أهمية العناصر السكانية الأصلية فيها خاصة إذا أحسن إليهم وتحالف معهم سيخلصون له في حربه ضد الصليبيين، ويؤمّن إمارته من الموصل إلى حلب[1].

- **صلاح الدين يكسب تأييد الكنيسة السريانية والملكانية في بلاد الشام 569– 589هـ/1174–1193م:**

بوفاة نور الدين محمود عام 569هـ/ 1174م، تولى حركة الجهاد من بعده صلاح الدين الأيوبي، وقد أثار ازدياد نفوذه مخاوف الصليبيين والمسيحيين المحليين المتعاونين معهم[2]، ففي عام577هـ/ 1182م، اتجه صلاح الدين صوب فلسطين، وعندما وصل إلى منطقة أعلى نهر اليرموك تُسمي حبيس جلدك (قلدك)، استسلم له أهلها السريان العازفين عن التضحية بأنفسهم من أجل الصليبيين، وحدث الشيء نفسه عام 578هـ/ 1183م، عندما عسكر صلاح الدين أمام قلعة الكرك[3] .

وأثناء تشديد صلاح الدين الأيوبي الحصار على بيت المقدس سنة 583هـ/1187م، كانت الطوائف المسيحية داخل المدينة في خلاف حاد، فوصل الأمر إلى درجة أن الطوائف الأرثوذكسية نادت بتفضيل الحكم الإسلامي على سيطرة اللاتين، وقد كان الروم الأرثوذكس على استعداد للتعاون مع صلاح الدين وتقديم المساعدات اللازمة، بل هناك رواية تاريخية[4] تذكر مساهمة المسيحي **يوسف البطيط الملكاني Joseph Batit** في تحريض أبناء طائفته على تسهيل دخول صلاح الدين إلى المدينة، ويوسف هذا، حسب المصادر الغربية، مستشار مسيحي مقدسي لدى صلاح الدين وكان يعرفه منذ كان قائدا عند الزنكيين، حيث اتفق معه على حشد الأرثوذكس للوقوف في صف المسلمين[5]، لكن الروايات الإسلامية أكدت أن المدينة استسلمت

---

[1] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 235 – 242 ؛ Groussed , Histoire des croisades. Vol.4. 30-32، Hamiltton Bernard , the latin church , p.193

[2] – يذكر هاملتون أن اتحاد كنيسة الموارنة مع الكنيسة الكاثوليكية عام 1182 م يعود إلى تنامي قوة صلاح الدين الأيوبي وخوف الموارنة من هذا التنامي. كما يذكر أيضا أن تنامي قوة صلاح الدين قاربت بين الأرمن والصليبيين. فتزوج ليو الثاني الذي خلف روبين الثالث من شقيقة سيبل زوجة بوهيموند حاكم أنطاكية. كما تقرب الأرمن من روما في تلك الفترة حيث قام الكاثوليكوس الأرميني جريجورى الرابع دغا (1173–1193م) بإرسال رسالة إلى البابا ليكيوس الثالث (1181 – 1185) يعترف فيها بعقيدة الإيمان الكاثوليكية. هذا التقارب كان بتشجيع من روبين الثالث (1175–1187 م) نظرا إلى رغبته في جذب المساعدة العسكرية الغربية لإمارته في قيليقية التي كانت تهددها قوة صلاح الدين الأيوبي؛ أُنظر: Hamiltton Bernard , the armenian Church, pp 68,69

[3] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 489–491 – 500.

[4] – ابن المقفع، المصدر السابق، مج 2، ص 1510.

[5] – المرجع نفسه، ص 524.

ودخلها صلاح الدين دون أية مساعدات، وكان ذلك في 27 رجب 583هـ/2 أكتوبر1187م[1]، ويذكر رانسيمان[2] أن الروم الأرثوذكس كانوا في شدة الحزن من استسلام مدينة القدس لأنهم كانوا يفضلون قتل الفرنج على يد المسلمين.

بعد استسلام القدس لصلاح الدين حرص على أن يشمل المسيحيين الشرقيين بعطفه ورعايته ويرد لهم حقوقهم المسلوبة، وذلك ليوجد دعامة محلية تؤيده في الحكم، وسمح للطوائف المسيحية الشرقية الموجودة بالمدينة أن تبقى كما هي شريطة دفع الجزية والفدية المتفق عليها والتي كانت عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة وديناريين للطفل، وأُعفي غيرُ القادرين من المسيحيين المحليين من دفعها، وأعاد لهم جميع مزاراتهم وكنائسهم وأديرتهم التي كان قد سلبها منهم الصليبيون[3].

وبعد عودة بيت المقدس إلى المسلمين، حاول الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس (1185–1195م/ 581– 591هـ) استمالة صلاح الدين من أجل كسب امتيازات لطائفة الروم الأرثوذكس (الملكانيون)، فأرسل له تهنئة لانتصاره على الصليبيين اللاتين، راجيا إياه وضع كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس تحت إشراف رجال الدين الأرثوذكس الذين تعينهم بيزنطة، وطلب أن يدخل في تحالف سياسي مع صلاح الدين، ولكن جميع مطالبه قوبلت بالرفض[4].

لم ييأس الإمبراطور البيزنطي من محاولة استمالة الأيوبيين إلى جانبه، في سعي منه لتحصيل مزيد من الامتيازات لرعايا الدولة البيزنطية من الروم الملكانيين الموجودين في بيت المقدس، واغتنم وصول الحملة الصليبية الثالثة التي دعا إليها الغرب لاسترداد القدس إلى أبواب القسطنطينية بقيادة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا وابنه الثاني فردريك أمير سوابيا عام585هـ/ 1189م ليراسل صلاح الدين واعدا إياه بمنعهم من العبور من بلاده، مؤكدا حسن نيته في عقد تحالف معه، وبالفعل تعهد صلاح الدين مقابل هذا الموقف وضع الأماكن المقدسة في فلسطين تحت رعاية رجال الدين الأرثوذكس.

إذا كان صلاح الدين قد وافق عندئذ على تسليم كنيسة القيامة الأرثوذكسية، فإن الدولة البيزنطية وافقت هي الأخرى على أن تجعل لصلاح الدين نوعا من الوصاية على الجالية الإسلامية في القسطنطينية، وبالتالي عندما طلب الإمبراطور البيزنطي من صلاح الدين عودة البطريرك اليوناني إلى القدس لبى صلاح الدين

---

[1] – ابن شداد بهاء الدين، سيرة صلاح الدين، تح. جمال الدين شيال، القاهرة، 1962، ص 82؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص 522 – 523؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج.2، ص 645.

[2] – رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص 524.

[3] – الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص136؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 221.

[4] – ابن شداد بهاء الدين، المصدر السابق، ص 281؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج.1، ص 649.

طلبه، خاصة أن الأرثوذكس في فلسطين كانوا على استعداد للتعاون مع صلاح الدين في حروبه ضد الصليبيين عند فتح القدس وفي حصار عكا[1].

عند وصول الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام بقيادة ريتشارد قلب الأسد وصلت أنباء إلى القسطنطينية بأن ريتشارد يمارس ضغوطه لإضفاء الصبغة اللاتينية على الأماكن المقدسة، لذلك، وصلت سفارة من الإمبراطور البيزنطي تطلب استرداد الأرثوذكس السيطرة الكاملة على الكنائس الأرثوذكسية التي كانت لهم أيام الفاطميين، لكن صلاح الدين رفض هذا المطلب، ولن يسمح لأي طائفة بمفردها أن تسيطر على هذه الأماكن، ولكنه سيكون بمثابة جهة تحكيم بينهم جميعا[2].

بعد عقد صلح الرملة بين صلاح الدين والملك ريتشارد قلب الأسد عام 588هـ/ 1192م، طلب هوبرت أسقف سالزبوري L'évèque de *Salisbury* من صلاح الدين تعيين اثنين من رجال الدين الكاثوليك في كل من كنيسة القيامة وكنيسة بيت لحم والناصرة، ونظرا لسماحة صلاح الدين وافق على مطلبه[3].

2. موقف الأقباط من الصراع الإسلامي – الصليبي 491–690هـ/ 1098 – 1291م:

يصنف الأقباط الحملات الصليبية من أسوء النكبات التي مرت على المجتمعات المسيحية الشرقية، فقبل هجمة هؤلاء الفرنجة على الأراضي المقدسة، كان المسيحيون الشرقيون في الدولة الإسلامية يمثلون جزءا فاعلا ومنسجما في المجتمع، محافظين على خصوصيتهم الدينية، وقد كسب المسيحيون احترام الجميع بما في ذلك الخلفاء أنفسهم، وكان الكثيرون منهم قد شغلوا مناصب هامة في الإدارة من كتبة وجامعي ضرائب ومشرفين على خزانة الخلافة نفسها، وكان منهم موظفون محل تقدير الحكام وثقتهم.

كل هذه الطمأنينة تغيرت بمجرد مجيء الحملات الصليبية التي اتخذت من الصليب شعارا لها، فولدت كراهية في نفوس الناس ضد الصليب وجرت البلاء على المسيحيين الشرقيين الذين أصبحوا في موقع اتهام داخل المجتمع الإسلامي الشرقي، وفي المقابل اصطدموا بتهمة التكفير التي وصمهم بها الصليبيون أتباع الكنيسة الرومانية الذين اعتبروهم أسوأ من الهراطقة، فكيف كان موقف الأقباط من هذا الوضع الجديد الذي ألم بأوطانهم الشرقية؟

---

[1] – شحاذة خوري، نقولا خوري، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية**، مطبعة بيت المقدس، القدس الشريف، 1925، ص 81؛ سعيد عاشور، الحركة، ج 2، ص 665.

[2] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 3، ص 112.

[3] – ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 212؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص707 – 708.

عند وصول الأيوبيين للحكم 567هـ/1174م، كانوا يدركون أهمية العنصر القبطي في خدمة الحكومة والوطن، فقدروهم حق قدرهم، ولم يصب الأقباط في أيام الدولة الأيوبية ضرر، وربما نالهم بعض الضرر من الفرنجة أنفسهم الذين ادّعوا أن القصد من حروبهم الصليبية حماية الدين المسيحي والمسيحيين[1]، وساهم الأقباط في تدعيم انتصارات صلاح الدين على الصليبيين، ورافق صلاح الدين عدد كبير من الأقباط في حملته على بيت المقدس بوصفهم كتابا ومهندسين وعمالا وفنيين[2].

زادت نظرة الصليبيين سوءا تجاه مسيحيي الشرق، فبعد أن فتح المسلمون القدس وبلغت الاتهامات الذروة بين الفريقين، واتهم الصليبيون المسيحيين الوطنيين بالخيانة والتآمر، معتبرين جوزيف بطيط، الذي أرسله صلاح الدين رسولا له، جاسوسا وعميلا جاء ليفتن بين المسيحيين، وشاعت هذه القصة في أوروبا كلها مولدة أزمة شك وثقة بين الأطراف كافة[3]، وأظهر صلاح الدين، بعد تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين سنة 27رجب 583هـ/2 ديسمبر 1187، تسامحا كبيرا مع المسيحيين[4]، فمنحهم ديرا ملاصقا لبيت المقدس اسمه **ديرالسلطان**[5] مكافأة لهم على مواقفهم النبيلة ضد الصليبيين[6].

بعد وفاة صلاح الدين (589هـ/1193م)، أصبحت مصر هدفا للحملات الصليبية باعتبارها قاعدة النضال ضد الصليبيين والمركز الذي انتقلت منه حركة توحيد الصف العربي والإسلامي، فقام الصليبيون بحملتين كبيرتين على مصر هما الحملة الصليبية الخامسة (615-618 هـ/1218-1221م)[7]، والحملة الصليبية السابعة (646-648هـ/ 1248-1250م).

---

[1] – ستانلي لين بول، المرجع السابق، ص 336. يعقوب نخلة روفيله، المرجع السابق، ص 178.

[2] – ديمتري رزق، **قصة الأقباط في الأرض المقدسة، رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس**، د. ط، القاهرة، 1967، ص 21.

[3] – فرح فرزلي، **المسيحيون في العصور الاسلامية غير العربية: المسيحيون في العصر الأيوبي**، ضمن كتاب **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، ص 583.

[4] – ابن الجوزي، **فضائل القدس**، تح. جبرائيل سليمان، دار الآفاق الحديثة، بيروت، د. ت، ص 105؛ ستيفن رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 752.

[5] – **دير السلطان**: وهو من الأديرة القديمة بالقدس. يلاصق هذا الدير سطح كنيسة القيامة. وقد احتله الرهبان اللاتين بعد استيلاء الصليبيين على المدينة. ولكن صلاح الدين الأيوبي أرجعه للأقباط الأرثوذكس بعد تحرير بيت المقدس. فعُرف من وقتها باسم *دير السلطان* نسبة إلى *السلطان* صلاح الدين الأيوبي. فهو الدير الوحيد الذي لا يحمل اسم أحد القديسين كما هو معروف في الأديرة القبطية الأخرى. بين الأقباط والأحباش نزاع حول هذا الدير إلى يومنا هذا. شوقي عطا الله الجمل، عبد الله ابراهيم، **الحضارة الإفريقية**، كتاب الجمهورية، د. ط، مصر، 2009، ص 112.

[6] – فرح فرزلي، **المسيحيون في العصور الاسلامية غير العربية: المسيحيون في العصر الأيوبي**، ص 583.

[7] – دعا البابا أنوسنت الثالث (1198-1216م/595-613هـ) إلى حملة صليبية جديدة بغرض استرجاع بيت المقدس من أيدي المسلمين. واستجاب لندائه جان دي برين ملك بيت المقدس الأسمى (1210-1225م/606-622هـ)، وجعل مسارها مصر وبالتحديد دمياط باعتبارها

وتمثل حملة **جان دي برين** *John of Brienne*(1210-1225م/607-622هـ)[1] على دمياط اتجاهاً جديداً لمسار الحركة الصليبية نحو مصر بدلا من الشام، وبسقوط دمياط في أيدي الصليبيين، بدأ أولياء الأمر في مصر يتشككون في موقف النصارى، ومما زاد الموقف تعقيداً أنّ دمياط نفسها كان بها عدد كبير من الأقباط، وكان هذا الأمر لوحده كافيا لبعث الاضطرابات في القاهرة، وشمل الذهول الجميع مسلمين وأقباط بعد أن راجت الشائعات حول موقف الأقباط الذين أصبحوا في موضع الريبة.

اجتمع الملك العادل (538-615هـ/1145-1218م) بالقساوسة الأقباط، وطلب منهم أن يخرجوا مع الجيش المصري في هذه الحرب قائلا لهم: " **سافروا مع المسلمين من أجل الحرب، أُخرجوا مع المسلمين لقتال الفرنج، فخرج عشرة آلاف قبطي**"[2]، وفي تلك الأثناء توفي الملك العادل الأيوبي، وخلفه الملك الكامل(615-635هـ/1218-1238م)، فكان عليه مواجهة هذه الحملة وطرد الصليبيين من مصر.

أما إذا تحققنا من موقف الأقباط في مصر في تلك الأثناء فقد شعروا بالسخط على الفرنج لما علموا بما ارتكبوه من أعمال القتل والسلب والنهب، ولم يفرقوا في ذلك بين مسلم وقبطي، فقد استباح الصليبيون قتل الأقباط أيا كان سنهم، وطردوا أسقف المدينة المصري، وعينوا مكانه مطرانا لاتينيا، في نفس الوقت الذي حدثت فيه اضطرابات عنيفة في القاهرة إذ ظن العامة أن الأقباط متواطئون مع الصليبيين وهو الأمر الذي لم يحدث مطلقاً، وأكده المؤرخون الشرقيون والغربيون على حد سواء، فخلال هذه الاضطرابات ضغط الديوان على القبط لدفع مبالغ باهظة للمساهمة في نفقات الحرب، وقام بعض العامة بنهب الكنائس وتخريبها مما اضطر بعض الأقباط إلى الهروب ومغادرة البلاد[3].

وفي الحقيقة، أظهر الأقباط وعياً كبيراً وفهماً عميقاً للحركة الصليبية، وجاهدوا ضد أولئك اللاتين الذين اعتبروهم دخلاء، وكانوا يدركون تماما أن الكيان الصليبي في بلاد الشام كيان زائف ولا يقوم على قواعد ثابتة

مفتاح مصر. واستمر حصارها زهاء سنة ونصف، وسقطت المدينة في أيديهم في نوفمبر 1219م/25 شعبان 616هـ. عن الحملة الصليبية الخامسة؛ أُنظر: أبو شامة، الروضتين، ص68 – 69؛ المقريزي، السلوك، ج.1، ص 202.

[1] – جان دى برين (1170-1237م/566-624هـ): وهو نبيل فرنسي صار ملكا اسميا لبيت المقدس بالزواج (1210-1225م/607 - 622هـ) وإمبراطور القسطنطينية اللاتينية (1229-1237م/626-635هـ)، وقائد الحملة الصليبية الخامسة؛ أُنظر: محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة على مصر، دار المعارف، الإسكندرية، 1985 م.

[2] – ابن المقفع، المصدر السابق، ص 337.

[3] – ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح. حسنين ربيع، دار الكتاب، القاهرة، 1977م، ج.1، ص 87. أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ط.1، القاهرة، 1325 هـ، ج.2، ص 128.

راسخة، فلم يكن للصليبيين قومية ولا هوية وطنية، وأحسّ الملك الكامل[1] بمدى وطنية الأقباط، وانتهت حملة جان دي برين بالفشل الذريع ليرحل الصليبيون عن دمياط في رجب 618هـ/سبتمبر 1221م[2].

وفقدت الحروب الصليبية في عهد الملك الكامل صبغتها الدينية، فكانت الحملة الصليبية السادسة (625–626هـ/1228–1229م) حملة سلمية، وانتهت بقيام الملك الكامل بالتنازل عن مدينة بيت المقدس للإمبراطور الألماني فردريك الثاني (1220–1250م/617–648هـ) وفقاً لاتفاقية يافا التي عقدت بينهما في 22 ربيع الأول 626هـ/18 فبراير 1229م[3].

الحملة الصليبية السابعة (646–648هـ/1248–1250م) هي آخر الحملات الصليبية الكبيرة على مصر، وكانت بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا (1249–1250م/647–648هـ) الذي نجح في احتلال دمياط[4] في صفر 647/يونيو 1249 م، والواقع أنه عند سقوط دمياط لم ينج أقباط مصر من الفرنج ولم يسلموا من شرهم، وقتلوا عددا كبيرا من سكانها دون تمييز بين مسلم ونصراني مما أثار أهل مصر مسلمين وأقباط[5]، فأخذوا يجمعون الأسلحة والذخائر ويمدون أهالي دمياط بالمؤن والزاد، وفي تلك الأثناء، توفى الملك الصالح نجم الدين في 15 شعبان 647هـ/22 نوفمبر 1249م، فأخفت أرملته شجر الدر[6] خبر وفاته، وظلت المراسيم والكتب تخرج بتوقيع السلطان المتوفى كأنه حي[7].

---

[1] – فهم الملك الكامل أن الأقباط يريدون أن يعيشوا في وطنهم مصر عيشة مستقرة آمنين على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم. فمال إليهم. وقربهم منه. ورفع مقامهم. وعمل على ما فيه راحتهم. ورد لهم ما سلب منهم. وزار بعض الأديرة مع حاشيته. ورفض بشدة التدخل في النزاعات الصغيرة التي كانت تحدث أحيانا في الكنيسة القبطية. وأظهر الملك الكامل عطفا على النصارى عموما. وتذكر إحدى الروايات أنه أمضى بقية حياته في إحدى الأديرة؛ أُنظر: متي الرهاوي، **تاريخ متي الرهاوي**، تر. محمود محمد الرويني، عبد الرحيم مصطفى، الأردن، 2009، ج 2، ص 295. هويدا محمد بنيرة، **أقباط مصر في عصر الحروب الصليبية (1095–1291م/490–690هـ)**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، ع 11، ج.1، أكتوبر 2021، ص151 – 152.

[2] – أبو شامة، المصدر السابق، ص689 – 690؛ المقريزي، السلوك، ج.1، ص 202.

[3] – ابن واصل، المصدر السابق، ج.1، ص 242.

[4] – جوانفيل، المرجع السابق، ص.56

[5] – يعقوب نخلة روفيلة، المرجع السابق، ص 158.

[6] – **شجر الدر**: هي عصمة الدين أم خليل خوارزمية الأصل وقيل أنها أرمينية أو تركية الأصل. تزوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب. وتولت الحكم بعد وفاته لمدة ثمانين يوما. ثم تنازلت عن العرش لزوجها عز الدين أيبك التركماني سنة (648هـ/ 1250م). وقتلت في 23 ربيع الأول 655هـ/ 3 مايو 1257 على يد جوارى امرأة أيبك الأولى أم نور الدين على. واعتبرها المقريزي أولى سلاطين دولة المماليك البحرية؛ أُنظر: المقريزي، السلوك، ج.1، ص246 – 248؛ محمد تونجي، معجم أعلام النساء، دار العلم للملايين، ط.1 بيروت، 2001، ص 112.

[7] – المقريزي ، السلوك، ج.1، ص 354.

وتنتهي هذه الحملة أيضا بالفشل، وأُسر الملك لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة[1]، وتمّ الاتفاق أخيرا على إطلاق سراح الملك وجميع الأسرى الفرنج على أن يجلوا عن دمياط ويدفعوا 400 ألف دينار فدية للملك، وتمّ تسليم دمياط للمصريين، وأبحر لويس وأتباعه إلى عكا في صفر 648هـ/ ماي 1250م[2]، وبعودة دمياط إلى مصر ضربت البشائر، وفرح الناس وسُرّ الأقباط بهزيمة لويس التاسع، ورأوا في ذلك عقابا جديدا أنزل على أنصار كنيسة روما[3].

وفي الحقيقة، كان للمقاومة الشعبية في دمياط دور مجيد في دفع خطر حملة لويس التاسع، ووقف المسلمون والأقباط في دمياط جنبا إلى جنب، وتصدوا لخطر الفرنج، وساندهم في ذلك إخوانهم أقباط بلاد الشام، فقاموا بالهجوم على معاقل اللاتين بالساحل الشامي[4]، وكان سكان دمياط جميعا يتسللون ليلا إلى المعسكر الصليبي، ويقتلون جنود الصليبيين وهم نيام، ثم يهربون، كان خوف الصليبيين من المتطوعين العوام أشد من خوفهم من الجنود النظاميين[5]، واشترك الأقباط في معركة المنصورة، وحاربوا في صفوف المسلمين ضد الصليبيين[6].

لقد أظهر الصليبيون تعصبا ضد الأقباط، وفي المقابل، لم يرتح القبط لوجود الجيوش الكاثوليكية على أرضهم، وأدرك الأقباط حقيقة الهدف الصليبي وهو القضاء على الإسلام وثقافته وعلى المسيحية الشرقية وديانتها الأرثوذكسية، وهي تلك السياسة التي أتبعوها عندما أغاروا على الديار المصرية، وكانت حملة لويس التاسع نموذجا حيا لتلك السياسة[7].

وفي الحقيقة، حاول الصليبيون أن يستميلوا إليهم أقباط مصر إلا أنهم فشلوا لأسباب كثيرة، منها وجود كراهية متبادلة بين الجانبين، يُضاف إلى ذلك إصرار القبط على رفض إقامة أي نوع من العلاقات مع الصليبيين

---

[1] – **ابن لقمان** : هو فخر الدين بن لقمان. من أعيان القضاة في الدولة الأيوبية. أصله من المعدن من إسعرد. ولي وزارة الصحبة للملك السعيد. ثم وزر مرتين للملك المنصور. واشتهر بلزومه ديوان الإنشاء كاتبا توفي بمصر 693هـ/ 1294م، اشتهر منزل ابن لقمان عندما وقع الملك *لويس* التاسع في الأسر، وسيق مكبلاً بالأغلال إلى المنصورة، حيث اتفق المؤرخون على أنه حبس في دار فخر الدين إبراهيم بن لقمان.أُنظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، تح. علي محمد معوض، عادل أحمد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج.1، ص 313؛ المقريزي، السلوك،ج.1، ص 455.

[2] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج.2، ص 396. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج 2، ص 138.

[3] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج .3، ص 417.

[4]– جوانفيل، المصدر السابق، ص 46.

[5] – ابن أيبك الداوداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج.7، القاهرة، 1971، ص 166.

[6] – ابن الياس، المصدر السابق، ج.1، ص 396.

[7] – عارف باشا العارف، **تاريخ القدس**، مطبعة دار المعارف ، القاهرة، 1951، ص 71 – 74.

أو التعامل معهم، وفضلوا التمسك بروابط التاريخ واللغة والجنس المشترك مع المسلمين[1]، لقد كانت الحروب الصليبية تمثل تحديا تاريخيا كبيرا فُرض على الأقباط إلا أنهم اثبتوا وطنيتهم، فاحتفظوا لأنفسهم بمركز مهم في الحكومة ونالوا ثقة الخلفاء الذين عاملوهم بالتسامح والاعتدال والاحترام.

3. المسيحيون الشرقيون والمماليك حتى 690هـ/1291م:

اعتبر سلاطين المماليك نصارى مصر والشام جزءًا من رعيتهم وعاملوهم بالعدل[2]، والدليل على ذلك تلك المراسلات التي كان يرسلها سلاطين المماليك إلى بطاركة الأقباط مثلا والتي تبين مدى احترامهم وإجلالهم للبطريرك القبطي الذي وصفوه بألقاب تقديرية كالحضرة السامية، والشيخ الرئيس المبجل، والمكرم، والفاضل، والكافي، والثقة، وكبير الأمة المسيحية، أطال الله تعالى بهجته وأعلى أهل طائفته[3]، واعتمدت الدولة عليهم في تثبيت دعائم الحكم وإدارة شئونها، فشغلوا وظائف مهمة، وكان منهم وزراء وأطباء ومهندسون وشعراء وكتاب ومؤرخون، والفنانون والصناع والبنائون المهرة، وقام هؤلاء بدور بارز في تطوير العصر المملوكي[4].

واصل المماليك حركة الجهاد ضد الصليبيين[5]، وعندما فتح الظاهر بيبرس أنطاكية سنة 666هـ/1268م أجهز على رجالها وقوض كنائسها الشهيرة وأجلى النساء والأطفال وتركها خاوية، فغدت أنطاكية مدينة إسلامية يقطنها المسلمون، وبقي فيها السريان اليعاقبة والنساطرة مقابل جزية يؤدونها للدولة المملوكية[6].

عندما فتح السلطان سيف الدين قلاوون مدينة طرابلس سنة 688هـ/1289م، أمر بتدمير المدينة، فقوض الكثير من كنائسها، واستولى على قلعتها، وفتح أنفة والبترون دون مقاومة، وقد شكل سقوط طرابلس صدمة عنيفة لسكان عكا[7]، كما أثار النقمة في الغرب الأوروبي، ويبدو أن السلطان قلاوون لم يكن ينوي مهاجمة

---

[1] – ابن المقفع بن المقفع، المصدر السابق، ص 30؛ أ. ل. بتشر، **تاريخ الأمة القبطية وكنيستها**، مطبعة الفجالة، القاهرة، ص 195.

[2] – أبو المحاسن، المصدر السابق، ج 7، ص 109.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج.1، ص 393 – 397.

[4] – يعقوب نخلة روفيلة، المرجع السابق، ص 51.

[5] – ورث المماليك عن الأيوبيين تصميمهم على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين الذين صارت مدنهم وقلاعهم تسقط واحدة تلوى الأخرى. فاستعاد الظاهر بيبرس قيسارية وصفد ويافا وجبيل وعرقة في الفترة من (661–664هـ/ 1263–1266م). واستعاد السلطان قلاوون (678–689هـ/ 1279–1290م) قلعة المرقب سنة 684هـ/ 1258م واللاذقية سنة 1278م/686هـ وطرابلس 688هـ/ 1289م. وفتح السلطان الأشرف خليل(689–693هـ/ 1290–1293م) عكا آخر معاقل الفرنج الحصينة بالساحل الشامي عام 690هـ/ 1291م. وأثار سقوطها الرعب والفزع في نفوس الصليبيين فرحلوا عن المدن الأخرى الباقية في أيديهم مثل صور وصيدا وبيروت. وعادوا إلى بلادهم لتنتهي بذلك الحروب الصليبية بعد أن استمرت مائة وأربعا وتسعين سنة؛ أُنظر المقريزي، الخطط، ج 3، ص 176 – 177؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 301 .

[6] – ابن الظاهر، المصدر السابق، ص 325 – 326؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة، ج 2، ص1149.

[7] – أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 1997، ج 2، ص 358.

عكا حيث جدد الهدنة معها لمدة عشرة أشهر وعشرة أيام، لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا إذ ما لبث أن وصل الفرنجة الإيطاليون في شهر شعبان 689هـ/ أوت1290م، فأربكوا السلطات الصليبية بفعل ما اشتهروا به من الفجور والإخلال بالأمن، كما افتقروا إلى المرونة السياسية، ولم يحظوا بخبرة في القتال[1].

وأراد هؤلاء فور نزولهم إلى البر أن يعبروا عن حماستهم الدينية، فدفعهم جهلهم إلى مهاجمة التجار والفلاحين المسلمين في عكا، في ظل الأمان المعطى لهم بعد عقد الصلح بين السلطان والفرنجة، و بما أنهم اعتقدوا أنّ كل ذي لحية مسلم، فقد هلك أيضا عدد كبير من النصارى السريان اليعاقبة الأرثوذكس والنساطرة[2]، وسارعت حكومة عكا إلى الاعتذار، وتعهدت بمعاقبة المذنبين، وأرسل السلطان يطالب بتسليم المذنبين فور معرفته بالتجاوزات، معتبرا الحادثة مساسا بسيادته، واكتفى الفرنجة بتقديم اعتذارات شكلية جعلت الفقهاء يجيزون للسلطان قلاوون نقض الهدنة، غير أن الموت باغته في ذي القعدة 689هـ/نوفمبر1291م أثناء استعداداته الحربية وعزمه مغادرة القاهرة لحرب الفرنجة في بلاد الشام[3].

بعد وفاة السلطان خلفه إبنه الأشرف خليل قلاوون الذي أكمل ما بدأه والده ودخل عكا سنة 690هـ/1291م، التي كان فتحها بدايةً لتصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام، فتوالى تحرير كل من صور وصرفند وصيدا وبيروت وحيفا وأنطرطوس وعثليث، وطُويت صفحةُ الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي بعد مضي قرنين من الزمن، وعاش السريان اليعاقبة الأرثوذكس والنساطرة في ظل الحكم المملوكي كأهل ذمة يدفعون الجزية كما كانوا قبل مجيء الفرنجة إلى بلاد الشام.

العلاقات بين النصارى والمسلمين كانت دائما ودية وطيبة، ولم نر في التاريخ ما يدل على وجود تعصبات دينية، بل ربما وجد من المسلمين من أنصفهم وذب عنهم، حتى المحن والشدائد التي مرت بها مصر، فقد عمت جميع السكان على السواء أقباط كانوا أو مسلمين فقد سادت الألفة بين الإسلام والمسيحية على امتداد تاريخ مصر الإسلامية، وبذل الأقباط أرواحهم وأموالهم في الدفاع عن مصر ضد الحملات الصليبية، وسادت روح العدل والمساواة بين الأهليين في مصر مهما اختلفت ديانتهم حتى وأن قامت بعض الفتن أو المنازعات بين المسلمين والأقباط، فقد كانت حوادث فجائية لم تؤثر على تلك الحقيقة الواضحة الملموسة وهي أن المصريين قبطا ومسلمين كانوا يعتبرون أنفسهم شعبا واحدا.

---

[1] – جمال الدين سرور، **دولة بني قلاوون في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص239 – 240.

[2] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 3، ص 691.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، تح. عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، بيروت، 1987، ص125؛ النويري، المصدر السابق، ج 31، ص 187.

المبحث الثالث: مؤامرات الطوائف المسيحية الشرقية ضد الحكم الإسلامي:

رأت بعض الطوائف المسيحية الشرقية في حكم الصليبيين مخلصا لهم من الحكم الإسلامي، خاصة تلك الطوائف ذات الخلفية القومية والوطنية الدينية.

1. محاولة إنقلاب أرمن الرها على عماد الدين زنكي 541هـ/ 1146م:

إن كراهية الأرمن[1] للحكم الجديد وتأييدهم لحكم الكونت جوسلين الثاني، دفعهم إلى التآمر للإطاحة بالحكم الجديد لكن سرّ تلك المجموعة من الأرمن قد انكشف ممّا سهل مهمة القضاء على المؤامرة في مهدها على يد نائب زنكي في الرها، فقبض على بعض مدبريها وأعدمهم، ونفى عددا منهم، كيلا تسوّل لهم أنفسهم القيام ثانية بمثل هذه المغامرة[2] .

عزم زنكي قاصدا الرها لإحباط المؤامرة الأرمنية، لكنّه علم قبل دخولها في (ذو القعدة 540 هـ/أفريل 1146 م) أن نائبه في الرها قد أحبطها، فترك قواته على ضفاف نهر جلاب أو كولاب بين قلعة كساس ومدينة حران، ودخل الرها برفقة جيشه ومستشاريه فقط، واستقبله، إلى جانب المسلمين، الأسقف السرياني باسيليوس وجميع الكهنة والشمامسة وجميع المسيحيين من الأرمن والسريان خير استقبال[3] .

تظاهر زنكي أمام الأسقف باسيليوس السرياني بأنه لم يقدم إلى الرها إلا من أجل الاطمئنان على صحته وأحوال أهل الرها، وتفقد تحصينات المدينة، وأشعرهم أن مدة إقامته لن تطول عن يومين، وبالفعل بدأ عماد الدين زنكي تقصي أحوال الرها ابتداء من البوابة الشمالية التي فتحت منها، فوجد أن أهالي المدينة قد رمموا الثغرات والأبراج التي دمرتها آلات الحصار عند فتحها، وجعلوها أقوى مما كانت عليه قبل سقوطها بأيدي المسلمين، ونقشوا عليها باللغة العربية قصة سقوطها واسم حاكمها الجديد، مستخدمين حجارة الكنائس الكاثوليكية التي ردموها لترميم تلك الثغرات والأبراج، وشرعوا في بناء حصن منيع لحاكم المدينة، وقصد بئر البرص في جنوب المدينة كان يُعتقد أن ماءه يشفي من الأمراض، فأمر ببناء دار ضيافة فيه ومأوى للمرضى الذين يقصدونه للاستشفاء وأوقف له ريع الحقول المجاورة[4] .

---

[1] – يبدو أن عماد الدين زنكي كان قد حظي في مدينة الرها بتحالف وصداقة العنصر السرياني ومطرانه باسيليوس. فأظهروا له الوفاء والإخلاص. ولكنه لم ينل ذلك من الأرمن الذين حظيت عندهم أسرة كورتناي خاصة بزواج جوسلين الأب والإبن منهم، وسياسته الودية التي اتسمت بالمحبة والإخلاص والوفاء. فأيدوا الحكم الإفرنجي المتمثل في شخص جوسلين الثاني الأرميني رغم علمهم بمساوئه، على حكم عماد الدين زنكي الجديد الذي لم يكونوا قد رضوا به عن طيب خاطر؛ للمزيد، أنظر: رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 382.

[2] – ابن القلانسي، ذيل، ص 282؛ ابن العديم، زبدة حلب، ج 3، ص 281؛ الطباخ، أعلام النبلاء، ج.1، ص 441.

[3] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 159.

[4] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 161 – 162؛ محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 429.

أبدى عماد الدين زنكي اهتماما واضحا بالعنصر السرياني في الرها خلال زيارته هذه، فزار أضرحتهم ومزاراتهم وأديرتهم وكنائسهم لتأمّل جمالها، وأولى كنائسهم اهتمامه إذ كان المسلمون قد حطموا نواقيسها عند الفتح، فأمر بالاعتناء بها وتعليق ناقوسين فوق كل كنيسة تكريما للعنصر السرياني واحتراما لشعائرهم الدينية، وعندما أراد العودة إلى قواته اجتمع بالأسقف السرياني باسيلوس وأوصاه على المدينة، وطلب منه أن يكون حريصا على توفير الحماية والحراسة لها، وأن يكون مع حكامها من المسلمين لا عليهم في إدارة المدينة، ثم أخذ قرارا بتهجير ثلاثمائة عائلة يهودية، وأنزلها في الرها مكان الأرمن الذين أخرجوا منها ليكونوا سندا له على سكان الرها من المسيحيين إذا ما سولت لهم أنفسهم التآمر ثانية على حكمه في المدينة، وذلك لاستعداد اليهود لتأييد المسلمين ضد المسيحيين[1].

2. تآمر الأرمن ضد نور الدين محمود زنكي541هـ/ 1146م

تباينت مواقف الأرمن والسريان تجاه السيطرة الإسلامية على مدينتهم، فالعنصر السرياني سبق وأن عانى من الحكم الأرميني لمدينته بسبب الخلافات الدينية بينهما، وضجروا من السيطرة الصليبية وتفضيلهم العناصر المسيحية الأخرى عليهم، لهذا نجدهم مخلصين للحكم الإسلامي على الرها، رغبة منهم في التخلص من الحكمين السابقين الأرميني والصليبي خاصة بعدما لمسوا سياسة عماد الدين زنكي المتسامحة معهم ومع كنائسهم وشعائرهم الدينية، ورد اعتبارهم أمام الإفرنج والأرمن[2].

أما طائفة الأرمن فعلى العكس من السريان لم يقدّروا سياسة التسامح التي انتهجها عماد الدين زنكي معهم، بل تحسروا على الحكم الصليبي الذي قدمهم على بقية الطوائف وجعلهم شركاء في إدارة البلاد، وربطتهم علاقات المصاهرة الأرستقراطية والشعبية على مرّ السنين، والملوك بداية من بلدوين الأول والثاني، مرورا بالكونت جوسلين كورتناي الذي ارتبط بهم لدرجة افتدائه بأرواحهم لإنقاذه من أسر المسلمين، ونهاية بابنه جوسلين الذي كان يميل إليهم أكثر من ميله لأبناء جلدته من الإفرنج، مما جعله يتمتع بمكانة خاصة لديهم، دفعتهم للاستماتة في إعادة سيادته على الرها رغم علمهم بعواقب إعادة مثل هذه المغامرة[3].

بعد مقتل عماد الدين زنكي عام 541هـ/ 1146م أرسل الأرمن رسولا إلى الكونت جوسلين الثاني، يعلمونه بأن مدينتهم لم يعد فيها إلا عدد قليل من التركمان خاصة أن عماد الدين زنكي ترك الرها لشعبها

[1] – وليم الصوري، المصدر السابق، ج 3، ص 259 – 260؛ ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 248 – 274؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 276.

[2] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 228 – 229.

[3] – وليم الصوري، ج 2، ص 657؛ محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 433.

المسيحي من الأرمن والسريان تحت إشراف حامية تركمانية مسلمة، وأكدوا له ولاءهم له وللصليبيين، وطالبوه بجمع قواته والتقدم بهم إلى الرها ليسلموها له دون عناء أو مجازفة[1]، فاتفق معهم على اليوم المناسب للحضور[2]، وبالفعل استطاع الكونت جوسلين الثاني دخولها بمساعدة الأرمن[3].

علم نور الدين محمود في حلب بتحركات الصليبيين، فأرسل رسله إلى نوابه في الرها، يعلمهم بتحركات الكونت جوسلين الثاني، وإنه، إذا تقدم للاستيلاء على الرها، فقواته في حلب على أهبة الاستعداد للقدوم، وطالبهم باتخاذ الإجراءات الاحتياطية للمحافظة على أنفسهم والمدينة، وأن يجمعوا سكانها من المسيحيين ليحددوا ولاءهم وتبعيتهم للمسلمين، ولضمان ذلك، أمرهم بأخذ الرهائن منهم، وقد بدأ حكام الرها بتنفيذ أوامره، فجمعوا المسيحيين وجعلوهم يجددون ولاءهم وتبعيتهم، وأخذوا منهم خمسين رجلا رهينة من أصحاب الحرف كالبنائين والصناع والحدادين، واتخذوا إجراءات احتياطية عديدة لمقاومة أي حصار أو هجوم[4]،

وسار، آنذاك، الكونت جوسلين الثاني وبرفقته الأمير بلدوين بما اجتمع لديهما من قوات وعبرا الفرات قاصديْن الرها[5]، ووصلا إلى واد في الجهة الغربية لمدينة الرها، وأمرا قواتهما بالاختفاء في ذلك الوادي حتى جنح الظلام، فأرسلا عددا من الفرسان والرجال إلى المدينة، واقتربوا من أسوارها الغربية، فدخلوا بفرسانهم ورجالهم، واستولوا على المدينة بعد أن قتلوا كل مسلم اصطدموا به[6].

لم يكن استيلاء الكونت جوسلين الثاني على الرها استيلاء تاما، لأنه لم يستطع الاستيلاء على أبراجها وقلعتها التي كانت مجهزة بالرجال والأسلحة والمؤن بشكل جيد[7]، لاسيما أنهم لم يكن معهم آلات حربية قادرة على مهاجمتها، مما جعله يلجأ إلى المطران السرياني باعتباره أحد المسؤولين عن المدينة، وضغط عليه بتوفير الآلات الحربية لمهاجمة أبراج المدينة وقلعتها، واستجاب المطران له إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل، لأن أعداد الآلات الحربية التي استخدمها الإفرنج لم تكن كافية لتمكنهم من الاستيلاء على الأبراج والقلعة التي كانت محصنة[8].

---

[1] – وليم الصوري، ج 2، ص753.

[2] – ابن الأثير، الباهر، ص 86؛ ابن العديم، زبدة حلب، ج 2، ص290؛ ابن شداد عز الدين، الأعلاق، ج.3، ق.1، ص 95؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج.1، ص 110 – 111؛ النويري، المصدر السابق، ج 27، ص 152.

[3] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 165 – 166.

[4] – المصدر نفسه، ص 166.

[5] – وليم الصوري، ج 2، ص 753؛ ابن الاثير، الكامل، ج.11، ص 114؛ أبو شامة، الروضتين، ج.1، ق 1، ص 125 – 126.

[6] – ابن القلانسي، المصدر السابق، ص288؛ أبو شامة، الروضتين، ج.1، ق 1، ص 125؛ الطباخ، أعلام النبلاء، ج 2، ص 9؛ ابن العديم، زبدة حلب، ج 2، ص 290.

[7] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص166؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج.1، ص 111.

[8] – وليم الصوري، ج 2، ص 755.

غرقت المدينة في لحظة من الفوضى، وامتزج الجنود والرجال المدججون بالسلاح والخيول والأولاد والنساء، وأخذوا يتدافعون ويدوسون بعضهم بعضا، حتى أن الماشية والبغال والحمير التي كانت تحمل الأسلاب التي أخذها الإفرنج من المدينة، سقطت على الأرض ولم تجد من يرفعها، وقد لقي عدد من الأطفال حتفهم تحت تلك الحيوانات، حتى أصبحت الطرق مليئة بالنساء والأطفال والرجال والحيوانات الذين لاقوا حتفهم بشكل بائس دون أن يجدوا من يساعدهم[1].

إن الأرمن الذين حاولوا إرجاع السيادة الإفرنجية للرها، انضموا تلقائيا إلى الإفرنج في أثناء خروجهم من المدينة، ولكن العنصر السرياني لم ينضم لهم عن طيب خاطر، فإنهم كانوا مرغمين ومجبرين، ولذلك، فقد لعنوا الذين كانوا السبب في وضعهم وسط هذه الكارثة، لأن خسارتهم كانت مريرة، لاسيما وأن تسامح عماد الدين زنكي مع عقائدهم الدينية ومنحهم فرصة المشاركة في إدارة المدينة، جعلهم يشعرون أكثر بالحسرة من خسارة الفرصة التي منحت لهم والعواقب الوخيمة التي تنتظرهم[2].

عندما بدأت الجموع تخرج من البوابة الشمالية للمدينة، كانت قوات نور الدين في الخارج قد تمركزت أمام البوابة، وبعدما تيقنوا أن إخوتهم في الداخل يحاربون الصليبيين، لم يفرقوا عند هجومهم بين الإفرنج والعناصر الأرمينية والسريانية، وإنما كان الجميع أمامهم سواسية في المؤامرة واعتبروهم جميعا مشتركين فيها دون استثناء، فنشب صراع عنيف بين الطرفين، فقتل حشد كبير من جميع الصفوف[3]، ويفر جوسلين ومن بقي معه إلى خارج المدينة صباح يوم الأحد (27 جمادى الأول 541هـ/3تشرين الثاني 1146م) نحو الشمال، ولحق بهم عدد من السكان ساعدتهم قوتهم ونشاطهم وخيولهم، وتمكنوا من مرافقة الإفرنج في أثناء انسحابهم[4].

ولعل هذه إشارة صريحة إلى المقدرة العسكرية التي كانوا يتمتعون بها والتي مكنتهم من الفرار والنجاة، بينما أغلب سكان الرها من الأرمن والسريان لم يكونوا يعرفون استعمال السلاح مما أدى إلى هلاك الكثير منهم تحت حوافر الخيول، ومات آخرون خنقا بعدما سحقهم الحشد المندفع للخروج من البوابة، وسقط آخرون بسيوف المسلمين، وكان قد هلك في تلك الآونة القسم الأكبر من السكان الذين اختاروا اللحاق بالقوات الراحلة رجالا ونساء بشكل محزن[5].

---

[1] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 167 – 168؛ وليم الصوري، ج 2، ص 755.

[2] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 442 – 443.

[3] – وليم الصوري، ج 2، ص 755؛ الطباخ، أعلام النبلاء، ج 2، ص 9.

[4] – الرهاوي المجهول، ص 168؛ وليم الصوري، ج 2، ص 755؛ مكسيموس مونروند، **من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب**، تعريب كيريو كيريو مكسيموس، دير الرهبان الفرنسيسكانيين، أورشليم، 1865، مج.1، ص 259؛ محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 443.

[5] – وليم الصوري، ج 2، ص 755.

وعندما رأى نورالدين أن رأفة أبيه وسياسة التسامح مع سكان الرها أوشكت أن تفقده المدينة، أمر هذه المرة بقمعهم، وعندما لاحظ انسحاب الإفرنج في طريق عودتهم إلى سميساط في الشمال، استدعى قواته ونظم صفوفها وأمرها بمطاردة الإفرنج ومن يرافقهم من سكان الرها، فواصلوا هجماتهم على الإفرنج وشددوا الخناق على مؤخرتهم بإحكام وهم يسيرون نحو سميساط، واستمرت مطاردة المسلمين لهم طيلة المسافة ووقعت في كل خطوة اشتباكات[1]، وأدت إلى خسارة كبيرة في الجانبين خاصة في سكان الرها أنفسهم[2].

لقد فُقد عدد كبير من فرسان الإفرنج ورجالهم المشهورين في هذه المعركة، وكان على رأسهم الأمير بلدوين صاحب مرعش وكيسوم الذي لم تُعرف جثّته من شدة الضربات بالسيف والطعنات والسهام، وهلك كثير من الكهنة والشمامسة والرهبان الذين نجوا من الحصار الأول[3]، أما الكونت جوسلين الثاني فلم يعد لديه من القوات ما تمكنه من التحمل لفترة أطول أمام هجمات المسلمين، نتيجة لفقده الجزء الأكبر منها، وكان قد أصيب بجرح في يده بسهم، فقرر الانسحاب لينقذ حياته، فعبَر الفرات إلى قلعة سميساط، ووصلها وهو في حالة رثة[4].

أما سكان الرها الذين كانوا برفقته فقد لجأ حوالي ألفين من شبابها المنعمين والمترفين إلى قلعة متهدمة على تلة تُدعى تلة النسور بمحاذاة نهر الفرات وعلى مقربة من سميساط، وعندما حل الظلام، تفرقوا بأعداد صغيرة، فقُتل بعضُهم ونجا آخرون، ووصلوا إلى سميساط لأن أملاك الإفرنج كانت قريبة منهم، وأما النساء والأطفال والعجّز فقد تُركوا بعد المعركة للنهب والأسر والعبودية[5]، وقُبض على الأسقف الأرميني حنّه وبِيع فيما بعد عبدا في حلب، ولكن المطران اليعقوبي السرياني باسيل شومانا تمكن من الهرب إلى سميساط، لكن جوسلين الثاني سجنه هناك متهما إياه بالتواطؤ مع المسلمين، وظل باسيل في السجن لمدة ثلاث سنوات بعدها خرج واتجه إلى الموصل فخصص له حاكمها المسلم راتبا ليعيش منه، وبعد فترة اتجه الأسقف اليعقوبي إلى البطريرك

[1] – وليم الصوري، ج 2، ص 755؛ Grounsset, histoire des croisades, vol4, p. 48؛ مكسيموس مونروند، المرجع السابق، مج.1، ص 259.

[2] – كان سكان الرها في أثناء مطاردتهم من قبل المسلمين يسيرون في الأدغال حفاة على الحجارة الصلبة والأشواك. وقاسوا من آلام مبرحة. وكان التعب قد أنهكهم. وأخذ الواحد منهم يختبئ خلف الآخر خوفا من سهام المسلمين وألسنتهم المتدلية من العطش، شاردون بحثا عن السلامة لأنهم كانوا يدركون أن أي شخص يقع منهم يذبح على أيدي المسلمين. وقد زاد من آلامهم النيران التي أشعلها المسلمون في الأدغال التي كانوا يسلكونها. فكانت تتوهج النيران من حولهم فساروا بأقدام محترقة، تتبعهم قوات المسلمين حتى الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين (28 جمادى أول 541هـ/4 نوفمبر 1146م)؛ أُنظر: الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص 169.

[3] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 441. وليم الصوري، ج 2، ص 755.

[4] – وليم الصوري، ج 2، ص 755 – 756؛ ابن الأثير، الباهر، ص 86؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 91؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج 2، ص 290.

[5]– الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ص167، 168.

أثناسيوس في آمد[1]، وظل هناك حتى مات، ولم ينج كثير من كهنة الرها، فبعضهم قُتل وبعضهم أُسر، أما رئيس الكهنة والذي يعتبره المؤرخ السرياني الرهاوي[2] السبب في هذه الكارثة، فقد قُبض عليه خارج أبواب المدينة، إذ كان قد سقط في الخندق المحيط بالرها وقتله أحد الأتراك، ثم أمر نور الدين بنفي سكان الرها من المسيحيين بعد أن ثبتت خيانتهم، لتصبح المدينة التي كانت تضم أكبر تجمع مسيحي خاوية موحشة[3].

قدر ميخائيل السرياني[4] عدد القتلى في تلك الكارثة من الإفرنج وسكان الرها بثلاثين ألفا، بينما يقدر عدد الأسرى بستة عشر ألف أسير، وأما باقي السكان الذين نجوا من الأسر والدمار أو القتل فقد بدؤوا بالتجول واستجداء أقاربهم في الشرق والغرب، فالذين قصدوا ماردين وإقليم شبختان[5] أقاموا عند أقاربهم من المسيحيين، وكان أكثر المسيحيين إكراما لهم أسقف ماردين، فاستقبلهم أفضل استقبال، وأكرمهم، وأحسن إليهم، بينما الذين قصدوا غرب الفرات، لم يظهر منهم سوى الشر والقسوة خصوصا عند الكهنة والرهبان والأساقفة لإخوتهم المشردين من الرها والذين قدموا إليهم يستنجدونهم بحثا عن مأوى يلجؤون إليه، وقد واجهت القدس آنذاك سيلا متواصلا من اللاجئين الأرمن والسريان[6].

أما قوات نور الدين محمود فعادت إلى الرها مساءً للمشاركة في الاستحواذ على الغنائم[7]، وكان نور الدين محمود قد استولى على المدينة آنذاك، وأمر قواته بنهبها وسبي أهلها[8] كرد فعل على خيانتهم المتكررة، وبالفعل استولوا على أموال الكونت جوسلين الثاني والأمير بلدوين صاحب مرعش كما استولى على جميع أموال سكان

---

[1] – **آمد:** مدينة جليلة على جبل غربي دجلة. عليها حصن عظيم وسور من الحجارة السود التي لا يعمل فيه الحديد ولا تضرها النار. والسور يشتمل عليها وعلى عيون ماء ولها بساتين ومزارع كثيرة؛ أُنظر: حسن بن أحمد المهلبي، **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك**، تع. تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر، ط 1، دمشق، 2006، ص 109.

[2] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ج 2، ص 173 – 174.

[3] – ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 449 – 450؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص161 – 162؛ وليم الصوري، المصدر السابق، ج 3، ص 260 – 262؛ ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 246 – 247. علية الجنزوري ، المرجع السابق، ص320 – 323.

[4] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ص 248؛ أبو شامة، الروضتين، ج.1، ق 1، ص 125.

[5] – **شبختان:** إقليم من أقاليم الجزيرة. وأحد أقاليم ديار بكر عند منابع نهر الخابور. وقيل من ديار ربيعة. وهو الفاصل بين حدود إمارة الرها وبين أملاك قرا أرسلان الأرتقي. استولى زنكي على العديد من قلاعه. وكان هدفه من هذا العمل قطع الاتصال بين جوسلين صاحب الرها وبين الأراتقة في ماردين وتكوين جبهة إسلامية. أُنظر: سهيل طقوش، سلاجقة الروم، ص 139.

[6] – محمود الرويضي، المرجع السابق، ص 449.

[7] – الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ج 2، ص 521.

[8] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 192؛ ابن العديم ، زبدة الحلب، ج 2، ص 290.

المدينة حتى أنهم امتلكوا المدينة بأكملها[1]، وأصبحت منذ تلك الساعة تحت سيادة نور الدين محمود، فأناب فيها عنه قطب الدين ينال الذي استمر حاكما لها بعد ذلك حتى عام (563هـ/1168م)[2].

وإذا كانت الرها قد أُستبيحت للنهب والسلب لفترة وجيزة، ثم أُنقذت على يد عماد الدين زنكي عندما أمر بإرجاع ما سلب ونهب إلى أصحابه وإعادة سكانها إلى بيوتهم، فإن نورالدين محمود أمر بنهبها وسلب أهلها حتى أُخليت من أهلها، ولم يعد بها منهم إلا القليل[3]، وأنزل مكانهم التركمان والقبائل العربية المختلفة الذين أصبحوا ملاكين فيها وأسيادا لها، ولم يكن سلب المدينة ينقطع فيها طيلة سنة كاملة، إذ لم يكتف بسلب الأموال والأهالي، وإنما كان التركمان يتجولون في المدينة ويحفرون ويبحثون في الأماكن السرية وأسس المنازل وسطوحها وجدارنها عن الكنوز التي خبأها الآباء وقدماء السكان، والتي لم يكن يعرف عنها الأهالي الحاضرون شيئا آنذاك[4]،

تُعد محاولة الكونت جوسلين الثاني لاستعادة الرها ثانية نكبة على الإفرنج والأرمن والسريان الذين كانوا قاعدة الحكم الإفرنجي فيها، وبخلوها من سكانها الأصليين انتهت قاعدة أي محاولة إفرنجية لاحقة لإعادة احتلال الرها، وكان استيلاء المسلمين على الرها للمرة الثانية عام 541هـ/1146م، أكثر إيلاما بالنسبة إلى المسيحيين المحليين نظرا إلى ما تعرضوا له من تنكيل شديد، وربّما أدى ذلك ببعضهم إلى كتابة بعض المراثي الشعرية والنثرية في سقوط الرها[5]، ولكن إذا كان مسيحيو الشرق اكتفوا برثاء الرها، فإن أخبار سقوطها في الغرب كان له أعمق الأثر حيث ارتفع صوت ينادي بحملة صليبية جديدة، فكانت الحملة الصليبية الثانية.

قام جوسلين ببعض المحاولات لاسترداد الرها، ولكنّه وقع أسيرا في أيدي نور الدين الذي قام بسجنه في حلب عام 1150م/545هـ، فاعتبر اليعاقبة ما حلّ بجوسلين عقابا إلهيا لقيامه بالسطو على أكبر أديرتهم وتعذيبه لرجال الدين اليعاقبة، و قد ظل جوسلين في الأسر حتى مات عام 554هـ/ 1159م[6].

---

[1] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 248.

[2] – ابن شداد، الأعلاق، ج.3، ق.1، ص 95.

[3] – ابن الاثير، الكامل، ج.11، ص 111؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج.8، ق.1، ص 192؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج.2، ص 290؛ أبو شامة ، الروضتين، ج.1، ق.1، ص 126؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج.1، ص 111.

[4]– الرهاوي المجهول، المصدر السابق، ج 2، ص 522.

[5]– قام بعض رجال الدين اليعاقبة مثل ديونيسيوس الأمدي وباسيل بن شومانا وميخائيل السرياني بكتابة بعض المراثي في سقوف الرها؛ للمزيد، أُنظر: ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 158؛ ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج.3، ص 237 – 251.

[6] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج.3، ص 254 – 275؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 38.؛ Hamiltton Bernard, The latin church,p.193.

ولم يتوغّل نور الدين في أنطاكية لأنها كانت تحت حماية الإمبراطور البيزنطي منذ عام554هـ/ 1159م، واكتفى في هذه الفترة باسترداد حارم وأرتاح وبانياس[1]، واستولى على حصن المنيطرة بمساعدة من فيه من الموارنة الذين كانوا على خلاف مع الصليبيين في تلك الفترة[2].

3. الحركات القبطية المناهضة للمسلمين في مصر:

رغم انعدام العلاقات الإيجابية بين المجتمع القبطي وكنيسته المرقسية مع الصليبيين والذي يؤيده السكوت المصدري الذي قابلنا في بحثنا تأكيد أغلب المصادر التاريخية الإسلامية والنصرانية على وطنية الأقباط في مرحلة الحروب الصليبية ودعمهم للقوى الإسلامية ضد الدخيل الفرنجي، فإنّنا نجد استثناءات فردية من شخصيات نصرانية أثارت اضطرابات داخلية هددت استقرار الحكم الإسلامي في مصر، وذلك عن طريق محاولة دعم الصف الصليبي.

أبرز مثال على ذلك هو "صاحب الديوان" أبو الفضائل المعروف بابن دخان[3] والذي يُعد من أصحاب النفوذ في عهد وزارة الملك الصالح طلائع بن رزيك (ت 556هـ/1160م)، اشتهر ابن دخان بسيطرته على الدواوين المالية وتسلطه على العامة من المسلمين، حيث ألزم رجلا نصرانيا كان قد أسلم أن يعود لنصرانيته، وقد قال فيه ابن القيم الجوزية[4] كان "**قذاة في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين**" لكثرة مساوئه ومحاباته أهل ملته، وقد كوّن شبكة جاسوسية في القاهرة تعمل لحساب الصليبيين، حيث عمد إلى مراسلة الفرنج أولا بأول ونقل أخبار المسلمين وأوضاعهم، وإرسال تقارير مفصلة عن الدولة وأحوالها، وكان مجلسه معمورا برسل الفرنج والنصارى[5].

تصدي لابن دخان جماعة من كبار الكتاب والقضاة والعلماء في اجتماع بمجلس الملك الصالح طلائع بن رزيك، وأفاض أحدهم في ذكر مساوئ الكتاب النصارى وسوء معاملتهم للمسلمين، واسترسل في تعداد مثالب ابن دخان وسوء تدابيره وسيرته، واختلاسه لأموال الوزير أموال الخراج واتهمه بموالاة الصليبيين[6].

---

[1] – أبو الفداء، المصدر السابق، ج 3، ص 43؛ أبو شامة، الروضتين، ج.1، ق 2، ص 356 – 360؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 402 - 403-427 .

[2] – فرح فرزلي، **مسيحيو المشرق في عهد الفرنجة**، ص 565.

[3] – أبو صالح الأرمني، المصدر السابق، ص 41.

[4] – ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج.1، ص 243.

[5] – جاك تاجر، المرجع السابق، ص 170.

[6] – ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج.1، ص 244.

لم يكن التجسس على الصليبيين هو كل ما اقترفه القبط في حق السلطة الإسلامية، بل شاركوا في الحركات المعادية للأيوبيين كالتي قامت بها كنيسة الأحباش بتحريض من ملك النوبة في عهد السلطان صلاح الدين، الذي انتهز فرصة غياب السلطان عن مصر فهجم عليها، واستولى على مدينة أسوان في آخر الصعيد، وأسر عددا كبيرا من المسلمين، فأرسل إليه السلطان صلاح الدين جيشا، فقتلوا بعضهم، وأسروا البعض الآخر سنة 568هـ/[1]، ومن مواقفهم المعادية للأيوبيين مشاركة أهل مدينة قفط[2] من الأقباط سنة (572هـ/1176م) في ثورة بقيادة داعية شيعي حاول إحياء النسب الفاطمي، فوجه إليه السلطان أخاه فقتل أعدادا كبيرة منهم، و صلبهم على أشجار المدينة[3].

4. التحالف النسطوري _ الماغولي 656–685هـ/ 1258– 1260م:

عرفت قبائل التتر الديانة المسيحية منذ القرن السابع للميلاد، وذلك بسبب النشاط الواسع للرهبان والقساوسة النساطرة شرق القارة الآسيوية، حيث نجد أن عددا كبيرا من التتر اعتنق الدين المسيحي على المذهب النسطوري، ما جعل القادة المغول يتسامحون إلى حد ما مع المسيحيين الموجودين على أرض الخلافة الإسلامية، منذ عهد الزعيم المغولي جنكيز خان (1162–1227م/ 557–624هـ) الذي استباح في العقود الأولى من القرن 7هـ/13م أراضي الخلافة ودمّر المدن العامرة مثل بخارى وسمرقند وهرات التي أُبيد أهلها وحُولت إلى رماد، ثم يأتي بعده القائد المغولي منجو خان الكبير(1251–1260م/ 649–685هـ) الذي استهل حكمه بضمّ الصين إلى إمبراطوريته الشاسعة، فدانت له القارة الآسيوية، ويقال أن منجو خان كان متعاطفا مع المسيحيين، وأنه ربما يكون اعتنق هذه الديانة أيضا[4].

قام منجو خان بتوجيه أخويه على رأس جيشين كبيرين، فتوجه قوبلاي خان شرقا ما مهد الطريق أمام النساطرة ليتوغلوا في قلب بلدان الشرق الأقصى، أما جيش هولاكو فاتجه غربا[5]، لتكون أعظم انجازاته في الجانب الغربي من القارة الآسيوية هو تدمير مدينة بغداد وإنهاء الخلافة العباسية سنة 656هـ/ 1258م ثم تأسيس سلالة إيلخانات مغول فارس، والتي دام حكمها حتى القرن الرابع عشر الميلادي (1250–1335م)[6]، ومع هذه

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج.1، صص 157 – 158.

[2] – **قفط**: من أكثر مدن الصعيد حسنا. وليست على ضفاف النيل بينهما ميل. أهلها أصحاب ثروة تجارة. وتحيط بها المزارع والبساتين؛ أنظر الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص383.

[3] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج.1، ص650؛ يعقوب نخلة روفيلة، المرجع السابق، ص 174.

[4] – أحمد جلايلي، **حرية المعتقد والتسامح الديني في حكم المغول(603–694 هـ/ 1206 –1295م)**، مجلة عصور الجديدة، العدد 19–20، أكتوبر 2015، ص 166.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص327.

[6] – ستانلي لين بول، المرجع السابق، ص 491.

السلالة بدأت تتجلى العلاقة بين المغول والطوائف المسيحيين الشرقية القاطنة أرض المشرق الإسلامي خاصة طائفة النساطرة وكنيستها، وهنا، ستلعب الزوجات المسيحيات للقادة المغول، بعد قرون عدة، دورا حاسما في ميول أزواجهن لهذه الطوائف خلال وجودهم على أرض المشرق[1].

ولد هولاكو (1256-1265م/654-664هـ) لامرأة مسيحية ثم تزوج من مسيحية نسطورية اسمها دوقوز خاتون أو طقز خاتون DokusKhatun[2]، وهذا ما يفسر عدم عنفه مع المسيحيين بشكل عام، والدليل على ذلك أن الخليفة العباسي المستعصم (640-646هـ/1242-1258م) عندما أدرك اقتراب نهاية العباسيين أوفد وزيره ابن العلقمي ومعه البطريرك النسطوري ماكيكا الثاني (656-664هـ/1258-1265م) إلى هولاكو لكي يخفف من الشروط التي كان قد أصدرها لتسليم مدينة بغداد إليه، ومع أن هولاكو قد رفض استقبال هذين المبعوثين، إلا أن الحادثة تشير إلى المكانة التي كان يتمتع بها الجاثليق النسطوري في بلاط الخلافة العباسية[3].

عندما عصف هولاكو وجحافله بمدينة بغداد، وقام بقتل الخليفة وكامل حاشيته مع ما يقدر بثمانمائة ألف نسمة أخرى، اختبأ النساطرة في كنائسهم علهم يفلتون من المجزرة، وبالفعل، عندما انتهت هذه الكارثة، سمح المغول للنساطرة بالخروج من جحورهم، ثم أنعموا على الجاثليق النسطوري بقصر من قصور الخلافة هو "دار الدوادار" ليستقر فيه، وانتقل الجاثليق إلى هذا القصر، وشيد به كنيسة[4]، فرح المسيحيون بسقوط عاصمة الخلافة فرحة عارمة، وأصبحوا يرون في هولاكو رغم عدم اعتناقه المسيحية وزوجته تجسيدا جديدا لقسطنطين وهيلينا[5]،

عندما استولى هولاكو على بغداد سنة 656هـ/1258م، أبى حاكم ميافارقين الكامل محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل الخضوع للمغول، فصلب الكاهن السرياني اليعقوبي الذي حمل إليه أوامر هولاكو[6]، مما أدى إلى احتلال هولاكو للمدينة عنوة، هذا ولعب المسيحيون في ماردين دورا خطيرا في سقوط هذه المدينة الحصينة بأيدي التتر (659هـ/1264م)[7]، ومال السريان اليعاقبة والنساطرة تحديدا للمغول، وقد ساهمت زوجة هولاكو بما كان

---

[1] – رجب محمد عبد الحليم، **انتشار الاسلام بين المغول**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986 م، ص 33-35.

[2] – رانسيمان، المصدر السابق، ج 3، ص 522 – 523. هدى محمد سندي، **أثر المغول والمسيحيين على الدولة الاسلامية في العصر العباسي**، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة أم القرى، **ص**

[3] – فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. ط، 1980، بيروت، ج.1، ص 282.

[4]– العمري، المصدر السابق،ج.2،ص 164،165.

[5]– رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص33،34.

[6]– ابن العبري ، المصدر السابق، ص314

[7]– عماد الدين خليل ، المرجع السابق، ص 483؛ حسن الخطاف، الحياة **الدينية في ماردين التركية: من أرتق بن أكسب إلى عهد صلاح الدين الأيوبي(484– 589هـ؛ 1091– 1194م)**، مجلة دراسات بيت المقدس، ع 20، مج 3،تركيا، 2020م،ص 497.

لها من نفوذ في خلق مثل هذا الوفاق بين الحكام المغول والطوائف المسيحية الشرقية، ونتج عن ذلك اعتناق الوثنيين من المغول الذين احتلوا بلاد أرمينيا وجورجيا الدين المسيحي[1].

كان أبغا (1260–1265م/ 658– 664هـ) خليفة هولاكو متسامحا مع النساطرة في فارس مثل سلفه، ولكن النساطرة قد أساؤوا استخدام ما مُنحوا من حرية وتجاوزوا الحدود، فرُوي عن عهد الجاثليق دنحا الأول (664–680م/1265–1281م) أنه أمر بإغراق أحد النساطرة المعتنقين للإسلام الفارين من مدينة تكريت إلى بغداد في نهر الدجلة، وكذلك كان هذا البطريرك المتعصب يسير على رأس حشود نسطورية في بغداد في ظل حماية جنود المغول للتشفي في مسلمي بغداد العزل وهم يبادون على يد المغول[2].

تزامنا مع الممارسات النسطورية المتطرفة ضد الوجود الإسلامي سياسيا واجتماعيا، كانت الكنيسة النسطورية في المنطقة منقسمة على نفسها من الداخل، فلقد قام اثنان من الأساقفة بالوشاية ضد البطريرك يهب الله الثالث (1281–1371م) لدى المغول، فأمسك هؤلاء به وقاموا بتعذيبه والتنكيل به، وعندما تحقق الخان المغولي من بطلان هذه الوشاية، قرر أن يقتل هذين الأسقفين بعد أن أخلى سراح البطريرك، لكنه رجاه ألا يفعل ذلك، مكتفيا بإنزال عقوبة الحرمان عليهما[3].

إنّ التصرفات النسطورية اللامسؤولة جعلت خانات المغول يتذمرون منهم، بداية من حكم الخان أحمد (1280–1284م) الذي اعتنق الإسلام، غير أن عدم رضى قوبلاي خان في الشرق الأقصى عن الخان أحمد أدى إلى عزله مبكرا وتعيين بدلا عنه أرغون خان (1584–1291م) الذي أخذ يحابي النساطرة ويعزز من علاقاته مع القوى الأوروبية والبابوية من خلال السفارة المشهورة التي كان على رأسها ربان ساوما rabban sawma النسطوري سنة 686هـ/1287م[4].

بدأت الدائرة تدور على نساطرة العراق وأحوازها منذ وفاة الخان بنيماتو(1291–1295م/ 690–694هـ) حيث تنازع أميران مغوليان العرش، وهما بيدو وغازان، وكان الأول متعاطفا مع النساطرة وأمر بإعادة بناء الكنائس المهدمة، والثاني هو الخان غازان (1295–1304م/ 494–704هـ) الذي اغتال بيدو واستولى على العرش ليعلن بصفة رسمية اعتناقه الإسلام، وهكذا تبدل الحال بالنسبة إلى النساطرة وأجبر البطريرك

---

[1] – إبراهيم مرجونة، **المغول في العالم الإسلامي: دراسة سياسية حضارية (656–735هـ/ 1258–1335م)**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2020، ص 204.

[2] – أحمد عبد الكريم سليمان، **المماليك والمغول في عهد دولة بني قلاوون 678هـ–784هـ؛ 1279م–1382م**، دار النهضة العربية، ط. 1، 1984، القاهرة، ص 16 – 17.

[3] – المرجع نفسه، 28.

[4] – Pier Giorgio Borbone(Edited, Translated, and Annotated) , **History of Mar Yahballaha and Rabban Sauma**,verlage tredition , Hamburg, 2021, p122.

النسطوري على ترك قصر "دار الدوادار"، ونكل بهم أشدّ التنكيل، وتُعتبر هذه الفترة من أصعب الفترات التي نكبت فيها الكنائس الشرقية في العصور الوسطى، ثم بدأ النساطرة والسريان عموما يتعرضون للمناوشات من جانب العرب والأكراد مع نهاية القرن 13م[1].

أما بالنسبة إلى طوائف السريان الشامية النسطورية واليعقوبية ممّن أيّد وسهل الطريق للمغول، فبدأ انتقام المسلمين منهم بعد انتصارهم بقيادة قطز وبيبرس البندقداري في معركة عين جالوت على المغول سنة 658هـ/1260م و تحريرهم بلاد الشام، وتفرغ المسلمون في دمشق للنصارى، فخربوا كنائسهم ودورهم، ومن بين الكنائس التي خُربت كنيسة اليعاقبة (اليعقوص)[2] للسريان الأرثوذكس[3]، وفي سنة 664 هـ/ 1266م، أرسل الظاهر بيبرس قوة عسكرية لتدمير قرية قارة النصرانية ذات الأغلبية السريانية اليعقوبية الأرثوذكسية الواقعة بين حمص ودمشق، وكان أولئك السريان قد اعتدوا على المسلمين في أيام هولاكو وكتبغا، كما ارتاب بأن لهم صلة مع الفرنجة، وأخلى المدينة من معظمهم وعمرها بالتركمان[4].

وكان لهذه الأحداث الخطيرة آثارها السلبية في الكنيسة النسطورية وأحوالها، ومع ذلك فقد قدر لهذه الكنيسة أن تبقى على قيد الحياة حتى بعد زوال الخلافة العباسية نفسها على يد المغول، الذين كانوا يبدون شيئا من التعاطف مع هذه الطائفة النسطورية، ولكن هذا لا يعني أن النساطرة مثلهم في ذلك مثل سائر أبناء المجتمع العباسي قد قاسوا الأهوال على أيدي جحافل المغول.

يتضح من خلال ما سبق أن الطوائف المسيحية الشرقية لعبت أدوارًا سياسية متباينة تحت الحكم الإسلامي بين عامي (491هـ - 690هـ / 1098م - 1291م)، كان النصارى الذميون جزءا من مؤسسات الحكم الإسلامية، خاصة في العراق والشام ومصر، حيث شغلوا مناصب إدارية واستشارية مهمة، مما يعكس اندماجهم في البنية السياسية للدولة الإسلامية، وأظهرت بعض الطوائف المسيحية مواقف داعمة للمسلمين في صراعهم ضد الغزو الصليبي، وهذا ما لاحظناه من خلال التقارب بين كل من السريان والزنكيين وكذلك بين صلاح الدين الأيوبي والكنائس الشرقية، وعلى الجانب الآخر، لعب الأقباط في مصر دورًا متباينًا، حيث انقسمت مواقفهم بين الحياد والمشاركة في الصراع ضد الصليبيين.

---

[1] – إبراهيم مرجونة، المرجع السابق، ص 88 – 89.

[2] – **كنيسية اليعاقبة:** تتبع لطائفة السريان اليعاقبة الأرثوذكس. تقع الكنيسة في القسم الغربي من مدينة دمشق، في جنوبي الشارع المستقيم. وفي زمن الحروب الصليبية كانت أقسام من هذه الكنيسة مائلة؛ أنظر: متري هاجي أثناسيو، المرجع السابق، ج 5، ص100 .

[3] – أبو شامة، الذيل، ج 5، ص318.

[4] – ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص 196. رانسيمان، المرجع السابق، ج 3، ص 552.

ولكن في المقابل، لم تخلُ هذه الفترة من مؤامرات وتحركات مناوئة للحكم الإسلامي من قبل بعض الفئات المسيحية الشرقية، حيث شهدت المنطقة محاولات انقلاب وتآمر من قبل الأرمن في الرها على نور الدين محمود زنكي، يُضاف إلى ذلك الحركات القبطية المعارضة في مصر، فضلاً عن التحالف النسطوري مع المغول، الذي شكّل تهديدًا كبيرًا للاستقرار الإسلامي، حيث تداخلت المصالح السياسية والدينية، ويكشف ذلك تفاعلا معقدا بين الطوائف المسيحية الشرقية والدولة الإسلامية يتأرجح بين الولاء والدعم من جهة، والمناهضة والتآمر من جهة أخرى، في ظل صراع إقليمي محتدم أعاد تشكيل ملامح المنطقة خلال تلك الحقبة التاريخية.

الفصل الرابع: جوانب من الحياة الاجتماعية لمسيحيي الشرق داخل الإمارات الصليبية بين سنتي491-690هـ/ 1098م- 1291م

المبحث الأول: مسيحيو الشرق داخل المنظومة الاجتماعية الصليبية بين سنتي 491-690هـ/1098 -1291م

1. سياسة الاستيطان الصليبي واستقطاب مسيحيي الشام .
2. موقع مسيحيي الشرق داخل الهرمية الاجتماعية الصليبية.

المبحث الثاني: المسيحي المحلي فاعلا اجتماعيًّا داخل المجتمع الصليبي:

1. محاكم السريان.
2. الحياة اليومية.
- المأكل و المشرب .
- طراز العمارة واللباس.
- المرأة.
3. العوائد الإحتفالية.
- الإحتفالات والأعياد.
- طقوس المآتم.

المبحث الثالث: الواقع العلائقي الديني للمجتمع المسيحي الشرقي:

1. الصليبيون والهيرارشية الدينية المسيحية الشرقية.
2. سياسة الكثلكة وأثرها في الجماعات المسيحية المحلية.
- الكنيسة المارونية والانفتاح على الكثلكة.
- الكنيسة الأرمينية بين الولاء المذهبي و المصالح السياسية.
- الكنيسة السريانية الرافضة للكثلكة.

الفصل الرابع: جوانب من الحياة الاجتماعية لمسيحيي الشرق داخل الإمارات الصليبية بين سنتي 491–690هـ/1098م– 1291م:

يصعب التتبع الشامل لكل العناصر الكلاسيكية للدراسة الاجتماعية في موضوع الواقع الاجتماعي للمسيحيين المحليين الذين عاشوا تحت ظل الحكم الصليبي، ولعل ذلك راجع إلى قلة المادة المصدرية التي تطرقت للموضوع من جهة وكذلك عدم تمييز المصادر في حديثها عن العنصر المحلي بين المحلي الإسلامي أو المسيحي الشرقي من جهة أخرى، لأن الصليبيين لم ينظروا إلى المشارقة طوائف دينيةً بل عاملوهم عنصرًا لا يتجزأ من الحضارة العربية الإسلامية، فكان من الصعب أن تفصل بين الواقع الاجتماعي للمسيحيين الوطنيين عن بقية الوطنيين المشارقة، لذلك، حاولنا تتبع المتغير من الإشارات التي توثق لنا مشاهدات صريحة لهاته الطوائف حتى نستطيع من خلالها تكوين مشهد متكامل للحالة الاجتماعية لهم داخل هذا المجتمع الصليبي.

المبحث الأول: مسيحيو الشرق داخل المنظومة الاجتماعية الصليبية بين سنتي491–690هـ/1098 – 1291م:

رافق تأسيس الكيانات اللاتينية في المشرق واقع ديموغرافي متنوع يضم مسلمين ومسيحيين شرقيين ينتمون إلى طوائف متعددة، وقد أدى هذا التنوع إلى تباين في سياسة التعامل مع المسيحيين المحليين، التي تراوحت بين الاستيعاب والاستغلال في بعض الإمارات، والتهميش والإقصاء في مناطق أخرى، ولعبت عوامل مثل الكثافة السكانية، والانتماء الطائفي، والولاءات السياسية دورًا كبيرًا في تحديد موقع المسيحيين الشرقيين داخل الهرمية الاجتماعية الصليبية، ومن هذا المنطلق، سنحاول تبين موقع المسيحيين الشرقيين داخل المجتمع الصليبي، متتبعين سياقات اندماجهم في داخل هرميته، وسنقف على أدوارهم الاجتماعية ومدى تأثير التحولات السياسية والاستيطانية في مكانتهم.

1. سياسة الإستيطان الصليبي واستقطاب مسيحيي الشام:

إن المتتبع لتأسيس الكيانات الصليبية على أرض المشرق يلاحظ تباينا في نمط تعامل الحكام الصليبيين مع رعاياهم من المسحيين المحليين، فالنمط الأول يتجلى من خلال سياستهم في كل من الرها وأنطاكية التي غلب على تركيبتهما السكانية العنصر المسيحي الشرقي، حيث عمل الصليبيون على الحفاظ على هاته الشريحة واستغلالها في تثبيت حكمهم سياسيا واجتماعيا، خاصة أن التوافد الأوروبي على هاتين الإمارتين كان ضعيفا

جدا[1]، يُضاف إلى أن إمارة مثل الرها والتي يرجع الفضل في تأسيسها أصلا إلى طائفة الأرمن لن يبادر الفرنجة بتهجيرهم أو إقصائهم لأنهم يعلمون أنها ستكون نهاية هذه الإمارة الصليبية[2].

يمكن تلخيص التكوين السكاني – الطائفي للرها خلال القرن6هـ/ 12م، إلى أربعة عناصر أساسية مشكلة للتركيبة الاجتماعية في المنطقة، وهم السريان الشرقيون كأكبر طائفة، يليهم الأرمن الذين زاد توافدهم على المنطقة بعد سقوط مملكتهم ثم الروم الملكانيين، ويأتي اللاتين الكاثوليك كأقل الطوائف عددا لأنهم في الغالب مثَّلوا الطبقة الحاكمة الصليبية[3]، أما في أنطاكية، فعند قيام الإمارة 491 هـ/1098 م، كان المسيحيون الشرقيون يشكلون أغلبية سكانية تتزعمهم طائفة الروم الأرثوذكس (الملكانيون) مشكلين نحو ثلاثة أرباع السكان، ثم تليها طائفة السريان الأرثوذكس واليعاقبة، وأقلية من النساطرة، وكانت الكراهية إحدى السمات التي ميزت ذلك المجتمع، حيث استطاع الصليبيون تأليب الأرمن والمسيحيين اليعاقبة والسريان ضد العنصر الملكاني ذي الخلفية البيزنطية، مستغلين العداء المزمن بين الطرفين[4].

أما النمط الثاني من التعامل، فيتجلى في مملكة بيت المقدس، التي غلب على تكوينها العنصر الإسلامي أمام أقلية مسيحية شرقية متنوعة تتزعمهم طائفة الروم الأرثوذكس الرافضة للوجود الصليبي، وكان تعامل الصليبيين معهم على مرحلتين، تميّزت المرحلة الأولى بهجرة طوعية أو قسرية لهاته الطوائف جراء الإبادة التي تعرضوا لها أثناء استيلاء الصليبيين على بيت المقدس 492هـ/1099م، و كذلك سياسة جودفيري الرافضة لأي وجود وطني داخل الأراضي المقدسة سواء مسلمين أو مسيحيين [5].

لم يمض وقت طويل حتى أدرك الصليبيون الدور المهم والخطير الذي يمكن أن تلعبه هذه الفئات السكانية في حياة إماراتهم، ويتراجعوا في المرحلة الثانية عن هذه السياسة بسبب سعيهم لزيادة عدد السكان والمستوطنين وتفطنهم لأهمية العنصر البشري في إقامة مستوطناتهم وحمايتها، فهو المكون الأساسي للقوة العسكرية والقوة الاقتصادية والدعم المالي، إذ أتقن العديد من أفرادها نظم الاقتصاد والإدارة البيزنطية، التي أُضطر الصليبيون للإبقاء عليها في إدارة الإمارة[6].

---

[1] – علية الجنزوري، المرجع السابق، ص 338 – 339.

[2] – براور، عالم الصليبيين، ص 49.

[3] – أنظر: Joseph Tarzin, **Edessa in the era of patriarch Michael the Syrian**,**Hugoye**: **Journal of Syriac Studies**, vol 3.2 ,2010,pp 203-221.

[4] – طلب الجنابي، المرجع السابق، ص 261.

[5] – Christopher Mac Evitt, Tolerance, R., **The Crusades and the Christian World of the East**, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 2008, p 151

[6] – ساحلي نعيمة، المرجع السابق، ص435.

اهتم الملك بلدوين الأول بإيجاد حل لهذه المشكلة، ووجد ضالته في المسيحيين الشرقيين الذين يعيشون فيما وراء نهر الأردن، فقد كانوا يعيشون تحت الحكم الإسلامي ويدفعون الجزية، فقام الملك بمراسلتهم، ووعدهم بتحسين أوضاعهم، مما أدى إلى قدوم جماعات منهم بين عامي (508-509هـ/1115-1116م)، وقام باستقبالهم مع زوجاتهم وأطفالهم، ومنحهم أجزاء من المدينة المقدسة مثل الحي اليهودي الذي كان يقطنه اليهود قبل المجزرة التي ارتكبها فيه الصليبيون، ووفر لهم المساكن للإقامة بها، ومنحهم الأراضي التي هجرها أصحابها المسلمون لبعث الحياة في تلك المستوطنات الغريبة عن محيطها الإسلامي والعربي، وأمّن حاجته المستمرة للجنود، لعدم استطاعته الحصول على تعزيزات عسكرية من الغرب الأوروبي[1].

ساهم النظام الإقطاعي الأوروبي الذي نقله الصليبيون إلى الشرق اللاتيني في زيادة الرقعة الاستيطانية، ويتضح ذلك من خلال المنحة التي قدمها الأمير جودفري البويوني للرجال اللاتين في كنيسة القيامة، إذ قام بمنحهم إحدى وعشرين قرية في حدود القدس، وقد استغل رجال الدين اللاتين هذه المنحة بإنشاء العديد من المستوطنات حول المدينة[2]، وفيما يلي، سنحاول عرض أهم المستوطنات[3] الصليبية التي بنيت على قرى وأحياء ذات أغلبية مسيحية أو التي وطّن فيها مجموعات مسيحية محلية تطبيقا لسياسة ملء الفراغ السكاني الصليبية:

البيرة[4]: تُعد من أهم المناطق المأهولة التي اختاروها لتأسيس أولى مستوطناتهم، وقد مُنحت لكنيسة القيامة عام 492هـ/1099م[5]، فعمل رجال الدين اللاتين على تهجير من تبقى من سكان البيرة المسلمين إلى مناطق أخرى، قبل الشروع في تأسيس المستوطنة، ثم وظفوا العديد من الأوروبيين الأحرار الذين أتوا مع الحملات الصليبية، والذين ينتمون إلى مقاطعات ومدن مختلفة في أوروبا، وسمحوا باستقرار المسيحيين الشرقيين الذين وفدوا إليها من المناطق المجاورة للقدس ونابلس وخاصة من قرى النبي صموئيل والرام في المستوطنة[6]، ومُنحوا قطعا من

---

[1] - H.G.M. williamson,Robert G.hoyland,**The Oxford Illustrated History of the Holy Land** Oxford University Press, U.K. , 2018,p 202. ؛سعيد عاشور،الحركة الصليبية، ج1،ص322

[2] - Genevieve B.B ,**Le Cartulaire de Chapitre de Saint – Sepulcre de Jerusalem** , paris 1984 ,p 86,88.

[3] - أُنظر الملحق رقم 07 خريطة توضح موقع المستوطنات الصليبية ذات الخلفية المسيحية الشرقية في مملكة بيت المقدس.

[4] - **البيرة:** في بلاد الشام أماكن كثيرة تحمل اسم البير . ولكن التي نقصدها هنا هي البيرة التي تقع شمال بيت المقدس على بعد 16 كم تقريبا. وهي مدينة قديمة يعود تاريخها إلى العرب الكنعانيين. وقد بُنيت على موقع *مدينة* كنعانية وهي بيئروت بمعنى الآبار. وعرفت في العهد الروماني باسم بيرتا أي القلعة أو الحصن من أعمال القدس. وفيها الكثير من الآثار *القديمة*؛ أُنظر: حمزة الفاروقي، المرجع السابق، ص 295.

[5] - محمد مؤنس عوض، الرحالة، ص 189.

[6] - Meron Benvenisti, **The Crusaders in the Holy Land**, **Macmillan**,U.S.A., 1972, pp.223, 225 ; Ronnie Ellenblum, **Rural settlement in the latin kingdom of Jerusalem**,Cambridge university press,U.K ,1st ed ,1998, p87.

الأراضي حتى يقوموا بزراعتها، مقابل دفع ضريبة العشر، علاوة على اقتسام المحاصيل التي تنتجها أراضي البيرة، وعمل هؤلاء المستوطنون في جميع المهن خاصة الحدادة والتجارة وصناعة الأحذية والبناء[1].

قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بتأسيس مستوطنة القبيبة Al_Qbaibah[2] على أراضي بيت سوريك[3] Beth Surik عام 514 هـ/1120م، وكانت فئات السكان في المستوطنة تتكون من مجموعة من اللاتين الذين ربما جاءوا من المناطق التي حضر منها سكان مستوطنة البيرة[4]، واستقر إلى جانبهم بعض السكان المسيحيين الشرقيين الذين كانوا يقيمون في المنطقة قبيل إنشاء المستوطنة.

تشير وثائق كنيسة القيامة إلى أن خلافات نشبت بين المسيحيين السريان ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة حول ملكية بعض الأراضي والمنازل والضياع الواقعة في قريتي قلندية وبيت سوريك التي كانت من أملاك المسيحيين السريان، ولكن رجال الدين اللاتين طالبوا بضمها الى ممتلكاتهم، وقد انحازت الملكة ميلسند Melisende1131–1153م إلى جانب رجال الدين اللاتين، وحسمت الخلاف لصالحهم، وأكدت حقَّهم في الأراضي والمنازل والضياع المتنازع عليها، رغم أن المسيحيين الشرقيين كانوا ملتزمين بدفع الضرائب المفروضة عليهم[5].

كان رجال الدين اللاتين في بعض الحالات النادرة يقومون بإغداق المنح والأراضي على المسيحيين الشرقيين الذين كانوا يسكنون في ضواحي القدس، إضافة إلى التسهيلات، ولكن ضمن شروط معينة يتفق عليها الطرفان، فمثلا عام 1151م قام رئيس كنيسة القيامة، وجميع رجال الدين معه، بإعطاء الأرض وكروم العنب

---

[1]– محمد سامي أمطير، **الحياةالاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية 492–583هـ/1099–1187م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس– فلسطين، 2010 م، ص56.

[2] – **القبيبة**:Al_Qbaibah تصغير قبة. أُسست على أراضي بيت سوريك. وتقع على بعد سبعة أميال شمال غرب القدس. وذكرت القرية في العديد من الوثائق التي ترجع إلى العصر الصليبي. تشتهر بزراعة أشجار التين والزيتون والرقوق و العنب. وتمتلك الأديرة ثلث أراضي القرية تقريبا. ويوجد بها أنقاض أساسات من الحجارة الخشنة، وبقايا معصرة زيت أُنظر: سعيد البيشاوي، الممتلكات، ص 186؛ موضي عبد الله السرحان، **تنظيمات الصليبيين في مملكة بيت المقدس وأثرها على أوضاعهم في بلاد الشام**، ط. 1، الرياض، 2006، ص 234.

[3]– **بيت سوريك** beth surik: وردت في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها، بيت سوري Behtsuri وبيت سوريت Beth surit وبيت سوريه .Beth surieh وتبعد القرية عشرة كيلو مترات شمال غرب بيت المقدس. يحد القرية من الشرق النبي صموئيل، ومن الجنوب قرية أم أليس، ومن الغرب القديس أيوب، ومن الشمال دير القبيب. وتشرف القرية على طريق المواصلات بين السهل الساحلي ومدينة القدس؛ أُنظر: سعيد البيشاوي، الممتلكات، ص 165؛ موضى عبد الله السرحان، المرجع السابق، ص 234.

[4] – سعيد البيشاوي، الاستيطان، ص 289.

[5]–Eugène Rozière, **Cartulaire de l'Église du Saint Sépulcre de Jérusalem**, Publié d'après les manuscrits du Vatican, Imprimerie Nationale,Paris, 1849, p 93.107.

التي سيطروا عليها في قلندية لأحد السريان وأبنائه، من أجل استغلالها مقابل دفع نصف المحصول، والمحاصيل التي تنتجها الأرض التي حصلوا عليها، ويمثّل هذا جانبا من الضرائب التي تدفع ثلاث مرات في السنة[1].

يرجع حصول المسيحيين السريان على بعض قطع الأراضي في قرية قلندية[2]، إلى أن رجال الدين اللاتين لمسوا ندرة الفلاحين الصليبيين، ما أثر في مصالحهم الاقتصادية، فوجدوا ضالتهم في المسيحيين الوطنيين، لزراعة الأراضي الواسعة التي حصلوا عليها، خاصة مع وجود أعداد هائلة من الفلاحين الوطنيين، الذين كانوا يشكلون أغلبية سكان بلاد الشام، وقامت الملكة ميلسند عام 538هـ/ 1143م بمقايضة مع سكان مستوطنة قلندية، حيث منحت دكاكين ومصرفين للعلمة في القدس للمسيحيين السريان من سكان قلندية، مقابل حصول فرسان الأسبتارية على الموقع[3].

تُعد مستوطنة راماتيس[4] Ramathes مثالا للمستوطنات الصليبية ذات الغالبية المسيحية الشرقية، التي أُنشأت خطّا دفاعيًّا حول مدينة القدس، وكانت مطابقة في بنائها لمستوطنة البيرة[5]، ومعظم سكانها من المسيحيين السريان، وقد أمكن إحصاء أسماء ثمانية وعشرين شخصا كانوا يقيمون في الموقع قبل إنشاء القرية الجديدة، ولعل ذلك يشير إلى أن الاستيطان الصليبي لم يقتصر على المناطق غير المأهولة بالسكان إذ أُسّست هذه المستوطنة في منطقة مأهولة بالسكان[6].

فرض رجال الدين اللاتين على مستوطني راماتيس دفع خمس المحصول من إنتاج أشجار الزيتون والكروم، وربع محصول الخضراوات والحبوب، ونصف الإنتاج الذي تدره الأراضي الممنوحة، هذا إلى جانب ضريبة العشر، وحصل المستوطنون الذي استقروا في مستوطنة راماتيس على تسهيلات عديدة من كنيسة القيامة[7].

---

[1] – محمد سامي أمطير، المرجع السابق، ص 63.

[2] – **قندلية Kalendie**: تقع على بعد أحد عشر كيلو مترا الى الشمال من بيت المقدس، شمال غرب قرية الراماتيس. وقد ورد اسم قرية قلندية في الوثائق الصليبية بعدة أشكال منها calandria و kalaendria ؛ أنظر:- Charles Simon, Clermont-Ganneau,**Archaeological Researches in Palestine During the Years 1873–1874, 1899**,Palestine Exploration Fund, London, 1896,Vol. 2.,p473.

[3] - Genevieve B.B, Op,Cit, p253

[4] – **راماتيسRamathes** : وردت بعدة تسميات أرام ، والرامة، وراما. وهي قرية تبعد 8 كم عن القدس شمالا. كانت دائما موطنا للمسيحيين السريان؛ أنظر: Adrian Boas , **Domestic SettingsSources on Domestic Architecture and Day–to–Day Activities in the Crusader States**,Brill, Leiden, 2010, p338

[5]-Denys Pringle , **Fortification and Settlement in Crusader Palestine**, AshgatePublisher,U.S.A.,2000, p.161.

[6]- Ronnie Ellenblum, ,p 236 .

[7] -Eugène Rozière,Op.cit.p 87-89.

وكذلك، وُجدت مستوطنة صليبية في جفنا Jifna[1] جنوب بيت المقدس[2]، وكان معظم سكانها خلال القرن 6 هـ/ 12 م من المسيحيين المحليين، وقد أمكن إحصاء العديد منهم في نقش منحوت على حجر فوق أحد البوابات، ويعني ذلك أن الصليبيين قد بنوا مستوطنتهم في قلب القرية المسيحية المحلية[3].

أقام الصليبيون إلى جانب المستوطنات المجاورة للمدينة المقدسة مستوطنات أخرى في المناطق الشمالية من فلسطين، حيث تشير المصادر إلى قرية الزيب، الواقعة شمال مدينة عكا، والتي كانت في البداية حصنا صغيراً، أطلق عليه الجغرافيون العرب اسم الزاب، وذكره ابن جبير[4] بقوله: "واجتزنا في طريقنا على حصن كبير يُعرف بالزاب، وهي مطلة على قرى وعمائر متصلة، وذكرها ياقوت الحموي[5]، فقال: "**قرية كبيرة على ساحل بحر الروم عند عكا**"، في حين أطلق عليها الفرنج اسم أمبرت (Casal Imbert) وذلك نسبة إلى الفارس الفرنجي الذي احتلها سنة 493هـ/1104م[6]،.

2. موقع مسيحيي الشرق داخل الهرمية الاجتماعية الصليبية:

تنوع الحضور المسيحي الشرقي داخل الهرم الاجتماعي الصليبي، وتوزع بين الأرستقراطية الحاكمة والسكان المحكومين، ولما كان المسيحيون الشرقيون أحد العناصر السكانية المكونة للتركيبة البشرية للمجتمع الصليبي، فسوف نجدهم موزعين على مختلف الطبقات الاجتماعية بنسب متفاوتة طبعا،

انتشر غالبية المسيحيين الشرقيين في الطبقات الدنيا من المجتمع الصليبي مستقرين في القرى الداخلية الزراعية، وتحولوا بفعل النظام الإقطاعي إلى فلاحين أحرارا أو أقنانا[7]، أو نزحوا نحو المدن الساحلية أين اندمجوا مع الوافدين الإيطاليين مشكلين فئة التجار[8] التي تصنف داخل التراتبية الصليبية بالأرستقراطية التجارية[9].

---

[1] – **جفنا** Jifna: قرية ذات أغلبية مسيحية تقع إلى الشمال من رام الله. وتبعد عنها عشر كيلو متر. اشتهرت بزراعة العنب. وتبعد عن نابلس نحو أربعين كيلو مترا. ذكرها الصليبيون باسم جفنة. وأسسوا عليها قلعة صغيرة؛ أُنظر: إبراهيم نيروز، **كشف المفقود من كنائس عابود**، مكتبة المطران عقل للدراسات الدينية، رام الله، 2001، ص147؛ Ronnie Ellenblum,Op.cit, p. 135

[2] -Benvenisti Meron,**The Crusaders in the Holy Land**, Keter Publishing House, Jerusalem, 1970, p.232; Ronnie Ellenblum,Op.cit, p.135.

[3] - Ronnie Ellenblum,Op.cit, p .135.

[4] – **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (578–581هـ)**، تح. علي كنعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، بيروت، 2008، ص 239.

[5] – معجم البلدان، ج 3، ص 162.

[6] – مصطفى قداد، **الاستيطان الصليبي لبيت المقدس وتهجير المقدسيين**، مجلة دراسات بيت المقدس، مج 20، ع 3 ،2020، ص 377.

[7] – أحمد حطيط، المرجع السابق، ص129؛ Christopher MacEvitt ,Op.cit,p146

إن المتمعن للطبقات الاجتماعية الإقطاعية في المستوطنات الصليبية، يلاحظ أن أغلب من فيها من المسيحيين المحليين بمختلف طوائفهم كانوا ينتمون إلى الطبقة الكادحة من الهرم الاجتماعي الإقطاعي، حيث تشير إحدى الوثائق التي تعرضت لذكر المسيحيين الشرقيين المنتشرين في قرى استيطانية مثل راماتيس، وعطاره[1]، وبيت ليج[2]، وقلندية بوصفهم فلاحين بمنزلة عبيد أقنان، خاضعين مباشرة لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة[3]، وهنا، يفرض علينا سؤال مهم نفسه: هل اقتصر الوجود المسيحي الشرقي داخل الهرم الاجتماعي الصليبي على الطبقة الكادحة فقط أم كان لهم حظ في الطبقات الأخرى؟

نجد قلة من المسيحيين المحليين ضمن الطبقة الأرستقراطية التي تربع فيها النبلاء والسادة الإقطاعيون والتي كانت حكرا على اللاتين الأوروبيين[4]، غير أنه مع مرور الزمن فقدت الأقلية الصليبية التي كانت تشكل الطبقة الأرستقراطية الحاكمة كثيرا من صفاتها الأصلية، واكتسبت في المقابل العديد من الصفات الجديدة من خلال الاحتكاك بالعناصر السكانية الموجودة في بلاد الشام والتفاعل معها، حيث تجلت أولى مظاهر التفاعل الاجتماعي بين الصليبيين والمسيحيين الشرقيين في الزيجات التي قامت بينهما، حيث ارتبط عدد من النبلاء

---

[8] – ارتبطت العديد من القرى المارونية القريبة من الساحل بالفرنجة التجار الذين أحدثوا ثورة اقتصادية تجارية في ثغور كونتية طرابلس البحرية. فنشط الموارنة خاصة التابعين لسينيورية جبيل الجنوية وبدؤوا ينتقلون إلى المدن الصليبية التي كانت معقل الطبقة الوسطى الناشئة في المجتمع الاقطاعي؛ أُنظر: كمال صليبي، المرجع السابق، ص 88 – 89.

[9] – نقصد بها الإيطاليين الجنويين والبنادقة والبيازنة الذين قدموا إلى بلاد الشام من أجل الإفادة من ثروات الشرق التي قدمها لهم المشروع الصليبي. وكان الإيطاليون من أكثر العناصر الرابحة جراء غزو الغرب الأوروبي للشرق الأدنى الإسلامي. وكانت تلك الطبقة على جانب كبير من الثراء. ووجدت فيها أسر كبيرة احتكرت حركة التجارة لصالحها. وقد ركزت تلك الطبقة في المناطق الساحلية خاصة عكا على نحو خاص حيث الاتصال بالوطن الأم في إيطاليا. وحصلت تلك الطبقة على العديد من الامتيازات منها امتلاك أحياء من المدن وحق المحاكمة ليس فقط لأبناء جنسيتهم بل أيضا لمن يسكن أحياءهم في بعض الحالات؛ أُنظر: Emmanuel Guillaume-Rey, **les colonies franques de syrie au XII et XII siecles**, paris 1883, pp. 69-74.

[1] – **عطارة** Athara : تقع شمال رام الله. وترتفع نحو سبعمائة وتسعة وتسعين مترا عن سطح البحر. ويحدها من الشمال الشرقي قرية سنجل، ومن الجنوب الغربي خربة العقبان. ويوجد في القرية العديد من العيون والينابيع. ويحيط بها بعض الخرب مثل خربة المغسل وطرفين؛ أُنظر: سعيد البيشاوي، الممتلكات، ص 165.

[2] – **بيت ليج**: وهي بيت لقيا. عُرفت في العهد الروماني باسم (كفر لقتيا). وذكرها الصليبيون باسم بيت ليج. تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة رام الله. وتبعد عنها 21 كم. وترتفع عن سطح البحر حوالي 300 م؛ أُنظر: حمزة الفاروقي، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، 2008، بيروت، ص 296.

[3] Ronnie Ellenblum,Op.cit, p.235.

[4] – طلب صبار الجنابي، المرجع السابق، ص257.

والفرسان الصليبيين بأرمينيات وسريانيات وبيزنطيات، وهذا في حد ذاته كان سببا في دخول المسيحيين المحليين لهذه الطبقة [1].

ضمت طبقة النبلاء والفرسان للمجتمع الصليبي الرهاوي أكبر عدد من المسيحيين المحليين من بين الإمارات الصليبية، ويرجع ذلك إلى التركيبة البشرية المكونة للكونتية التي غلب عليها العنصر المسيحي الشرقي خاصة السرياني والأرمني[2]، ثم إن الطوائف المسيحية وعلى رأسها الأرمينية كانت منقسمة إلى زعامات سياسية محلية انضوت تحت لواء الحكم الصليبي، لكنها بقيت محافظة على نبالتها المحلية، وبالتالي، أصبحوا سادة إقطاعيين داخل المنظومة الصليبية ليشكلوا مجتمعا إفرنجيا – أرمينيا[3].

شجع بلدوين الأول الزواج بين الصليبيين والسكان الوطنيين المسيحيين، ولكن رغم ذلك لم يُقدم على الزواج من وطنيات سوى عدد ضئيل من البارونات، ورغم أن الغرض من هذا الزواج سياسي، فإنه شكل نوعاً من التقارب الاجتماعي، وكذلك لم تقتصر الزيجات بين الصليبيين والمسيحيين الوطنيين على الأرمن والسريان فحسب، وبمرور الزّمن، اتجه عامة الصليبيين للزواج من أهل البلد الأصليين، وتزوج بعض أمراء الأرمن في قليقية من إفرنجيات[4].

نشأ عن التزاوج بين الصليبيين والمسيحيين المحليين جيل جديد مهجن جمع بين الجنسين، وهو ما عرف بالبولان[5]Poullain، وقد حلت تلك الطبقة بمرور الوقت محل طبقة عامة المحاربين من الصليبيين، وقامت بدورها في خدمة المجتمع الصليبي بالشام[6]، ويرجع جاك دي فيترى أصل هذه التسمية " Poullain" إلى سببين، أولا لكونهم جيل من المواليد الجدد في الأراضي اللاتينية الشرقية مثلما يحدث في حالة الفروخ الصغيرة التي تخرج إلى الحياة pullets ، وثانيا نسبة إلى مملكة أبوليا[7] لأن الأوروبيين القادمين إلى الأرض المقدسة لم يجلبوا إلا

---

[1] – سعيد عاشور، **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، ط. 2، بيروت، 2003، ص 331 – 330.

[2] – Joseph Tarzin, Op.cit,p504

[3] – علية الجنزوري، المرجع السابق، ص 338 – 339

[4] – يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 107.

[5] – الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص97.

[6] – سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 394؛ محمود الحويري، **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية**، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص 76 – 77.

[7] – **أبوليا Apulia** : هي مقاطعة في جنوب إيطاليا كانت تعتبر جزءا من *مملكة* صقلية منذ عصر النورمان حتى عهد فريدريك الثاني. تقع جنوب شرق شبه الجزيرة الإيطالية. ومنها ينحدر الكونت بوهيموند أحد قادة الحملة الصليبية الأولى؛ أُنظر: حسن باشا، **موسوعة الآثار والفنون الاسلامية**، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1999، ج 2، ص 91؛ حسين مؤنس، **أطلس التاريخ الإسلامي**، الزهراء للإعلام العربي، ط. 1، القاهرة، 1978، ص 268.

عددا قليلاً من النساء بالمقارنة مع عدد الرجال في جيش الأمراء الغربيين، ما دفعهم لاستقدام النساء من أبوليا حتى يتزوج منهن الصليبيون الذين استقروا بعد الحملة الصليبية الأولى[1].

الراجح أن المقصود بعنصر الأفراخ هو ذلك العنصر الهجين بين الفرنجة والمسيحيين المحليين، والدليل على ذلك هو العائلات السريانية والمارونية التي أخذت دوراً في النبالة اللاتينية وبقيت مستقرة في بلاد المشرق وتأكد أنها من أصل إفرنجي وتحتفظ بأسماء لاتينية تدل علي أنها تنحدر من الصليبيين الذين استقروا في الشرق أمثال فرنجية Frankish وصليبي crusading وبردويلBaldwin ، والدويهي De Douhai ودريان Comted OrientوطربيهTorbey، وسوايا Savoi، وأغلب هذه العائلات تنتمي إلى الطائفة المارونية، ونجد عائلات هجينة انتقلت بعد الجلاء الصليبي من المشرق إلى مواطن الأوروبيين في ما وراء البحار وحافظت على أسمائها ذات الأصل المحلي، ومن أشهر تلك العائلات آل غراب Les Ghorab وآل المنصور Les Mansoer[2].

شهدت الطبقة العليا في المجتمع الصليبي الطرابلسي والمقدسي حضورا لافتا للزعامات المسيحية المحلية الدينية والعلمانية المتمثلة في متقلدي منصب الريسحيث، وردت أسماء لعائلات مسيحية محلية تقلدت منصب الريس في المدن وتوارثته، وملكت إقطاعيات كبيرة وقرى في الأراضي الشامية الصليبية، مثل عائلة **عبد المسيح** Abd al-Masih الذي ورد اسمه في السجلات اللاتينية كأحد الملاك الإقطاعيين المحليين، وورد اسم ابنه **جورج** أيضا وريثا لوالده، ولعل ورودهم في هذه الوثائق يرجع لأهمية منصب الريس من جهة وكذلك الأهمية الإستراتيجية لمكان وجود ممتلكاتهم القريبة من المرقب وقوة علاقتهم بالجماعة الدينية الاسبتارية[3].

وردت أيضا إشارات لانتماءات فردية وعائلية محلية لطبقة الفرسان أو الارستقراطية العسكرية، ومن بينها استحداث فولك الطبري لقلعة على الضفة الشرقية لنهر الأردن ووضعها تحت سيطرة الفرسان السريان، وورد اسم عائلة موسى عرابي Arrabi الذي يعتقد أنه من مسيحيي الشام، وتكررت أسماء أبناء هذه العائلة وأحفادها مثل هنري وجون في السجلات الصليبية العسكرية، ووردت قوائم فردية لفرسان صليبيين بأسماء قد تنتمي إلى مسيحيين محليين مثل جورجيوس، وثيودوروس، وفهرام، وسيردوس، فكل هذه الإشارات تثبت الوجود المسيحي المحلي ضمن النخبة العسكرية الصليبية[4].

---

[1] الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص97.

[2]- محمود الحويري، المرجع السابق، ص259،76

[3]- Jonathan Riley-Smith,**Some lesser officials in Latin Syria**, English Historical Review,v 87,1-26;Christopher MacEvitt ,Op.cit,p150 .

[4] - Christopher MacEvitt ,Op.cit,p155

تغير التوزيع الديمغرافي لشعوب المشرق المستقرة في الأراضي التابعة للصليبيين، وذلك لعدة أسباب، ولعل أهمها الوضع العسكري وحالة الحرب المستمرة بين الدخيل اللاتيني والقوى الإسلامية، وكذلك سياسة التهجير القسري والطوعي التي تعرض لها القاطنون داخل الكيانات الصليبية، وتُضاف إلى ذلك سياسة التعمير الاستيطانية التي انتهجها الصليبيون خاصة في مملكة بيت المقدس، كل هذه المعطيات أثرت في الطوائف المسيحية الشرقية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من التركيبة البشرية للمشرق الإسلامي عامة وبلاد الشام خاصة، وخلقت ضروبا من التعقيدات السكانية غير المألوفة، إذ تحولت الأقليات إلى أغلبيات في عدد من المناطق، وشهدت مناطق أخرى العكس من ذلك.

المبحث الثاني: المسيحي المحلي فاعلا اجتماعيًّا داخل المجتمع الصليبي:

تأثر الصليبيون كثيراً بما كان سائداً في بلاد الشام من أساليب الحياة سواء في المسكن أو المأكل أوالملبس، أو عادات الاحتفال بالمناسبات والأعياد ووسائل التسلية المتعددة، ومن خلال اطلاعنا على مختلف المصنفات المصدرية والمرجعية التي تطرقت للموضوع، نلاحظ أن الغالب عليها هو الحديث عن تأثر الصليبيين بكل ماهو شرقي بغض النظر عن كونه عادة شرقية مسيحية أو إسلامية، لذلك، سنحاول رصد التغيرات الاجتماعية التي طرأت على الجماعات المسيحية الشرقية زمن الوجود الصليبي ومدى تأثيرها في المجتمع الصليبي ومدي ما وصلت إليه العلاقات الاجتماعية بين الفريقين.

1. محاكم السوريان:

تأسست محكمة السوريان أو محاكم السكان الوطنيين في فترة مبكرة من القرن 6 هـ/12 م غداة استقرار الصليبيين في المنطقة، وذلك عندما طلب السريان من الملك أن يمنحهم امتياز الفصل في أحوالهم القضائية وفق تقاليدهم وتشريعاتهم، ووفق نظم قضائية كانت موجودة لديهم لتحقيق العدالة بينهم بموجب القوانين والأعراف الخاصة لكل جماعة، وبالفعل أُستجيب لطلبهم[1]

ويُذكر أن الحاكم الصليبي الذي منحهم هذا الحق، هو غودفري دي بويون[2]، غير أن هذا الأمر مستبعد لأن القدس في زمن غودفري كانت خالية من سكانها الأصليين، ولاسيما بعد المذبحة التي ارتكبها الصليبيون بحق

[1] – يوشع براور، الاستيطان الصليبي، المرجع السابق، ص 185– 186؛ عامر ونوس، **الإدارة والقضاء والجيش في مملكة بيت المقدس الصليبية**، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين السورية، اللاذقية، 2018، ص 115.

[2] – Christopher MacEvitt, Op.cit, p151.

أهلها عند احتلالها 492هـ/ 1099م، عدا عن القانون الذي صدر في أيام غودفري، والذي منع سكان مدينة القدس المحليين ممن غادروا المدينة أثناء زحف الصليبيين نحوها من العودة إليها[1].

والمرجح أن هذا الأمر حدث في زمن الملك الصليبي بلدوين الأول، تنفيذاً لمخططه الرامي إلى استقطاب المسيحيين الشرقيين وجلبهم للقيام بحركة استيطانية داخل المملكة الصليبية بهدف تعميرها بالسكان، والمتوقع أن بلدوين الأول منحهم هذا الحق من أجل ترغيبهم في القدوم إلى القدس، لذلك، يمكن القول إن أول ظهور للمحاكم الوطنية كان في مدينة القدس، ثم بعد ذلك عُمّم هذا النموذج على كل إقطاعيات المملكة الصليبية ثم إلى بقية الإمارات[2].

وكانت محكمة السوريان تابعة للمحكمة البرجوازية[3]، ومع مرور السنين، أصبح لها دورها البارز ضمن محاكم الأحوال المدنية في المملكة، وذلك، لأن مثل هذه المحاكم قد قامت بدور مهم في تسهيل حياة السكان الوطنيين بالإمارات الصليبية، خصوصا ما تعلق بالأحوال الشخصية لهذه الطوائف[4]، وتألفت المحاكم الوطنية من قسمين:

- **المحكمة الدينية:** وهي المختصة بالنظر في بعض القضايا المدنية مثل الزواج أو الوصايا والتركات وما شابه ذلك، ويُضاف إليها طبعاً الشؤون الدينية كعقوبة الهرطقة والإلحاد، التي يفرضها رجال الدين المسيحيين في هذه المحكمة، وكان صاحبها معرضاً للنفي والنبذ، والإبعاد عن جماعته وفقد موارده المالية إن ثبتت عليه التهمة، وذلك للحفاظ على النسيج المتماسك لهذه الطوائف[5].
- **المحكمة العلمانية:** كانت هذه المحكمة برئاسة شخصية علمانية من أبناء الجماعة الواحدة وهو الريس – الذي ذكرناه سابقا – وقد تمتع بقوة وصلاحيات واسعة ضمن هذه المحكمة، تشبه ما تمتع به الفيكونت من سلطة في

[1] – عامر ونوس، المرجع السابق، ص 115.

[2]–Thomas Andrew Archer, Charles Lethbridge Kingsford , **The Crusades The Story of the Latin Kingdom of Jerusulem**, G. P. Putnam's Sons, London , 1894,pp125,126.

[3] – **المحكمة البرجوازية:** وهي محكمة خاصة بالمستوطنين الفرنجة من غير النبلاء والذين عُرفوا باسم البرجوازية. فالنظام الإقطاعي الذي حرمهم من حيازة الأراضي أدى إلى تكتلهم في المدن الصليبية. وكانت هذه المحاكم موجودة في كل مدينة كبيرة من المدن الصليبية. وقُدر عددها حسب بعض الروايات ب37 محكمة في مملكة بيت المقدس وحدها؛ أُنظر: أرنست باركر، المرجع السابق، ص 130.

[4] – Thomas Andrew Archer, Charles Lethbridge Kingsford,Op.Cit.,p125

[5] – يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص 184.

المحكمة البرجوازية[1]، وكانت محكمة الريس هذه بمنزلة جزء من الآلية الإدارية للحكومة الصليبية في المملكة، التي تمكنت من خلالها أن تثبت دعائم الحكم، والقضاء للسكان من غير الفرنجة على المستوى المحلي[2]، وكان الريس مكلفاً بالشؤون المحلية، ومسؤولاً تجاه المالك أو السيد الإقطاعي في مجال المداخيل المالية، وجمع الضرائب من جماعته[3].

2. الحياة اليومية :

أدى التقاء الصليبيين بالمجتمعات الشرقية خلال الحروب الصليبية إلى تفاعل ثقافي واسع أثّر في جوانب الحياة اليومية للطرفين، فقد تبنى الصليبيون العديد من العادات الشرقية، سواء في المأكل والمشرب، أو في أنماط العمارة واللباس، وحتى في نظرتهم إلى المرأة ومكانتها في المجتمع، يعكس هذا التأثير المتبادل مدى عمق التداخل الحضاري بين الشرق والغرب خلال تلك الحقبة، مما يجعل دراسته ضرورية لفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي نشأت عن هذا التفاعل.

- **المأكل والمشرب:**

امتلأت قصور الأمراء الصليبيين بالخدم الشرقيين الذين يشرفون على المائدة، ومنهم من كان يقوم بطهي الطعام، كما كان الوضع في البيوت العربية، وقلد الصليبيون العرب في الجلوس علي البسط والحصير وليس على الأرائك والمقاعد عند تناول الطعام، ويذكر أن الملك الصليبي بلدوين الأول (1100 – 1118م/ 504-512هـ) كان يتناول طعامه على بساط مربع على الأرض على الطريقة الشرقية[4].

شغف الصليبيون بأنواع المأكولات التي اشتهرت بها بلاد الشام والتي لم يعرفوها في أوروبا، واستطاع فن الطهي الشرقي غزو المستوطنات الصليبية، وتسرب الطابع الشرقي للمطبخ الصليبي بسبب تزاوج الصليبيين بسيدات بيزنطيات وأرمينيات على مستوى الملوك والأمراء، وهؤلاء كن يحضرن الخدم الشرقيين البارعين في فن الطهي،

[1]Jonathan Simon Christopher Riley-Smith, **The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174–1277**, Palgrave Macmillan, New York, 1974., p90.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ العلاقات**، ص 207.

[3] – نفسه.

[4] – محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص 244.

وتزاوج عامة الصليبيين من نساء أرمينيات وسريانيات يجدن فن الطهي، ما جعلهم يغيرون بعض عاداتهم في المأكل، فاستغنوا عن دهن الخنزير واستخدموا زيت الزيتون الذي اشتهرت بوفرته بلاد الشام[1].

واستخدموا أنواع لحوم أخرى بدلا من لحم الخنزير كالسمك والدجاج، وهناك إشارة طريفة لدى أسامة بن منقذ[2] توضح أن رجلا صليبيا **يقرر صديقه المسلم أنه لا يأكل طعاما فيه لحم خنزير**، وفضّلوا استخدام الطباخات المصريات اللاتي اشتهرن بجودة طعامهن ونظافته، بل إن بعض قدامى الصليبيين صاروا يتباهون بأطعمتهم المصرية[3]، وانتشرت عادة إقامة الولائم العامرة بشتى صنوف الطعام الشرقي ودعوة الأقارب والأصحاب سواء في مناسبة زواج أو غيرها من المناسبات[4]، وأعاد الصليبيون صناعة الخمور في القدس مرة أخرى[5]، وتوسع المسيحيون الشرقيون في زراعة الكروم لبيعه للسلطات الصليبية[6].

- **طراز العمارة واللباس:**

لقد اتبع الملوك والأمراء الصليبيون الطراز الشرقي في بناء مساكنهم، وكان هذا الطراز يتقنه البناؤون اليونان والعرب، لذلك، استخدمهم الصليبيون في هذا الغرض[7]، ولكن لم يشيد الصليبيون الكثير من المساكن وإنما استولوا على المساكن التي هجرها سكانها واستخدموا ما وجدوه بها من آثار، واستخدم الصليبيون في بيوتهم كل ما هو شرقي الطراز من أثاث وأدوات زينة وأدوات المطبخ وغيرها[8].

وتأثر الصليبيون اللاتين بالعمارة الدينية المسيحية الشرقية وتقنياتها المختلفة خاصة تلك التي تعود للمسيحيين السريان واليونانيين، ونشاهد هذا التأثير في بنائهم لكنائسهم في الشرق اللاتيني، بل انتقل حتى إلى

---

[1] – أميرة نافع، **المسيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط 1، الجيزة، 2016، ص 100.

[2] – الاعتبار، ص 180.

[3] – أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص140؛ أُنظر أيضا: James W. Thompson, **Economic and Social History of the middle ages**, new york, 1959, p.396

[4] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 132 – 133؛ قاسم عبده قاسم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، ص388 - 389.

[5] – كان إنتاج الخمور قد تقلص أثناء فترة السيادة الاسلامية. ولكن بعد سيطرة الصليبيين أعادوا تصنيعه مرة أخرى. بل توسعوا في تصنيعه لأنهم يستخدمونه في بعض الطقوس الدينية مثل سر التناول؛ أُنظر: براور، الاستيطان الصليبي، ص 618.

[6] – الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص137.

[7] – عن الطراز الشرقي في بناء المساكن وما اتسم به من ترف وفخامة، ومدى تأثر الصليبيين به؛ أُنظر Jaroslav Folda,**Crusader art in the Holy Land : from the Third Crusade to the fall of Acre, 1187–1291**, Cambridge University Press, New York, 2005,pp173-175.

[8] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص100-101.

الغرب الأوروبي[1]، وتُعد تقنية الحنايا الثلاثية ذات الأسقف نصف الدائرية من أكثر الأنماط المعمارية الشرقية التي تأثر بها الصليبيون، ويرجح أن هذه التقنية ما هي إلا محاكاة لعقيدة التثليث الأرثوذكسية التي جسدت في عمارتهم الدينية الكنسية[2].

استخدم الصليبيون أنواع المنسوجات والأقمشة الفاخرة التي اشتهرت بها بلاد الشام في تلك الفترة من تاريخها والتي أصبحت في متناول جميع الصليبيين بعد أن كانت قاصرة في الغرب على بيوت الأمراء والملوك، بيد أن طراز الملابس وطريقة تفصيلها كانت توافق ما هو سائد في أوربا آنذاك[3]، وفي وصف ابن جبير[4] لحفل زفاف شاهده في مدينة صور يفهم من كلامه أن ملابس المشاركين في الحفل من الصليبيين كانت في طرازها مخالفا لما كان شائعاً عند السكان الشوام.

لم يرتد الصليبي عباءة شرقية أبدا على الأقل على الملأ، وكان يضع في بعض الأحيان شالا صغيرا على خوذته لتحميه من أشعة الشمس القوية، كما كان يفعل المسلمون والمسيحيون الشرقيون لحماية أنفسهم من حرارة الشمس، وأحيانا، استخدم الفارس الصليبي عباءة بيضاء كما يفعل الشرقيون وأعضاء المنظمات العسكرية، ولكن ملابسه كانت أوربية في طرازها، وألف الصليبيون زي رجال الدين الأرمن، ولكن إحساس الصليبي بهويته كانت بعيدة لدرجة أنهم كانوا يمنعون غير الصليبيين من ارتداء الملابس الصليبية الطراز [5].

عّبر الإفرنج عن التمسك بتميزهم من خلال محاولتهم مقاومة العادة الشرقية في إطلاق الذقون، فبينما كان المشتركون في الحملة الصليبية الأولى ملتحين كما كانت العادة في بلادهم آنذاك، فإنهم التزموا عادة حلق الذقون مميزين أنفسهم عن المسلمين، بل كانوا ينقدون المسيحيين الشرقيين لأنهم يتشبهون بالمسلمين واليونان في إطلاق

[1]Bernard Hamilton, The **Latin Church in the Crusader States**: **The Secular Church** ,London, 1980, 4-19

[2]Susan BALDERSTONE ,"**In the Syrian Taste**": **Crusader churches in the Latin East as architectural expressions of orthodoxy**, The Middle Ages and the Crusades, Jan-Jun 2010,p114

[3] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 101.

[4] – الرحلة، بيروت، ط 2، 1986، ص 251.

[5] – صدر بهذا الشأن قانون في القدس عام514هـ/1120م يفرض عقوبة السجن الملكية على كل مسلم يرتدي زيا صليبيا. وقد جاء هذا التحريم والحظر من جانب واحد، إذ لم تكن هناك ضرورة وحاجة لفرض هذا التحريم على الصليبيين من ارتداء الملابس الإسلامية. وكان هذا الحظر بهدف وضع حد لأي اختلاط ممكن بين الصليبيين والمسلمين؛ أنظر: براور، الاستيطان الصليبي، ص619.

ذقونهم[1]، حتى صارت وجوه الصليبيين بالذقون الحليقة والشعر المسدل على الكتفين علامة مميزة لهم، كما كانت موضع احتقار الشرقيين وامتعاضهم[2] .

ظهرت آراء تعد تقليد الصليبيين للشرقيين في ملابسهم ضرباً من ضروب الفسق والانحلال[3]، ولذلك، حرص معظم الصليبيين على إتباع طراز الملابس الأوربية وأشكالها، وكان من المخزي، أيضاً، عند الصليبيين أن يرتدى المسيحيون المحليون نفس الملابس الفاخرة التي يرتديها المسلمون، ما عدا الحزام أو الزنار الصوفي (والذي كان يُعرف في المصادر الصليبية بزنار المسيحيّة وحزامها)، وفي الغالب، كان الصليبيون يقتلون المسيحيين الشوام ظناً منهم أنهم من المسلمين، بسبب ارتدائهم الملابس الإسلامية الفاخرة ويطلقون لحاهم متشبهين بالمسلمين[4] .

بيد أن معارضة الرأي العام الصليبي لارتداء الصليبيين الملابس الشرقية لم يمنع الصليبيين على الإطلاق من ارتدائها أو التشبه بها[5]، وأطلق بعض الأمراء الصليبيين لحاهم على النمط الشرقي[6]، بل وصل الأمر بتانكرد صاحب أنطاكية أن سك النقود وعليها صورته في زى عربي، وارتدى، أيضاً، هنرى دي شامبني ملك القدس (1192-1197م/ 588-593هـ) خلعة سنية أهداها له الناصر صلاح الدين الأيوبي[7] .

كان تمسك الصليبيين بطراز الملابس الأوربية واتباع "الموضة" فيما يتعلق بحلق الذقون والشارب والشعر إنما هو انعكاس نفسي لإحساسهم بالغربة الحضارية في هذه المنطقة التي تشبه محيطا بشرياً عدائياً يحيطهم من كل اتجاه، بيد أن عناصر الاتصال الحضاري جعلت تأثرهم بالمحيط العام أمراً حتمياً تجلت مظاهره في عدة نواح [8].

- **المرأة**

تأثرت المرأة الصليبية بمثيلتها المسيحية الشرقية في ارتداء الملابس الطويلة المطرزة، ولكن كان هذا من باب الأناقة وليس الاحتشام، كما ارتدت الخمار أيضاً ليس بهدف العفة وإنما لحماية بشرتها المطلية بوافر الطلاء الذي عرفته في بلاد الشام واستخدمته، كما استخدمت لزينتها المجوهرات الدمشقية والقاهرية[9] .

---

[1] – أسامة بن منقذ، المصدر السابق، 126.

[2] – الفيتري، المصدر السابق، ص 109.؛ Smail, op.cit,p.43؛ أميرة نافع، المرجع السابق، ص 80.

[3] – الفيتري، المصدر السابق، ص 109.

[4] – براور، الاستيطان الصليبي، ص 619 – 620.

[5] – كان خير دليل على ذلك هو الملك الصليبي بلدوين الأول الذي استبدل ثيابه الغربية بأخرى شرقية وأطلق لحيته أُنظر: محمود الحويري، المرجع السابق، ص 244.

[6] – الفيتري، المصدر السابق، ص 110.

[7] – محمود الحويري، المرجع السابق، ص 244.

[8] – قاسم عبده قاسم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، ص 393.

عندما استقر الصليبيون في الشرق وجدوا نظرة الرجل للمرأة تختلف عن نظرتهم لها، ففي الشرق كان للمرأة حقوقها التي لا يستطيع أحد أن يتجاهلها، إذ كان من حقها إبداء رأيها في كثير من الأمور كالزواج مثلاً، وكما كان لها الحق في وراثة الملك عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية كالأرمن، وقد تأثر الصليبيون بما هو سائد في الشرق لذلك تغير وضع المرأة الصليبية تماماً في الشرق، فبعد أن كانت لا تملك أية حقوق في الغرب، وكان من حق زوجها إلحاق الضرر بها إذا خالفته، أصبحت في الشرق تتمتع بحقوق عدة منها حق وراثة الإقطاع كما أصبحت على قدم المساواة مع الرجل[1].

أثار تأثر المرأة الصليبية بمثيلتها الشرقية غضب بعض رجال الدين، خاصة وأن نساء طبقة البولان عشن عيشة شرقية خالصة، فكان لا يسمح لهن بالخروج إلى الكنيسة إلا مرة واحدة في العام، والبعض كان يسمح لهن بالخروج إلى الحمامات ثلاث مرات في الأسبوع مثلها في ذلك مثل المرأة الشرقية، لذلك، انتقد جاك دي فيترى[2] هذا الأسلوب في الحياة، كما انتقد تعامل طبقة البولاني مع زوجاتهم وفق العادات الشرقية المألوفة في بلاد الشام،

استهجن جاك دي فيترى أسلوب معيشة طبقة البولاني بشكل عام، فقد اتهمهم بالسلبية والكسل وحب الرفاهية والبذخ وارتكاب الرذائل والجبن، ولم يعجبه جنوحهم نحو السلم مع المسلمين واتهمهم بالعديد من الصفات السيئة لأن أسلوب حياتهم كان شديد الشبه بحياة الشرقيين وانسلخوا من هويتهم اللاتينية [3].

المطلب الثالث: العوائد الاحتفالية.

تُشكّل العوائد الاحتفالية مرآة تعكس عمق التفاعل بين الثقافات المختلفة، حيث تتجاوز كونها مجرد طقوس اجتماعية إلى كونها ساحة صامتة للتأثير والتأثر، وفي خضم الحروب الصليبية، وُجد الصليبيون في بيئة شرقية غنية بعاداتها وتقاليدها، مما أثار تساؤلات حول مدى احتفاظهم بهويتهم الاحتفالية في مقابل الانفتاح على العادات المحلية، فإلى أي مدى أثّرت التقاليد الشرقية في طقوسهم الاحتفالية؟ وهل كان هذا التأثير مجرد تكيّف ظرفي أم انعكاسًا لتحولات أعمق في بنيتهم الثقافية؟

---

[9] – زكي نقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1958، ط 1، ص 147؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص366.

[1] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص155–160؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ج1، ص377–378.

[2] – يتحدث الفيتري عن تعامل طبقة البولاني مع زوجاتهم قائلا: "إنهم يشكون ويغيرون على زوجاتهم ويحبسونهم في أماكن كالسجن. ويقومون بحراستهن تحت حماية صارمة دقيقة حتى أن أقرب الناس إليهن من الإخوة والأقارب نادرا ما يأتون لزيارتهن، ولا يُسمح لهن بزيارة الكنائس إلا مرة واحدة في العام. ويذهبن للحمام ثلاث مرات في الأسبوع تحت حراسة صارمة "؛ أُنظر: تاريخ بيت المقدس، ص 106.

[3] – الفيتري، المصدر السابق، ص104–107.

- **الاحتفالات والأعياد:**

تأثر الصليبيون في احتفالاتهم سواء الخاصة بالزواج أو الولادة أو المعمودية أو حتى طقوس الأعياد بالمسيحيين الشرقيين، وقد شاركوا بعضهم البعض في العديد من الاحتفالات، فاعتاد الصليبيون، شأنهم شأن، السكان الشوام بإحياء حفلاتهم بالموسيقى والغناء والراقصات واستخدموا كثيراً من أدوات الطرب المعروفة في بلاد الشام، بيد أن الرجال الصليبيين كانوا يقومون بالرقص مع السيدات، وهذا ما استنكره أهل الشام[1].

ومن الأشياء التي أظهرت لنا مدى تأثر الصليبيين خاصة الأمراء والنبلاء بحفلات الزواج عند الشرقيين ما حدث عند زواج بلدوين الأول ملك بيت المقدس عام507هـ/1113 م، حيث كان في استقباله لعروسه القادمة من أوربا يعكس مدى تأثره بالشرقيين، إذ كان في استقبالها بكل الروعة والجمال التي تستطيع مملكته إظهارها، والأردية الحريرية الفاخرة تكسوه وتكسو بلاطه كله، وكانت خيولهم وبغالهم مزدانة بالأكسية الأرجوانية والذهب، وبُسطت الشوارع بالبسط الفاخرة، ورفرفت الرايات الأرجوانية من النوافذ والشرفات على طول الطريق إلى القدس، فبدت المدن والقرى كما لو كانت في ملابس مبهرجة[2].

وفيما يتعلق بالأعياد سواء عند الصليبيين أو المسيحيين المحليين، فمنها ما هو خاص بالقديسين، حيث كانت كل طائفة لها قديسيها، ومن ثم لم تشارك الطوائف المسيحية بعضها في تلك الاحتفالات الخاصة بالقديسين، أما بالنسبة إلى الأعياد الدينية والقومية فكانت تشترك فيها الطوائف المسيحية المختلفة، وكانت هذه الأعياد منها ما هو ثابت في تاريخه ومنها ما هو متغير، هذا فضلا عن أن العيد الواحد من الممكن أن يختلف توقيته من طائفة مسيحية إلى أخرى[3] .

وتنقسم الأعياد الدينية المسيحية إلى الأعياد **الكبار**[4]، وأشهرها عيد الميلاد وعيد البشارة وعيد الفصح وعيد العنصرة، أما الأعياد **الصغار**[5] فنذكر منها عيد التجلي وعيد الصليب وعيد الأربعين، وكثيراً ما احتفل الصليبيون بأعيادهم وفق عادات المسيحيين الشرقيين حيث كانوا يقومون بجمع الناس للاحتفال بواسطة المقارع

[1] – قاسم عبده قاسم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، ص388.

[2]– رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص132.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص415.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2، صص 415 – 416؛ قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ص 120–121؛ براور، الاستيطان الصليبي، ص 216–218 .

[5] – القلقشندى، المصدر السابق، ص 417 – 420؛ يوحنا فورزبورغ، **وصف الأراضي المقدسة**، تر. سعيد البيشاوى ، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط. 1، عمان، 1997، ص ص 52 – 57.

الخشبية على عادة الشرقيين وليس بواسطة الأجراس[1]، ومن الأعياد التي شاركت فيها جميع الطوائف المسيحية في بلاد الشام هو الاحتفال بعيد النار المقدسة، حيث استقطب الطوائف المسيحية المقربة من الصليبيين كالموارنة،

وخلال فترات السلام والهدوء التي كانت تسود بين بطاركة الطوائف المسيحية الشرقية والبطاركة اللاتين، لا يُستبعد أن تكون هذه الطوائف قد شاركت الصليبيين في الاحتفالات بالأعياد، ويذكر دانيال الراهب في هذا الصدد أن الصليبيين قد سمحوا للرهبان اليونان بالاشتراك في هذه الاحتفالات[2].

حملت الاحتفالات ببعض الأعياد في بداية الاستقرار الصليبي تأثيرات طقسية ذات أصل بيزنطي، كما هو الحال في عيد النار المقدسة، ولكن بمرور الوقت، أصبحت هذه الاحتفالات ذات سمة صليبية صرف، حيث يذكر دانيال الراهب[3] أنه بعد الانتهاء من مراسيم الاحتفال بعيد النار المقدسة الذي حضره في القدس عام500هـ/1106 م، تعود كل طائفة إلى الدير الخاص بها، حيث يقومون بأداء صلاة المساء كل في ديره ومع رهبان طائفته، وكان لعيد رأس السنة الميلادية مكانة مميزة، ويُعتبر من الأعياد الدينية التي تشارك في الاحتفال به كل الطوائف المسيحية معا.

احتفلت مدينة بيت المقدس بالأحداث المهمة للسنة المقدسة التي كانت مألوفة لدى كل العالم المسيحي، وربما كان لهذه الاحتفالات تأثير ووقع كبير على جميع المشاركين الصليبيين والحجاج والمسيحيين الشرقيين على السواء، وفي الغالب، كانت المواكب الاحتفالية تبدأ من منطقة الضريح المقدس، وتنتهي عند الأماكن التقليدية التي شهدت ذكريات الأحداث المقدسة، ولكن هذه المواكب والاحتفالات كان يتخللها بعض أحداث الشغب والمشاحنة، وذلك، لأن الطوائف المسيحية المختلفة لم تمتزج فيما بينها ولم تعرف الانسجام[4] .

استحدث الصليبيون مناسبتين وجعلوا منهما عيدا قوميا، وهما ذكرى الاستيلاء على القدس والذي يوافق الخامس عشر من يوليو كل عام والتي شاركهم في الاحتفال به المسيحيون الشرقيون، والمناسبة الثانية هو احتفالهم بإعادة تجديد كنيسة الضريح المقدس وتكريسها للخدمة، ولم يشارك المسيحيون المحليون في الاحتفال بهذه الذكرى إلا بعد مرور خمسين عاماً من وجود الصليبيين في الأراضي المقدسة[5] .

تأثر الصليبيون بالبيئة والوسط الذي عاشوا فيه، وأُعجبوا بالعادات الشرقية التي اكتسبوها من مخالطتهم للمسيحيين الشرقيين الذين يمثلون والمسلمين ثقافة شرقية واحدة، فأُعجب الصليبيون بالحمامات، وأقبلوا عليها

---

[1] – براور، المرجع السابق، ص 214.

[2] – **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة (1106–1107م)**، تر. سعيد البيشاوى، عمان، 1992، ص130 – 131.

[3] – دانيال الراهب، المصدر السابق، ص130 – 135.

[4] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 92. براور، الاستيطان الصليبي، ص 212.

[5] – يوحنا فورزيورغ، المصدر السابق، ص 114 – 115.

طلباً للراحة والنظافة، متأثرين بطرق النظافة المستخدمة في هذه الحمامات، وأعجبهم نظافة السكان الشوام نساء ورجالا[1].

ولم تكن الحمامات أماكن للنظافة فحسب، بل كانت بمثابة نواد يجتمع فيها المستحمون لتناول المشروبات الساخنة والترفيه في جو شرقي، وإن كثيراً من الصفقات والمشكلات كانت تبرم وتحل في هذه الحمامات[2]، ومن وسائل التسلية والترفيه التي أخذها الصليبيون عن السكان الشوام الصيد والنرد والشطرنج وألعاب الرماية وغيرها، وكان الصليبيون في أوقات فراغهم يمارسون تلك الألعاب مع السكان الشوام خاصة في فترات السلم[3].

- **طقوس المآتم:**

لم تنأى المناسبات الحزينة عن تأثر الصليبيين بها، ومارسوا الكثير من الطقوس السائدة عند المسيحيين المحليين في المآتم والأحزان، ومن ذلك، قرع أجراس الكنائس لمعرفة الناس بوجود حالة وفاة، فضلا عن استئجار الندابات المحترفات اللائي ينثرن على رؤوسهن الحناء ويخدشن خدودهن ويسودن وجوههن بسخام القدور، وفي الحقيقة، تلك كانت من العادات السيئة عند السكان الشوام، وأخذها عنهم الصليبيون، ومن العادات السيئة التي أخذها الصليبيون عن اليونان وأدخلوها إلى بلاد الشام هو كسر إناء خزفي بعد خروج النعش على اعتقاد أن هذا يمنع من أن يلحق بالميت غيره من أهله[4].

أخذ الصليبيون عن السكان الشوام في المآتم عادة إقامة الولائم الخاصة بالموت[5]، لكن اختلف الصليبيون عن المسيحيين المحليين في تعاملهم مع جثث موتاهم حيث كانوا يقومون بتحنيط موتاهم إذا كانوا من عليه القوم، ومن ذلك ما حدث مع الملك بلدوين الأول، فعندما توفى، فتحوا بطنه وأخرجوا أحشاءه ورموها، ثم دُفن بكنيسة القيامة حيث حرص الصليبيون على دفن ملوكهم في الكنائس تمييزاً لهم عن باقي أفراد المجتمع، فضلاً عن اهتمامهم بكتابة المراثي، وعادة ماتكون باللغة اللاتينية على مقابر موتاهم[6].

---

[1] – أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص 140 – 141.

[2] – المصدر نفسه، ص 136 – 137.

[3] – براور، عالم الصليبيين، ص 152؛ أُنظر أيضا: . Emmanuel Guillaume-Rey , Op.cit, p55

[4] – علي السيد، **المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية**، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص 49 – 50.

[5] – أحمد رمضان، **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية**، القاهرة، 1977، ص 210 – 211. ؛ علي السيد، المرجع السابق، ص 50.

[6] – أحمد بن علي الحريري، **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين**، تح. سهيل زكار، دمشق، 1981م، ص75. عبد العزيز عبد الدايم، **إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1971، ص 177.

المبحث الثالث: الواقع العلائقي الديني للمجتمع المسيحي الشرقي.

بدأت العلاقة بين اللاتين والمسيحيين الشرقيين مع البطريرك اللاتيني الأول لبيت المقدس **أرنولف**، الذي عمد بمساعدة جودفرى بتعيين عشرين من رجال الدين اللاتين ليحلوا محل رجال الدين الشرقيين الذين تم طردهم[1]، وعندما تولى **دايمبرت Daimbert** رئيس أساقفة بيزا السدة البطريركية في القدس عام (1099 – 1101 م/ 492–494هـ)، لم يكن أقل عداء من أرنولف للمسيحيين الشرقيين إذ لم تقتصر سياسته على طردهم من كنيسة الضريح المقدس فحسب، بل طردهم من أديرتهم ومنشآتهم في جميع أنحاء القدس، كما رفض السماح للأرثوذكس بإقامة قداسهم في كنيسة الضريح المقدس، ولوث آداب المجتمع التقليدية بإدخاله راهبات للخدمة في الضريح المقدس[2].

غير أن سياسة الصليبيين الدينية أصبحت أكثر لينا بداية من عام 495هـ/ 1101 م، فمع وصول بلدوين الأول إلى منصب ملك بيت المقدس سمح للمسيحيين الشرقيين بالعودة إلى كنيسة الضريح المقدس، ويبدو أن قراره هذا يعود إلى عدائه الشديد للبطريرك دايمبرت من ناحية، وإلى احتياجه للمسيحيين الشرقيين للقيام بأعباء المملكة من ناحية أخرى.

1. علاقة الصليبيين بالهيرارشية المسيحية الشرقية،

- **الروم الملكانيون (الارثوذكس):**

لما تولى أرنولف البطريركية في القدس مرة ثانية (506–512هـ/1112م– 1118م)، وجد أن بلدوين يحرص على إنصاف الوطنيين، فعمل هو الآخر على تحسين علاقة الإكليروس اللاتيني بالمسيحيين المحليين، وعندما أراد بلدوين الأول أن يحتفظ اليونان بمفاتيح كنيسة القبر المقدس، أيده جميع مسيحي الشرق رغم أنه اقتصر في تعيينه لكبار رجال الدين على اللاتين الكاثوليك رغم وجود قساوسة يونان في الكنيسة، ولكن هذا الوضع لقي قبولاً من الأرثوذكس المحليين[3].

---

[1] – سعيد البيشاوي، المرجع السابق، ص 144.

[2] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 134.

[3] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص63؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص205؛ عادل زيتون، **العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى**، ط. 1، دمشق، 198، ص 363.

تكررت محاولة الأباطرة البيزنطيين إعادة البطريرك اليوناني إلى أنطاكية، ولكن محاولتهم هذه سببت كثيراً من المضايقات لطائفة الروم الأرثوذكس في أنطاكية من جانب اللاتين، ووقع كثير من أعمال الشغب التي أثارها اللاتين وراح ضحيتها عدد كبير من هذه الطائفة في أنطاكية، لذلك، قلل الأباطرة من إلحاحهم في طلب عودة البطريرك اليوناني إلى أنطاكية[1] .

من ناحية أخرى كانت البابوية تنظر بعين القلق دائماً لأية مفاوضات تُجرى بين البيزنطيين ونورمان أنطاكية، حيث أصدر البابا أنوسنت الثاني Innocent II (1130 -1143م/524-538هـ) أمراً في 28 مارس 1138م/15 رجب 532هـ، يحظر فيه المنتمين للكنيسة اللاتينية البقاء مع الجيش البيزنطي في حالة تبنيه سياسة عدائية تجاه السلطات اللاتينية في انطاكية[2]، خوفا من التفوق السياسي البيزنطي في شمال بلاد الشام الذي سيرافقه بطبيعة الحال تفوقا مذهبيا أرثوذكسيا فيها[3].

أتيحت الفرصة في عام 561 هـ/1165م لعودة البطريرك اليوناني إلى أنطاكية، حيث اتجه بوهيمند الثالث أمير أنطاكية (1163- 1201م/ 558-597هـ) إلى بيزنطة طالبا المساعدة لاستكمال الفدية المطلوبة منه وتسديدها لنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي مقابل إطلاق سراحه، وهنا اشترط الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين على بوهيمند أن يعود إلى أنطاكية ومعه البطريرك اليوناني مقابل المساعدة المالية المطلوبة، وبالفعل، عاد بوهيمند ومعه أثناسيوس الثاني Athanasius II 1170 -1157م/ 552-566هـ، الذي تولى منصبه وسط استياء شديد من رجال الدين اللاتين، كما غضب البطريرك اللاتيني في أنطاكية إيمري أوف ليموج Aymeri de Limoges(1140 - 1193م/ 535-589هـ)، وفضّل الذهاب إلى منفاه في قلعة القصير بالقدس بعد أن أنزل الحرمان على مدينة أنطاكية، واستمر اليونان يسيطرون على الكنيسة في أنطاكية طوال السنوات الخمس التالية لاعتلاء البطريرك اليوناني البطريركية في أنطاكية، ورغم أن الأساقفة اللاتين استمروا في مناصبهم، لم يشغل اليونان سوى المناصب الشاغرة.

احتج البابا إسكندر الثالث Alexander III 1159-1181م/554-577هـ على هذا العمل، واضطربت الأحوال الداخلية بين اليونان واللاتين طوال فترة بطريركية أثناسيوس إلى أن توفي عام 566هـ/1170م

[1] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 274.

[2] Edouard de muralt, **Essai de Chronographie Byzantine 1057– 1453**, **H.georg libraire–editeur**, Bale, 1871,p 138.

[3] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 274؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج.1، ص480، ج2، ص253؛ أنظر أيضا Maximilian: C.G. Lau, **Emperor John II Komnenos rebuilding new Rome 1118–1143** ,Oxford University Press,U.K,2023,p244,245.

على إثر زلزال ضرب بلاد الشام، ومن ثَم عاد إيمرى مرة أخرى لمنصبه، وانتهت بذلك الفترة القصيرة من الحكم الكنسي اليوناني[1]، ورغم أن القساوسة الأرثوذكس في أنطاكية قد نالوا جزءا من الحرية الدينية في ممارسة شعائرهم وإنشاء بعض الأديرة تحت حكم الأساقفة اللاتين، فإنهم لم يحظوا بأية امتيازات خاصة، فلم يكن هناك مشرعين كنسيين من الأرثوذكس في كاتدرائية أنطاكية، ولم يكن للرهبان الأرثوذكس احترام خاص من قبل الأمراء النورمان[2].

لم يرتق في القدس بطريرك يوناني العرش البطريركي منذ أن دخلها الصليبيون، ولم يكن الاتجاه البيزنطي نحو استقرار بطريرك يوناني في القدس مرتبطا بأية عوامل سياسية كما كان الحال في أنطاكية، لذلك، كان العداء بين طائفة الروم الأرثوذكس واللاتين في القدس أقل حدّة[3]، وربما حظي بعض الأرثوذكس في القدس باحترام الصليبيين نظرا للزيجات التي تمت بينهما، وفى عام 566هـ/1171م، اعترف عموري الأول ملك القدس على نحو مبهم بشيء من السيادة البيزنطية، فسمح لرجال الدين الأرثوذكس بدخول الضريح المقدس تحت الضغط البيزنطي، وخلال الفترات التي شهدت علاقات ودية بين الإمبراطورية البيزنطية ومملكة بيت المقدس، كان الإمبراطور البيزنطي يضطلع بمهمة إصلاح الكنائس والأديرة البيزنطية وترميمها في بيت المقدس[4] .

أما عن السريان الملكانيين الذين يتبعون الكنيسة البيزنطية، فقد ذاقوا الأمرين في فترة الحكم الصليبي حيث جرى عليهم ما جرى على اليونان من اضطهاد، ولم يوجد لهذه الطائفة أي أساقفة في الأسقفيات الكبرى، وإنما استمروا يمارسوا طقوسهم في بعض الكنائس الصغيرة في الريف والمدن وقد احتفظوا ببطريركيتين في دمشق والقدس، وكانوا يقيمون فيها طقوسهم باللغة اليونانية إلى جانب اللغة العربية[5]، واضطر هؤلاء لطاعة الكهنة اللاتين الذين يعيشون في أبرشياتهم طاعة اسمية، وذلك لأن لهم أساقفة يونان يخضعون لهم، وقد استمر هؤلاء السريان موضع شك من قبل الصليبيين خشية أن يتآمروا مع بيزنطة أو المسلمين، ولكنهم لم يعمدوا إلى التخلص منهم لمهارتهم اليدوية والقيام بالأعمال التي أنف الصليبيون القيام بها[6].

---

[1]– ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 177. عادل زيتون، المرجع السابق، ص213؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 428 – 429، و ص445 – 446.

[2]– Hamiltton Bernard , the latin church, p.172.

[3] – براور، الاستيطان الصليبي، ص267؛ Hamiltton Bernard , the latin church, p .179-181.

[4]– Nicolas drocourt, Sebastian koditz,**A Companion to Byzantium and the West**, **900–1204**, Brill , Leiden,2021,p405.

[5] – الفيتري، المصدر السابق، ص111.

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات، ص 331.

- **الكنيسة الأرمينية:**

وفيما يتعلق بالكنيسة الأرمينية واللاتين، فنجد أن العلاقة بين الطرفين لم تختلف كثيراً عن علاقة اللاتين في بلاد الشام بباقي الطوائف المسيحية الشرقية، فقد نظر اللاتين للكنيسة الأرمينية على أنها مهرطقة وضالة، ولكن يبدو أن كراهية اللاتين والأرمن لليونان قد قاربت بين الطرفين في بعض الأحيان، كما أن أمراء الرها الصليبيين أبدوا بعضاً من التسامح إزاء رجال الدين الأرمن في أحيان أخرى، وذلك لتحقيق أهدافهم السياسية، وبمجرد تحقيق تلك الأهداف ينقلبون إلى مضطهدين للأرمن شعبًا ورجالَ دين[1].

نجد بلدوين الثاني كونت الرها يحسن مقابلة نائب الكاثوليكوس الأرميني باسيل الأول عندما زار الرها عام 496هـ/ 1103م ووهبه منحة كبيرة تفيد الكنيسة الأرمينية، ثم نجد الأمير الصليبي نفسه ينقلب على الأسقف الأرميني في الرها عام 501هـ/ 1108م متهما إياه بالخيانة، وأصر على سمل عينيه، ولم يفلت الأسقف من تحت يده إلا بدفع مبلغ ضخم[2]، فكانت الظروف السياسية هي المحدد للسياسة التي ينتهجها الأمراء الصليبيون تجاه الأرمن شعبًا ورجالَ دين.

شجع اللاتين في أنطاكية الكنيسة الأرمينية التي وجدوا فيها غريماً نافعاً ضد الكنيسة البيزنطية، رغم أن رجال الدين اللاتين في البداية حاولوا فرض سيطرتهم على الإكليروس الأرميني، ولكن قُوبل ذلك بكراهية ورفض شديد من جانب رجال الدين الأرمن، وقد شاركهم وأيدهم شعبهم سواء في بلاد الشام أو في أرمينية، وبالتالي، خفت وطأة تدخل رجال الدين اللاتين في أمور الأرمن الدينية والحط من شأنهم، بل إنهم أحسنوا للإكليروس الأرميني، فتركوا لرجال الدين الأرمن كنائسهم وأديرتهم ولم يتدخلوا في شئون عقيدتهم، وإزاء هذا الموقف حضر العديد من أساقفة الأرمن عددا من المجامع الكنسية التي عقدتها الكنيسة اللاتينية في بلاد الشام، وأبدوا استعدادهم لقبول سيادة روما[3].

وكان الأرمن في القدس شأنهم شأن أي طائفة مسيحية شرقية أخرى، فقد تم طردهم من القدس عندما دخلها الصليبيون، وبعد أن عادوا إليها ثانية لم يُسمح لهم بإقامة شعائرهم في كنيسة الضريح المقدس إلا في عام 494هـ/1101م، ولكن خُصص لهم مصلى صغير يقيمون فيه شعائرهم بساحة الضريح مثل باقي الطوائف

---

[1] – علية الجنزوري، المرجع السابق، ص 365.

[2]– Hamiltton Bernard , the latin church, p.202.

[3] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 277؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص371 -372؛ Hamiltton Bernard , the menian hurch , pp. 64-65.

المسيحية الشرقية، وكان من أهم مقدسات الأرمن في القدس كنيسة القديس يعقوب James، st[1] التي أقيمت في القرن السابع الميلادي وأعيد بناؤها بعد حكم الصليبيين حوالي منتصف 6هـ/12م، وكان للأرمن أديرة وكنائس في معظم المناطق التي سكنوها في بلاد الشام، بيد أن رؤساء الأساقفة والأساقفة الأرمن في بلاد الشام ظلوا مجرد مساعدين للبطاركة اللاتين[2] .

- **الكنيسة المارونية:**

وفيما يتعلق بالموارنة فقد وضح منذ بداية الحملات الصليبية أنهم ألقوا بأنفسهم في أحضان الغزاة اللاتين وقدموا لهم الكثير من المساعدات، وبعد استقرار الصليبيين في الشرق، لم يقيموا أية علاقات ودية مع أي طائفة مسيحية شرقية سوى الموارنة الذين أبدوا منذ الوهلة الأولى من اتصالهم بالصليبيين رغبة في ارتباط كنيستهم بكنيسة روما، رغم أن الصليبيين نظروا إليهم في بداية الأمر على أنهم جماعة ضالة منشقة شأنها شأن باقي الطوائف المسيحية الشرقية[3] .

الكنيسة النسطورية:

وفيما يتعلق بطائفة النساطرة فلم يقم بينها وبين اللاتين أية علاقات دينية حيث كان مركز ثقل الكنيسة النسطورية يتركز في الأقاليم الشرقية لبلاد الشام، ولم يكن لهم في القدس سوى مندوب عن الجاثليق النسطوري، ولم توجد هذه الطائفة في الإمارات الصليبية سوى بأعداد قليلة للغاية، بالإضافة إلى عدم إبدائهم أي استعداد للتعاون مع اللاتين، لذلك، عاشوا أقلية معزولة وغير مرغوب فيها داخل الإمارات الصليبية[4].

---

[1] – **كنيسة القديس يعقوب James** :شُيدت سنة 1165م. ويعتقد الأرمن أنها بُنيت فوق مدفن رأس القديس يعقوب الذي أمر الملك الروماني هيرودوس بقطعه بإيعاز من اليهود. وهي على مقربة من جبل صهيون؛ إيسوذورس،**الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة**، مكتبة المحبة، مصر، 2002، ج.1، ص 31.

[2] – السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ص31 – 32؛ Emmanuel Guillaume-Rey , Op.cit,p.86 Hamiltton Bernard , the armenian church p.64

[3] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 279؛ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص199؛ عزيز سوريال عطية ، تاريخ المسيحية الشرقية، ص 493.

[4] – براور، الاستيطان الصليبي، ص276.؛ Hamiltton Bernard , the latin church , pp.209-210

- **الكنيسة اليعقوبية:**

أراد جوسلين الثاني كونت الرها إظهار نفسه بأنه حامي اليعاقبة وبطريركهم، فعرض حمايته على البطريرك، بل سمح له بإقامة مراسيم حفل التنصيب في كنيسة تل باشر اللاتينية، وحضر الحفل جوسلين ورجاله، وعقب انتخاب البطريرك، تم فتح كنائس الرها اليعقوبية مرة أخرى، وقد عمل حنا الثاني (1130- 1137م524/-531هـ) بطريرك اليعاقبة في انسجام تام مع الحكام الصليبيين قاضياً معظم فترات حكمه في مقاطعاتهم حتى توفى في دير بالقرب من أنطاكية عام 531هـ/1137م.

لم يكن بالإمكان دائما أن يحكم اللاتين قبضتهم على مقاليد الأمور بالكنيسة اليعقوبية، حيث كان يتبعها عدد من الأساقفة يعيشون تحت الحكم الإسلامي، وكانوا يفضلون اختيار بطريرك مقبول من السلطات الإسلامية، لذلك، تم اختيار إثناسيوس الثامن بطريركاً لليعاقبة (1136-1166م/530-561هـ)، وقد تم تنصيبه بديار بكر، وذلك بتأثير من الأساقفة الشرقيين الذين يعيشون تحت ولاية المسلمين، وقد أقام حاكم مدينة ديار بكر المسلم حفل كبير للمشاركين في التنصيب لكي يوضح أنه حامي اليعاقبة، وعليه لم يكن البطريرك الجديد صديقاً للصليبيين[1].

اعترض جوسلين الثاني كونت الرها على انتخاب أثناسيوس الثامن بطريركا لليعاقبة، وحاول أن يعين أسقف آخر يمت له بصداقة بدلاً من أثناسيوس، ولكن اليعاقبة لم يقفوا مكتوفي الأيدى أمام تسلط جولسين الثاني وجوره، فوقعت اضطرابات واسعة النطاق، وأخيرا، اضطر اليعاقبة إلى مهادنة جوسلين، وأقنعوا البطريرك اليعقوبي أثناسيوس الثامن أن يحاول التوصل إلى تفاهم معه، وبالفعل، انتهى الأمر بين الطرفين بالصلح[2]، غير أن جوسلين لم يكف عن التدخل في شئون الكنيسة اليعقوبية حيث قام بتعيين باسيليوس بن شومانا أسقفا للرها دون مشاورة البطريرك اليعقوبي، ولم يقتصر الأمر في الرها على التدخل في تعيين رجال الدين اليعاقبة وعزلهم، وإنما قام اللاتين بالاستيلاء على العديد من الكنائس اليعقوبية في الرها وحولوها إلى كنائس لاتينية[3].

- **الكنيسة الجورجية:**

وُجدت ببلاد الشام طوائف مسيحية أخرى تابعة لكنائس مختلفة في بعض المعتقدات والطقوس، وفي ظل الوجود الصليبي، استقلت هذه الطوائف بكنائسها وارتبطت بقوميتها، وكان وجود هذه الطوائف المسيحية داخل

[1] – Hamiltton Bernard , the latin church ,pp 193.

[2] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 228.

[3] – أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 278؛ أنظر أيضا: Hamiltton Bernard ,the latin church ,p.193

المجتمع الصليبي وجودا هامشيا ضعيف الأثر نظراً لقلة عددهم، ومن هؤلاء كان الجورجيون الذين يملكون ديرا واحدا في المملكة الصليبية هو دير الصليب المقدس[1]، ونظراً إلى تهدم هذا الدير أثناء مقاومة المسلمين ودفاعهم عن المدينة ضد الصليبيين أعاد الملك داود الثاني (1089- 1125 م/481-518هـ) ملك جورجيا بناءه كما أرسل هدية إلى الضريح المقدس، وأصبحت ابنته أو أرملة أحد ملوك جورجيا راهبة في القدس، وأنشأت ديرا للراهبات هناك بموافقة البطريرك اللاتيني للقدس آنذاك وهو جبلين (1108- 1112 م/501-505هـ)، ونظرا لأن الجورجيين كانوا يمثلون مملكة مسيحية هي مملكة جورجيا التي تقع في منطقة القوقاز البعيدة، فإنهم تمتعوا بعطف اللاتين وتأييدهم ومعونة بعض الملوك الصليبيين[2].

- **الأديرة الأرثوذكسية:**

ومما تجدر الإشارة إليه أن وضع اليونان الأرثوذكس كان مختلفا في الأديرة عنه في الكنائس، فقد ظلت الأديرة بأيدي الرهبان الأرثوذكس، ويرجع ذلك إلى أنها كانت في أماكن بعيدة ومنعزلة يتعذر بلوغها والتأثير فيها، وقد ظلت الأديرة هي الملجأ والملاذ للرهبان الذين يرغبون في العزلة عن العالم[3]، ويشير جاك دي فيترى[4] إلى هؤلاء الرهبان قائلا: "**كان يوجد في انطاكية جبل الشمال يُدعى التل الأسود يوجد عليه كثير من النساك من كل شعب وأمة وكثير من الأديرة للرهبان اليونان واللاتين**".

استمرت الخلافات المذهبية تشكل عاملا أساسيا في كراهية الصليبيين للروم الأرثوذكس وخاصة العناصر اليونانية من هذه الطائفة، وقد وصلت الكراهية إلى حد جعل اللاتين يحكمون عليهم بأنهم ليسوا مسيحيين وأن قتلهم أمر عديم الأهمية[5]، واستمرت نظرة الصليبيين لهذه الطائفة على أنها ضالة ومهرطقة[6]، وظلت كل طائفة منهما تكيل الاتهامات للأخرى.

---

[1] – **دير الصليب المقدس:** هو أهم الأديرة التي تربط الطائفة الجورجية ببيت المقدس، حيث بني دير جورجي في القرن الخامس الميلادي بجانب الوادي المؤدي إلى القدس. ثم أعيد ترميمه في عهد جستينيان في القرن السادس. وظل هذا الدير في حوزة الجورجيين في العهد الاسلامي؛ أنظر: Minorsky V. , **Studies in Caucasian history**, Taylor s foureign press , London,1953, p130 .

[2] – فتحي سالم اللهيبي، **مملكة جورجيا في العصور الوسطى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الخارجية**، المنهل، ط 1، 2015، ص 106.

[3] – براور، عالم الصليبيين، ص 104.

[4] – تاريخ بيت المقدس، ص 40.

[5] – أودو أوف دويل، **رحلة لويس السابع الى الشرق**، تر. سهيل زكار، ضمن كتاب الحروب الصليبية، دمشق، ط 1، 1984، ج.1، ص 331.

[6] – وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج.4، ص 274.

2. سياسة الكثلكة وأثرها على المجتمع المسيحي الشرقي:

شهد المرحلة الصليبية تفاعلات معقدة بين الكنائس الشرقية والكنيسة اللاتينية، حيث سعت الأخيرة إلى توسيع نفوذها الديني على حساب استقلال الكنائس المحلية، لكن هذه المحاولات لم تلقَ استجابة موحدة، بل تفاوتت ردود الفعل بين التكيف مع السلطة البابوية أو مقاومة محاولات الاستقطاب، فإلى أي مدى أثرت هذه السياسات في هوية الكنائس الشرقية واستقلالها؟ وكيف ساهمت في إعادة تشكيل الخريطة الطائفية للمنطقة؟

- **الكنيسة المارونية و الانفتاح على الكثلكة.**

بدأ التقارب الرسمي الماروني– الكاثوليكي عندما أرسل البطريرك الماروني يوسف الجرجسي في أواخر عام 494هـ/1099م وبداية عام 954هـ/1100م رسله ليهنئ البابا باسكال الثاني Paschal II (1099–1118م/ 493–512هـ) بانتصارات الصليبيين في الشرق، وقد اعتبر البابا أن الغرض من هذه السفارة هو تأكيد ولاء الموارنة له ورغبتهم في الاتحاد، لذلك، أرسل مع الرسل عند عودتهم عصا وتاج وبراءة تثبيت إلى البطريرك[1].

أرادت البابوية في عهد البابا إنوسنت الثاني تأكيد أواصر الصداقة والسيادة الكهنوتية على الطائفة المارونية، فأرسلت رسولا من روما إلى بلاد الشام عام525هـ/ 1131م يحمل رسائل إلى بطريرك الموارنة ورؤسائهم لأجل الدخول في طاعة كنيسة روما والثبات على الإيمان، فكتبوا ذلك بخط يدهم وحدث الشيء نفسه عام 535هـ/ 1140م، ولكن الموارنة اشترطوا لقبول سيادة روما أن يظلوا محافظين على شعائرهم القديمة وتقاليدهم السريانية، وعدم التخلي عن عقيدتهم القائلة بمشيئة واحدة للمسيح، ونجح البطريرك اللاتيني لأنطاكية إيمري أوف ليموج سنة 575هـ/ 1179م، في أن يقنع الموارنة بوجوب الطاعة لبابا روما دون غيره، وبالفعل تم إعلان الاتحاد بين كنيسة روما والكنيسة المارونية في عام 578هـ/ 1182م[2].

بدأ الكهنة الموارنة بعد إعلان الاتحاد مع كنيسة روما يستخدمون الطقوس الكاثوليكية في كنائسهم، وهي بلا شك طقوس غريبة عن ميراث الكنائس الشرقية من جهة تزيين الرأس بالتاج الروماني والتزيين بقطعة من الجلد حول الوسط، كما تردد كثير من أبناء الموارنة على الكنائس اللاتينية والعكس، ولم يقتصر تأثر رجال الدين الموارنة

[1] – هشام ريمون، المرجع السابق، ص 272.

[2] – اسطفان الدويهي، تاريخ الطائفة المارونية، ص356–357؛ محمود الحويري، المرجع السابق، ص90؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص371.؛ Salibi (K), **the maronite church in the middle ages and its union with rome** , in OC, 1958, p. 93

باللاتين عند هذا الحد، بل استعملوا الرتب الكنسية اللاتينية ولبسهوا الخواتم أثناء تأدية الطقوس الدينية التي كانت تُقام باللغة السريانية مع بعض العبارات باللغة العربية، وتأثروا بهم في حمل عصا الرعاية وفي قرع الأجراس النحاسية وليست الخشبية للصّلاة والقُدّاس، ومن ثم أخذت الكنيسة المارونية تتخلى عن طقسها المألوف لتبني الطقس اللاتيني[1]، غير أن الغيُورين من الموارنة قاموا بإنشاء الكنائس والأديرة في مُختلف القُرى بجبل لُبنان[2].

عبّر المؤرخ الفيتري[3]عن اتحاد الموارنة مع الكنيسة اللاتينية قائلاً: **"إن الموارنة كانوا منقطعين عن الكنيسة الغربية ويمارسون طقوسهم المقدسة في عزلة تامة حتى دخلوا في دائرة وإطار كنيسة روما"**، ولكن كانت هناك فئة من الموارنة معارضة للاتحاد مع روما فهي لا تريد إحداث أي نوع من التغيير في طقوسها وشعائرها، وعُرف هؤلاء بالموارنة المحافظين، وقد ظلوا في شدّ وجذب مع كنيسة روما ومع الموارنة المتحدين معها[4].

عمل المعارضون على إعاقة هذا الاتحاد بكل الأشكال، فقاموا بتنصيب بطاركة منافسين بدعم من المقدمين Muqaddms أي زعماء الموارنة المحليين[5]، فقام البابا أنوسنت الثالث (1198- 1216م/594-613هـ) بدعوة البطريرك الماروني إرميا العمشيتي (1199- 1230م/ 595-627هـ) لحضور مجمع اللاتيران الرابع الذي عقد عام 1216م/613هـ، وبالفعل استجاب للدعوة، وبعد انتهاء أعمال المجمع وقبل مغادرة البطريرك الماروني روما تم تحديد عدد من التعليمات تخص المذهب والشعائر والعادات المارونية، ومن ثم يمكن القول أن الطقوس اللاتينية فرضت على الموارنة، فقد أرسل البابا أنوسنت الثالث مع البطريرك الماروني رسولا بابويا ليتأكد من تحول كل أبناء الطائفة المارونية إلى المذهب الكاثوليكي[6].

حاول البابا أنوسنت الثالث تحقيق نوع من الوحدة بين الموارنة المتحدين مع كنيسة روما والمعارضين للاتحاد – أي يقيم اتحاد بين الموارنة ذاتهم – ولكن يبدو أن هذه المحاولات لم تنجح، وعندما وجد اللاتين أن الاتحاد بين الموارنة ذاتهم لم يتم، حاولت السلطات الصليبية الدينية والعلمانية أن تقوي من حزب الاتحاد، ولكن لم يسلم الموارنة من تدخل رجال الدين والعلمانيين اللاتين في تعيين أساقفتهم[7].

---

[1] – الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص123؛ عزيز عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص 493.

[2] – الدّويهي، تاريخ الأزمنة، ص 104.

[3]– الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص123.

[4]– كمال صليبي، منطلق تاريخ لبنان،ص 94،95 ؛احمد حطيط، المرجع السابق،ص 56.

[5] -Salibi, the maronite church , p.95 ; Hamiltton Bernard , the latin church, p.334

[6]– كمال صليبي، منطلق تاريخ لبنان،ص93.

[7]– الفيتري، المصدر السابق، ص 123؛ أسد رستم ، المرجع السابق، ج2، ص 281؛ عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص494؛ محمد مؤنس عوض ، **ملامح تاريخ الموارنة لبنان عصر الصليبيات**، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، دار عين، ط1، 2006، ص177؛ Salibi, op.cit, pp.95-7 ; Hamiltton Bernard, the latin church,p.332

عادت الوحدة إلى الصّفّ الماروني، وتحسّنت العلاقات بالجانب الفرنجي، بعد عودة البطريرك إرميا العمشيتي[1] من مجمع اللّاتران في سنة 612هـ/ 1216م، لكن عهد الوفاق هذا لم يطُل، إذ وقع الخلاف بعد موت أمير جبيل يُوسف وتعيين المقدّم[2] أو الأمير باخوس وصيًّا على خليفته الصّغير السنّ " يُوحنّا" في سنة 630هـ/ 1233م، فلم يُوافق على ذلك موارنة بشرّي بتحريض من يعاقبتها السّريان الأرثوذكس، وكان ذلك في عهد البطريرك "دانيال الشّاماتي"[3] الذي اضطرّ إلى الفرار والاختباء قريبا من دير كفيفان في بلاد البترون، كي لا يتورّط في اتّخاذ موقف من هذا الصّراع يعُود بالضّرر على طائفته المارونية[4].

يتضح مما سبق أن اتحاد الموارنة مع كنيسة روما أدى إلى انقسام داخل الطائفة المارونية ذاتها، ولكن رغم وجود جبهة معارضة للاتحاد، فإن العلاقات مع اللاتين استمرت بشكل جيد طوال فترة الحروب الصليبية، مما سهل على الموارنة الكثير من الأمور كالتوسع في بناء الأديرة الجديدة، فزادت كنائسهم ومدارسهم، وأحسوا بالطمأنينة، وتوفرت لهم سبل الرزق، ووجدوا التأييد والمحبة في كنف اللاتين، فكانوا أقرب طائفة مسيحية شرقية إلى الصليبيين.

- **الكنيسة الأرمينية بين الولاء المذهبي و المصالح السياسية.**

أدت بعض الظروف والأحداث السياسية إلى حدوث نوع من التقارب بين البطاركة الأرمن والبابوية في روما، ولكن لا نستطيع القول بأن هذا التقارب هو تقارب كنسي لأنه استجابة لظروف سياسية، وقد اقتصرت هذه العلاقات على اتصالات الكاثوليكوس الأرميني وحده، في حين، ظل القساوسة والأساقفة الأرمن بعيدين عن هذه العلاقات مع البابوية متمسكين بولائهم لتقاليد الكنيسة الأرمينية المستقلة، وقد أُطلق على هؤلاء اسم عصبة الإكليروس المشرقي[5]، وهَدَفَ هذا التقارب للكاثوليكوس الأرميني من البابوية إلى ضمان مساعدة الغرب

---

[1] – **البطريرك إرميا العمشيتي**: انتخب إرميا العمشيتي بطريركا في سيدة يانوح سنة 605هـ/ 1209م. وقد دشّن العمشيتي عهده بتوقيع الاعتراف والطاعة للكرسي الرسولي بسبب الإشاعات التي راجت حول تزعزع الإيمان الماروني الكاثوليكي. وقد حضر البطريرك مجمع لاتيران الكنسي سنة 612هـ/ 1215م، الذي دعا فيه البابا إنوست الثالث لقيام الحملة الصليبية الخامسة والمتوجهة نحو مصر؛ أُنظر: الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص 205 – 206.

[2] – **المُقدّم**: مصطلح باللغة العربية أُطلق في عهد الإقطاع في جبل لبنان، للدلالة على قائد الجيش وأمره، كما أطلق على من يتولى مقاطعة أو ناحية من قبل الأمير الحاكم مقابل مبلغ معلوم؛ أُنظر: حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 212.

[3]– **دانيال الشاماتي**: الجبيلي الذي هو من بطاركة الموارنة تحت اسم يوحنا وهو الثامن والثمانون على كرسي أنطاكية بعد بطرس الرسول. وكان أول مقر استقر فيه هو دير مار قبريانوس بكفيفان. ثم انتقل إلى دير مار مارون كفرحي وذلك لكثرة الفتن والحروب التي شهدتها الشام ومصر؛ أُنظر: منصور طنوس الخوري، **نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية**، د. د. ن، ص 422.

[4] – عبد الله أبو عبدالله، المرجع السابق، ص 51.

[5] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 88.

اللاتيني للأرمن، والمعروف أنه حتى قبل مجيء الصليبيين إلى الشرق بحوالي عشرين عاما كان الأرمن قد أرسلوا بأحد أساقفتهم لمقابلة البابا جريجوري السابع (1073- 1085م/465-477هـ) لطلب المساعدة ضد البيزنطيين والأتراك السلاجقة[1].

وفى عهد الكاثوليكوس الأرميني جريجوري الثالث (1113-1166م/506-509هـ)، جاء المندوب البابوي الكاردينال البريك إلى أنطاكية لمناقشة بعض المسائل الكنسية، وعندما عقد مجمعاً كنسياً في أنطاكية عام 1139م/533هـ حضره الكاثوليكوس الأرميني وأخوه نرسيس، ثم اتجه الكاثوليكوس بصحبة المندوب البابوي إلى القدس أين شارك في المجمع الكنسي الذي عقد هناك عام 1141م/535هـ، وأبدى الكاثوليكوس الأرميني أثناء انعقاد المجمع احترامه للمذهب الكاثوليكي وسيادة روما، واستغل الكاثوليكوس هذه المناسبة وحصل على إذن بإعادة بناء الكاتدرائية الأرمينية وإلحاق دار ضيافة بها كانت مزيجا بين النمطين الزخارف الأرميني والصليبي[2]،

تبادل كل من الكاثوليكوس الأرميني جريجوري الثالث والبابا لوسيوس الثاني Lucius 1144- 1145م/538-539هـ) السفارات والهدايا، وفي عام 1145م/539هـ أرسل الكاثوليكوس سفارة للبابا ايوجين الثالث Eugenius III (1145 -1153م/ 540-548هـ) للتحكيم بين الأرمن واليونان في بعض الأمور الدينية، كما تبادل أيضاً هذا البابا السفارات والهدايا مع الكاثوليكوس الأرميني جريجوري الثالث، غير أن هذه العلاقات الودية بين البطاركة الأرمن والبابوية لم تكن لتزحزح شعب الكنيسة الأرمينية عن تقاليدهم أو تؤدى بهم إلى الاعتراف بالمذهب الكاثوليكي، ولم يكن لجريجوري الثالث نفسه أية نية في أن يكون تابعاً لكنيسة روما أو الكنيسة البيزنطية[3].

تولى بعد جريجوري الثالث أخوه نرسيس الرابع Nerses IV الملقب بصاحب الطبقة (1166-1173م/561-569هـ)، وسعى نرسيس إلى توسيع دائرة الحوار لتعم كلا من البيزنطيين والسريان والأرمن واللاتين، ولكن محاولاته لم يحالفها النجاح[4]، وبعد وفاته جاء الكاثوليكوس جريجوري الرابع (1173 - 1193م/569-589هـ) لتزداد أواصر الود والتقارب مع الكنيسة الرومانية، فقد أرسل البابا لوسيوس

---

[1] – عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص412؛ أنظر أيضا: Hamiltton Bernard , the armenian church pp. 65-66

[2] – أسد رستم، المرجع السابق، ج.2، ص277 – 278؛ عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص412؛ Oldenbourg, op.cit, p.504 ;

Hamiltton Bernard , the latin church, p.201,p.203

[3]-Hamiltton Bernard ,the latin church,p.204,205

[4] – عن مساعي الكاثوليكوس الأرميني نرسيس الرابع نحو وحدة مع كنيسة روما والتي كانت مقدمة لتتويج الحاكم الأرميني ليو الثاني ملكا من طرف اللاتين؛ أُنظر: أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص 303.

الثالث Lucius III (1181- 1185م/577-581هـ) درعا وخاتماً وعكازا لجريجوري الرابع بعد أن أرسل له جريجوري رسالة يعترف فيها بعقيدة روما[1]، كما أرسل البابا كليمنت الثالث Clement III (1187 - 1191م/ 583-587هـ) في عام 583هـ/1188م رسالة تحض الأرمن على التعاون مع الصليبيين[2].

ارتقى الكاثوليكوس الأرميني جريجوري الخامس (1193- 1194م/589-590هـ) السدة البطريركية في أرمينية، مبديا اعتراضه على سياسة التقارب التي رسمها البطاركة الأرمن السابقون مع كنيسة روما، بيد أن الأوضاع السياسية في تلك الفترة كانت تحتم ضرورة التقارب مع روما بسبب السياسة التي انتهجها الأمير الأرميني ليو الثاني مع كنيسة روما، والتي انتهت بتتويجه ملكاً رسمياً عام 595هـ/ 1199م[3].

عرَّضت سياسة ليو الأرميني الكنيسة الأرمينية لفترة من الشقاق والفرقة، ففي الوقت الذي آزر فيه الأساقفة الأرمن في قليقية ليو الثاني وسياسته، قامت الجماعة المعروفة باسم **أصحاب الغبطة المشرقيين** بانتخاب كاثوليكوس مناهض في تحد صارخ لسياسة الملك ليو الثاني، ولكن في عهد الكاثوليكوس قنسطنطين الأول استأنف الأرمن المفاوضات مع البابوية من أجل الانضمام إلى كنيسة روما، ومنذ ذلك التاريخ بدأ البطاركة الأرمن يعترفون بالمذهب الكاثوليكي الواحد بعد الآخر، ثم تألف حزب من هؤلاءالاتحاديين الأرمن لتحويل الشعب الأرميني إلى المذهب الكاثوليكي[4]،

نشطت البعثات التبشيرية وعلى رأسها البندكتية في إقامة مراكز لها للإسراع في كثلكة الأرمن، ولكن الأرمن الذين تمسكوا بمذهبهم المناهض للخلقيدونية قاموا بانتخاب بطريرك من بينهم، ومن ثم شهدت هذه الحقبة وجود بطريركين أحدهما يمثل فريق الاتحاديين مع روما، والآخر مونوفيزي المذهب ويمثل الفريق المناوئ للاتحاد[5].

- **الكنيسة السريانية اليعقوبية الرافضة للكثلكة.**

---

[1] – قام أيضا الكاثوليكوس جريجورى الرابع بمحاولات للوصول إلى صيغة اتفاق مع الكنيسة البيزنطية. ولكن محاولاته لم تنجح. عن ذلك أنظر: أسد رستم، المرجع السابق، ج 2، ص278؛ عزيز عطية، المرجع السابق، ص412- .413. أنظر: Hamiltton Bernard, the armenia church , p.67-68 .

[2] – Krzysztof Stopka , Armenia Christiana :Armenian Religious Identity and the Churchesof Constantinople and Rome (4th–15th Century) ,1st.ed , Jagiellonian University Press,poland ,2016,p125 ,126

[3] – Krzysztof Stopka ,Op.cit.p125؛ أميرة نافع، المرجع السابق، ص 98.

[4] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 99.

[5] – السيد الباز العرينى، المرجع السابق، ص32؛ عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 413.

لم يسلم اليعاقبة الذين انتشروا في كل المدن الصليبية وقراها من تدخل اللاتين في أمورهم الكنسية، بل تعرضت كنائسهم للسلب والنهب من قبل الأمراء اللاتين، وأجبروا رجال الدين اليعاقبة على الخضوع للبطاركة اللاتين، وأمام هذا الضغط، اضطر الإكليروس اليعقوبي إلى إعلان تبعيته الاسمية للكنيسة اللاتينية في بلاد الشام، وبالتالي، أصبح الأساقفة اليعاقبة مجرد أساقفة مساعدين للبطاركة اللاتين سواء في القدس أو أنطاكية[1].

تدخل البطاركة اللاتين في شئون اليعاقبة بشكل سافر، واعتدوا على بطاركتهم بالسجن والإهانة، ومن ذلك ما حدث في أنطاكية عندما وقع خلاف بين البطريرك اليعقوبي أثناسيوس السابع (1090 – 1129م/483–523هـ) ومطرانه ابن الصابوني، وتدخل برنارد البطريرك اللاتيني في أنطاكية لفض النزاع بين الطرفين، ولكن الأمر انتهى بإهانة أثناسيوس وسجنه على يد برنارد، الأمر الذي أزعج جميع اليعاقبة، بيد أن روجر الأنطاكي أفرج عن أثناسيوس الذي اتجه إلى ديار بكر بعدما أصدر حكما بالحرمان على ابن الصابوني وعلى الكنيسة اليعقوبية بأكملها في الرُها، لأن الأخير كان السبب في تدخل برنارد في النزاع.

أمام هذا الحرمان الذي رشق به البطريرك أثناسيوس الكنيسة اليعقوبية في الرها، أُضطر أهل الرها من اليعاقبة ارتياد كنائس اللاتين وترك كنائسهم، وبلغ الأمر ببعضهم إلى التحول لمذهب كنيسة روما، ومنذ ذلك الوقت، اعتاد أهالي الرها من اليعاقبة تعميد أولادهم في كنائس اللاتين، ولم تنته هذه المشكلات إلا بوفاة أثناسيوس السابع[2] .

وممّا تجدر الإشارة إليه أن البطاركة أو الأسقف اليعقوبي بعد أن حصل على لقب بطريرك، لم يقم في أنطاكية رغم أن مركز البطريركية اليعقوبية هي مدينة أنطاكية، ولكنهم فضلوا الإقامة في الأراضي التي تقع تحت السيادة الإسلامية، حيث كان البطريرك اليعقوبي يتخذ من الأديرة الموجودة في المدن الإسلامية مثل ماردين وديار بكر وحصن زياد مقرا لإقامته، ولكن فيما عدا أوقات الحروب كان البطاركة اليعاقبة يتحركون بحرية بين الأراضي الإسلامية والأراضي الصليبية، ولكنهم لم يقيموا أبدا في أنطاكية طوال العصر الصليبي باستثناء البطريرك أغناطيوس الثاني Ignatius II (1222– 1252م/619–650هـ)[3].

لم يقتصر تدخل الأمراء اللاتين في شؤون اليعاقبة الكنسية على الرها وأنطاكية فحسب، ففي القدس، أيضًا، تدخل البطريرك اللاتيني في شؤونهم الكنسية بشكل سافر، كما أن ملوك بيت المقدس أعطوا أنفسهم الحق

[1] – فرح فرزلي، المرجع السابق، ص560؛ كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص 99 – 114. ؛ براور، الاستيطان الصليبي، ص 275.

[2] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 177– 183؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 66.

[3] – سمير عبده، المسيحيون السوريون، ص 87 – 88.

في تعيين البطاركة والأساقفة من اليعاقبة وعزلهم، ونجد الملك الصليبي عموري الأول يقوم بالتصديق على تعيين بطريرك يعقوبي على غرار ما فعله من قبل الملك الصليبي بلدوين الثالث[1].

سادت علاقات طيبة بعض الأحيان بين بطاركة اليعاقبة والبطاركة اللاتين، وكان كره الفريقين لليونان هو العامل المساعد للقرب بينهما، فبعد عودة البطريرك اليوناني إلى أنطاكية عام 560 هـ/1165م، ارتمت الكنيسة اليعقوبية في أحضان اللاتين[2]، حيث تعتبر فترة تولى ميخائيل السرياني بطريركية اليعاقبة (1166–1199م/ 561–595هـ) أكثر الفترات تقاربا بين الطرفين، ويتجلى ذلك في حديث ميخائيل السرياني نفسه الذي اعتبر فترة حكم الصليبيين بالنسبة لليعاقبة أمراً مقبولاً وأفضل بكثير من فترة السيادة البيزنطية، موضحا أن الصليبيين يعتبرون أبناء المعتقدات الأخرى من المسيحيين والذين يتكلمون لغات مختلفة طالما أنهم يسجدون للصليب فهم مسيحيون دون نقاش أو جدال، وأن اليونان تتجمع فيهم كل الشرور ويضطهدون كل من يختلف معهم في المذهب[3].

يبدو أن صداقة ميخائيل السرياني للصليبيين كانت وراء الانطباع الذي أخذه عنهم، ولكن هذا لم يمنعه من أن يشير في بعض كتاباته إلى حقيقة الخلافات المذهبية بين طائفته والصليبيين وإلى أي مدى أدت هذه الخلافات إلى زيادة التوتر والعداء بين الفريقين[4]، كان ميخائيل السرياني صديقاً للبطريرك اللاتيني في أنطاكية إيمرى أوفليموج Aimery of limoges وقد زاره في القدس عندما كان منعزلاً في قلعة قصير عقب عودة البطريرك اليوناني لأنطاكية عام 560هـ/1165م[5].

انجر عن هذه الصداقة اعتراف اللاتين في القدس بالأساقفة اليعاقبة ومكنوهم من البقاء في أديرتهم وكنائسهم وجعلوهم أساقفة مساعدين لهم، بل سمح اللاتين لليعاقبة في عام 560هـ/ 1165م ببناء كاتدرائية جديدة لهم في أنطاكية، وقد ساعد في **تخصيص الوقف لها الأميرة كونستانسو الأمير الأرميني ثوروس** مما أدخل البهجة على ميخائيل السرياني، وسمح لليعاقبة بترميم ديرهم في القدس وهو دير مريم المجدلية [6]، لقد كانت كراهية ميخائيل

[1] – براور، الاستيطان الصليبي، ص 275.

[2] – يوحنا فورزبورغ، **وصف الأراضي المقدسة في فلسطين**، ص 54؛ عادل زيتون، المرجع السابق، ص 211–212؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 428–429 .Hamiltton Bernard, the latin church, p.؛ 179

[3] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص189–190.

[4] – المصدر نفسه، ص178– 210.

[5] – المصدر نفسه، ص 306

[6] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 95.

السرياني لليونان شديدة، فنجده يرفض دعوة ودية من الإمبراطور البيزنطي عام 564هـ/ 1169 م للحضور إلى القسطنطينية للاشتراك في إحدى المناظرات الدينية التي كان الإمبراطور مانويل شغوفا بها[1]،

استمرت العلاقات الودية بين اللاتين وبطاركة اليعاقبة حتى بعد وفاة ميخائيل السرياني، فنجد في عام 634 هـ/ 1237 م البطريرك اليعقوبي أغناطيوس الثاني (122-1252م/618-694هـ) يشترك في موكب ديني لاتيني ومعه عدد من رجال الدين اليعاقبة أثناء زيارته للقدس، وطلب رسمياً من اللاتين أن عليهم ممارسة سر الاعتراف لدى قسيس يعقوبي في حالة **عدم وجود كاهن اعتراف لاتيني** ما جعل البابوية تحاول أن تتوج هذا التقارب بالاتحاد بين الكنيستين اللاتينية واليعقوبية، فأرسل البابا أنوسنت الرابع (1243-1254م/ 641-652هـ) مبعوثا له في زيارة لماردين حيث يقيم البطريرك اليعقوبي، وتفاوضا على شروط الاتحاد، وكان اغناطيوس على استعداد لقبول صيغة لفظية حول عقيدة وإدارة ذاتية تخضع مباشرة لسيادة روما[2]، ولكن كانت هناك ضغائن بين اليعاقبة في شمال بلاد الشام وأقرانهم في المقاطعات الشرقية والجنوبية الذين أنكروا الاتحاد[3].

لم يتحدث أغناطيوس إلا لطرف واحد من الكنيسة اليعقوبية، وطالما بقي أغناطيوس على قيد الحياة ظل أتباعه على إخلاصهم لروما، ولكن بعد وفاته عام 1252م/650هـ، نشأ خلاف حول من يتولى بعده، وانتصر غريمه ديونيسيوس السابع المعارض للاتين (1252- 1261م/650-659هـ)، وبالتالي، لم يعد هناك سوى شريحة ضئيلة من الكنيسة اليعقوبية في طرابلس هي التي حافظت على الاتحاد، ويبدو أنه لم تتم مفاوضات جادة للاتحاد مع باقي اليعاقبة، ويرجع ذلك غالبا إلى السلطات الصليبية التي كان لديها إحساس بأن بطريرك اليعاقبة الذي يعيش تحت حكم المسلمين لن يكون لديه الحرية لقبول مثل هذا الأمر[4].

خلاصة القول، إنه رغم الجهود التي بذلها الحكام الصليبيون والبابوية لإنجاح مشروع كثلكة الكنيسة اليعقوبية السريانية، فإنها باءت بالفشل بسبب الخلافات المذهبية الجوهرية بين اللاتين واليعاقبة، وعدم وجود مصلحة سياسية قد تسهل طريق الوحدة بين المذهبين مثلما حدث للكنيسة الأرمينية بعد تأسيس المملكة.

---

[1] – ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج 3، ص 384.

[2] – وضع البطريرك اليعقوبي أغناطيوس الثاني أربعة شروط لإتمام الوحدة مع كنيسة روما. هي: أن ينتخب البطريرك اليعقوبي بحرية وفق مذهب اليعاقبة وشرائعهم. ولا تخضع الهيئة الكهنوتية اليعقوبية لأي أسقف لاتيني. وإنما يخضعون لسلطة البابا مباشرة. ولا يحاول الأساقفة اللاتين فرض ضرائب على الأديرة والكنائس اليعقوبية. ولا يطلب من اليعقوبي الذي يتزوج من مسيحية لاتينية أن يتلقى قداس التأكيد؛ أنظر: , Hamiltton Bernard the latin church, pp.352-353.

[3] – أميرة نافع، المرجع السابق، ص 111.

[4] – رانسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 281. أميرة نافع، المرجع السابق، ص 100..

من خلال الاستعراض للواقع الاجتماعي للمسيحيين الشرقيين جزءا من المجتمع الصليبي، نلاحظ أنهم عاشوا في وسط كيان غير متجانس عرقيا كما أنه متنافر لأنه احتوى الغزاة مع تعدد جنسياتهم حيث كان هناك الفرنسيون، والألمان، والإيطاليون والإنجليز والروس، والاسكندينافيون وغيرهم، وفي المقابل، احتوى على السكان الأصليين باختلاف عرقياتهم أيضا، ما أدى إلى تصادم المصالح المختلفة لكل منهما، وفاقم التباين بين العنصرين الاختلاف المذهبي بين الكاثوليك والأرثوذكس وتوتر العلاقات بين الطرفين بسبب نظرية السمو المذهبي ومحاولة إلغاء الآخر عن طريق الكثلكة التي زادت المنقسم تشرذما، وهو ما خلق لنا مجتمعا صليبيا فسيفسائيا مختلف الأهواء، والمشارب السياسية والمذهبية والعرقية وصعب الاحتواء، ليكون أبلغ وصف للكيان الصليبي أنه "مملكة متفجرة" من الداخل.

الفصل الخامس: مظاهر من الحياة الاجتماعية للنصارى تحت الحكم الإسلامي بين سنتي (491 هـ- 690 هـ/ 1098- 1291 م)،

المبحث الأول: الانتشار الديمغرافي للنصارى داخل مناطق النفوذ الإسلامي:

المطلب الأول: نصارى إقليم العراق والجزيرة.

المطلب الثاني: نصارى أرض مصر.

المبحث الثاني: الحرية الدينية للنصارى تحت الحكم الإسلامي:

المطلب الأول : أعياد النصارى: صورة من حرية الممارسات الطقسية.

المطلب الثاني: أحوال الكنائس الشرقية ورجالاتها

المطلب الثالث: استحداث دور العبادة وترميمها.

المبحث الثالث: الدور المجتمعي لنصارى المشرق: النخب الطبية النصرانية نموذجا للتكافل الاجتماعي

المطلب الأول: أطباء العراق والجزيرة.

المطلب الثاني: أطباء مصر والشام.

المبحث الرابع: مشاهدات من تطبيق الحكام لعهد الذمة على النصارى

المطلب الأول: السمات الشرعية: كما يراها الذمي النصراني.

المطلب الثاني: هدم دور العبادة .

الفصل الخامس: مظاهر من الحياة الاجتماعية للنصارى تحت الحكم الإسلاميين بين سنتي 491 هـ– 690 هـ / 1098– 1291 م:

وُجدت ضمن مناطق النفوذ الإسلامي في المشرق طوائف مسيحية شرقية غير تلك التي مرت بنا في المناطق الخاضعة للحكم الصليبي، لأن أمصارا كمصر والعراق والأقاليم الشامية الداخلية بقيت طوال فترة الوجود اللاتيني في المشرق تحت سيطرة القوى الإسلامية أرضا وشعبا، ومن أهم العناصر المكونة لهذه الشعوب المشرقية كان أهل الذمة من النصارى الوطنيين، عنصرًا متجذرًا، جغرافيا وإثنيا، في هذه المناطق، مثل أقباط مصر ونساطرة العراق، ولن تجد لهم تجمعات خارج أوطانهم، إلا في أماكن محدودة كالأراضي المقدسة، وذلك من أجل تمثيل طائفتهم داخل أملاكهم هناك.

إن الطابع الإثني لهذه الطوائف وضعها في قالب المجتمع الشرقي بغض النظر عن الديانة، فهم شعب واحد وعرق واحد اختارت جماعات منهم اعتناق الإسلام بينما بقيت جماعات أخرى على النصرانية أو دين الأجداد والأباء، لذا نجدهم يتشاركون مع المسلمين في أغلب العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية إلا في بعض العادات والممارسات الطقسية التي يتحكم فيها الانتماء الديني أو التي تفرضها مبادئ سياسة الدولة الإسلامية وتنظيمها لوضعية غير المسلم داخل المجتمع الإسلامي.

ومن هذا المنطلق، فضلنا أن نلجأ إلى التركيز في دراستنا للحالة الاجتماعية لنصارى المشرق على المتغير أو الطارئ الذي نجده قد استجد في وضعهم خلال القرنين 6-7هـ/ 12- 13م من أجل تفادي التكرار والإطناب الذي وقعت فيه الدراسات السابقة، فكيف كانت الأوضاع الاجتماعية لنصارى المشرق تحت الحكم الإسلامي في فترة حساسة مثل مرحلة الحروب الصليبية على المشرق؟ هل وصلتهم أي تأثيرات من هذا الوافد الجديد حضاريا أدى إلى تغيير واقعهم الاجتماعي خلال هذه المرحلة؟

المبحث الأول: الانتشار الديمغرافي للنصارى داخل مناطق النفوذ الإسلامي:

يؤكد الباحثون كثافة الوجود النصراني في أرض الخلافة بالعراق و أقاليم مصر، فرغم غياب الذكر الصريح والمفصل لأعدادهم وأحوالهم ضمن المصادر التاريخية المعاصرة لفترة الدراسة فإن التدوين الجغرافي وكتب الديارات والبيع وفّرت لنا مادة لا بأس بها، ساعدتنا على تعقب توزيعهم الديمغرافي في أراضي السيطرة الإسلامية خلال الفترة الصليبية، من خلال تتبع الانتشار الكبير لدُور العبادة النصرانية العامرة والمأهولة، ومن انتشارهم، يمكن استنتاج سياسة الحكام المسلمين مع النصارى المحليين ورصد مدى استقرار أوضاعهم.

1. نصارى إقليم العراق والجزيرة:

كانت بغداد هي الموطن الرئيسي لأهل الذمة، فهي مقر إقامة جاثليق كنيسة المشرق، حيث أقام النصارى في مختلف أحيائها جنبا إلى جنب مع المسلمين، وقُدّر عددهم خلال القرن 5 هـ/ 11 م نحو أربعين أو خمسين ألف نصراني[1]، سكنوا الكرخ ودرب الشاكرية [2]، ومنهم مَن كان يسكن دروب باب المراتب، وسوق الثلاثاء[3]، وقد عاش أكثر النصارى جماعاتٍ حول كنائسهم، حتى سُميت بعض الأماكن بهم مثال ذلك دار الروم الواقعة في الجانب الشرقي من بغداد والتي أخذت تسميتها من أحد الأديرة الملكانية هناك [4]، وكذلك، نجد حي اليعاقبة إلى الجنوب الغربي من بغداد[5].

وضمت داقوق[6] والنهراوان[7] موطنا لمجموعات من أهل الذمة النصارى، فقد كان الجاثليق يعين أسقفا على النهروانات وباداريا[8]، حيث وردت أسماء عدد ممن تولى أسقفية النهروانات وعلى رأسهم الأسقف مار يوحنا الذي شارك في تنصيب الجاثليق إيليا الثاني بن المقلي سنة 504 هـ/1111 م[9].

---

[1] – آدم متز، **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام**، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريد، ط.5، دار الكتاب العربي ، بيروت، د. ت، مج.1، ص 84.

[2] – ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائه السابعة**، المكتبة العربية، د. ط، بغداد، 1932، ص 73؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 195.

[3] – يحي حسن، المرجع السابق، ص 118؛ جان موريس فيبه، المرجع السابق، ص 276.

[4] – ماري بن سليمان، **أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل**، طبعة رومية الكبرى، 1899، ص 140؛ كوركيس عواد، **ديارات بغداد القديمة: القسم الثاني**، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، مطبعة التايمس، 1977، مج3، ص61؛ الحموي ، معجم البلدان، ج 2، ص 511.

[5] – هناك عدد كبير من الأديرة في بغداد بقيت موجودة طيلة الوجود الصليبي مثل، دير درتا غربي بغداد وهو يحاذي باب الشماسية، وبيعة مارتوما، وهي لليعاقبة وتقع في قطيعة الدقيق، ودير درمالس في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار المعزية، ودير سابر قرب بغداد، ودير مارجرجس يقع بقرية المزرفة بينه وبين بغداد أربعة فراسخ (24كم) وهو من منتزهات بغداد لقربه وطيبه، ودير الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد؛ أُنظر: الشابشتي، الديارات، ص 24 – 64. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 509؛ إبن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،ضبطه و صححه محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ص318؛ ابن العبري ، تاريخ الزمان، ص 75؛ ماري بن سليمان، المصدر السابق، ص 111.

[6] – **داقوق**: هي بلدة وسطى هواؤها أصح من هواء بغداد، وفيها نهر يجري في أرض رملية ويصب في دجلة في موسم الفيضانات، وموقعها بين أربيل وبغداد معروفة ولها ذكر في الأخبار والفتوح؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص459؛ لسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص 120-121.

[7] – **النهراوان**: هي ثلاثة نهراوات، الأعلى والأوسط والأسفل. وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط حدها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدة بلاد متوسطة منها، إسكاف وجرجرايا والصافية ودير قنا؛ أُنظر: الحموي ، معجم البلدان، ج 5، ص 324-325.

[8] – **باداريا**: أو طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين من أعمال واسط؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان،ج.1، ص 478؛ ابن خلكان، وفيات،ج 4، ص 132.

كان في تكريت جماعة مهمة من النصارى اليعاقبة[1]، وقد أورد ابن حوقل[2] أن أكثر أهل تكريت من النصارى وأنها تجمع بين سائر فرق النصارى ومطرانها يعقوبي، وفي نهاية القرن 5 هـ/ بداية القرن 12 م، بدأ مطران تكريت يتلقب بلقب مفريان[3]، و يوجد في تكريت عدة أديرة ومنها دير صباعي الواقع شرقي تكريت المطل على دجلة مع دير مار يوحنا للنساطرة، وهو من أكبر الدور وأكثرها قلايات[4] ورهبان، وعلى بابه صومعة تُعرف بصومعة عبدون الراهب بناها رجل ملكاني ونزل بها فصارت تُعرف باسمه[5].

يذكر الدويهي[6] أنّ عدد النصارى في مدينة الموصل وحدها بلغ ثلاثة وأربعين ألفا وخمسمائة نسمة، من طائفتي النساطرة واليعاقبة، لتصبح الموصل مطرانية بعد تحصلها على كرسي لمطران نسطوري[7]، وكثيرا ما كان مطارنتها من المرشحين للوصول إلى الجثلقة أكثر من مرة[8]، وتقلدها من نصارى الموصل خلال القرن 12م و13م كل من : إيليا الثاني بن المقلي (ت525هـ/1131م)، وعبد إيشوع بن المقلي (ت542هـ/1147م) ويابالاها الثاني (ت619هـ/1222م)[9]، وهذا دليل على سير الحياة الدينية لنصارى العراق بشكل طبيعي في مرحلة الحروب الصليبية.

عاش في بُلد[10] أعداد من النصارى وبها أسقفية أيضا [11]، كما تزخر بأديرة كثيرة أشهرها دير باعوث، وهو دير كثير الرهبان يقع على شاطئ دجلة، ودير أبي يوسف وهو دير كبير معمور[12] ودير الكلب[13]، وهذا

---

[9] – ماري بن سليمان، أخبار فطاركة، ص 118؛ الحموي، معجم البلدان، ج.1، ص 316–327.

[1] – المسعودي، مروج الذهب، ج.1، ص 333.

[2] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص 205؛ ماري بن سليمان، أخبار فطاركة، ص 115.

[3] – المفريان، هي الرتبة الثانية في الكنيسة السريانية وصاحبها يأتي مباشرة بعد البطريرك. وله السلطة على الأساقفة في مفريانيته؛ أُنظر: فغالي بولس، **فيوض في الفكر الشرقي**، الرابطة الكتابية، 2009، ص 177.

[4] – **القلاية**: والجمع قلالي وقلايات. هي مباني في الدير يبنيها الرهبان مرتفعة كالمنارة. والفرق بينها وبين الدير أنَّ الدير يجتمعون فيه، والقلاية لا تكون إلا لواحد ينفرد بنفسه. ولا يكون لها باب بل فيه طاقةٌ يتناول منها طعامه وشرابه وما يحتاج إليه. إذن، فهي إحدى الحجرات التي تُبنى حول الدير لتكون مساكن للرهبان. ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج 2، ص 282.

[5] – الشابشتي، الديارات، ص171– 175؛ الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 518–522؛ جان موريس فييه، أحوال النصارى، ص 300.

[6] – المصدر السابق، ص 75.

[7] – ماري بن سليمان، أخبار فطاركة، ص 95–114؛ يحي حسن، المرجع السابق، ص 155.

[8] – حداد بطرس، **كنائس بغداد وديارتها**، شركة الديوان للطباعة، د. ط، بغداد، 1994، ص97.

[9] – يحي حسن، المرجع السابق، ص 56؛ رافائيل بابو إسحاق، **أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية**، مطبعة شفيق بغداد، 1960، ص 38.

[10] – **بلد أو بلط**: هي بليدة معروفة من نواحي دجيل قرب الحظيرة من أعمال بغداد، تقع على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ (42كم). تُعرف بقاياها اليوم بأسكي موصل وهي من المدن القديمة التي ترقى أخبارها إلى أيام الدولة الأشورية؛ أُنظر: الحموي، معجم البلدان، ج.1، ص 481.

دليل على الوجود النصراني الكثيف بها، وعلى عدد من كبار رجال الدين النصارى هم من أهل هذه المدينة منهم الجاثليق أيشوعياب (ت 570 هـ/1175 م)[1].

سكنت طائفة من أهل الذمة في جزيرة ابن عمر التي تقع فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، وتوجد أديرة بنواحيها مما يدل على الاستقرار النصراني فيها، ومنها: دير أبيون ويقع بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين، وهو دير جليل عند النصارى عامر بالرهبان يعتقدون بوجود قبر نوح عليه السلام فيه[2].

يؤكد ابن جبير[3] أنه مرّ نواحي نصيبين ووجد عدة قرى جميع سكانها من النصارى، ومن هذه القرى قرية تُعرف **بتل عقاب** قال عنه: "**قرية كبيرة لها حصن وهي للنصارى المعاهدين الذميين**"، ومنها قرية **الجسر**، قال عنها: "**هي الآن لأناس من المعاهدين وهم فرقة من فرق الروم**"، ويقصد بها طائفة الملكيين، وتُعتبر ماردين مدينة أسقفية تابعة للجثلقة وذلك لكثافة الوجود النصراني بها، كما حافظت منطقة ديار بكر طيلة الفترة الصليبية على تعدد مرافقها الدينية النصرانية[4].

استقر النصارى في المناطق الجنوبية للعراق أيضا، بداية بالبصرة التي استقطبت جماعات كبيرة من النصارى، باعتبارها مقرا لمطران النساطرة، وانتشر فيها عدد من الأديرة المهمة كدير هزقل، وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم، ودير الدهدار الواقع على الطريق الواصل بين واسط والبصرة وهو دير كثير الرهبان يعظّمه النصارى[5].

---

[11] – ماري بن سليمان، أخبار فطاركة، ص 154؛ يحي حسن، المرجع السابق، ص 57.

[12] – الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 497 – 500؛ عمرو بن متى، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبعة رومية الكبرى، 1816، ص 87.

[13] – **دير الكلب**: دير يقع بين الموصل وبلد وسُمي بذلك لأن رهبانه يعالجون من عضة الكلب؛ أُنظر: الشابشتي، الديارات، ص 301؛ الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 530.

[1] – يحي حسن، المرجع السابق، ص 138.

[2] – الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 138- 496.

[3] – الرحلة، ص 186.

[4] – أشهر الأديرة المأهولة في فترة الدراسة والموجودة بديار بكر نذكر: دير أحويشا الموجود في مدينة أسعرت القريبة من أرزن المشهورة بقلعتها الحصينة، وهو دير كبير جدا وفيه أربعمائة راهب وحوله البساتين والكروم، وقد كان بها أسقف نسطوري؛ أُنظر: الشابشتي، الديارات، ص 198؛ الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 497. ماري بن سليمان، المصدر السابق، ص 114- 131- 154.

[5] – ماري بن سليمان، المصدر السابق، ص95–118– 130؛ الحموي، معجم البلدان، ج. 2، ص 509 – 540.

2. نصارى أرض مصر:

عُدّ أقباط مصر في العصر الفاطمي أقلية مقارنة بالمسلمين، لكنّ عددهم قُدّر بحوالي ثلث سكان مصر[1]، ويذكر أبو الصلت الذي زار مصر حوالي سنة 510هـ/1116م أيام وزارة الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي وخلافة الآمر بأحكام الله أنّ سكان أرض مصر أخلاط من الناس مختلفو الأصناف والأجناس من قبط وروم وعرب وأكراد وأحباش وغيرهم من الأصناف إلّا أن جمهورهم قبط [2]، أما الإدريسي الذي زار مصر منتصف القرن 6هـ/ 12 م فقد ذكر أن أكثر أهل قراها قبط نصارى يعاقبة[3].

انتشر النصارى في عدة أقاليم، وعلى رأسها إقليم الصعيد الذي عُرف بأن غالب أهله نصارى وبه قرابة ألف من الكنائس والأديرة[4]، تعددت قرى النصارى الصعايدة، التي يكاد يكون جميع سكانها قبط، فناحية أدرنكة كانت عامرة بالمعاهدين من نصارى القبط[5]، وأما مدينة تنيس التي كان يسكنها نحو خمسين ألف نسمة حوالي منتصف القرن 5هـ/11م فكان أكثر أهلها نصارى ذميين، وتقع معظم كنائسهم في الربض البحرى من المدينة كما كان يسكن مدينة دمياط كثير من النصارى تنتشر مساكنهم على شاطئ البحر[6].

قطن النصارى كبريات مدن مصر كالفسطاط والقاهرة والإسكندرية، وتمركزوا في بعض أحيائها، وتُعتبر الإسكندرية مركزا روحيا جعل كثيرا من سكانها أهل ذمة خاصة وأنها مقر الكنيسة الرسولية لمار مرقس الرسول[7]، ومدينة الفسطاط التي كان نصف سكانها بالقسم الشرقي منها أقباط والنصف الآخر مسلمون، أما القسم الجنوبي فجلّ ساكنيه أقباط[8]، ويصور لنا ابن دقماق وصفا طوبوغرافيا[9] دقيقا لبعض الأحياء التي يقطنها النصارى داخل هذه المدينة، فيقول إن زقاق مسجد القبة بقصر الشمع بالفسطاط سكنه جماعة من أعيان النصارى، وأن درب السلسلة من الفسطاط سكن به جماعة من أكابر القبط[10].

---

[1] – عبد المنعم ماجد، **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**، المكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1953، ج.1، ص 290.

[2] – المقدسي ، المصدر السابق، ص 201–202.

[3] – المصدر السابق، ص 162.

[4] – غرس الدين خليل الظاهري، المصدر السابق، ص 33.

[5] – ابن جبير، الرحلة، ص 36.

[6] – المقدسي، المصدر السابق، ص202؛ كتاب الاستبصار في عجائب الامصار،ص 88.

[7] – بنيامين التطيلي، المصدر السابق، ص 178؛ ابن جبير، المصدر السابق، ص 178 –16.

[8] – سلام محمود، المرجع السابق، ص 198 – 199.

[9] – أُنظر: الملحق رقم 08 يمثل خريطة لمناطق تمركز النصارى في مصر بين القرنين 12 و13 م.

[10] – ابن دقماق، المصدر السابق، ج.4، ص 16.

هاجر كثير من النصارى الأرمن نحو الشام ومصر في الفترة الممتدة من القرن3 هـ/9 م وحتى القرن 5 هـ/11 م بسبب الموقع الجغرافي لمواطنهم في آسيا الصغرى الموجودة على التماس مع الصراع الإسلامي – البيزنطي، وزادت وتيرة هجراتهم مع العصر الفاطمي الثاني وسكنوا بها، وكان عددهم يزيد على الثلاثين ألف[1]، ففى طُرا[2]سكن بعض الأرمن حيث أقطعهم بدر الجمإلى تلك الناحية[3]، كما نزلوا حارة الحسينية ظاهر باب الفتوح من القاهرة، وعمروها بمنازل للسكنى، ونمت تلك الحارة إلى أن صارت أكبر حارات الجند، وكان يسكن بها قرابة سبعة آلاف من الأرمن كما خصص لهم بدر الجمالي بقعة تُعرف بدير البساتين لسكناهم أيضا [4].

أُفردت في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة 531هـ/1136م بعض النواحي مثل سمالوط، وأبوان، وأقلوسنا والبراجيل، ليسكن بها جماعات من الأرمن النصارى الذين رغبوا في الإقامة في مصر والعمل فلاحين، وانظموا للجيش الفاطمي أيضا، والجدير بالذكر أن غالبية الأرمن الذين كانوا يعملون في الجيش الفاطمي ظلوا على النصرانية وموضوعة عنهم الجزية[5].

لم يتغير وضع النصارى وتمركزهم خلال العصر الأيوبي، حيث انتشروا في الكثير من المدن والقرى المصرية، وشكلوا الغالبية في بعضها كالفيوم، وبهنسا، وأسيوط[6] ودرنكة التي كانت من قرى النصارى الصعايدة، وعرف أهلها بحرصهم الشديد في المحافظة على عاداتهم، واشتهروا بالعلم والمعرفة أيضا، وعُرفت منية الأمراء بأن أكثر ساكنيها من الأقباط[7]، ووجد بالقاهرة في العصر الأيوبى كثير من النصارى، يعمل معظمهم في جباية الخراج وفى حرفة الطب[8]، واشتهرت الحارة المعروفة بالحمراء موضعًا لاستقرار طائفة الروم الملكانية [9].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص 159.

[2] – **طُرا:** بضم أوله، قرية في شرقي النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد؛ أُنظر الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 520.

[3] – أبو صالح الأرمني، المصدر السابق، ص 61.

[4] – القلقشندي، المصدر السابق، ج 3، ص 355؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج.2، ص 21.

[5] – ابن واصل، المصدر السابق، ج 2، ص 26؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 163.

[6] – **أسيوط:** مدينة كبيرة عامرة آهلة، جامعة لضروب المحاسن، كثيرة الجنات والبساتين. تقع غربي النيل. ويقول الحموي عنها مدينة جليلة كانت أحد متنزهات أبي الجيوش خمارويه بن أحمد بن طولون. أما درنكة من قرى الصعيد فوق أسيوط؛ أُنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص193؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، اعتنى به أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2016، ص 95.

[7] – **منية الأمراء:** تُعرف أيضا باسم "منية الشيرج". وهي بلدة كبيرة طويلة ذات أسواق بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر قليلا (والفرسخ 5,5كلم)، على طريق القاصد إلى الإسكندرية؛ أُنظر: ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، ص128؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص253.

[8] – علي إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 493.

[9] – يحي بن سعيد الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، تح. عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس– لبنان، 1990، ص 186.

المبحث الثاني: الأحوال الدينية للنصارى تحت الحكم الإسلامي:

1. أعياد النصارى وحرية الممارسات الطقسية.

تُعد فترة القرنين 6 -7 هـ/ 12- 13 م من أفضل العصور بالنسبة إلى النصارى المنضوين تحت راية الحكم الإسلامي في كل من العراق ومصر والشام، فقد تمتعوا بقدر كبير من الاستقرار والتسامح والحرية في ممارسة العبادات والعادات، وأكثر ما وصلنا من معلومات وشواهد تاريخية تدعم هذا الاستقرار النصراني هو ما جادت به المصادر في حديثها عن الأوضاع الاجتماعية خلال العصر الفاطمي الثاني، فورد أنهم احتفلوا بأعيادهم في الشوارع مع المسلمين، حتى أن الفاطميين أعادوا التقليد الذي سنه الإخشيديون قبلهم بالاشتراك في الحفلات الدينية المسيحية[1]، بل أضفوا عليها الصبغة الرسمية، فأصبحت الدولة كلها تحتفل بهذه الأعياد، واتخذت تلك الأعياد طابعا شبه قومي واعتبرها الخلفاء الفاطميون احتفالات رسمية يشارك فيها خاصة الدولة قبل عامتهم.

تعددت الأعياد التي تمّ الاحتفال بها أثناء فترة الدراسة، ومن أشهرها عيد الغطاس[2] الذي كان قد أُلغي على عهد المعز (319-365 هـ/953 -975م) والحاكم (386-411 هـ/ 996– 1021م) بعد أن شرع في حركة الاضطهاد الكبرى التي قام بها، ولما خلفه الظاهر(411-427هـ/1021-1036م)، صرح بإقامة العيد ثانية سنة 415 هـ/ 1024م، وسيستمر الاحتفال به إلى نهاية الخلافة الفاطمية في مصر، وقال المقريزي[3] واصفا الاحتفال: "**نزل أمير المؤمنين، الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم، لقصر جده العزيز بالله لينظر الغطاس ومعه الحرم، ونودي ألا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم البحر في الليل، وأمر الخليفة الظاهر لإعزاز الدين بأن توقد المشاعل والنار في الليل، فكان وقيدا كثيرا، وحضر الرهبان والقساوسة بالصلبان والنيران، فقسسوا هناك طويلا إلى أن غطسوا**".

وكان الملكانيون واليعاقبة يحتفلون معا بهذا العيد، فيخرج الملكانيون من كنيسة القديس ميخائيل، فإذا ما وصلوا إلى ضفة نهر النيل، وعظهم أسقفهم باللغة العربية ثم استنزل نعم الله على الخليفة وأفراد البلاط، ثم كانوا يرجعون إلى كنيستهم على نفس الطقس الذي أتوا به حاملين الشموع والصلبان أين كانوا يختمون صلواتهم[4].

---

[1] – جاك تاجر،المرجع السابق، ص 123.

[2] – يسمى أيضا عيد العماد، يحتفل به الأقباط في 11 طوبة، الموافق 9 يناير، تخليدا لعماد السيد المسيح في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان. ومنهم من يزعم أن مريم اغتسلت فيه من النفاس ؛ متى المسكين، **أعياد الظهور الإلهي**، مكتبة نبع الفكر، مصر، 1975، ص123.

[3] – الخطط المقريزية، ج 2، ص 30.

[4] – يحي بن سعيد الأنطاكي، المصدر السابق، ص 196.

ويروي لنا ابن إياس[1] عن هذا الاحتفال تفاصيل غريبة، فيقول: إن "**البحر كان يمتلئ بالمراكب والزوارق، ويجتمع فيها السواد الأعظم من الخاص والعام والمسلمين والنصارى، فإذا دخل الليل تُزين المراكب والقناديل وتُشعل فيها الشموع، وكذلك على جوانب الشطوط في بر مصر والروضة ،،، وتتجاهر الناس بشرب الخمر، وتجتمع أرباب الملاهي من كل فن، ويخرج الناس في تلك الليلة عن الحد في اللهو والفرجة،،، وكانوا بعد العشاء يغطسون في بحر النيل، النصارى مع المسلمين معا، ويزعمون أن من يغطس في تلك الليلة يؤمن من الضعف في تلك السنة**".

وهناك عيد آخر لا يقل أهمية عن الغطاس ألا وهو عيد النيروز[2] أي رأس السنة القبطية، يعد من المناسبات النصرانية التي أثير حولها لغط كثير من أغلب المؤرخين المسلمين، وذلك استهجانا لطقوس الأقباط في هذه المناسبة حيث كانوا يصبون المياه القذرة على المارين و تقفل فيه الأسواق، ويكاد لا يمر أحد في الشوارع، وفيه توزع النقود على موظفي الدولة ونسائهم وأولادهم، وقد وصف المقريزي[3] لنا عيد نيروز الذي حدث سنة 517هـ/ 1123م، في خلافة الآمر بأحكام وصفا مفصلا.

أما أكثر الأعياد النصرانية شهرة من ناحية الاحتفال الطقسي هو عيد الميلاد[4] الذي أحتفل به في عهد الفاطميين احتفالا عظيما وخصصت فيه مكافآت تمنح للموظفين، وتوزع مختلف الحلويات لأرباب الدولة ،ومن الأعياد التي خصص لها منح مالية أيضا كان عيد العهد[5] حيث يقومون بصك خمسمائة دينار ذهبيا يوزع على جميع أرباب الرسوم، وقد شارك المسلمون في مختلف الأعياد النصرانية بطريقة ما[6].

---

[1] – بدائع الزهور، ج.1، ص 58.

[2] – **عيد النيروز**: أصل الكلمة فارسي ويعني اليوم الجديد وهو أول أيام السنة الفارسية الموافق للحادي وعشرين من شهر مارس أي أول فصل الربيع. انتشر الاحتفال به منذ القديم في المشرق؛ أُنظر: البيروني، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، عناية Eduard Sachau، لايبزيك، 1878م، ص 215-216.

[3] – " ...وصلت الكسوة المختصة به(يقصد الخليفة) من الطراز وثغر الإسكندرية مع ما يبتاع من المذاب المذهبة و الحريري و السوادج، و أطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية و النسائية و العين و الورق و جميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها و أسماء أربابها، وأضاف النوروز البطيخ والرمان، و عراجين الموز و أفراد البسر و أقفاص التمر القوصي و أقفاص السفرجل، وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج و لحم الضأن و لحم البقر من كل لون بكله مع خبز بر مارق، وأحضر الكاتب الدفتر الإثباتات بما جرت العادة به من إطلاق العين و الورق والكسوات على اختلافها في يوم النيروز، وغير ذلك من جميع الأصناف، وهو أربعة ألاف دينار و خمسة عشر ألف درهم فضة." ؛ أنظر: الخطط المقريزية، ج2، ص389

[4] – يصف المقريزي بعض طقوسه فيقول:" أدركنا الميلاد بالقاهرة و مصر و سائر أقاليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالأصباغ المليحة و التماثيل البديعة بأموال لا تحصى، فلا يبقى أحد من الناس أعلاهم و أدناهم حتى يشتري من ذلك لأولاده و أهله، كانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس، و يعلقون منها في الأسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة و الملاحة و يتنافس الناس في المغالاة في أثمانها"؛ أنظر: الخطط المقريزية، ج2، ص 444.

[5] – **عيد العهد** أو خميس العهد وموعده قبل عيد الفصح بثلاثة أيام ويتم فيه جسيد طقس غسل الأرجل من طرف البطريرك للحضور محاكاة لذكرى غسل المسيح لأرجل الحواريين ليعلمهم التواضع وأخذ منهم العهد بأن لا يفترقوا. وكان الأقباط يطلقون عليه خميس العدس أو خميس البيض لأنهم

وبتولي الأيوبيين حكم مصر سنة 569هـ/1173م، أبطلوا جميع هذه العادات على المستوى الرسمي، أما المماليك 648-923هـ/1250-1517م فرغم مواصلتهم حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين إلا أنهم حافظوا على البنية والنسيج الاجتماعي للمجتمع المصري، واحتفلوا جميعا أقباط ومسلمون بالأعياد والمواسم المسيحية باعتبارها أعياداً مصرية وعاش الأقباط المصريون ضمن الإطار العام للحياة المصرية لكنهم أبدوا تحفظا على بعض الأعياد و الطقوس مثل إلغائهم عيد الشهيد لاعتقادهم بتجاوزه حدود اللياقة في طقوسه التي كان منها أن يغمسوا في النيل أصبع قديس فساد في اعتقاد الشعب أن النيل لا يفيض إلا إذا غمس فيه سنويا أصبع هذا القديس، ويؤكد المؤرخون أن فلاحي شبرى كانوا يعتمدون على بيع المشروبات الروحية في أثناء هذا الاحتفال لدفع الضرائب المقررة عليهم[1].

2. أحوال الكنائس الشرقية ورجالاتها

كان لرجال الدين المتزعمين للحياة الدينية في أقاليم العراق والجزيرة والشام الواقعة تحت الحكم الإسلامي علاقات طيبة إلى حد بعيد مع مختلف الدويلات الإسلامية التي تعاقبت على هته المناطق، كما تصدرت بعض المراكز الروحية المشهد في تاريخ الطوائف المسيحية الشرقية خلال القرنين6و7هـ/ 12و13م مثل دير الزعفران في ماردين الذي اتخذته البطريركية كرسيا لها، فشهد نشاطا دينيا واسع النطاق وعقد فيه عدد من المجامع الانتخابية وأهمها ما تم في عهد الإمارة الأرتقية (495-812هـ/1101-1404م)كالمجمع الأول الذي انتخب فيه أغناطيوس مطران لماردين (548هـ/1153م)[2].

شهد دير الزعفران طيلة الحكم الأرتقي عددا من المجامع الدينية التي اتخذت فيها قرارات على درجة كبيرة من الأهمية، و سنت قوانين كنسية عديدة، و أهم تلك المجامع : المجمع الأول سنة 548هـ/1153م الذي عقده يوحنا الرابع مطران ماردين، حيث جدد الآباء خلاله القوانين الرسولية، ووضعوا أربعين قانونا في الأسرار الدينية والوعظ و تعليم السريانية وإنشاء الملاجئ للفقراء والغرباء، والمجمع الثاني الذي عقد بين سنة 562-

---

يأكلون فيه العدس وإخوانهم من المسلمين يأكلون فيه البيض ؛ أثناسيوس المقاري، **الزمن الطقسي بين عيدي النيروز و الصليب**، مطابع النوبار، ط.2، مصر، 2015، ص 60.

[6]- مثل عيد البشارة و عيد أحد الشعانين و الذي اشتهر باسم عيد الزيتونة، و كانوا يخرجون فيه حاملين سعف النخيل و يدورون حول الكنائس ومعهم الورود و أمامهم الكهنة و الشمامسة بملابسهم التقليدية ، كذلك خميس العهد ؛ انظر: ابن الأبار ، **الحلة السيراء**، تح.حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1975م، ص297؛ القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، القاهرة، 1963، ج2، ص436-439؛ المقريزي ،الخطط المقريزية ، ج1، ص263-266.

[1]- جاك تاجر، المرجع السابق، ص 125.

[2]- أفرام برصوم، **نزهة الذهان فى تاريخ دير الزعفران، وفيه لمحة في تاريخ ابرشية ماردين واديارها**، المطبعة السريانية، ماردين، 1917، ص 52-69.

563هـ/1167–1168م برئاسة البطريرك ميخائيل الأول خرجوا منه بـ 29 قانونا، والمجمع الرابع سنة (570هـ/1174م) الذي سن فيه36 قانونا كنسيا[1].

إن هذه الأحوال الطيبة وفرت الآمان للبطاركة السريان فاستمروا يتنقلون بين ماردين و ملطية و سيواس وضواحيها، بينما استقر بعضهم في ماردين مدة لا بأس بها كأثناسيوس الثامن سنة (692هـ/1293م) وقسطنطين في ملطية، و إغناطيوس بن وهيب في ماردين، ما جعل المؤسسات الكنسية خلال العهد الأرتقي تساهم بنصيب وافر في الحركة الثقافية، فأنشأوا المكتبات التي حوت بشكل خاص الكتب المقدسة وكتب الدين والمنطق واللاهوت والفلسفة، و كان بمكتبة الزعفران النصيب الأكبر من الكتب، و قد كانت لهم أنشطة تجارية وثقافية متعددة[2].

تمتعت الطائفة اليعقوبية بحقبة من أزهى حقب تاريخها تحت مظلة الحضارة الإسلامية خاصة في الفترة الممتدة بين نهاية القرن 6هـ/12م و بداية 7هـ/13م وطبقا لشهادة المؤرخ ابن العبري، فان البطاركة اليعاقبة آنذاك كانوا يشرفون على عشرين مطرانية وحوالي مائة أسقفية في أبرشيات مختلفة في سوريا و الأناضول، و بلاد مابين النهرين العليا و بعض مناطق الأخرى المتاخمة، في حين أن راعي الشؤون الكنسية في منطقة تكريت كان يشرف على 18 أبرشية أسقفية في بلاد ما بين النهرين السفلى و فارس وما يليها شرقا[3].

وكان نفوذ الكنيسة اليعقوبية آخذا في الازديادحتى إن العديد من النساطرة قد تحولوا بمحض إرادتهم إلى المذهب اليعقوبي، وبوجه عام كان اليعاقبة لا يميلون إلى العنف، ولم يحتكوا بالكنائس اليونانية أو الكاثوليكية، كما كانوا على علاقات مودة وسلام مع المسلمين، غير أنهم على الصعيد الداخلي للطائفة كان زعماء اليعاقبة يتصارعون على كرسي البطريركية، الأمر الذي أدى إلى الشقاق بين صفوفهم و إلى لجوء البعض إلى الرشوة للحصول على المناصب الدينية.

وفى وزارة بدر الجمالي كثر عدد المهاجرين من الأرمن إلى مصر وسكنوا بها وازداد عددهم ونفوذهم وفي عهده تأسس لهم كنيسة كبيرة بالزهري من القاهرة [4] وتم انتخاب أول بطريرك للأرمن في مصر باسم غريغوريوس الثاني، الذي حظي بمكانة مرموقة عند أمير الجيوش وكان بدر قد استقبله لدى وصوله إلى مصر من بلاد الأرمن

---

[1]–حداد بطرس جاك اسحاق، **المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد**، المجمع العلمي العراقي، توزيع دير أنطونيوس، بغداد، 1988، ص 507.

[2]– إسوذورس، المرجع السابق،ج1،ص 433.

[3]– عزيز سوريال عطية،المرجع السابق، ص 253.

[4]–**مجموع قوانين غبريال بن تريك، البطريرك السبعين (1131–1145)**، تح. أنطونيوس عزيز مينا،مركزالتراث العربي المسيحي،بيروت،1993م،ج1،ص 53،54.

باحترام وتقدير بالغين، كما نجح بدر في أن يوطد أواصر العلاقات بين البطريك الأرمني الذي خلف غريغوريوس الثاني وبين بطريرك الكنيسة المرقسية حيث أعلنا في بيان لهما اتفاق القبط والأرمن والأحباش والنوبيين فيما يتعلق بالعقيدة الأرثوذكسية ، ويحسب لبدر الجمالي أنه نظم أحوال القبط ووحد الجزية بدينار وثلث وربع ، رغم أن البعض أرجع سياسة بدر المتسامحه ازاء رؤساء طوائف أهل الذمة وبخاصة القبط والأرمن خطته الشاملة في إعادة تنظيم دولة الفاطميين بعد أن كادت تعصف بها الاضطرابات والفتن الداخلية [1] .

سار الوزير الأفضل487-515هـ/1094-1121م سيرة أبيه مع القبط الذي عمل على توطيد علاقة الدولة بالكنيسة ورؤساء الطوائف من أهل الذمة، وعندما انتخب الأنبا مقارة الثاني سنة 494هـ/1101م بطركيا للكنيسة القبطية أمر الأفضل باستدعائه إلى دار الوزارة، فخرج البطريرك في موكب حافل ارتفعت فيه الأناجيل والصلبان والشموع الموقدة وأصوات المنشدين ودخان المباخر، فاستقبله الأفضل مهنئا وأكرمه، ثم أمر بمنشور إلى ولاة الأقاليم بالوجه البحري يوصيهم بالبطريرك وإلى والي الاسكندرية بأن يقدم كل التسهيلات للبطريرك الجديد، وأن يتجاوز عن الرسوم التي جرت العادة بتحصيلها في مثل تلك الظروف، لذا ابتهجت قلوب الأقباط جميعا لما أغدقه الوزير الأفضل من الإكرام والمودة لرأس الكنيسة[2].

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله395- 524هـ/1102-1130م ووزارة الأفضل شاهنشاه، حرصت السلطات الحاكمة على احترام رجال الكنيسة، وقام ولاة القاهرة ومصر بحراسة المواكب الدينية التي كانت تطوف شوارع القاهرة والفسطاط بمناسبة تقلد أساقفة مصر لمناصبهم، خشية أن يتعرض لها عامة المسلمين بالأذى فيقع في ذلك ما يشغل القلب[3].

وفي المقابل حرص رؤساء الطوائف من أهل الذمة على توثيق علاقتهم بالسلطات الحاكمة، فيذكر المقريزي[4]، أن البطريرك القبطى ورجال الكنيسة وأعيان النصارى والكتاب منهم، حضروا للتهنئة أثناء الاحتفال بدخول المأمون البطائحي[5] مجلس الوزارة في 9ذي الحجة سنة 515هـ/18فيفري 1122م ، كما كان البطريرك

---

[1]- ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج.2 ، ج 2، ص218،219؛ عبد المنعم ماجد ، المستنصر بالله،ص188،189.

[2]- يوساب، **تاريخ الكنيسة القبطية: تاريخ الآباء البطاركة**، تح. نبيه كامل، صموئيل السرياني، د.د.ن، مصر، 1992م،ص140

[3]-سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ص 225.

[4]- الخطط المقريزية، ج1،ص442.

[5] - **المأمون البطائحي** هو أحد أشهر الوزراء العبيديين في مصر، عُرف بدهائه السياسي وتعصبه للإسماعيلية. تولى الوزارة في خلافة **الآمر بأحكام الله** سنة **515هـ / 1121م**، قام بأعمال كثيرة لعل أبرزها إحياء **دار الحكمة** في القاهرة للعناية بالفكر الشيعي الإسماعيلي، واهتم بالشؤون العمرانية كبناء **مسجد الأقمر** .و تنظيم الفوضى العمرانية بالقاهرة. اتهم بالتآمر على الخلافة فصلب سنة **519هـ / 1125م**؛ أنظر: الذهبي، سير أعلام، ج19، ص553.

القبطى من بين الذين دخلوا على الخليفة الآمر بأحكام الله بقاعة الذهب في قصر الخلافة يوم عيد الأضحى كما قصدوا دار الوزارة لتهنئة الوزير المأمون البطائحي وكان ذلك سنة 515هـ/1121م.

وفى بداية عهد الخليفة الحافظ لدين الله 534–544هـ/1130–1194م أظهر أبو على أحمد بن الأفضل (ت 516هـ/ 1132م) اعتدالا وتسامحا ازاء المسيحيين كما كان صديقا لرجال الكنيسة [1]، غير أن الأمير حسن بن الخليفة الحافظ قبض على الأنبا غبريال الثاني البطريرك السبعون للكنيسة القبطية وسجنه وفرض عليه غرامة مالية كبيرة، ولم يخل سبيله حتى جمع التجار و الكتاب النصارى قيمة الغرامة المقدرة بألف دينار[2] .

غير أن علاقة ميخائيل الخامس (ت،540هـ / 1146م) البطريرك الحادي والسبعين للكنيسة المرقسية بالخليفة الحافظ كانت علاقة طيبة انعكست إيجابا على نشاط حركة تشييد الكنائس والدور التي تضاعف بها عدد الرهبان[3]، وعندما توفي سنة وشغور الكرسي المرقسي رفض الخليفة الحافظ التدخل في الإجراءات الخاصة بانتخاب رأس الكنيسة، رغم محاولة أحد الرهبان الوصول إلى كرسي البطريركية عن طريق السلطة الحاكمة ومنح الحافظ أساقفة الكنيسة وأعيان القبط كل الحرية وجميع التسهيلات لينتخبوا بمحض إرادتهم يوحنا الخامس البطريرك الثاني والسبعين للكنيسة المرقسية[4]، كما رفض التوسط لدى البطريرك لتعيين أحد الكهنة أسقفا على أخميم مقابل بعض المال، وأصدر أمرا إلى ولاة الأمور في الدولة بوجوب احترام سياسة البطريرك في إدارة كنيسته، و أن لا يلزمه أحد بما لا يجوز في شريعته[5].

تعرض البطريرك يوحنا الخامس المرقسي للنكبة مرتين الأولى على عهد الملك العادل بن السلار وزير الخليفة الظافر الذي قبض عليه وزج به في سجن دار الوزارة سنة 547هـ/1152م، جراء رفضه عزل المطران القبطي في الحبشة بناء على التماس تقدم به ملكها إلى الوزير، حيث تمسك يوحنا بقانونه الكنسي الرافض لعزل من أُجمع على توليته رتبة كهنوتية، ولا يصح لديهم استبداله إلا بموته، ليمكث البطريرك في السجن مدة قبل أن يفرج عنه بعد مقتل ابن السلار في 6 محرم سنة 548هـ/3 أفريل1153م[6].

أما نكبته الثانية فكانت بعودته للسجن مرة أخرى في خلافة العاضد لدين الله (555–567هـ / 1160–1171م)، لوشاية من جماعة رهبانية ضده عند الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك الذي أساء إلى البطريرك

---

[1]–ستانلي لين بول ، المرجع السابق،ص145

[2]– ابن المقفع، المصدر السابق، مج3، ج1، ص 28.

[3]–أبو صالح الأرمنى، المصدر السابق ، ص4.

[4]– سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ص 225

[5]– ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج.3 ، ج3،ص33.

[6]– إسكندر السندرس، **تاريخ الكنيسة القبطية**، مطبعة النجمة، مصر،1916، ج2، ص 12

وسجنه، وكتب إلى ولاة الأعمال بفرض ضرائب على كراسي الأساقفة بالوجه البحري، ومن ثم تعرض رجال الكنيسة والأساقفة لقسوة ولاة الأعمال ولم يطلق سراح البطريرك إلا بعد أن مات الملك الصالح طلائع بن رزيك سنة 556هـ/1160م، ليخلفه ابنه الملك العادل رزيك على الوزارة الذي أمر بإخلاء سبيل البطريرك و أتباعه[1]،

ولقد أضيرت الكنيسة إبان فترة الاضطرابات التي عمت مصر بسبب النزاع على الوزارة بين شاور وضرغام سنة 558–562هـ/1164–1167م بسبب أطماع الصليبيين ونور الدين في مصر، كما ساءت حالة الكنيسة بسبب إعادة شيركوه العمل بشروط عهد الذمة إبان وزارته 563–564هـ/1168–1169م، إضافة لما تعرضت له بعض الكنائس والأديرة من حوادث تخريب و سرقة خلال الفوضى السياسية التي ألمت بمصر[2].

لم يتغير وضع الكنيسة مع وصول الأيوبيين للحكم حيث منح الحق لأساقفة الكنيسة وأعيان القبط في نفس العام لاختيار ما يرونه صالحا لرعاية كنيستهم، ولما وقع اختيارهم على الأنبا يؤانس السادس(1189–1216م)ليكون البطريرك الرابع والسبعين لكنيسة الاسكندرية[3]، لم يعترض صلاح الدين ولم يطمع في أمواله الكثيرة التي جمعها من امتهانه التجارة، مما جعله ذا البطريرك ينفق جميع أمواله في اصلاح البيع والكنائس ودفع الجوالي عن فقراء النصارى[4].

رد صلاح الدين عند تحريره بيت المقدس في عام583هـ/1187م، كل كنائس و أديرة الكنيسة القبطية التي سُلب منهم بفعل الصليبيين، من أشهر هذه الأماكن هو "دير السلطان"[5]، كما صرح لأقباط مصر بزيارة كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المسيحية المقدسة بالمدينة، وأعفاهم من الرسوم المفروضة على الزيارة، لأن القبط كانوا من رعاياه[6].

وفي عهد خلفاء صلاح الدين في مصر استمرت العلاقة وطيدة بين الدولة ورؤساء الطوائف الدينية من أهل الذمة، ونعم رجال الكنيسة القبطية بسياسة التسامح الديني، ولم يتدخلوا فى شئونها الداخلية على الرغم من تفشى بيع المناصب الكنسية إلى القسيسين الذين اتصفوا بالجهل والفساد آنذاك، كما أن الملوك الأيوبيين لم يفرضوا على الكنيسة شخصا بعينه دون موافقة جمهور القبط [7] .

---

[1]– سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ج2،ص227.

[2]– ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج3،ج1،ص54–56.

[3]– المقريزي ، السلوك، ج1، ق1، ص183؛ المقريزي ، الخطط المقريزية،ج2،ص496.

[4]– ابن الراهب، المصدر السابق، ص141.

[5]– جرجس فيلوثاوس عوض ، **أملاك القبط في القدس الشريف دير السلطان**،المطبعة الأهلية بالقاهرة، القاهرة, 1924 ،ج1، ص6.

[6]– سلام شافعي محمود، المرجع السابق،ج2، ص 230.

[7]– ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج.3،ج2،ص124.

توفي البطريرك القبطى يوحنا السادس ابن سوروس سنة612هـ/1215م الذي سيعيش الكرسي المرقسي من بعده أزمة حقيقية ستبدأ عندما طلب كاتب الجيوش العادلية أبو الفتوح بن الميقاظ، من السلطان الملك العادل أن يولي على البطريركية صديقه القس داود بن يوحنا المعروف بابن لقلق، فأجابه الملك العادل وكتب له توقيعا بذلك، الأمر الذي لم يعجب النصارى لرفضهم بطريركية ابن لقلق[1]، فاجتمع نصارى مصر برئاسة الأسعد بن صدقة كاتب دار التفاح وصعدوا الأمر للملك الكامل الذي حمل إلى والده معارضة جمهور القبط، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطريركية داود، وأنه لا يجوز عندهم تقدمته إلا باتفاق جمهورهم[2].

بالرغم من تراجع الملك العادل لتعيين ابن لقلق في منصب البطريركية، إلا أن النزاع استمر عشرين عاما بين الجماعات المتعادية المتناحرة على من يختارونه لكرسي البطريركية الأمر الذي أدى إلى خلوه[3]، وقد حاول السلطان العادل وولده الملك الكامل من بعده أن يوفقا بين الفرق المتخاصمة، كما رفض الكامل ما عرضه عليه بعض القبط من أموال ضخمة بلغت ثلاثة آلاف بل عشرة آلاف دينار، لينحاز إلى جانب مرشح إحداها بل أنه عرض على الأطراف المتصارعة تنازل الدولة عن الرسوم التي اعتاد أن يؤديها البطريرك عقب انتخابه على أن يتفقوا، ولكن جهود السلطان الكامل باءت بالفشل [4].

ساءت أحوال الأسقفيات في ظل تلك الحالة التي بات عليها رجال الكنيسة، وخلا أكثرها من الأساقفة وقل عدد الرهبان مع تدهور حالة الأديرة، فلم يكن أمام الدولة في ظل هذه الأوضاع التي لحقت برعيتها من أهل الذمة النصارى إلا رعاية أحوال مؤسساتهم من ديارات و كنائس، فسمحت للنصارى بتجديدها ورخصت لهم حتى بناء كنائس جديدة[5]،كما خففت عليهم القيود الشرعية وتمتع جميع النصارى بالحرية التامة في إقامة شعائرهم، وأعفي الرهبان من دفع الجزية ومنحوا العديد من الامتيازات، كل ذلك مع غيبة راعي البطريركية[6]،

انتهت الأزمة البطريركية القبطية باعتلاء داود بن لقلق سنة 633هـ/ 1236م الكرسي المرقسي، الذي سعى إليها طوال عشرين عاما الماضية، واضطر أساقفة الكنيسة وأعيان القبط قبوله مكرهين، لأنه على حد تعبير

---

[1]– المقريزي ،السلوك ، ج1 ،ص 302 ،303.

[2]– ابن العميد ،أخبار الأيوبيين ، 6،7؛ المقريزي ، السلوك ج1،ق1،ص 184.

[3]– منير شكرى ، المرجع السابق ، ص284، 285.

[4]– أرنولد ، المرجع السابق،ص97.

[5] – يرى ابن القيم أن بناء الكنائس أو ترميمها في بلاد الإسلام غير جائز، خاصة في المدن التي فُتحت عنوة، حيث اعتبر أن تلك الأراضي أصبحت دار الإسلام ولا يجوز إظهار شعائر غير المسلمين فيها. أما في البلاد التي دخلت في الإسلام صلحًا، فيعتمد الحكم على شروط الصلح، فإن سُمح لهم بالإبقاء على كنائسهم جاز ذلك، لكن دون بناء جديد. كما شدد على أن ترميم الكنائس المتهدمة يُعدّ من الإحداث غير المشروع، مستندًا إلى أقوال فقهاء المذاهب المختلفة في منع تجديد أماكن العبادة لغير المسلمين داخل أراضي المسلمين؛ أنظر: أحكام أهل الذمة، ج2، ص 677-705.

[6]– منير شكرى ، المرجع السابق ، ص286.

البعض استعان بالسلطان الزمني، أما بعد سقوط الدولة الأيوبية لم يتدخل الحكام المماليك في انتخاب بطريرك الأقباط، رغم أنه على أيامهم تمتع النصارى باستقرار أوضاعهم، فوصل عدد الكنائس إلى 82 كنيسة في الصعيد و 14 كنيسة في القاهرة و 19 كنيسة في الوجه البحري و بلغت عدد الأديرة نحو 89 ديرا[1].

3. استحداث دور العبادة و ترميمها.

تجلت مظاهر الاستقرار الاجتماعي للطوائف النصرانية من خلال عناية الدولة بدور العبادة النصرانية، وذلك بتسهيل استحداث الكنائس والأديرة والعمل على ترميم القديم منها، وكانت هذه الظاهرة منتشرة في أغلب الأراضي الإسلامية بداية من مركز الخلافة بالعراق ووصولا إلى الأراضي المصرية، ومن أكثر الخلفاء الذين أبدوا انفتاحا على هذا الأمر نجد المستظهر العباسي(486–512 هـ/1091 – 1118م)الذي أوجد جو من التسامح خاصة في ظل ولاية خصي أرمني الأصل هو مجاهد الدين الذي توسط للمفريان ديونيسيوس موسى سنة505هـ/ 1112م في الحصول على إذن من الخليفة لإعادة ترميم كنيسة تكريت المهدمة في رغبة منه لاسترجاع المركز الروحي لطائفة اليعاقبة بعد نزوحهم من المدينة، و لم يبق إلا عدد محدود من النصارى في مكان يعد قلب الجناح الشرقي للكنيسة السريانية الغربية[2].

غدت أديرة إقليم الجزيرة منذ أواسط القرن 6هـ/12م وخاصة تلك المنتشرة في ماردين من أجمل الأديرة بفضل الإصلاحات الكنسية التي قام بها مار يوحنا الذي عينه البطريرك أثناسيوس السادس مطرانا لماردين لما يتمتع به من فضل و لباقة و ذلك سنة 519هـ/1125م حيث انهمك في البحث و مطالعة الكتب الدينية والعلمية و بخاصة الهندسة و ذاع صيته في تحويل مياه العيون والأنهار، و سرعان ما نال الحظوة لدى أمراء المنطقة وحصل على ثروة طائلة أنفقها في الإصلاح الكنسي، فقام ببناء المعاهد الدينية و المكتبات و زودها بالكتب الدينية و اللاهوتية المختلفة و أوقف لها الأوقاف[3].

تحدث أفرام برصوم عن المطران يوحنا بشكل مفصل وذكر أنه لفرط نشاطه وصل عدد القسيسين في ماردين وما يتبعها أكثر من سبعمائة قس، وأن عدد الأديرة التي بناها فاقت خمسة عشر ديرا بستين أسقفا، كما شيد في نواحي ماردين حوالي أربعا و عشرين بيعة صغيرة وأجرى لها أوقافا خاصة بها[4]، وقد رافق هذاإنشاء و إصلاح عمراني واسعة النطاق لعدد كبير من الأديرة منها دير مار أسطفانس شمالي ماردين، دير مار جرجس على جانب

---

[1]– المقريزي ، السلوك ،ج1،ق1،ص252؛ المقريزي ، الخطط، ج2، ص518.

[2]– ميخائيل السرياني، المصدر السابق، ج2، ص457.

[3] – عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص448

[4] – أفرام برصوم، **نزهة الذهان فى تاريخ دير الزعفران، وفيه لمحة في تاريخ ابرشية ماردين واديارها**، المطبعة السريانية، ماردين ، 1917 ، ص 52–69.

سور ماردين، دير مار اليساء النبي في لحف جبل ماردين، دير مار حنانيا قرب ماردين كما تم تشييد ما يزيد على الخمس كنائس و أربع و عشرين بيعة خلال هذه الفترة، و قد أوقفوا لهذه الأديرة و المؤسسات الدينية عددا كبيرا من مرافق الوقف لسد حاجات أهلها و ضيوفها، و أصبحت الأوقاف لهذه المدارس تشمل أراضي واسعة وبساتين و كروم، كما كانت الضرائب و الرسوم تجمع لها[1].

لم يكتفي يوحنا بالإصلاحات العمرانية فحسب بل ساهم في إصلاح قوانين الكنيسة بعد ما لحق بها من إهمال فعقد في ديره مجمعا برئاسة اغناطيوس الثاني مفريان المشرق، حيث قام الآباء بسن أربعين قانونا سنة (548هـ /1153م) و قد ضمن القوانين كلا من ماردين و دارا و الخابور و بعض المواقع المجاورة الأخرى، وقدم لها سبعمائة من القسس و الشمامسة، توفي يوحنا سنة (561هـ/1165م) بعد أن جعل من دير الزعفران القريب من ماردين أهلا لأن يكون كرسي للبطريركية، ما يدل على استقرار أوضاع النصارى على عهد الدولة الأرتقية[2].

إن الجهود التي قام بها يوحنا أهلت ماردين لأن تنتقل من كونها كرسي مطراني إلى أن تصبح كرسي رسولي حيث إقترح بعض رجال الدين على أثناسيوس السابع أن يتخذ ماردين الأرتقية كرسيا لبطريركيته بدلا من أنطاكيا فوافق على ذلك، لكنه توفي في العام التالي، فتم ذلك على يد خليفته ميخائيل الأول الذي انتقل إلى ماردين حيث احتفل بجلوسه على الكرسي البطريركي، و خطب ابن الصليبي العلامة خطبة بليغة بالسريانية و كان ذلك يوما مشهودا من أهم الأيام التاريخية التي شهدتها المنظمات الكنسية في المنطقة[3].

عُمِرت أثناء وزارة بدر الجمالي كثير من الكنائس في مصر على يد الأساقفة ورجال الدين الأقباط [4]، هذا فضلا عن قيام بعض كبار رجال الدولة من الأقباط بترميم وتجديد عددا آخرا من الكنائس فابن الأبح كاتب سر الخليفة المستنصر(427-487هـ/1035-1094م) جدد كنيستى أبي سرجة ويوحنا بالفسطاط[5]، كما قام الرشيد أبي ذكرى قس كنيسة السيدة العذراء بحارة الروم من القاهرة بترميم وتجديد هذه الكنيسة سنة 479هـ / 1086م واشترك معه في عمارتها الشيخ أبو الخير المعروف بسيبويه الكاتب، فأنشأ لها منبرا من الرخام بلغت نفقاته ثلاثمائة دينار[6].

[1] – حسن الخطاف، المرجع السابق، ص 495.

[2]– برصوم، المصدر السابق ،ص69،70.

[3] – نفسه.

[4]– ابن المقفع ، نفس المصدر ، مج 2،ج3،ص211

[5]–اريس حبيب ، المرجع السابق،ج2،ص146

[6]– سلام الشافعي، المرجع السابق،ص 237؛ رؤوف حبيب ، المرجع السابق،ص 96

ومع هذا فإن مؤرخ كنائس وأديرة مصر يذكر أن الشيخ أبا الفضل المعروف بابن الأسقف متولي ديوان المجلس بذل الأموال في تعمير الكنائس وعلى الأخص كنيسة مار جرجس بالفسطاط، حيث كان دائم التردد عليها للصلاة ، كما تمت في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله، عمليات ترميم وتعمير لكثير من الكنائس على أيدى كبار موظفي الدولة من النصارى وأعيان القبط ورجال الدين المسيحي [1].

ولم تتوقف عمليات ترميم وتجديد وانشاء الكنائس في عهد الخليفة الحافظ لدين الله وإنما زادت حركة إنشاء الكنائس وتجديدها اثناء وزارة بهرام الأرميني النصراني، حيث تربع النصارى على قمة الوظائف الكبرى فى الدولة، وزادت هجرة النصارى الأرمن إلى مصر، ويقال أنهم أكثروا من بناء الكنائس والديارات، فصار كل رئيس منهم يبني كنيسة بجوار داره، وزادت أعداد الكنائس حتى بلغت من الكثرة درجة اقلقت بال المسلمين، وجعلتهم يخشون منهم أن يغيروا ملة الإسلام ويغلبوا على البلادفيردوها دار كفر[2].

وعلى عهد الوزير رضوان بن ولخشي (531 - 533 هـ / 1136 - 1138 م)واصل النصارى ترميم كنائسهم وتعميرها، بل إن الوزير رضوان نظر في التماس تقدم به أسقف يدعى ميخائيل كان قد اهتم بترميم وتعمير كنيسة منية زفتى، مما أغضب المسلمين الذين استولوا على الكنيسة وحولوها إلى جامع، ولما أوضح الأسقف لرضوان في شكواه أنها بيعة قديمة رد له رضوان الكنيسة، ووقع له بخطه بعمارتها وإعادتها إلى ما كانت عليه من حدودها ففعل ثم فتحت للعبادة[3].

عرف الخليفة الحافظ بعنايته بدور العبادة النصرانية فحظيت كنيسة المرتوتي الشهيرة بعطف الخليفة الحافظ ، وأعيد بناء أخرى مثل كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة التي لم يبخل في تعميرها وزخرفتها كبار الأعيان النصارى، كما ظهرت أسماء نصرانية استماتت في الحفاظ على المنشآت الدينية النصرانية مثل المعلم زوين الضامن والشيخ أبو ذكرى ابن أبي نصر متولي خراج الأشمونين الذي جدد كنيسة أبي السيفين بالفيوم[4].

اهتم النصارى في زمن خلافة الفائز بنصر الله (ت 555هـ /1159م) ووزارة الصالح طلائع بن رزيك (ت 556هـ/1160م) بتجديد وتعمير وترميم كنائسهم التي شهدت كثرة المترددين عليها لإقامة الصلوات والطقوس الدينية، حيث برزت شخصية الشيخ المكين أبو البركات بن كتامة الكاتب النصراني الذي استحدث في القاهرة كنيسة مار جرجس وجدد كنيسة مارمينا، وبالجيزة رمم كنيسة الأربعة حيوانات غير المتجسدين، كما أن

---

[1]- ابو صالح الأرمنى ، المصدر السابق، ص 44،41،65

[2]- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص159؛ ابن ميسّر،**أخبار مصر** ،تص.هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1919،ج2،ص78،79

[3]-إيسوذورس، المرجع السابق، ص331.

[4]-أبو صالح الأرمني، المصدر السابق،ص49؛اريس حبيب ، المرجع السابق ، ج 3، ص145

خاصة الدولة أبا الفضائل المعروف بابن دخان الكاتب النصراني في وزارة طلائع بن رزيك قام ببناء كنيسة أبو يحنس بالفسطاط، ولم يختلف الوضع أيضا على خلافة العاضد بالله فقد عكف النصارى على ترميم وتعمير كنائسهم وبخاصة تلك التي أصابها حريق مصر في صفر 564هـ/نوفمبر 1168م[1].

بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر واستقرار الأمر لصلاح الدين الأيوبي نلاحظ أستمرار سياسة التسامح مع النصارى، فيذكر ابن جبير[2] الذي زار مصر وقتها وارتحل بين العديد من مدن وقرى مصر مثل أخميم التي قال عنها: "**بهذه المدينة المذكورة ،، كنائس معمورة إلى الآن بالمعاهدين من نصارى القبط**"، ويوافقه أبو ويقال أن مدينة أخميم يغلب عليها العنصر القبطي وبها سبعون كنيسة وذلك خلال منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مما يعد دليلا لا يقبل الشك على تمتع النصارى بإقامة شعائرهم الدينية في عصر صلاح الدين في حرية تامة ويؤكد ساويرس ابن المقفع المعاصر للأحداث أن النصارى في عهد صلاح الدين قاموا ببناء ما كان هدم ورمموا ما كان تشعث، وعادت الأمور إلى أوفى ما كانت عليه من السلامة[3].

شهدت الفترة الممتدة بين عامي 570-575هـ/ 1174-1179م على عهد صلاح الدين أكبر حركة تعمير وترميم للكنائس، حيث أبدى قدرا كبيرا من التسامح إزاء بناء الكنائس ودور العبادة المسيحية، أورد أبو صلاح[4] أسماء شخصيات مرموقة من أعيان القبط وكبار الموظفين، الذين لعبوا دورا وجهدا في تعمير الكنائس منفقين أموالا طائلة لهذا الغرض، ومن هؤلاء أمين الدولة ابن المصوف أحد كتاب الإدارة المالية من النصارى في عهد صلاح الدين، الذي بذل من أمواله الشيء الكثير في تجديد بعض كنائس الفسطاط، والشيخ شرف الرئاسة سعيد بن هيلان الكاتب الذي أسهم في تجديد كنيسة أبي السيفين بالفسطاط لتصبح من أجمل العمائر الدينية القبطية[5].

كما برز أبو الفتح بن الأقمص المعروف بالحوفيالمصور القبطي اللامع الذي زين كنيسة الزهري التي كانت للأرمن وأصبحت للأقباط، والفضل بن فروج أحد الأعيان النصارى الذي اهتم بعمارة وترميم عدد من الكنائس وتزيينها حتى لقد جعل كنيسة مار جرجس بقصر الروم من الفسطاط رائعة البنيان، كما اهتم الشيخ الأسات بن ميخائيل بسارة كنيسة المزهرى، التي كانت للأرمن ثم صارت للأقباط بموجب مرسوم من صلاح الدين[6]، وكان

---

[1]- مجموع قوانين غابريال بن تريك، ص34.

[2]- ابن جبير، المصدر السابق، ص36

[3]- ابن المقفع ، المصدر السابق، مج3،ج2،ص98

[4]- المصدر السابق،ص50

[5]- مصطفى عبد الله شيحة،**دراسات فى العمارة والفنون القبطية** ،وزارة الثقافة، هيئة الاثار المصرية، القاهرة، 1988،ص.99.

[6]- اريس حبيب ، المرجع السابق،ص236؛ ابن المقفع، المصدر السابق ، مج3،ج1،ص53.

يتعهدهم ويتفقدهم وشاركه أعيان القبط فقطعوا لكنيسة مارمينا الأواني الفضية الثمينة اللازمة للطقوس الدينية، وضموا إليها بستانا، كما جدد الشيخ السديد أبا الفضائل المعروف بابن ستمائة الكاتب على عهد صلاح الدين كنيسة الملاك ميخائيل [1] .

وفي الأقاليم نشط النصارى في تعمير وترميم كنائسهم بموجب التواقيع والكتب التي منحها صلاح الدين للنصارى و إلى ولايات الأعمال بترميم بيعهم وما تداعى من كنائسهم فجدد الشيخ عز الكفاة من أعيان القبط كنيسة الشهيدين بطرس وبولس خارج مدينة قوص وفتحها لإقامة صلواتهم[2]، كما اهتم صلاح الدين بحرية إقامة الشعائر الدينية في جميع دور العبادة المسيحية، فعندما ضيق القاضي شهاب الدين الطوسي على النصارى وأغلق لهم كنيستين بالقاهرة، رفع النصارى الأمر إلى الملك العادل أبو بكر أخو صلاح الدين الذي أمر بفتحهما للصلاة في رمضان سنة 582هـ/ نوفمبر1186م[3].

تتجلى سياسة صلاح الدين إزاء الكنائس في بلاد الشام في أعظم مظاهرها عند فتح القدس سنة 582هـ /1189م فمع انه رد المساجد التي حولها الصليبيون كنائس إلى المسلمين وأزال ما بها من آثار نصرانية وأنشأ الخانقاه الصلاحية[4] في جانب من منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة ، وحول كنيسة القديسة حنة إلى مدرسة للفقهاء الشافعية، ونزل بدار القس المجاورة لكنيسة القيامة، إلا أنه لم يأخذ هو أو رجاله شيئا من محتويات وذخائر كنائس القدس ولم يمس كنيسة القيامة بأية أضرار، وعندما أغلقها لمدة ثلاثة أيام كان ذلك بدافع المحافظة عليها وعلى ما بقى من ذخائرها ريثما ينتهى القتال ثم أمر بفتحها ليتعبد النصارى فيها بحرية تامة [5].

انتهج خلفاء صلاح الدين سياسة سلفهم المتسامحة إزاء الكنائس، ولم نجد فى المصادر التاريخية إسلامية كانت أو نصرانية أية قيود فرضت على الكنائس المسيحية أو الإساءة إليها، كما أنهم سمحوا للنصارى بتعمير وتجديد كنائسهم ففي عهد العزيز عثمان بن صلاح الدين جدد الشيخ أبو سعيد بن أندونه، الذي كان أحد كتاب الإدارة المالية في سنة 590هـ/1294م، ما تهدم من كنيسة الملاك غبريال بالفسطاط واشترى الساحة التي

---

[1]–ابو صالح الأرمني ، المصدر السابق،ص48.

[2]–ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج،ج2،ص98.

[3]–ابو صالح الأرمني ، نفس المصدر، ص8،9.

[4] – **الخانقاة:** كلمة فارسية معناها البيت، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك . والخوانق حصلت في الإسلام في حدود سنة 400هـ وجعلت ليختلي الصوفية فيها للعبادة فهي الصورة الأولى للزوايا، وتعتبر الخانقاه الصلاحية من أشهرها فإلى جانب أنه أنشأها لتكون مكانا للمتصوفة الوافدين ، جعل منها أيضا منزلا ومستقرا لطلبة العلم ؛ أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص 53.

[5]– ابن واصل، المصدر السابق ،ج2، ص408،407.

أمامها وفتح الطريق الموصل إليها، واحتفل بافتتاحها الأساقفة وعوام الأقباط وكثر المترددين عليها من النصارى للصلاة [1].

أما في عهد السلطان الملك الكامل فقد أشادت جميع المصادر والمراجع النصرانية بسياسته إزاء أهل الذمة ودورهم، اذ تمتع المسيحيون بالحرية الدينية التامة في إقامة شعائرهم، كما سمح لهم بإعادة بناء كنائسهم، بل سمح لهم ببناء كنائس جديدة، حتى في الوقت الذي شغر فيه كرسي البطريركية، وشجع النصارى على أن يتفقوا على اختيار بطريرك لهم حتى يعينوا أساقفة وقسسا لرعاية كنائسهم، وحرس الملك الكامل على أن لا يضايق النصارى أحد في كنائسهم ودور عبادتهم، وبالغ في ذلك حتى أنه رفض تعمير مسجد بجوار كنيسة المعلقة بمدينة الفسطاط بناء على رجاء طبيبه ابو شاكر[2]، وإذا كانت كنائس النصارى الواقعة في الربض البحري في مدينة تنيس قد هدمت سنة 624هـ/ 1227م، فقد كان التدمير شاملا للمدينة كلها حتى لا تقع في أيدي الصليبيين الذين أكثروا من غاراتهم عليها[3].

كذلك شمل السلطان الملك الصالح أيوب كنائس النصارى بالعطف والرعاية ولم يفرض عليها أية قيود، واذا كان قد هدم كنيسة لليعاقبة من النصارى بجوار المقياس وادخلها في قلعته[4]، فقد هدم أيضا ثلاثة وثلاثون مسجدا، وكثيرا من الدور والقصور حتى يقيم عمائره في جزيرة الروضة[5].

[1]– ابو صالح الأرمني، المصدر السابق ،ص 36،37

[2] –سلام الشافعي محمود، المرجع السابق،ص 186.

[3]– زبيدة عطا ، المرجع السابق ، ص209

[4]– ابن العميد ، أخبار الأيوبيين،ص159 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج.1، ق.3،ص341

[5]– المقريزي ، الخطط المقريزية ،ج.2، ص183

المبحث الثالث: الدور المجتمعي لنصارى المشرق: النخب الطبية النصرانية أنموذجا.

لا جرم أن الأطباء كانوا من أرقى موظفي الدولة في فترة الدراسة وكثير منهم نصارى أخلصوا للسلطة و المجتمع الإسلامي الذي ينتمون إليه، فجسدوا أرقى أنواع التكافل الاجتماعي أو الخدمة المجتمعية ومايؤكد ذلك، مظاهر الاحترام و التكريم التي حضوا بها، بالإضافةإلى المرتبات و الهبات المجزية التي حصلوا عليها، حيث تفنن الأطباء النصارى في تطبيب الخاصة من الأمراء والسلاطين و الملوك وكبار رجال الدولة من بغداد إلى القاهرة، فاختصوا بخدمتهم و ساروا معهم حتى في غزواتهم، كما لم يبخلوا بعلمهم على العامة في البيمارستاناتفكسبوا محبة وتقدير الناس من مختلف الطبقات و الفئات[1].

1. أطباء العراق و الجزيرة

اختص أهل الذمة من النصارى بدراسة الطب و امتهانه حتى ارتبطت هذه الحرفة باسمهم في المشرق الإسلامي حيث نلاحظ عددا كبيرا من الأطباء الواردة أسماؤهم بين ثنايا المصادر التاريخية خلال فترة الدراسة هم على الملة النصرانية خاصة مع تقربهم لأعيان الدولة و تفضيل هؤلاء لهم لما لمسوه من خبرة وإتقان حتى أنهم في كثير من الأحيان توارثوا الحرفة فاشتهرت عائلات نصرانية امتهنت الطب و برعت فيه.

اشتهر من نصارى العراق و الجزيرة مجموعة من الأطباء منهم الطبيب يحي بن عيسى بن علي بن جزلة (493هـ/1100م) كان نصرانيا ثم أسلم، درس الطب على نصارى الكرخ، و كان مع اشتغاله بذلك يعالج أهل ملته و سائر معارفه بغير أجرة ويحمل لهم الأدوية دون مقابل[2]، ألف ابن جزلة العديد من الكتب، منها كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من العقاقير، الذي وصفه ابن العبري[3] بقوله:" **كتاب المنهاج الشهير الذي تداوله أيدي أطباء عصرنا، ينطوي على الأدوية و الأغذية البسيطة و المركبة**".

اشتهر زمن الخليفة المستظهر بالله (487هـ-512هـ/1094-1118م) طبيبان نصرانيان أما الأول فهو الطبيب الراهب القس أبو الفرج سعيد بن إبراهيم الواسطي 526هـ/1132م، حظي بمنزلة رفيعة لدى المستظهر لدرجة أن الخليفة أسقط الغيار عن أهل الذمة عام 498هـ/1105م إكراما له وكان ذا مكانة داخل طائفته، لعب هذا الطبيب دورا بارزا في توليه الجاثليق مكيخا الأول (485-502هـ/1092-1109م) و اهتم بتفقد أحوال العامة منهم ويدفع الجزية عن أيتامهم و ضعفائهم[4].

---

[1]- ابن أبي اصيبعة ، نفس المصدر، ص 568-589 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج.2، ص 186

[2]- ابن الجوزي ،المنتظم، ج17، ص 61؛ القفطي ، **تاريخ الحكماء مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، لبسيك، 1903م، ص365، 366.

[3]- تاريخ الزمان، ص 125؛ لويس شيخو، علماء النصرانية، ص 62.

[4]- ماري بن سليمان، المصدر السابق، ص 144؛ عمرو بن متى ، المصدر السابق، ص 102. 144.145.

أما الثاني فهو الحكيم معتمد الملك أبو الفرج يحي بن صاعد بن يحي بن التلميذ (512هـ/1118م)، كان متقنا لصناعة الطب وممن يستشار برأيهم، ومن نسله نجد الطبيب أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ (560هـ/1165م)، الذي سافر إلى بلاد العجم و بقي بها فترة[1] قبل أن يعود إلى بغداد و قد ارتفعت منزلته في الطب حتى أصبح ساعور[2] البيمارستان العضدي، وفوض إليه الخليفة المستنجد بالله(555-566هـ/1160-1170م) رئاسة الطب ببغداد، فكان يمنح إجازة ممارسة الطب للأطباء إلى حين وفاته وقد تجاوز التسعين[3]، لابن التلميذ صفات حميدة و مواقف جليلة مع أهل بغداد، منها إحسانه مع مختلف طوائف مجتمعه فقد كانت داره قريبة من المدرسة النظامية فكلما مرض أحد فقهائها عالجه مجانا ووهبه دينارين[4]،

عرف عن ابن التلميذ ترفعه عن مكائد السلطة، رغم قربه من الخلفاء وذوي السلطان.

ومن الأطباء النصارى خلال القرن 6هـ/12م أيضا نذكر أبو الغنائم سعيد بن هبة الله بن علي، من أطباء بغداد المشهورين زمن الخليفة المقتفي لأمر الله (530-555هـ/1136-1160م)، تقلد منصب ساعور البيمارستان العضدي[5]، وأبو غالب بن صفية، الذي خدم المستنجد بالله وكان سببا في وفاته[6]، لكن نهايته كانت على يد الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1180م) الذي انتقم لمقتل والده المستنجد[7].

خدم عند الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م) أخوين نصرانيين الأول أبو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني (591هـ/1195م) أصله من الحظيرة، و نزل بغداد، خدم و تقرب من الخليفة، و كسب أموالا ووجاهة، أما أخوه أبو الخير ماري هبة الله عبد البقاء بن إبراهيم المؤول (608هـ/1212

---

[1]- ابن أيبك، **الوافي بالوفيات**، طبعة فرانز شتاينر، ألمانيا،1962، ج.27، ص 278.

[2]-**الساعور**: هو مقدم النصارى في معرفة علم الطب و هو بالسريانية ساعورا ومعناه متفقد المرضى، و في نظام البيمارستانات هو رئيس البيمارستان؛ أنظر: أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الاسلام**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2011، ص 124.

[3]- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 177؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، طبقة 56، ص 323.

[4]- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص342 -350.

[5]- لويس شيخو ، علماء النصرانية، ص 48.

[6]- اشترك في مؤامرة دبرها قطب الدين قايماز لقتل الخليفة، و كان قطب الدين قايماز قد عظم شأنه و علت مكانته و استولى على البلاد و تحكم في الدولة، و كان طبيب الخليفة يسعى للتقرب من قطب الدين، فكان ينقل له أخبار الخليفة، فلما شعر قطب الدين أن الخليفة يريد التخلص منه قرر أن يبادر هو للتخلص من الخليفة، فاتفق مع ابن صفية أن يصف للخليفة الحمام، و كان الخليفة مريضا و لا يحتمل جسمه ذلك، مما أدى إلى وفاة الخليفة؛ أنظر: ابن العبري ، تاريخ الزمان، ص 185-186.

[7]- ابن أبي صبيعة، طبقات الأطباء، ص ، ص348،347.

م) فخدم هو الآخر الناصر لدين الله سنوات طويلة، وارتفع مقامه عند الخليفة حتى أنه جاد عليه بخزانة كتب أمين الدولة ابن التلميذ بعد وفاته[1].

قرب الناصر لدين الله من الأطباء أيضا أبو الخير مسيحي بن أبي البقاء بن إبراهيم النصراني النيلي نزيل بغداد المعروف بابن العطار (608هـ /1211م)، كان قريبا من دار الخلافة خبيرا بعلاج النساء، و كان الناصر لدين الله يقدمه على أمثاله، وقد عاش عمرا مديدا و حصل مالا جزيلا[2]، وكذا الطبيب أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي النصراني (658هـ/1260م)، الذي عالج الناصر لدين الله سنة (598هـ/1201م) عندما عرضت عليه حصاة كبيرة من المثانة، و كان الأطباء قد أشاروا عليه بشق المثانة لإخراج الحصاة فتمكن هذا الطبيب من إخراج الحصاة دون جراحة، فكان ذلك سببا في ارتفاع مكانته لدى الخليفة و حصوله على عطايا جمة من الخليفة و من أم الخليفة و أبناء الخليفة و كبار الأمراء[3].

إشتهر في إقليم الجزيرة الطبيب النصراني حسون الرهاوي (615هـ/1218م) أخذ الطب عن أطباء الرها وحكماء ديار بكر حيث تنقل من آمد إلى ميافارقين، وخدم أمراء السلاجقة في مملكة قلج أرسلان بن مسعود، كما خدم عدة عائلات حكمت في ديار بكر، و استقر أخيرا في حلب حيث توفي سنة (625هـ/1228م)، ودفن في بيعة اليعاقبة[4].

الطبيب أمين الدولة صاعد بن يحي بن هبة بن توما النصراني البغدادي (620هـ/1232م)، كان من الأطباء المتميزين حسن العلاج، كثير الإصابة[5]، كان في بداية أمره طبيبا و كاتبا لنجم الدين أبو اليمن نجاح ألشرابي، ثم أصبح يدخل إلى الناصر و يشارك من يحضر من أطبائه في أوقات مرضه، ثم حظي عند الناصر الحظوة التامة، وسلم إليه عدة جهات يخدم بها فكان بين يديه عدة دواوين، كما ارتفعت منزلته عند الناصر إلى أن أصبح بمنزلة الوزراء، واستأمنه على حفظ أمواله الخاصة فكان يودعها عنده، كما كان يرسله في أمور سرية إلى وزرائه و كان حسن الوساطة، جميل المحضر و قد قضيت على يده حاجات[6].

2. أطباء مصر و الشام،

[1]– جان موريس فييه ، أحوال النصارى، ص 353.

[2]– القفطي ،تاريخ الحكماء، ص 332–333، لويس شيخو ، علماء النصرانية، ص 217،218.

[3]– ابن أبي اصيبعة ، طبقات الأطباء، ص 403،404.

[4]– لويس شيخو، علماء النصرانية، ص 150.

[5]– ابن العبري ،تاريخ مختصر الدول، ص 241؛ القفطي ، تاريخ الحكماء، ص 212.

[6]– ابن العبري ،تاريخ الزمان، ص 267.

لم تختلف مصر والشام عن العراق و الجزيرة في غزارة الحضور الطبي النصراني، ويورد المقريزي[1] أن بن أبي الصلت الأندلسي (ت 528هـ/1133م) الذي زار مصر في العصر الفاطمي الثاني قال "**أن أكثر أطبائها المبرزين نصارى و يهود**"، ويتفق معه الرحالة ابن سعيد الأندلسي الذي أورد عند مروره بالقاهرة على عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أن: " **أكثر ما يتعيش بها اليهود و النصارى هي كتابة الخراج و الطب**"[2].

إشتهر من الأطباء النصارى بمصر و الشام الإسلامية الطبيب جرجيس "الفيلسوف" وهو أنطاكي الأصل والمولد والنشأة، استوطن مصر و ذاع صيته بها، وكذا الطبيب المقدسي أبو سليمان داود بن أبي المني بن أبي فانة من نصارى القدس خدم الخلفاء الفاطميين بمصر وكان حظيا عندهم ثم عاد إلى القدس ليعمل في خدمة عمورى ملك بيت المقدس، اشتهر أبناؤه في عالم الطب طوال العصر الأيوبي، ويروى أن أبا سليمان تنبأ بافتتاح صلاح الدين لمدينة القدس، وأرسل إليه ولده يبشره بهذه البشرى في غرة سنة 580هـ/1184م، فلما فتح صلاح الدين القدس سنة 583هـ /1187م، كان بيت الحكيم المذكور تحت رعاية السلطان، الذي أجزل العطايا لأبي سليمان و أولاده، و كان منهم أربعة أطباء أوصى صلاح الدين بهم ملوك و أمراء البيت الأيوبي[3].

صار ابنه الأول مهذب أبو سعيد الذي تعلم الطب على يد والده من أطباء الخاص الذين عملوا في خدمة صلاح الدين، و السلطان الملك العادل وتوفى بالقاهرة سنة 613هـ/1216م، أما ابنه الثاني أبو شاكر فقد كان في خدمة الملك الكامل الذي كان يعتمد عليه في المداواة، و كان يسمح له أن يدخل في جميع قلاعه و هو راكب ومنحه الهبات الوافرة وأسكنه عنده في قصر السلطنة بالقاهرة'ولعب دورا مهما في الدفاع عن بني ملته بنصارى مصر خاصة ما تعلق بدور عبادتهم و كان الكامل يستمع له و يأخذ برأيه حتى وفاته؛ أما الابن الثالث لأبي سليمان فهو أبو نصر الطبيب وعمل أيضا في خدمة الأمراء الأيوبيين بالكرك ثم رحل إلى القاهرة وخدم الملك الكامل و عاش بها حتى توفي بالقاهرة سنة 644هـ/1246م[4].

و كان رشيد الدين أبو حليقة الطبيب النصراني من أطباء الخاص لمجموعة من السلاطين بداية بالملك الكامل محمد و ولده الملك الصالح أيوب ثم السلطان الملك المعظم توران شاه فالملك الظاهر بيبرس، وأبو حليقة سليل أسرة بني شاكر بن سليمان، قدم من دمشق إلى القاهرة سنة 609هـ/1212م[5]، و كان الملك الكامل محمد

---

[1] – الخطط المقريزية، ج1، ص88.

[2]– ابن سعيد، المصدر السابق، ص 28.

[3]– فرح صلاح الدين بذلك، و أنعم على ولده أبي سليمان بجائزة سنية، و أعطاها علما و نشابة و قال له : " متى يسر الله ما ذكرت، اجعلوا هذا العلم الأصفر و النشابة فوق داركم، فالحارة التي انتقم فيها تسلم جميعا في خفارة داركم." ؛ أنظر: إبن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص 588.

[4]– ابن المقفع، المصدر السابق، مج 3، ج2، ص 119.

[5]– الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفايات المشاهير و الأعلام**، تح. عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،2006 ،ج14،ص439.

كثير الاحترام له، و يثق في طبه و يستطبه، و يروى أن أبا حليقة تمكن من تركيب دواء عالج به الملك الكامل من داء ألم به، و كان أطباء الخاص قد عجزوا عن علاجه، وعاصره أحد الأطباء المقدسيين الذين كان بينهم تنافس في بلاط الملك الكامل و هو أبو سعيد بن موفق الدين من نصارى القدس، صنف للملك الصالح أيوب "كتاب عيون الطب" و كان من أجل ما صُنف في صناعة الطب[1].

برع من أبناء رشيد الدين في الطب ثلاثة أبناء أشهرهم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن حليقة، الذي ولد بالقاهرة سنة 620هـ/1223م، أسلم في عهد الملك الظاهر بيبرس في العصر المملوكي وأصبح رئيسا للأطباء؛ واختص أخوه موفق الدين أبي الخير في صناعة الكحل، استطبه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، فصنف له كتابا في الكحل، وثالث الإخوة هو علم الدين أبو النصر جرجس، الذي كان من الأطباء الملازمين للملك الكامل محمد أثناء مرضه الأخير[2].

المبحث الرابع: مشاهدات من تطبيق الحكام لعهد الذمة على النصارى

بسبب تهاون الكثير من الحكام المسلمين في تطبيق صيغة عهد الذمة على النصارى الخاضعين للحكم الإسلامي، أصبح الذمي يرى أن الحاكم الذي يطبق عليه الشرع من خلال تجسيد بنود العقد المبرم بينهما منذ أيام الفتح الأولى، إنما هو حاكم ظالم، فترسخت في ذهنيته أن العدل هو المساواة الاجتماعية مع المسلمين الذين يعيشون معهم وأي تغيير في هذا النمط إنما هو ظلم و تقليل من شأنهم، ولقد تباينت الأسبابها جعلت الحكام المسلمين يفرضون الشروط العمرية، التي نظر إليها الآخر كقيود اجتماعية ضيقت على مظاهر حياته اليومية كاللباس والمركب والمسكن وحتى نمط المعيشة وعلاقتهم مع غير المسلم، ومن تمثلات ذلك نجد:

1. السمات الشرعية: كما يراها الذمي النصراني،

فرض على النصارى في زمن حكم الخليفة الآمر بأحكام الله الشروط العمرية، وذلك لاستفحال نفوذ النصارى في عهده وتفننهم في أذى المسلمين، حيث بالغ الراهب القبطي أبو نجاح بن قنا مستوفى الديوان في الإساءة إليهم، ما أدى إلى ثورة عامة المسلمين وفقهائهم، وأحاطوا الخليفة علما بما أصابهم من المذلة، فبادر الآمر بأحكام الله إلى إنصاف الرأي العام الإسلامي، وأمر بأن يلبس أهل الذمة الغيار، وألا يولوا شيئا من أعمال الإسلام، وأن ينشأ في ذلك كتاب يقف عليه الخاص والعام[3] .

[1]- المقريزي ، الخطط، ج2، ص 368.

[2]-ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص 598،599.

[3]- ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ،ج1، ص266،267 ؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة،ج.4،ص115،116.

أبلغَ الخليفة الآمر في هذا المرسوم حكام الولايات بعدم إعفاء الذميين من الجزية حتى ولو كان الذمي من علية قومه، وعدم السماح له بإرسال جزيته عن طريق شخص آخر، حتى ولو كان من رؤساء أو أعيان ملته، وإنما تؤخذ منهم مباشرة، إذلالا لهم، وأن يدفع جميع الذميين الجزية بلا استثناء وهم صاغرون[1]، ولقد كان مثل هذا الوضع يقلل من شأن كبار موظفي أهل الذمة أمام مرؤوسيهم، وشأن أعيان أهل الذمة أمام عامة المسلمين وخاصتهم .

قَوِي نفوذ النصارى على عهد الخليفة الحافظ لدين الله، وذلك أثناء وزارة بهرام الأرميني النصراني، الذي كرس أهله وأقاربه وبني جنسه من الأرمن المقارب عددهم الثلاثين ألفا، تظاهروا بدين النصرانية، وأهانوا المسلمين وكان أن إستغل رضوان بن ولخشي الرأي العام الإسلامي، وأطاح بوزارة بهرام في سنة 531هـ/1136م وتقلد الوزراة وفرض قيودا صارمةً على أهل الذمة، فمنعوا من إرخاء الذوائب ولبس الطيالسة، كما أمروا بشد الزنانير المخالفة لألوان ملابسهم على أوساطهم[2]، وألا يركبوا الخيل أو البغال[3]و لا يمروا من أمام معابد المسلمين ركبانا بل عليهم بالترجل فلم ير أيام وزارة رضوان لا يهودي ولا نصراني جاز على الجامع راكبا بل ينزل ويقود دابته[4].

عندما استقر الأمر لشيركوه ألزم أهل الذمة بلبس الغيار، ونادى بالقاهرة أن يرفع النصارى عذب عمائمهم، وأن يشدوا الزنانير في أوساطهم هم واليهود على أن يتميز اليهود بخرقة صفراء فى عمائمهم، حتى ضاق الذميون – وبخاصة كبار موظفي الدواوين منهم – ذرعا بها والتمسوا منه إلغاءها أو التخفيف منها، ولكنه أصر على موقفه وعندما بلغه أن ابن مماتي الملقب بالخطير متولى ديوان الجيش نصراني وانه يتصرف في عمله بلا غيار، نهاه وأمره بغيار النصارى، وصرفه عن الديوان، [5] مما دفع ابن مماتي إلى أن يعتنق الإسلام ومعه أولاده فرارا من هذه القيود، ومحافظة على مكانتهم المرموقة، ومنزلتهم السامية، ووظائفهم الكبرى في دولة الفاطميين[6].

سار السلطان صلاح الدين على نهج عمه، و سلك مسلك سيده نور الدين محمود أمير دمشق، عندما استولى على الموصل سنة 556هـ/1160م فقد أمر النصارى بلبس الغيار ومنعهم من استعمال السروج إن هم ركبوا الخيل أو البغال[7]، شدد السلطان الملك صلاح الدين في فرض القيود الاجتماعية فطبق عليهم الشروط

[1] – جاك تاجر ، المرجع السابق ، ص144،145

[2]– المقريزي ،اتعاظ الحنفا ، ج3،ص 165.

[3]–ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج.3 ، ج.1، ص31.

[4] – أميرة الشيخ رضا فرحات، **الفاطميون تاريخهم و آثارهم في مصر**، دار الكتب العلمية،ط.1، بيروت، 2013، ص 84،85.

[5]– المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج 3، ص160.

[6]– ياقوت الحموي ، معجم الادباء،ج6، ص107–110.

[7]– ترتون ،المرجع السابق ، ص134.

العمرية في بداية سلطنته، وأمر المحتسب[1] بالإشراف على أهل الذمة، و ضرورة أخذهم بالقيود الشرعية التي تتضح من العهد الذي كتبه القاضي الفاضل لأحد ولاة الحسبة، و جاء فيه ((،،،**وخذ من النصارى واليهود و المخالفين الغيار و شد الزنار**،،،))[2]، فأمر بنزع الصلبان الخشب من فوق قباب الكنائس في جميع أنحاء مصر، و منعهم من دق الناقوس و أن تكون أصواتهم منخفضة في الصلاة، و ألزمهم بلبس الغيار وشد الزناروأن يعلقوا أجراسا في أعناقهم، ولا يتظاهرون بشرب الخمر[3]، كما منعهم من ركوب الخيل و البغال باستثناء من كان طبيبا أو كاتبا، واستغنى عنهم في دواوين الدولةإلا من أسلم منهم، كل هذا لقاء تمتعهم بالأمان[4].

اتخذ صلاح الدين في بداية حكمه هذه الإجراءات تجاه أهل الذمة بسبب إظهار اليهود والنصارى مساندة للفاطميين في مصر، وعملوا على إحياء دولتهم، وشاركوا في التآمر على صلاح الدين عدة مرات أثناء وزارته، وفي بداية سلطنته، للإطاحة بحكمة كما اتصلوا بالفرنج في الشام للاستعانة بهم[5]، وبالتالي فان فرض صلاح الدين للهعدة العمرية على أهل الذمة من اليهود والنصارى في مصر، كان تطبيقا للسنة كما أن غلبة روح الجهاد ضد الصليبيين كانت السمة البارزة لذاك العصر والتي أدت إلى توخي الحذر اتجاه أهل الذمة[6].

غير أن صلاح الدين عندما اطمأن إليهم، واشتركوا معه في غزواته كتابا في جيشه قربهم وأدناهم وأنعم عليهم، فعادوا إلى أرفع مما كانوا عليه، وركبوا الخيل والبغال، ولبسوا الخفاف والثياب المفرحة[7]، غير أن المقريزي يذكر أنه سنة 577هـ/1181 نودى بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال من غير استثناء طبيب ولا كاتب[8].

ظل القرار الخاص بفرض القيود على المركوبات معمولا به في عهد كل من السلطان العزيز عثمان، والسلطان الملك العادل، اذ يسجل عبد اللطيف البغدادي[9] الذي زار مصر سنة 598هـ/1201م إعجابه بتلك الحمير بقوله أنها : ((**فارهة جدا، وتركب بالسروج و تجري مع الخيل و البغال النفيسة، و لعلها تسبقها و هي مع**

---

[1]-**المحتسب**: من أهم موظفي الدولة يتولى مهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و له نواب في جميع الأقاليم و كان المحتسب يتمتع بصلاحيات كبيرة في خلع أصحاب الوظائف المهمة في الدولة إذ ما عملوا في تفضيل مصالحهم على المصلحة العامة؛أنظر، القلقشندي، صبح الأعشى ،ج 3،ص 558-559.

[2]- الشيزري، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ،القاهرة ، 1946، ص124.

[3]- ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج 3، ج2، ص97

[4]- المقريزي، السلوك ،ج 6،ص153 ؛سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ص 216؛ ترتون،أهل الذمة ،ص 134-135

[5]- أبو شامة ، الروضتين ، ج1، ص220،541،242

[6]- شوكت الأتروشي، **الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي** ، دار دجلة، عمان ، 2007 ، ص69.

[7]- ابن المقفع ، المصدر السابق، مج.2، ج 2، ص97

[8]- المقريزي ، السلوك ، ج.1، ق1،ص77

[9]- **الإفادة و الاعتبار في الأمور المشاهدة و الحوادث المعاينة بأرض مصر** (رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر)،تق. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط.2، القاهرة، 1998، ص83.

ذلك كثيرة العدد و منها ماهو غالي الثمن اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات، يركبه رؤساء اليهود والنصارى)).

وفي عهد السلطان الملك الكامل محمدمُنح أهل الذمة العديد من الامتيازات وتخلصوا من القيود التي حتمت عليهم ألا يركبوا البغال، بل نجد الملك الكامل يسير بغلته الخاصة به إلى دار الحكيم النصراني أبو شاكر بن أبي سليمان (ت 613هـ/1216م) ويأمر بركوبه عليها، أما في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب فقد عاد أهل الذمة إلى الالتزام بما فرض عليهم إذ يذكر ابن سعيد[1] الرحالة الأندلسي الذي زار القاهرة في عهد الملك الصالح أيوب ((**النصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم، و اليهود بعلامة صفراء في عمائهم، و يركبون البغال، ويلبسون الملابس الجليلة**))، كما أُلزم القبط في ذلك العصر بدفع ضريبة الجوالي[2]، حيث كانت تؤخذ من البالغين دون النساء و الصبيان و العبيد و المجانين و الشيوخ و الفقراء، و كانت تستحصل بداية السنة الهجرية، و اختلفت قيمتها من عصر إلى آخر.

قرر الملك العزيز سنة 592هـ/1195ممنع استخدام أهل الذمة في شيء من الوظائف السلطانية، و أعاد إلزامهم بلبس الغيار، و منعهم من استخدام المسلمين كخدم أو اقتناء الجواري و العبيد، لكنهم توجهوا إلى الملك العزيز و طلبوا العفو فأعطى لهم شرط أن يبيعوا ما عندهم من الجواري و العبيد و لا يستخدموا المسلمين عمالا عندهم[3].

تغيرت قيمة الجزية مرات عديدة، فعلى عهد السلطان صلاح الدين فرضت على الفرد من الطبقة العليا أو الأغنياء مبلغ أربعة دنانير و سدس عن كل رأس، ومن الطبقة الوسطى حوالي درهمان وربع برسم المباشرين على جباية الجواري[4]، و في أواخر العصر الأيوبي أصبحت تلك الجزية موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة[5]، و كانت حصيلة الجزية هذه تدر على الدولة أموالا كثيرة، فبلغت سنة 587هـ/1191م نحو مئة و ثلاثين ألف دينار، وفي عهد الملك العزيز وتحديدا مابين سنتي 592هـ/1195-1196مزادت نسبة الجزية بسبب الأزمات

---

[1]- ابن سعيد ، المصدر السابق، ص 28.

[2]- **ضريبة الجوالي** : هي الجزية المالية المفروضة على أهل الذمة الأقباط و اليهود مقابل بقائهم تحت ذمة المسلمين. القلقشندي، صبح الاعشى ،ج 3،ص530 ؛ حسان حلاق و عباس صباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية و المملوكية و العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية**،دار النهضة العربية،بيروت ، 2009، ص71؛ حبيب زيات، سمات أهل الكتاب ، ص 96-97

[3]- حبيب زيات، سمات أهل الكتاب ، ص 72-73.

[4]-ابن مماتي ، **قوانين الدواوين** ،القاهرة ،1991، ص 318،319؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3،ص530.

[5]-سلام الشافعي محمود ،أهل الذمة،ص 99.

المالية، بينما بلغ متحصل هذه الجزية في عهد السلطان الصالح أيوب في إقليم الفيوم وحده مبلغ ألفين ومائتين و أربع وثمانون دينارا[1].

ظاهرة المسالمة

المسالمة لفظ كان يطلق على كل من اعتنق الإسلام حديثا من النصارى أو اليهود وورد بعدة أوجه " الأسالمة" أو " الأسلمية" أو " المسالمة"، وهم فئة في المجتمع الإسلامي بين طائفة المسلمين وطائفة أهل الذمة، وذلك لاختلاف الآراء حولهم فمعاصريهم أسقطوا عنهم صفة الذمية لأنهم أعلنوا إسلامهم غير أنهم لم يعترفوا بهم كمسلمين حقيقيين.

شكك المسلمون في حقيقة إيمان فئة المسالمة وكذا في الأسباب الحقيقية وراء اعتناقهم الإسلام، فقد ظل بعضهم على ولائهم لملتهم القديمة، وهذا ما ترجمته تصرفاتهم التي كانت تهدف إلى خدمة أتباع تلك الملة، والانتقام من المسلمين في مصالحهم، فكان لفظ المسالمة تمييزا لهم بل استمرت المصادر العربية في إطلاق لفظ " القبط" أو " الأقباط" باستمرار على مسالمة النصارى اليعاقبة[2].

إن الأسباب التي دفعت النصارى يدخلون الإسلام متعددة ويمكن إجمالها في احتكاكهم بالمسلمين ومعايشتهم فساهمت مثلا دروس الوعظ التي كان العلماء المسلمون يلقونها، حيث أسلم على يد ابن الجوزي (597هـ/1200م) جراء دروسه الوعظية حوالي ألف يهودي ونصراني[3]، كما أسلم على الشيخ عبد القادر الجيلاني (561هـ/1165-1166م) كثير من اليهود والنصارى [4]، فكان من جملة من أسلم بسبب مواعظ المسلمين و نصائحهم الطبيب يحي بن عيسى بن جزلة (493هـ/1099-1100م)[5]، الذي درس المنطق على يد أبو علي بن وليد أحد شيوخ المعتزلة فلم يزل ابن الوليد يحسن له الإسلام حتى اقتنع به و أعلن إسلامه[6].

ومن العوامل التي ساهمت في دخول أعداد من أهل الذمة في الإسلام تشديد الخلفاء و الوزراء على أهل الذمة وإلزامهم لبس الغيار، و منعهم العمل في دواوين الدولة، مما كان يدفع البعض إلى اعتناق الإسلام للاحتفاظ بوظيفته أو هربا من التضييق، حيث أورد ماري بن سليمان[7] في حديثه عن فترة جاثليق يوحنا ابن نازوك (403-411هـ/1012-1020م): "**وطولب الناس في أيامه بلبس الغيار وفارق جماعة الدين لما كان يلحقهم من**

[1]- المقريزي، الخطط المقريزية، ج1،ص 308-303.

[2] - قاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص 180.

[3]- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (590-654هـ)، ج8، ص 482.

[4]- المصدر نفسه، (495-589هـ)، ج8، ص 265.

[5]- ابن أثير، الكامل، ج10، ص302، إبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص 343؛ فييه، أحوال النصارى ، ص 306.

[6]- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص195.

[7]- المصدر السابق، ص 114.

امتهان وسخف والرجم، و منع أهل الجانب الغربي من إظهار جنائزهم نهارا ونهب أهل سوق الثلاثاء و أسلم من لا دين له و كانت خبطة عظيمة".

تكرر هذا الأمر في عهد الخليفة المقتدي بأمر الله الذي أمر سنة 484هـ/1091م بإلزام أهل الذمة بالغيار وشدد وزيره في تطبيق ذلك مما أدى إلى دخول عدد من أهل الذمة في الإسلام و على رأسهم أمين الدولة أبو سعد العلاء بن الموصلايا (497هـ/1104-1105م)[1]، أما زمن الناصر لدين الله (579هـ /1184م) أن لا يستخدم أحد من أهل الذمة في الديوان و تشدد في ذلك مما أدى إلى إسلام عدد من أهل الذمة منهم الأخوين الكاتبين أبو غال و جبريل بنا وطينا[2].

تكررت الحادثة نفسها عندما ألزم شيركوه نصارى مصر بلبس الغيار فلما بلغه أن بن مماتي الملقب بالخطير متولى ديوان الجيش نصراني وأنه يتصرف في عمله بلا غيار، نهاه وأمره بغيار النصارى وصرفه عن الديوان، مما دفع ابن مماتي إلى أن يعتنق الإسلام ومعه أولاده فرارا من هذه القيود، ومحافظة على مكانتهم المرموقة ومنزلتهم ووظائفهم السامية في دولة الفاطميين[3].

ولم تختلف سياسة صلاح الدين في بداية حكمه عن سياسة عمه فقد منع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال باستثناء من كان طبيبا أو كاتبا، واستغنى عنهم في دواوين الدولة، إلا من أسلم منهم، كل هذا لقاء تمتعهم بالأمان[4]، فقد دخل أهل الذمة في الإسلام لتحقيق ما يصب إليه من مكانة وطموح في الحياة العامة، ومن أهل الذمة من كان يعلن إسلامه بسبب خلافه مع أهل طائفته ومن هؤلاء مطران تكريت الذي اختصم مع أهل نحلته فأعلن إسلامه[5].

2. هدم دور العبادة

شهدت مصر خلال العصور الفاطمية والأيوبية تباينًا في تعامل الدولة والمجتمع مع الطوائف النصرانية وكنائسها ، بين فترات من التسامح والاعتدال، وأخرى طغى عليها التوتر والعنف، ويُبرز هذا النص أهم المحطات التي أثرت

[1]- ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص 292، ج17، ص 89، ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 378، 397، الذهبي، تاريخ الاسلام، طبقة 50، ص 291.

[2]- سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (495-589هـ)، ج8، ص 378؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص 161-162؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص 11.

[3]- المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج 3، ص160؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج6، ص107-110.

[4]- ترتون، أهل الذمة ، ص 134-135 ؛سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ص 216.

[5]- حسين يحي، المرجع السابق، ص193.

على الكنائس المسيحية، سواء بفعل السياسات الرسمية للوزراء والخلفاء، أو بسبب الاضطرابات والصراعات الداخلية، إلى جانب تأثير الحملات الصليبية وتدخلات القوى الإقليمية.

فرغم أن عهد وزارة الأفضل ابن بدر الجمالي (ت 515 هـ/ 1121م) شهد مقدم الحملات الصليبية وانتهاكهم لمقدسات الإسلام في الشام إلا انه أظهر اعتدالا وتسامحا ازاء المسيحيين وبدا صديقا حميما لهم [1] ،وعلى الرغم من أن المصادر النصرانية بالغت في الثناء على الوزير الأفضل لرعايته أهل الذمة، إلا أنها اتهمته سنة 551هـ/1156م بهدم كنيسة القديس ميخائيل (المختارة) بجزيرة الروضة [2]، لأنها كانت وسط بستان اشتراه[3]،

يذكر مؤرخ سير البيعة المقدسة[4] أن الوزير الأفضل هدم كنيسة أبي قدامة بالفسطاط، وبنى موضعها مسجدا للمسلمين، لأن المدعو أبو اليمن بن عبد المسيح متولي ديوان أسفل الأرض استغل نفوذه ومكانته في الدولة، وخرق ما هو متعارف عليه من أحكام فقهية، عندما هدم الكنيسة المذكورة، وكانت قد آلت للسقوط، ثم جدد بناءها بغير توقيع السلطان ولا استئذان، فسعى أحد أعدائه وابلغ الوزير الأفضل أن أبا اليمن هدم الكنيسة وبناها بغير أمرك، و استولى على عرصة كانت بجانبها وهي جزء من ديوان أحباس الجوامع، وجعلها بستانا ألحقه بالكنيسة، فغضب الأفضل، وركب فى جيشه مع القاضي والشهود إلى الكنيسة، فهدم الكنيسة وسواها بالأرض ثم أقام مكانها مسجدا للمسلمين'.

أثناء وزارة بهرام الأرمنى النصراني، حيث تربع النصارى على قمة الوظائف الكبرى فى الدولة، وزادت هجرة النصارى الأرمن إلى مصر وأكثروا من بناء الكنائس والديارات، وصار كل رئيس منهم يبنى كنيسة بجوار داره، وزادت أعداد الكنائس حتى بلغت من الكثرة درجة أقلقت المسلمين، وجعلتهم يخشون أن يغيروا ملة الإسلام ويغلبوا على البلاد، فيردوها دار كفر [5] بل أن النصارى تغالوا في تعصبهم، وتظاهروا بدين النصرانية حتى كان المسلمون يحلفون بحق السيدة وقد رفعوا شكواهم إلى الخليفة الحافظ لدين الله للحد من غلبة النصرانية على الإسلام كما استغاثوا برضوان بن الوخشي الذي جمع جيشا فأطاح ببهرام ودخل القاهرة واخلع عليه بالوزارة فى سنة 531هـ/1135م وارضاء للرأى العام الإسلامي الثائر نهب كنائس القاهرة[6] ، كما نهب عامة المسلمين كنيسة الزهرى الأرمينية، وهدمت كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة [7].

---

[1]– ستانلي لين بول ، المرجع السابق ، ص145

[2]– ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج. 3 ، ج1، ص 7؛ ابن الراهب ، المصدر السابق،ص 138

[3]– القلقشندي ، المصدر السابق ، ج.5، ص319؛ المقريزي ، الخطط المقريزية،ج2،ص 496

[4]–المصدر السابق ، مج 3 ،ج1، ص248، 249.

[5]– ابن ميسر ، المصدر السابق.ج2،ص79.

[6]– سلام شافعي محمود، المرجع السابق،ص 233.

[7]– ابن ميسر ، المصدر السابق ، ج2،ص79 ؛ رؤوف حبيب ، المرجع السابق ، ص100.

قيل أن الوزير الصالح طلائع أخذ بعض الأعمد من كنيسة بغير قداس بالفسطاط وكان من أجل عمارة مسجد أنشأه بقرافة مصر، كما أن حسن الكردي صهر الصالح بن رزيك أتى على كنيسة متهدمة جزئيا فجعل موضعها مسجدا زمن وزارة الصالح من زريك للخليفة العاضد لدين الله، يتهم الأقباط الملك الصالح طلائع بن رزيك أنه أوقع بالأقباط ضررا بالغا وحول كنيسة مار جرجس إلى جامع[1]،

غير أن كثيرا من كنائس النصارى في مصر وبخاصة تلك الكنائس الواقعة في منطقة الفسطاط لحق بها التدمير وتعرضت للنهب والتخريب في جو الفوضى التي عمت مصر أثناء الصراع بين شاور وضرغام من أجل الوزارة، وتدخل الصليبيين ونور الدين محمود بهدف السيطرة على مصر، ويذكر مؤرخ سير البيعة المقدسة[2] أن عساكر شيركوه في سنة 559هـ/1163م هدموا كنيسة الزهري التي للأرمن، كما يقرر المؤرخ القبطي المعاصر أنهم نهبوا كل كنيسة هدموها.

كثيرا ما يشير مؤرخ كنائس وأديرة مصر[3] إلى تحطيم البيع ونشوب الحرائق فيها ونهب نفائسها وذخائرها وأهوالها سواء على أيدي قوات شيركوه أو على أيدي عوام المسلمين كما تذكر على سبيل المثال أن كنيسة مارمينا بالحمراء أحرقت وسويت بالأرض مع غيرها من الكنائس في جمادى الآخر 559هـ/ماي 1164م، وعندما أعيد بناؤها في السنة التالية تذمر عامة المسلمين وهدموها، ولم يتمكن النصارى من إعادة بنائها إلا سنة 572هـ/1176م في عهد صلاح الدين'.

يعتبر حريق الفسطاط الذي افتعله الوزير شاور كإستراتيجية عسكرية لإيقاف زحف الصليبيين على القاهرة سنة 564هـ/1168م، أسوأ ما مر على الأقباط و منشآتهم الدينية التي التهم الحريق عددا كبيرا منها مثل كنيسة أبو نفر وكنيسة الملاك غبريال التي نهبها العامة وكسروا أعمدتها[4] كما أن كثيرا من الكنائس هدمت أسوارها وسويت بالأرض واختلطت بغيرها من الطرق، فتعرضت الكنائس لنهب الغوغاء والعامة، أما كنيسة القديس ماري مرقوريوس المعروف بأبي السيفين فقد أحرقت[5].

تعرضت كنائس الملكيين بقصر الروم من الفسطاط للنهب والتخريب على أيدي قوات شيركوه التي استولت على أربعة كنائس للملكيين ونهبوا أخشابها وهدموا جدرانها وسويت بالأرض ولم يبق لهم سوى كنيسة واحدة، كما هدم الأكراد إحدى بيعهم بالفيوم المسماة ببيعة الشهيد تادرس وأقاموا مكانها مسجدا ولم نجد مقاومة أو رد

[1]– المقريزي ، المصدر السابق،ص53؛أبو صالح الأرمني ، المصدر السابق،ص53

[2]– ابن المقفع ، المصدر السابق ، مج 3،ج1 ص52.

[3]– المصدر السابق ،ص40،43.

[4]– أبو صالح الأرمني ، المصدر السابق،ص42،43؛ ابن دقماق ، المصدر السابق ، ج4،ص108

[5]– ابن الراهب ، المصدر السابق ، ص140؛المقريزي ، الخطط،ج3،ص496.

عنيف مهم لعل ذلك يرجع لقلة عددهم وضعف طائفتهم في مصر، ونفس الأمر حدث لطائفة الأرمن التي أغلقت كنائسها بالقاهرة والفسطاط وصارت خالية، بعد أن أوقع بهم صلاح الدين سنة 564هـ/1172م قبل أن يفرد لهم كنيسة يوحنا المعمدان بحارة زويلة التي ستصبح مقرا للبطريرك الأرمني فتعرضت كنيسة العذراء مريم ببلدة أبريم عند غزو النوبة سنة 568هـ /1176م، للهدم والتخريب على يد قوات توران شاه، الذي أمر بحرق الصليب الكبير الذي فوق قبتها ثم حول الكنيسة مسجدا للمسلمين [1].

نكبت كنائس مصر مرة أخرى في العصر الأيوبي مع بداية حكم صلاح الدين الذي أمر أن تنزع الصلبان الخشب التي كانت على كل القباب العالية من جميع الكنائس وأن تطلى بالطين الأسود الكنائس التي ظاهرها أبيض، ومنع دق النواقيس و أوجب خفض الصوت في صلواتهم، ما دفع بعض العوام من المسلمين إلى هدم بعض الكنائس في المدن والقرى[2]، غير أن الأيوبيون عندما اطمأنوا للنصارى ووثقوا بهم، قربوهم إليهم وأدنوهم منهم حتى أصبحوا يأخذون التواقيع منه لأجل ترميم بيعهم وما تهدم من كنائسهم وإعادة إعمارها[3].

ومن الجدير بالذكر أن عامة المسلمين أبدوا استياءهم لقيام النصارى ببناء الكنائس، فيروي المؤرخ النصراني الأرمني أنه لما جددت كنيسة مارمينا بالحمراء غاروا لإقامتها الحسدة والمعاندين فنهبوها وهدمت قبل أن يعاد ترميمها مرة أخرى، وعندما قام الأسعد صليب بن ميخائيل بهدم بيت العجين بنفس الكنيسة و جعل منه كنيسة جديدة تحت اسم القديس مار جرجس بمدخل منفرد مجاور للكنيسة الكبيرة ثار عامة المسلمين ومنعوا النصارى من بنائها رغم أنهم قدموا ما يثبت أنها جزء من كنيسة مارمينا ولم تكن مستجدة[4].

وخلاصة القول فإن نصارى المشرق الخاضعون للحكم الإسلامي خلال الفترة الممتدة بين (491هـ–690هـ / 1098–1291م) شهدوا أوضاعًا اجتماعية متباينة، حيث تمتعت بعض الطوائف بحرية دينية نسبية، بينما واجهت أخرى قيودًا فرضتها طبيعة المرحلة السياسية والتطورات العسكرية، خاصة في ظل الحروب الصليبية، كما لعبت النخب النصرانية وخاصة المتمثلة في الأطباء، دورًا بارزًا في المجتمع، ما يعكس استمرار اندماجهم في الحياة العامة، ورغم وجود بعض التضييقات، كفرض الجزية وهدم بعض دور العبادة، إلا أن الطوائف النصرانية حافظت على هويتها وتقاليدها الشرقية وانتمائها للحضارة الإسلامية، مما يعكس مرونة التعايش داخل الدولة الإسلامية خلال هذه الفترة.

[1]–ابن دقماق ، المصدر السابق ، ج4،ص108 .

[2]– ابو صالح الأرمني، المصدر السابق، ص122،121

[3]– يعقوب نخلة روفيلة، المرجع السابق، ص 178.

[4]– ابو صالح الأرمني ، المصدر السابق ص33

الخاتمة

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الطوائف المسيحية الشرقية في المشرق الاسلامي زمن الحروب الصليبية توصلنا إلى: أن واقع مسيحيي الشرق خلال القرون 2-5هـ/8-11م معقدًا ومتشعبًا، متأثرًا بالتحولات السياسية والدينية التي شهدتها المنطقة، فقد شكّل التنوع الطائفي والإثني-الجغرافي عاملًا رئيسيًا في تحديد مواقف الطوائف المسيحية المختلفة تجاه الدولة الإسلامية والحملات الصليبية اللاحقة، ورغم اختلاف انتماءاتهم العقائدية، فإنّهم تكيفوا مع الواقع السياسي، حيث عاشوا تحت نظام الذمة الذي كفل لهم حقوقًا وواجبات داخل المجتمع الإسلامي، لكنهم لم يكونوا بمنأى عن الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية.

كان لمسيحيي الشرق دورًا بارزًا في الحضارة الإسلامية، لا سيما في مجالات الترجمة والعلوم والطب، ما يدلّ على اندماجهم النسبي في النسيج الثقافي للمجتمع الإسلامي، من جهة أخرى، كما أن علاقاتهم مع الكنيسة الغربية ساهمت في تشكيل رؤيتهم إزاء الحملة الصليبية الأولى، حيث تباينت مواقفهم بين الترحيب والتحفظ والمواجهة، وفقًا لظروفهم السياسية ومصالحهم الاستراتيجة.

عاشت الطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الصليبي واقعا معقدًا ، حيث تداخلت مصالحهم الدينية والسياسية والعسكرية مع طبيعة السلطة الجديدة في المنطقة، فقد شكلت المصاهرات السياسية وسيلة مهمة لاندماج بعض النخب المسيحية الشرقية داخل الإدارة الصليبية، بينما أسهم آخرون في المنظومة الإدارية والقضائية، مما أتاح لهم حضورًا مؤثرًا رغم تبعيتهم السياسية، كما كان لهذه الطوائف دور في النظام الحربي الصليبي، سواء عبر التحالفات العسكرية أو من خلال بعض حركات التمرد التي عكست التباين في مواقفهم تجاه الحكام الصليبيين.

من جهة أخرى، برزت مملكة أرمينية الصغرى كنموذج للحكم الذاتي تحت المظلة اللاتينية، حيث سعت للحفاظ على استقلالها النسبي من خلال تحالفات استراتيجية، إلا أن موقعها الجيوسياسي جعلها في مواجهة تحديات كبرى، خاصة مع القوى الإقليمية مثل المماليك والمغول، في المحصلة، كان التفاعل بين الطوائف المسيحية الشرقية والصليبيين مزيجًا من التعاون والصراع، مما يعكس تعقيدات المشهد السياسي والديني في تلك الحقبة.

رغم خضوع الطوائف المسيحية الشرقية للحكم الإسلامي بين القرنين 5-7هـ/11-13م، لم تكن كيانًا جامدًا أو متجانسًا في مواقفها السياسية، بل تنوعت أدوارها بين الاندماج في مؤسسات الدولة الإسلامية، والمشاركة في الصراعات الداخلية والخارجية، وفقًا لمصالحها السياسية والدينية.

إن العلاقة بين المسيحيين الشرقيين والحكم الإسلامي خلال هذه الفترة لم تكن ثابتة أو خطية، بل تراوحت بين التعاون والمواجهة، وفقًا للمصالح السياسية والواقع الجيوسياسي المتغير، ورغم الفترات التي شهدت استقرارًا وتعاونًا مثمرًا بين الطرفين، فإن بعض الأزمات والصراعات كشفت عن الهشاشة التي يمكن أن تتسم بها هذه العلاقات في ظل التحولات الكبرى التي شهدها العالم الإسلامي في تلك الحقبة.

يتضح من خلال دراسة الجوانب الاجتماعية أن هذه الفئة لعبت دورًا محوريًا في المشهد الاجتماعي، رغم التحديات والتغيرات التي فرضتها طبيعة الحكم الصليبي في المنطقة، شكّل المسيحيون المحليون جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الصليبي، وواجهوا سياسات استيطانية أعادت تشكيل البنية الديموغرافية، حيث تم دمج بعضهم في الهيكل الإداري والاقتصادي الجديد، بينما ظل آخرون على هامش المنظومة الإقطاعية التي هيمنت على المجتمع الصليبي.

لقد احتل مسيحيو الشرق موقعًا متباينًا في السلم الاجتماعي، فتفاوتت مكانتهم بين من خضع للسلطة الإقطاعية الصليبية، ومن استطاع الاحتفاظ بمساحات من الاستقلال الذاتي، خاصة عبر المؤسسات الدينية والقضائية الخاصة بهم، شكلت محاكم السريان، على سبيل المثال، ضمانةً مهمة لحفظ حقوقهم في مواجهة النظام القانوني الصليبي، مما يعكس استمرار نوع من الحكم الذاتي داخل المنظومة الجديدة.

إن المعاشرة اليومية للطرفين ظهرت أنماطًا معيشية مشتركة بين الصليبيين والسكان المسيحيين المحليين، حيث تبادل الطرفان العادات الغذائية، وتأثر الطراز المعماري واللباس المحلي بالوافدين الجدد، كما لعبت المرأة دورًا في هذا التفاعل الاجتماعي، سواء من خلال الزواج المختلط أو من خلال استمرار تقاليدها المحلية التي تأثرت جزئيًا بالوجود الصليبي.

كما أن التداخل الثقافي والديني تجلى في مظاهر الأعياد والاحتفالات والمآتم، حيث تأثرت الطقوس الشرقية ببعض العادات الغربية والعكس صحيح، مما يعكس بيئة اجتماعية تفاعلية لم تخلُ من التأثير والتأثر المتبادل،أما على المستوى الديني، فقد شكلت علاقة الصليبيين بالمؤسسات الدينية المسيحية الشرقية جانبًا معقدًا، إذ سعوا إلى فرض الهيمنة الكاثوليكية من خلال سياسة الكثلكة، وهو ما انعكس بشكل متفاوت على الطوائف المحلية، ففي حين أظهرت الكنيسة المارونية انفتاحًا تجاه روما، بقيت الكنائس الأرمنية والسريانية أكثر تحفظًا، رغم وجود محاولات للتقارب.

وفي الختام، يمكن القول إن الحياة الاجتماعية لمسيحيي الشرق في ظل الحكم الصليبي تميزت بدرجة من التفاعل والتكيف، لكن دون أن تخلو من الضغوط السياسية والدينية التي سعت إلى تغيير هويتهم، لقد ظل مسيحيو الشرق فاعلين في المجتمع الجديد، متمسكين بجذورهم الثقافية والدينية، رغم محاولات الإدماج والهيمنة التي فرضها الدخيل اللاتيني.

الملاحق

الملحق رقم: 01

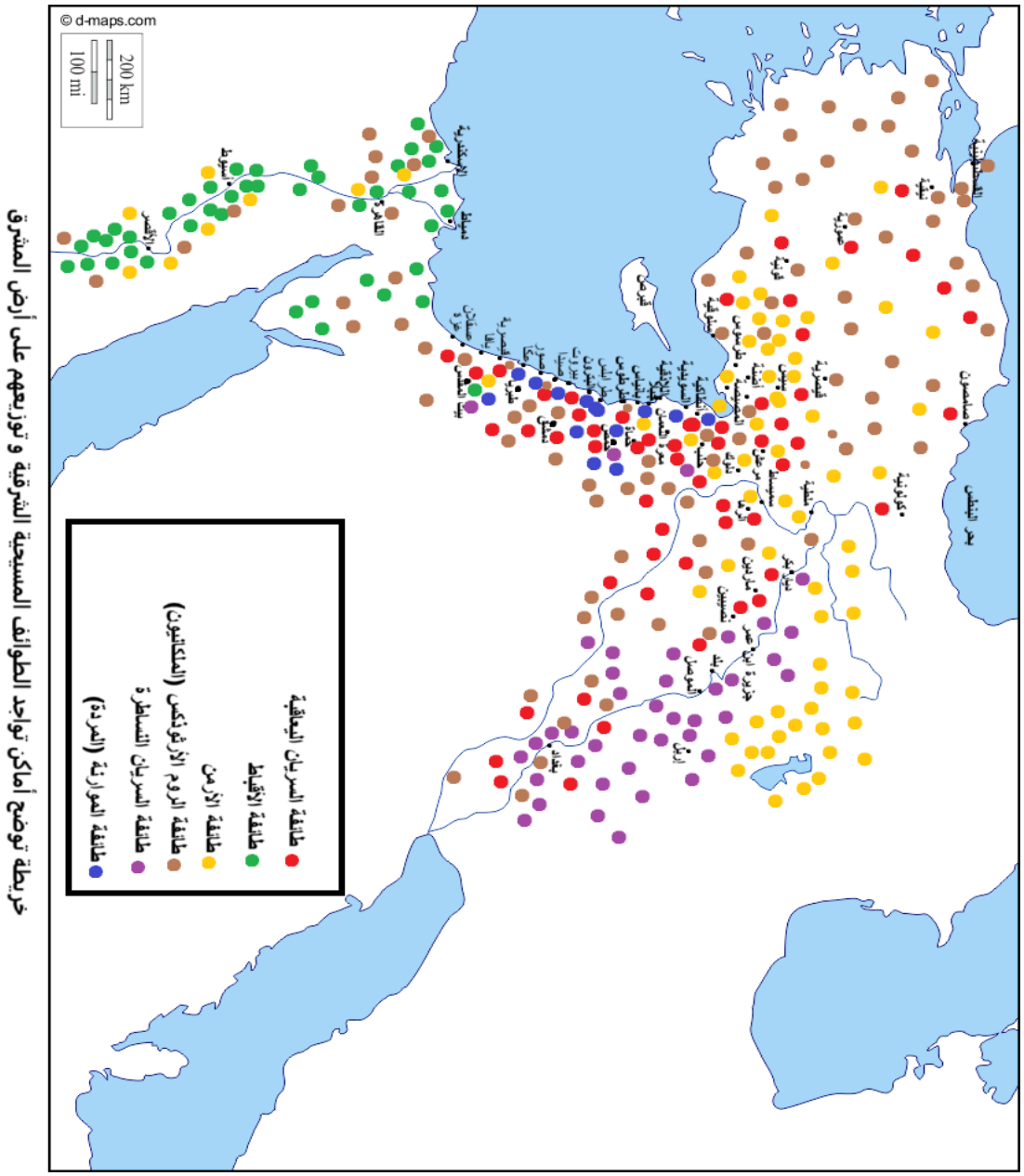

من إنجاز الباحثة إعتمادا على المصادر التالية: متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية** ابن بطوطة، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار** هنري لامس اليسوعي، **تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار** بطرس ضو، **تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري**،

الملحق رقم:02

خريطة تمثل الحدود التاريخية للبطريركيات المسيحية الخمس بعد تفاقم خلاف خلقيدونيا

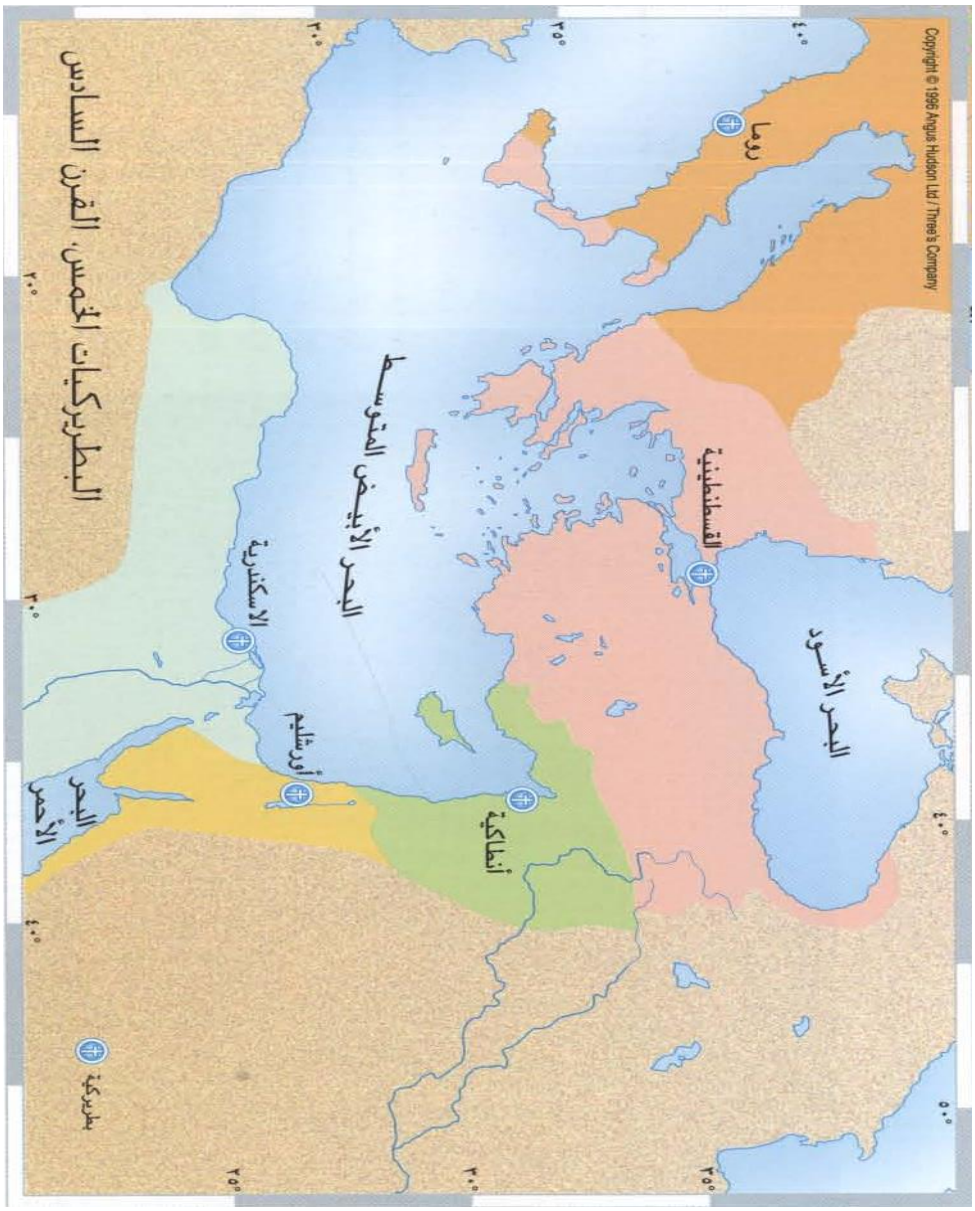

نقلا عن: تيم داولي، أطلس الكتاب المقدس و تاريخ المسيحية، تر، يوسف توما و آخرون، أوفير للطباعة و النشر، عمان، 2007م، ص 90،

الملحق رقم: 03

أهم حواضر كونتية الرها وهويتها الطائفية[1]

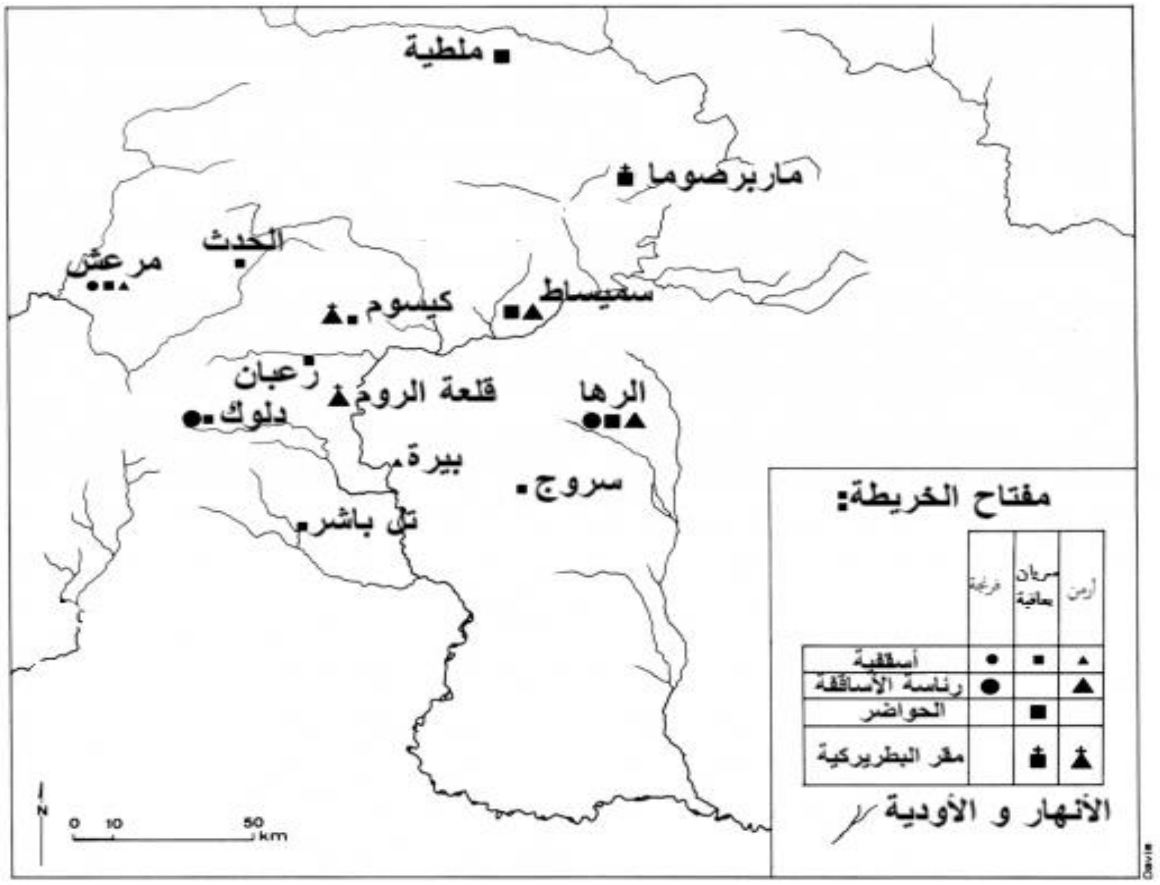

خريطة تمثل الطوائف المسيحية المكونة لكونتية الرها الصليبية

[1] من إنجاز الباحثة إستنادا إلى مجموعة من المصادر مثل ميخائيل السرياني

الملحق رقم: 04

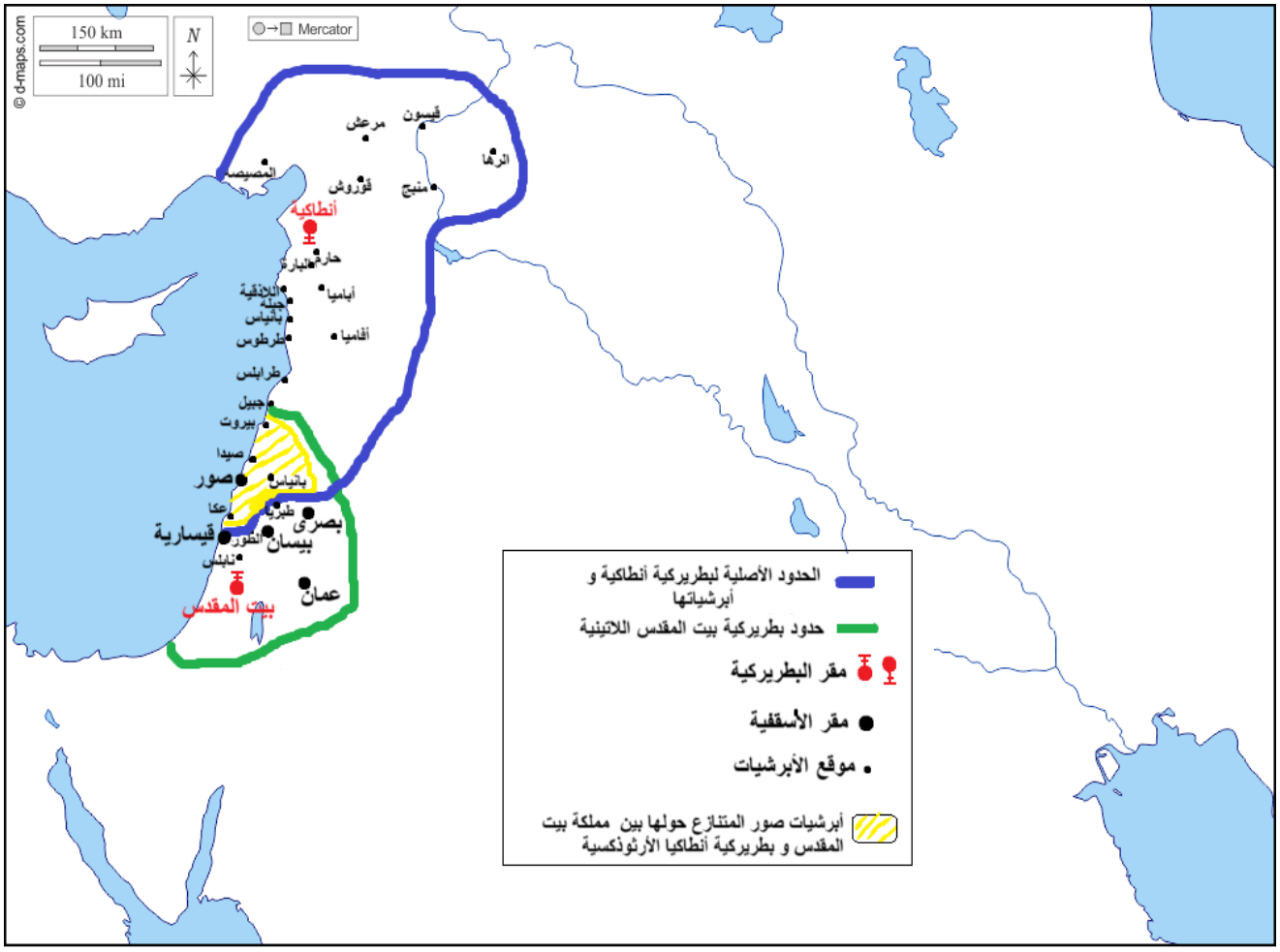

خريطة تمثل التقسيم البطركي الشرقي الأرثوذكسي وما يتبعه من أسقفيات و أبرشيات،
مع توضيح مواطن التغيير زمن الوجود الصليبي

من إنجاز الباحثة إعتمادا على ما أورده أسد رستم في كتابه كنيسة أنطاكية

الملحق رقم: 05

يوضح الجدول حالة الانفصال الجغرافي والسياسي في البطريركية الأنطاكية خلال القرنين 12 و13 الميلاديين،

كان ذلك بسبب الظروف التاريخية التي فرضت على البطاركة اللجوء إلى القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، بعد أن فقدوا السيطرة الفعلية على أنطاكية إثر الحروب الصليبية والتدخلات اللاتينية،

الاسم بالعربية	الاسم باللاتينية	فترة البطريركية	ملاحظات
يوحنا السابع	John VII	حتى 1106م/ 499هـ	استقال بعد اللجوء إلى القسطنطينية
يوحنا الثامن	John VIII	1106–1137م / 499–531 هـ	خلف يوحنا السابع
فلوقا	Luke	1137–1155م / 531–550 هـ	—
يوحنا التاسع	John IX	1155م / 550 هـ	ورد في لائحة قسطنديوس
أفتيميوس	Euthymius	1159م / 554 هـ	—
مكاريوس الثاني	Macarius II	1164م / 559 هـ	—
أثناسيوس الثاني	Athanasius II	1166م / 561 هـ	—
ثيودوسيوس الثالث	Theodosius III	1180م / 576 هـ	—
إلياس الثالث	Elias III	1182م / 578 هـ	—
خريستوفوروس الثاني	Christophorus II	1184م / 580 هـ	—
ثيودوروس الرابع (بلسامون(	Theodorus IV (Balsamon)	1185م / 581 هـ	—
يواكيم	Joachim	1199م / 595 هـ	—
دوروثيوس	Dorotheus	1219م / 616 هـ	—
سمعان الثاني	Simon II	1245م / 643 هـ	—
أفيتميوس الثاني	Euthymius II	1260م / 658 هـ	في عهده طُرد الصليبيون من أنطاكية على يد المماليك،

نقلا عن :أسد رستم، كنيسة أنطاكية،ج2،ص 298،297،

الملحق رقم: 06

جدول يعرض تسلسل بطاركة أورشليم الذين أنتخبوا خارج بيت المقدس بسبب الغزو الصليبي من خلال كتاب أسد رستم كنيسة أنطاكية العظمى

الترتيب	اسم البطريرك	فترة البطريركية	أحداث وملاحظات رئيسية
1	أغابيوس الأول	بعد وفاة سمعان الثاني	خلفًا لسمعان الثاني، وانتُخب في قبرص
2	سابا	غير محدد	انتُخب بعد أغابيوس الأول
3	أفخيريوس الأول	غير محدد	خلف سابا
4	مكاريوس الثالث	غير محدد	خلف أفخيريوس الأول
5	يعقوب الثاني	غير محدد	خلف مكاريوس الثالث
6	أرسانيوس الثاني	غير محدد	خلف يعقوب الثاني
7	يوحنا السابع	حتى 1166	شارك في مجمع القسطنطينية 1157، كتب رسالة عن الطقوس اللاتينية عام 1160
8	نيقيفوروس الثاني	حتى 1187	مثّل كنيسة أورشليم في مجمع 1166
9	أثناسيوس الثاني	وما 1187 بعدها	تسلَّم السلطة الروحية بعد خروج اللاتينيين من أورشليم

نقلا عن أسد رستم، كنيسة أنطاكية، ج2، ص 297،298،

الملحق رقم: 08

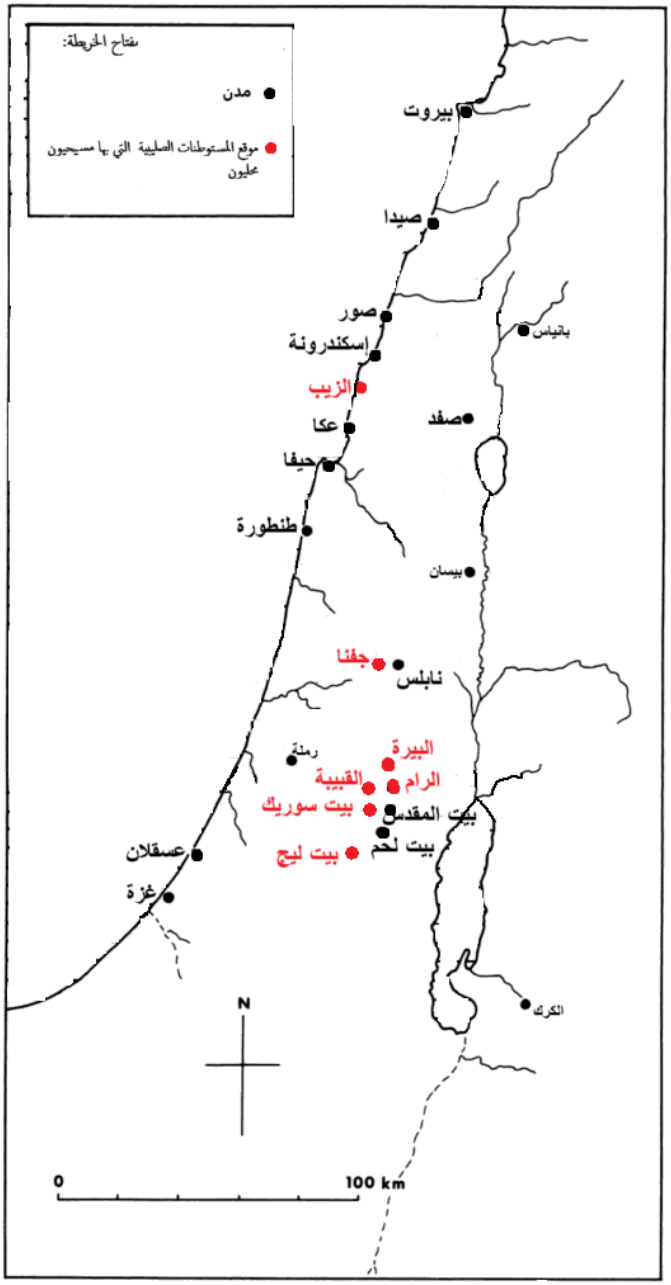

خريطة توضح أماكن المستوطنات الصليبية التي تواجد بها عناصر مسيحية شرقية

من إنجاز الباحثة إعتمادا على المصادر التالية: Emmanuel Guillaume-Rey – *Les colonies franques de Syrie aux XIe et XIIe siècle*؛ و البيشاوي، المستوطنات،

الملحق رقم: 09

خريطة تمثل توزيع الطوائف المسيحية الشرقية في الأراضي المصرية خلال فترة الدراسة

،

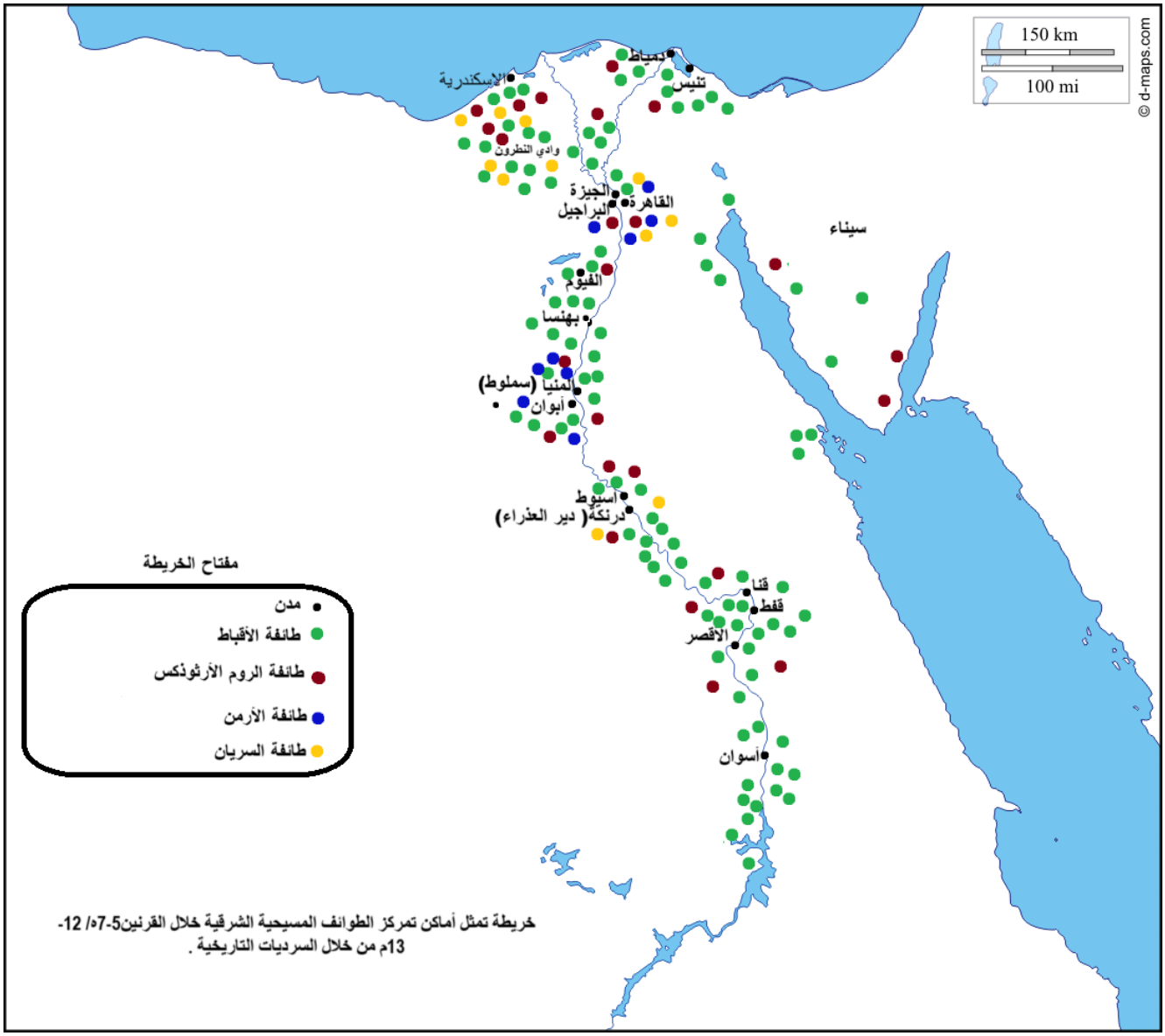

من إنجاز الباحثة إعتمادا على المصادر التالية:(أبو صالح الأرمني، الحموي، سلام الشافعي)

قائمةالمصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر العربية:

3. **ابن الأثير الجزري (ت، 630هـ/1233م)**، **الكامل في تاريخ**،ج2، المكتبة العصرية، ط،1، بيروت، 2008.
4. ـــــــــــــــ، مج،8، مج،10، مر، محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية، ط،1، بيروت، 1987.
5. ـــــــــــــــ، اللباب في تهذيب الأنساب، ج،2، تح، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، د،ط، بيروت، 2000 .
6. **ابن الأخوة** محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد(**ت، 729هـ/1329م**)، معالم القربة في أحكام الحسبة، دار الفنون، د،ط، كمبردج، 1937.
7. **ابن الأصفهاني** علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشيباني (ت، 597هـ / 1200م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، ليدن، 1888.
8. **ابن أبي أصيبعة (ت، 668هـ/1270م)**، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، ضبطه و صححه محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
9. **ابن إياس** محمد بن أحمد (**ت، 930هـ/1524م**)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، مطابع الشعب، القاهرة، 1960،
10. **ابن أيبك الداوداري (ت، بعد 736هـ/1335م)**، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7 ، تح، سعيد عبد الفتاح عاشور، البابي، القاهرة، 1971
11. **ابن بطوطة (ت، 770هـ/1369م)**، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية، ط5، بيروت، 2011،
12. **البيروني** أبو الريحان محمد بن أحمد(ت، 440هـ / 1048م)، *الآثار الباقية عن القرون الخالية*، عناية Eduard Sachau، لايبزيك، 1878م،
13. **ابن تغري بردي (ت، 874هـ/1470م)**، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938 ، ص 186،

14. **ابن تيمية (ت، 728هـ/1328م)،ابن الجوزي** عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي(**ت، 597هـ/1201م**)، فضائل القدس، تح، جبرائيل سليمان، دار الآفاق الجديدة، ط،2، بيروت، 1980.

15. **ابن الساعي البغدادي (ت، 674هـ/1276م)** ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج9، تح، مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، 1934م.

16. **ابن الشّحنة (ت، 815هـ/1412م)**، الدرُّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتب العربي، ط،1، دمشق، 1984م،.

17. **ابن العبري** غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي **(ت، 685هـ/1286م)**، تاريخ الدول السرياني، تر، إسحاق رملة،مجلة المشرق اللبنانية، ع50، 51، 53، لبنان، 1956.

18. ـــــــــــــ، **تاريخ الزمان**، دار المشرق، بيروت،تر، إسحاق رملة، تق، جان موريس فييه، بيروت، 1991م.

19. ـــــــــــــ، **تاريخ مختصر الدول**، تص، أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط،2، لبنان، 1994،

20. **ابن العديم (ت، 660هـ/1262م)**، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط،1، بيروت، 1996.

21. ـــــــــــــ، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د،ت،

22. **ابن الفوطي (ت، 723هـ/1323م)**، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائه السابعة، المكتبة العربية، د،ط، بغداد، 1932.

23. **ابن القلانسي (ت،555هـ/1160م)**، ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة

24. ـــــــــــــ، تاريخ دمشق 360-555هـ، تح، سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط،1، دمشق، 1983.

25. **ابن المكين العميد (ت، 672هـ/1273م)**، *أخبار الأيوبيين*، مكتبة الثقافة الدينية، د،ط، بورسعيد، د،ت،

26. **ابن الوردي** سراج الدين عمر البكري **(ت، 749هـ/1349م)**، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان عقد درر، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1906م،

27. الفتاوى الكبرى، مج1، تح، أحمد كنعان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط،1، بيروت، 1999،
28. **ابن جبير** محمد بن أحمد الأندلسي(**ت، 614هـ/1217م**)، رحلة ابن جبير، دار صادر، د،ط، د،ت، بيروت،
29. ـــــــــــــ،**تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (578–581هـ / 1182–1185م)**، تح، علي كنعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط،1، بيروت، 2008،
30. **ابن حبيب** الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر(**ت، 245هـ/860م**)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج1، تح، محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1967،
31. **ابن خلكان** شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم(**ت، 681هـ/1282م**)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، ج1، ج2، تح، يوسف علي الطويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، 2012،
32. ـــــــــــــ، طبعة باريس، 1839،
33. **ابن دقماق** إبراهيم بن محمد (**ت، 809هـ/1407م**)، *الانتصار لواسطة عقد الأمصار*، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د،ت،
34. **ابن سعيد المغربي** (**ت، 685هـ/1286م**)، *النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة*(القسم الخاص بالقاهرة من كتاب *المغرب في حلى المغرب*)، تح، حسين نصار، مطبعة دار الكتاب، د،ط، الجمهورية العربية المتحدة، 1970،
35. **ابن شاكر الكتبي** (**ت، 764هـ/1363م**)، *فوات الوفيات*، ج1، تح، علي محمد معوض، عادل أحمد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000،
36. **ابن شاهين** خليل الظاهري(ت، 872هـ / 1467م)، *زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك*، تص، بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1891،
37. **ابن شداد** عز الدين محمد بن علي(**ت، 684هـ/1285م**)،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج3، وزارة الثقافة، ط،1، دمشق، 1991،
38. ـــــــــــــ، ج3، ق1، تح، يحي عبادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978،
39. ـــــــــــــ، *سيرة صلاح الدين*، تح، جمال الدين شيال، القاهرة، 1962،
40. ـــــــــــــ، *تاريخ الملك الظاهر*، تح، أحمد حطيط، مطابع مركز الطباعة الحديثة، بيروت، 1983،

41. **ابن عبد الحكم** أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله **(ت، 257هـ/871م)**، *فتوح مصر والمغرب*، ج1، تح، علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، د،ط، القاهرة، 1995،

42. **ابن عبد الظاهر**محي الدين **(ت، 692هـ/1293م)**، الروض الزاهر في سير الملك الظاهر، تح، عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976،

43. **ابن عساكر (ت، 571هـ/1176م)**، *تاريخ مدينة دمشق*، ج2، تح، عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995،

44. **ابن قاضي شهبة** أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر **(ت، 851هـ/1448م)**، *الكواكب الدرية في السيرة النورية*، تح، محمود زايد، دار الكتاب الجديد، ط،1، بيروت، 1971،

45. **ابن قدامة عبد** الله بن أحمد بن محمد المقدسي **(ت، 620هـ/1223م)**، *المغني على مختصر الخرقي في الفقه الحنبلي*، ج8، اعتنى به محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008،

46. **ابن مماتي** الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا**(ت، 606هـ/1209م)**، *قوانين الدواوين*، تح، عزيز سوريال، القاهرة، 1943م،

47. **ابن ميسّر** محمد بن علي بن يوسف **(ت، 677هـ/1278م)**، *أخبار مصر*، ج2، تص، هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1919،

48. **ابن واصل** أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله(ت، 697هـ / 1298م)، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، ج1،ج3، تح، جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957،

49. **أبو الفداء**إسماعيل بن علي بن محمود(ت،672هـ / 1331م)، *المختصر في أخبار البشر*، ج3، المطبعة المصرية الحسينية، القاهرة، د،ت،

50. ـــــــــــــــ، ج2، دار الكتب العلمية، ط،1، بيروت، 1997،

51. **أبو شامة** عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي(665-1268م)، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*،ج1، ق1، تح، محمد حلمي محمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، د،ط، القاهرة، 1956،

52. ـــــــــــــــ ، ج1، تع، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط،1، بيروت، 2002،

53. ـــــــــــــــ، الذيل على الروضتينتراجم رجال القرنين السادس والسابع، ج5 ، دار الكتب العلمية، ط،1، بيروت، 2002م،

54. **أبو صالح الأرمني** (القرن 6هـ/12م)، *تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمني تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها*، المطبعة المدرسية، أكسفورد، 1853م،

55. **اليافعي**عبد الله بن أسعد بن علي (768هـ / 1367م)،*مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،

56. **بيبرس المنصوري** (ت، 725هـ / 1325م)، التحفة المملوكية في الدولة التركية، تح، عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط،1، بيروت، 1987،

57. **أبو يوسف**يعقوب بن إبراهيم الأنصاري(**182هـ / 798م**)، *كتاب الخراج*، دار المعرفة للطباعة والنشر، د،ط، بيروت، 1979،

58. **الإدريسي**أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله(**ت** 560هـ /1165م)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، اعتنى به: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020،

59. **الأزدي** أبو عبد الله محمد بن عبد الله(القرن 2هـ / 8م)، *كتاب فتوح الشام*، تص، وليم ناسوليس الأيرلندي، *Baptist Mission Press*، كلكتا، 1854،

60. **المهلبي** حسن بن أحمد (ت، 380هـ / 990م)، *الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك*، تع، تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر، ط،1، دمشق، 2006،

61. **آنا كومنينا**(ت، 549هـ / 1153م)، *ألكسياد*، تر، حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ط،1، القاهرة، 2004م،

62. **الأنطاكي** يحيى بن سعيد (**ت، بعد 458هـ/1065م**)، *تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا*، تح، عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس-لبنان، 1990م،

63. **أودو أوف دويل**(ت، 564هـ / 1162م)، *رحلة لويس السابع إلى الشرق*، ج1، تر، سهيل زكار، ضمن كتاب *الحروب الصليبية*، دمشق، ط،1، 1984،

64. **أوليفر أوف بادر بورن**(ت، 640هـ / 1245م)، *الاستيلاء على دمياط* ضمن *الموسوعة الشّامية للحُروب الصّليبية*، ج33، تح وتر، سهيل زكار، دار الفكر، ط،1، دمشق، 1998م،

65. **البلاذري** أحمد بن يحيى بن جابر(ت، 279هـ / 892م)، *فتوح البلدان*، تح، سهيل زكار، دار الفكر، ط،1، 1992،

66. **ابن الشحنة** محب الدين أبو الفضل محمد(ت، 815هـ / 1412م)، *الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب*، تح، يوسف بن اليان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1909،

67. **اليونيني** قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد(726هـ / 1326 م)، *ذيل مرآة الزمان*، ج1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1954م،

68. **بن تريك غبريال (ت، 539هـ/1145م)**، مجموع قوانين غبريال بن تريكالبطريرك السبعون (1131-1145م) ،ج1، تح، أنطونيوس عزيز مينا، مركز التراث العربي المسيحي، بيروت، 1993م،

69. **جان دي جوانفيل(ت،717هـ/ 1317م)**، *مذكرات القديس لويس وحملاته على مصر والشام*، تر، حسن حبشي، دار عارف، القاهرة، 1968م،

70. **ابن الحريري** أحمد بن علي بن المغربي، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح، سهيل زكار، دمشق، 1981م،

71. **الحموي ياقوت** بن عبد الله البغدادي(**ت، 626هـ/1229م**)، *معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، ج1، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط،1، بيروت، 1993م،

72. ـــــــــــــــ، *معجم البلدان* ج،1، ج،2، ج،3، ج،4، ج،5 ، دار صادر، بيروت، 1977،

73. ـــــــــــــــ ،*مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*، مج1، تح، علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط،1، بيروت، 1992،

74. **الحميري** محمد بن عبد الله(ت، 900هـ / 1495م)، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ودار السراج، ط2، بيروت، 1980،

75. **الخلال**أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون(ت، 311هـ / 923م)، *أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل*، تح، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002،

76. **دانيال الراهب**(عاش 500هـ / 1106م)، *وصف الأرض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب 1106-1107م*، تر، وتع، سعيد البيشاوي، داود إسماعيل أبو هدبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط،1، عمان، 2003،

77. **الذهبي** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت، 748هـ / 1348م)، *تاريخ الإسلام ووفايات المشاهير والأعلام*، ج1،ج14، تح، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006،

78. **الرهاوي متى** ، تاريخ متى الرهاوي الافرنج، المسلمون، الأرمن،تر، محمود الرويضي، عبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات و النشر، الأردن، 2009،

79. **الرهاوي المجهول**(ت، بعد 632هـ / 1234م)، *تاريخ الرهاوي المجهول 1234م*، ج2، تر، ألبير أبونا، مطبعة شفيق، د،ط، بغداد، 1986،

80. **ريموند داجيل (القرن 12م)**، *تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس*، تر، حسين محمد عطية، تق، جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، 2002م،

81. **الشهرستاني** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت، 548هـ / 1153م)، *الملل والنحل*، ج1، دار المعرفة، ط،1، بيروت، 1990،

82. السرياني المجهول، **المؤرخ السرياني المجهول**،الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، تر، وتح، سهيل زكار ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ط،1 ، دمشق 1984 م ، ج،2،

83. **الصوري وليم (ت، 582هـ/1186م)**، *الحروب الصليبية*، ج1، تر، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للطباعة، د،ط، القاهرة، 1991م،

84. ـــــــــــ، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ضمن سهيل زكار :*الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية*، ج7، دمشق، 1995م،

85. **الظاهري** غرس الدين خليل بن شاهين(ت، 872هـ / 1467م)، *زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك*، تص، بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892م،

86. **عمرو بن متى**(عاش في القرن 14م)، *أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل*، طبعة رومية الكبرى، 1816،

87. **العمري** شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله(ت، 749هـ / 1349م)، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ج27، تح، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، د،ط، لبنان، 2010،

88. **العيني** بدر الدين محمود بن أحمد(ت، 855هـ / 1451م)، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، ج1، تح، محمد أمين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987،

89. **فورزبورغ يوحنا (القرن 12م)**، *وصف الأراضي المقدسة*، تر، سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط،1، عمّان، 1997م،

90. **فوشيه الشارتري**(ت، 518هـ / 1127م)، *تاريخ الحملة إلى القدس*، تر، زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، د،ت،

91. ـــــــــــــ،الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس 1095-1127م، تر، قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ط،1، القاهرة، 2001م،

92. **الفيتري يعقوب (القرن 12م)**، *تاريخ بيت المقدس*، تر، سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط،1، الأردن، 1998م،

93. **فيتلوس**(عاش 525هـ / 1130م)، *وصف الأرض المقدسة في فلسطين حوالي 1130م / 525هـ*، تر، سعيد عبد الله البيشاوي وفؤاد عبد الرحيم دويكات، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان، 2011،

94. **الفيروز آبادي** مجدد الدين محمد بن يعقوب(ت، 817هـ / 1415م)، *القاموس المحيط*، تح، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط،8، لبنان، 2005،

95. **القفطي** جمال الدين علي بن يوسف (646هـ/1248م) ، تاريخ الحكماء مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لبسيك، 1903م

96. **القلقشندي** أبو العباس أحمد بن علي(ت، 821هـ / 1418م)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج2، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، القاهرة، 1963،

97. ـــــ، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تح، محمود سلامة، مطبعة الواعظ، ط،1، 1906،

98. **ماري بن سليمان**(عاش القرن 13م)، *أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل*، طبعة رومية الكبرى، 1899،

99. **الماوردي** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت، 450هـ / 1058م)،*الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، تح، أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار قتيبة، ط،1، الكويت، 1989،

100. ـــــــــــــ، *الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو مختصر شرح المزني*، ج14، تح، علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط،1، بيروت، 1994،

101. **المقدسي** أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت، 380هـ / 990م)، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ط،2، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1902،

102. **المقدسي** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت، بعد 380هـ / 990م تقريبًا)، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ط3،

103. **المقريزي** تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت، 845هـ / 1441م)، *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا*، ج3، تح، محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د،ط، القاهرة، 1996،

104. ـــــــــــ،الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، تح، محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط،1، القاهرة، 1998،

105. ـــــــــــ، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، ج1، ق2، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1997م.

106. ـــــــــــ، ج1، ق2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1970.

107. ـــــــــــ، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، تح، عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د،ط، القاهرة، 1995.

108. **مُؤرّخ مجهول**، *أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس*، تر، حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م.

109. **ميخائيل السرياني الكبير (ت، 596هـ/1199م)**، *تاريخ ميخائيل السرياني الكبير*، ج2، ج3، تر، مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين للنشر، ط،1، حلب، 1996م،

110. **النويري** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (**ت، 733هـ/1333م**)، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، مج28-29، تح، نجيب مصطفى فواز، حكمت كلشي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت.

مصادر أجنبية:

1. Albert d'Aix , **Histoire des faits et gestes dans les regions d'outre-mer depuis l'annee 1095 jusqu'a l'annee 1120 j،c**, imprimerie de A،Belin, Paris, 1824،

2. Azais l'Abbé et C، Domergue, **Journal d'un voyage en Orient**, Avignon, 1858،

3. Eugène Rozière, **Cartulaire de l'Église du Saint Sépulcre de Jérusalem** , Publié d'après les anuscrits du Vatican, Imprimerie Nationale, Paris, 1849,

4. Genevieve B،B , **Le Cartulaire de Chapitre de Saint – Sepulcre de Jerusalem** , paris 1984

5. Matthieu d'Edessa, **Chronicle**, **in Recueil des Histoiens des Croisades Documents Armeniens**, Paris , 1869, vol،1،

6. Sempad, **Chronique du royaume de la Petite Arménie**, in Recueil des historiens des croisades , documents arméniens , Vol،1, Paris, 1869

المراجع العربية و المعربة:

1. إبراهيم محمد تركى،**عالم الكلام بين الدين والفلسفة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط،1، الاسكندرية، 2008.

2. أحمد حطيط، **سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية 1098_ 1290م** ، دار المحجة البيضاء، ط،1 ، لبنان 2010.

3. أحمد رشاد، **إمبراطورية نيقية البيزنطية وعلاقاتها بالغرب اللاتيني و الشرق الاسلامي 1204–1261م**، بيان ترجمة نشر توزيع،1999.

4. أحمد رمضان، **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية**، القاهرة، 1977،

5. أحمد عبد الكريم سليمان، **المماليك و المغول في عهد دولة بني قلاوون 678هـ–784هـ /1279م–1382م**،دار النهضة العربية،ط،1، 1984، القاهرة،

6. أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الاسلام**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ، 2011

7. أحمد محمود هويدي، **مدخل إلى تاريخ الأديان**، بيان للترجمة والنشر و التوزيع،2020،

8. آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام**، مج1، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريد، ط،5، دار الكتاب العربي ،بيروت،د،ت،

9. إدوارد إلياس، **مشاهد الممالك**، مؤسسة هنداوي، 2017م،

10. أرثر ستانلي ترتون، **أهل الذمة في الاسلام** ، تر، حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1939،

11. ارنست باركر، **الحركة الصليبية**، تر، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط،2 ، لبنان، 1967،

12. **إستراجيان ك، أ**، ، *تاريخ الأمة الأرمنية من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن العشرين الميلادي*، مطبعة الاتحاد الجديد، د،ط، الموصل، 1951،

13.استيفانوس قوميطا، **الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة**، مطبعة القبر المقدس البطريركية، القدس، 1867م،

14.اسحق أرملة، **الحروب الصليبية في الآثار السريانية**، المطبعة السريانية، بيروت، 1929م،

15.اسحق ساكا، **السريان إيمان وحضارة**، ج1، مطبعة مطرانية السريان الأرثوذكس ،حلب، 1983،

16.أسد رستم، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، ج2، منشورات المكتبة البولسية ، ط،1، جونية، 1988،

17.اسطفان الدّويهي،**تاريخ الأزمنة**، تح، الأباتي بطرس فهد، دار لحد خاطر، بيروت، د، ت،

18.ـــــــــــــ،**تاريخ الطائفة المارونية**، تع، رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، د،ط، بيروت، 1890،

19.أسعد جرمانوس، **أصول المارونية السياسية و جذور الحريات اللبنانية**، دار المرد، د،ط، بيروت، 1996،

20. **إسكندر السندرس، تاريخ الكنيسة القبطية**، ج2، مطبعة النجمة، مصر، 1916،

21. إغناطيوس أفرام الأول برصوم(ت، 1375هـ / 1957م)، **نزهة الذهان في تاريخ دير الزعفران، وفيه لمحة في تاريخ أبرشية ماردين وأديارها**، المطبعة السريانية، ماردين، 1917.

22.أغناطيوس ديك، **الشرق المسيحي سلسلة من تراثنا**، المكتبة البولسية، د،ت، بيروت،

23.ـــــــــــــ، **المسيحية في سورية تاريخ و إشعاع**، ج1، مطبعة الإحسان للروم الكاثوليك، حلب، 2008.

24.ألبير أبونا، **تاريخ الكنيسة السريانية من مجيء الإسلام حتى نهاية العصر العباسي**، ج،2، دار المشرق، ط،2 ،بيروت، د،ت ، 2002.

25.أمال حامد زيان غانم، **الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين والحملة الصليبية الأولى في ضوء كتاب "ألكسياد"**، دار الثقافة العربية ، القاهرة، 2010،

26.إمام الشافعي محمد حمودي، أشرف صالح محمد سيد، **الانحراف الجنسي في عصر الحروب الصليبية**، دار البشير للثقافة و العلوم، ط،1، ،2018،

27.أميرة الشيخ رضا فرحات، **الفاطميون تاريخهم و آثارهم في مصر**، دار الكتب العلمية،ط،1، بيروت، 2013،

28.الأمين عوض الله، **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**، دار المجمع العلمي، جدة، 1979،

29.أنطوان خانجي ،**مختصر تواريخ الأرمن**، طبع بدير الآباء الفرنسيسكان، أورشليم، 1868،

30. **إيسوذورس المملوكي** (ت، 1897م)، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، ج1، مكتبة المحبة، مصر، 2002،

31. بتشر أ،ل، ،**تاريخ الأمة القبطية وكنيستها**، مطبعة الفجالة،القاهرة،

32. بطرس ضو ،**تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري** ، ج2، دار صيدون، د،ط، جونية، 1996،

33. بلقاسم طبابي،**دراسات في السلطة و المجتمع في العصر الإسلامي الوسيط مصر و الشام في العهد المملوكي أنموذجا : 1250 – 1517 م**، الدار التونسية للكتاب، 2013م،

34. بولس مسعد، **دليل لبنان و سوريا** ، ج1، د،د،ن، 1913م،

35. تمارا تالبوت رايس، **السلاجقة تاريخهم وحضارتهم**، تر،لطفي الخوري،ابراهيم الداقوقي، مكتبة الارشاد، بغداد، 1968،

36. تيسير بن موسى، **نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين**، الدار العربية للكتاب،د،ط، 1979

37. جاك تاجر ، **أقباط و مسلمون من الفتح العربي إلى عام 1922م**، مؤسسة هنداوي، د،ط، المملكة المتحدة، 2017،

38. جراسيموس مسرة، **تاريخ الانشقاق**، ج،2، المطبعة الشرقية،د،ط، الاسكندرية ، 1894،

39. جرجس فيلوثاوس عوض ، **أملاك القبط في القدس الشريف دير السلطان**،ج1، المطبعة الأهلية بالقاهرة، القاهرة, 1924،

40. جمال الدين سرور ،**دولة بني قلاوون في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، د،ت،

41. جمال محمد داود ، **العرب و الأرض في العراق في صدر الإسلام**، الشركة العربية،د،ط، عمان، 1979،

42. جوزيف نسيم يوسف،**العدوان الصليبي على بلاد الشام**، دار الكتب الجامعية ،ط،3، 1971،

43. ــــــــــــــــ، **العدوان الصليبي على مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م،

44. جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة**، ج،3، دار الثقافة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1990،

45. جوناثان رايلي سميث، **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس و قبرص**، تر، صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والنشر، ط،1 ،دمشق، 1989،

46. حبيب زيات، **الروم الملكيون في الإسلام**، ج1، المطبعة البولسية، د،ط، لبنان، 1953،

47. حداد بطرس، جاك اسحاق، **المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد**، المجمع العلمي العراقي، توزيع دير أنطونيوس، بغداد، 1988،

48. حداد بطرس، **كنائس بغداد وديارتها**، شركة الديوان للطباعة، د،ط، بغداد، 1994،

49. الحريري سيد علي، **الأخبار السنية في الحروب الصليبية**، مطبعة النيل، ط2، مصر، 1911م،

50. حسان حلاق و عباس صباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية و المملوكية و العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية** ،دار النهضة العربية،بيروت ، 2009،

51. حسان حلاق، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية،د،ط، بيروت ،1999، ط،2،

52. حسن إبراهيم حسن، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية و الدينية بوجه خاص**، مر، محمد حسونة ،زكي المهندس، وكالة الصحافة العربية، 2021م،

53. حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق و الآثار**، مصر،1978م،

54. حسن باشا،**موسوعة الآثار و الفنون الإسلامية**، ج2،مكتبة الدار العربية للكتاب،1999،

55. حسن الزين ، **الأوضاع القانونية للنصارى و اليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني**، دار الفكر الحديث ، بيروت، 1988،

56. حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى**، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، ط،1، مصر،د،ت،

57. حسن مصطفى خاطر، **موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك**،ج2 ،مؤسسة الرسالة بإشراف المجلس العلمي الفلسطيني، د،ط، **القدس**، 2004،

58. حسنين محمد ربيع،**النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين**، مطبعة جامعة القاهرة، ط،1، القاهرة، 1964م ،

59. حسين محمد عطية ،**امارة أنطاكية الصليبية و المسلمون**، دار المعرفة الجامعية، ط،1 ،اسكندرية، 1989،

60. حسين مؤنس،**أطلس التاريخ الإسلامي**،الزهراء للإعلام العربي، ط،1، القاهرة ، 1978

61. حمزة الفاروقي، **جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ،2008،بيروت،

62. ديمتري رزق، **قصة الأقباط في الأرض المقدسة، رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس**، د،ط، القاهرة، 1967،

63. ر،س،سميل، **فن الحرب في المائة الأولى**، تر،سهيل زكار في الموسوعة الشاملة، دار الفكر، ط،1، دمشق، 2008،

64. راتب حمود نصر الله ،**الموحدون و الدروز جذوة العروبة و الإسلام**، مطبوعات محمد سعيد الطريحي، هولندا، 2022م ،

65. رافائيل بابو إسحاق، **أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية**، مطبعة شفيق بغداد ،1960

66. رانسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج2، تر،السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1968م،

67. ـــــــــــــ، **تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم**، ج1، تر،نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط،2، مصر،

68. رجب محمد عبد الحليم، **إنتشار الإسلام بين المغول**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986م،

69. ريمون هشام ، **دراسة تحليلية في تاريخ الموارنة في لبنان من النشأة حتى الانتداب الفرنسي**،منشورات الجامعة الأنطونية، ط،1، 2008، لبنان،

70. زكي نقاش،**العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية** ، دار الكتاب اللبناني، ط،1، لبنان، 1958،

71. ستانلي لين بول، **تاريخ مصر في العصور الوسطى**، تر، أحمد سالم سالم، مر،أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط،4، القاهرة، 2016،

72. ستين زيتر، **تاريخ سلاطين مصر و الشام و حلب و بيت المقدس**، مطبعة بريل، ليدن، 1919،

73. سعد خليل الشعيبات، **مصادر تمويل الحملات الصليبية488–648هـ/1095–1250م**، الآن ناشرون وموزعون، ط،1،عمان ، 2021 ،

74. سعيد البيشاوي، **ممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990،

75. سعيد عبد الفتّاح عاشور، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى** ج،1، مكتبة الأنجلو المصرية، ط،1، القاهرة، 2010،،

76. ـــــــــــــ، **بحوث و دراسات في تاريخ العصور الوسطى**، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1977،

77. ـــــــــــــ، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية ، ط2، بيروت، 2015،

78. ـــــــــــــ،**تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، ط،2، بيروت، 2003،

79. ـــــــــــــ، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، د،ط، القاهرة، 1992،

80. سلام شافعي محمود، **أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني و العصر الأيوبي (467-648هجري/1074-1250م)** ،ج2، دار المعارف،د،ط، 1982،

81. سمير عبده، **المسيحيون السوريون خلال ألفي عام**، دار علاء الدين للنشر، دمشق، 2000،

82. سمير عربش، **الأرمن أرض وشعب**، مؤسسة دار الريحان للطباعة و النشر،(د،ط)،1991،

83. سهيل طقوش ،**تاريخ الحروب الصليبية**، دار النفائس، ط،1 ، بيروت، 2011 ،

84. ـــــــــــ ،**تاريخ المغول العظام والإيلخانيين** ،دار النفائس ،ط،1 ،بيروت، 2007 ،

85. سوريال عطية ، **العلاقات بين الشرق و الغرب تجارية –ثقافية –صليبية**،تر، فيليب صابر سيف، دار الثقافة المسيحية، ط،1،القاهرة، 1972،

86. السيد الباز العريني، **الشرق الأوسط و الحروب الصليبية**،

87. شاكر أبو بدر، **الحُروب الصّليبية والأُسرة الزّنكية**، مكتبة كُلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د ، ط، بيروت (د ، ت)،

88. شحاذة خوري ،نقولا خوري، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية**، مطبعة بيت المقدس، القدس الشريف،

89. شلبي إبراهيم جعيدي ، **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبى (567 – 648هـ/ 1171 – 1250م)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د،ط، القاهرة، 2003

90. شوقي عطاالله الجمل،عبد الله ابراهيم، **الحضارة الإفريقية**،كتاب الجمهورية، د،ط، مصر، 2009،

91. شوكت الأتروشي، **الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي** ، دار دجلة، عمان ، 2007 ،

92. طالب عبد الفتاح صوافي، **القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الاسلامي 294-196هـ/1099- 1219م**، مؤسسة أسوار، ط،1، عكا، 2000،

93. عادل اسماعيل، **إنقلاب على الماضي**، دار النشر للسياسة و التاريخ، بيروت، 2003م،

94. عادل زيتون، **العلاقات السياسية و الكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى** ، ط،1، دمشق، 1980 ،

95. عارف باشا العارف ،**تاريخ القدس**، مطبعة دار المعارف ، القاهرة، 1951،

96. عاشور فايد حماد، **العلاقات السياسية بين المماليك و المغول في الدولة المملوكية الأولى**، دار المعارف، القاهرة، 1974،

97.عبابنة يحيى زعبي، آمنة صالح، **معجم المشترك اللغوي العربي السامي معجم الالفاظ القديمة المشتركة بين العربية ومجموعة اللغات السامية**، هيئة أبو ضبي للثقافة و السياحة، الإمارات المتحدة، د،ط، 2014،

98.عبد الحافظ محمد علي، **المسلمون و البيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري و التاسع و الثاني عشر الميلادي**، دار النهضة العربية ،1982 ، ج،2،

99.ـــــــــــــــــ، **مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس و أثرها على تاريخ الحركة الصليبية 1131-1187م** ،دار النهضة العربية للطبع و النشر و التوزيع ، ط،1، مصر، 1984،

100.عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو، **مصادر النصرانية**، دار التوحيد للنشر، الرياض، 2007،

101.عبد السلام عبد العزيز فهمي ، **تاريخ الدولة المغولية في ايران** ، دار المعارف، القاهرة، 1981،

102.عبد العزيز جمال الدين، **تاريخ مصر من خلال مخطوط تاريخ البطاركة لابن المقفع ابن المقفع**، ج،3، مج،2، مكتبة مدبولي، ط،1، القاهرة، 2006،

103.عبد الله أبي عبد الله، **تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور**، ج،1، دار ملفات، ط،1، بيروت، 1997،

104.عبد الله حارثي، سعيد عاشور، **الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس و السابع للهجرة الثاني عشر و الثالث عشر للميلاد**،الدار العربية للموسوعات،(د،ط)،2007،

105.عبد المنعم عبد الله خلف الدليمي، **الألفاظ اليونانية في المؤلفات العربية و تأصيلها**، دار غيداء للنشر،2017،

106.عبد المنعم ماجد ، **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**،ج،1، المكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1953،

107.ـــــــــــــــــ، **نظم الفاطميين و رسومهم في مصر**، ج،1، المكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1953،

108.عبلة المهتدي الزبدة، **صلاح الدين و تحرير القدس** ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ، 1994م،

109.عزت اسرائيل، **أرمن مصر أرمن فلسطين بعيدا عن السياسة**، تق، عاصم الدسوقي، العربي للنشر والتوزيع، ط،1، القاهرة، 2017،

110.عزيز سوريال عطية، **تاريخ المسيحية الشرقية**، تر، إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ط،1،

111.ـــــــــــــ، **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية** ،تق،سهيل زكار، دار الأوائل ، ط،1، دمشق، 2006، ج1،

112.على سيد علي، **العلاقات الاقتصادية بين المسلمين و الصليبيين**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، ط،1، مصر، 1996،

113.ـــــــــــــ، **المرأة المصرية و الشامية في عصر الحروب الصليبية**، المجلس الأعلى للثقافة، ط،1، القاهرة، 2002،

114.علي ليلة، **النظرية الاجتماعية و قضايا المجتمع: آليات التماسك الاجتماعي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2015،

115.علية الجنزوري، **إمارة الرها الصليبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2001،

116.عماد الدين خليل، **الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام**، مؤسسة الرسالة، ط،1، بيروت، 1980،

117.عمر عبد السّلام التّدمري، **تاريخ طرابلس** ،دار البلد، ط،1، طرابلس، 1978م،

118. فادي شامية، **الممتلكات و الأوقاف المسيحية في القدس**، ضمن كتاب **دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس**، تحرير محسن محمد صالح، مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات، ط،1، بيروت، 2010،

119.فاطمة مصطفى عامر، **تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي** ، القاهرة، 1999

120.فتحي سالم اللهيبي، **دراسات في علاقات الأرمن والكرخ بالقوى الإسلامية في العصر العباسي**،دار الكتب العلمية، لبنان، 2013،

121.ـــــــــــــ، **مملكة جورجيا في العصور الوسطى دراسة في نشأتها وعلاقاتها الخارجية**، المنهل، ط،1، 2015،

122.فرح فرزلي، **مسيحيو المشرق في عهد الفرنجة : الحروب الصليبية من وجهة نظر مشرقية**، ضمن كتاب **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ط،1، بيروت، 2001،

123.فغالي بولس، **فيوض في الفكر الشرقي**،الرابطة الكتابية، 2009،

124.فهد بطرس، **بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر**،ط،1، دار لحد خاطر، 1984،

125.فؤاد عبد المعطي الصياد، **مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني** ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،لقاهرة، 1967

126.ـــــــــــــ، **المغول في التاريخ**،ج،1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د،ط، 1980،بيروت،

127.فيليب حتى، **لبنان في التاريخ**، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة و النشر، بيروت-نيويورك، 1959،
128.فيليب دي طرازي، **عصر السريان الذهبي**، مؤسسة هنداوي للنشر، د،ط ، المملكة المتحدة ، 2014،
129.قاسم عبده قاسم، **الحملة الصليبية الأولى نصوص و وثائق**، العربية للدراسات و النشر، د،ط، د،ت،
130.ـــــــــــــــ، **ماهية الحروب الصليبية**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، ماي 1990،
131.كمال صليبي، **منطلق تاريخ لبنان 634- 1516م**، نوفل للنشر، ط،2، بيروت، 1992،
132.لامب هارولد، **شعلة الإسلام**، تر،محمود عبد الله يعقوب ،مكتبة المثنى، بغداد، 1967،
133.لويس غارديه وجورج قنواتي، **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ج،3، **تر**،صبحي الصالح، فريد جبر، دار العلم للملايين ،ط،1، بيروت ، 1969م،
134.مارك شنودة، **الأفخاريستية سر الحياة**، تق، الأنبا رافائيل، د،ط، د،ت،
135.هاجي متري أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية سورية في الألف الأولى الميلادية**، ج،1، ج،2 ، ج،5، ج،7، المكتبة البوليسية،جونية، 1997م ،
136.ـــــــــــــــ، **موسوعة بطريركيةٌ أنطاكيةٌ**، ج،6، مطبعة بطريركية الروم الكاثوليك، دار صادر، ط،1، جونية، 1997،
137.متّى موسى، **الموارنة في التّاريخ**، دار قدمس، ط،1، دمشق، 2004م،
138.محمد الخضري بك، **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة العباسية**، تح، محمد أحمد إبراهيم، مراجعة: أيمن
139.محمد تونجي، **معجم أعلام النساء**، دار العلم للملايين، ط،1 بيروت، 2001،
140. محمد جمال الدين سرور، **الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره**، دار الكتب المصرية، د،ط ، القاهرة 1938،
141.محمد سعيد الطريحي، **شقائق النعمان في أحوال الحيرة وكوفان**،أكاديمية الكوفة، د،ط، هولندا، د،ت،
142.محمد صالح طيب الزيباري، **سلاجقة الروم في آسيا الصغرى**، دار دجلة ،ط،2، الأردن، 2009م،
143.محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، دار النهار، ط،5 ، بيروت ، 2006،
144.محمد كرد علي،**خطط الشام**، ج،6،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط،3،بيروت، 1983،

145.محمد مؤنس عوض، **عصر الحروب الصليبية –بحوث و مقالات**، عين للبحوث و الدراسات، ط،1، القاهرة،2006،

146.ـــــــــــــ ، **ملامح تاريخ الموارنة لبنان عصر الصليبيات**، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث و مقالات، دار عين، ط،1، 2006،

147.ـــــــــــــ ، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب في القرنين 12– 13م/ 6–7هـ**، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، مصر، 1999،

148.ـــــــــــــ ، **السياسة الخارجية للدولة النورية في الصراع الاسلامي الصليبي**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، القاهرة، 1998،

149.ـــــــــــــ، **معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق و الغرب**، مكتبة الآداب،ط،1، القاهرة ، 2015م،

150.محمود الحويري، **الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية**، دار المعارف ، القاهرة ، 1979

151.محمود الرويضي، **إمارة الرُّها الصليبية**، جامعة مؤتة،ط،1، عمان، 2002 ،

152.محمود السيد، **تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية**، مؤسسة شباب الجامعة، د،ط، الإسكندرية، 1998

153.محمود سعيد عمران، **الحملة الصليبية الخامسة على مصر**، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م،

154.ـــــــــــــ، **القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين 493– 531هـ/1100–1137م** ، دار النهضة العربية،د،ط ،بيروت، 1986،

155.ـــــــــــــ، **حضارة أُوروبا في العُصور الوُسطى** ، دار النّهضة العربية، ط،1، بيروت، 1991م،

156.مرجونة إبراهيم ، **المغول في العالم الإسلامي دراسة سياسية حضارية (656–735هـ/ 1258–1335م)**،دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2020،

157.مروان مدور، **الأرمن عبر التاريخ**،منشورات دار نوبل،ط،2، سوريا، 1980م،

158.مزا بنت زيد البقمي، **الأدلاء ودورهم في بلاد الشام و مصر زمن الحروب الصليبية 490–690هـ/1098–1291م** ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، ط،1،القاهرة،2017،

159.مصطفى حسن محمد الكناني، **العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى 1095-1171م/488-567هـ أضواء جديدة على الحركة الصليبية**، تق، جوزيف نسيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981،

160.مصطفى عبد الله شيحة،**دراسات فى العمارة والفنون القبطية** ،وزارة الثقافة، هيئة الاثار المصرية، القاهرة، 1988،

161.مصطفى محمد حناوي،**عصر الحروب الصليبية الفرسان الاسبتارية و دورهم في الصراع الصليبي الإسلامي** ، مكتبة الرشد، الرياض ،2004 ،

162. مصعب حمادي نجم الزيدي، **الصليبيون في بلاد الشام**، دار النهضة العربية، د،ط، بيروت ، 2013،

163.المعاضيدي خاشع وآخرون، **تاريخ الوطن العربي و الغزو الصليبي**، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، د،ط، العراق، 1981،فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2020م

164.مكسيموس مونروند، **من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب**، مج1، تعريب كيريو كيريو مكسيموس،دير الرهبان الفرنسيسكانيين، أورشليم، 1865،

165.منذر الحايك، **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**، ج،1، تق،سهيل زكار، دار الأوائل، ط،1، دمشق، 2006م

166.منصور المخلصي، **اللاهوت المعاصر، الله في اللاهوت المسيحي المعاصر**، الطيف للطباعة، د،ط، بغداد، 2002م،

167.منصور طنوس، **نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية**،د،د،ن، ،ط،1، لبنان، 1884م،

168.**الموسوعة العربية العالمية** ، مج 10،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع،ط،2، الرياض،1999م،

169.موضي عبد الله السرحان، **تنظيمات الصليبيين في مملكة بيت المقدس و أثرها على أوضاعهم في بلاد الشام**، ط،1، الرياض، 2006،

170.ميخائيل زابوروف ، **الصليبيون في الشرق**، تر،إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986م،

171.ميشال أبرص، أنطوان عرب، **مدخل إلى المجامع المسكونية** ، توزيع المكتبة البولسية ،ط،1، 1996،

172.نجيب اسطيفان، **صراعات الكنيسة وسُقوط القسطنطينية**، دار التّكوين، ط،1، دمشق، 2011م،

173.نظير حسان سعداوي ، **الحرب و السلام زمن العدوان الصليبي** ،منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961،

174.نعيمة عبد السلام الساحلي، **التوجهات السياسية للدولة الأيوبية**، تق، أحمد إيبش، دار قتيبة ،ط،1،دمشق، 2009م

175.نعيمة محمد ابراهيم، **آسيا الصغرى و الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر**، دار الآفاق العربية ، ط،1،القاهرة، 2014،

176.نقولا زيادة ،**المسيحية و العرب**، دار قدمس للطباعة و النشر، بيروت، ط،2، 2000،

177.نهى فتحي الجوهري، **امارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر ميلادي**، دار العالم العربي، 2008،

178.نيروز ابراهيم ،**كشف المفقود من كنائس عابود**، مكتبة المطران عقل للدراسات الدينية،رام الله،2001،

179.هانس إبرهارد ماير، **تاريخ الحروب الصليبية**، تر، عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، 1990،

180.هبي أنطون، **المنثور في حقل التاريخ والفن واللاهوت**، دار ألف باء الأديب، ط،1،دمشق، 1996،

181.هنري لامس اليسوعي، **تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار**، ق،2، دار الرائد ،د،ط، بيروت، د،ت،

182.وديع بشور، **أضواء على حروب الفرنجة و التركمان: الحروب الصليبية 1095–1302م**، دار سين، دمشق، 2007،

183.يحي حسن، **أهل الذمة في العراق في العصر العباسي الفترة السلجوقية نموذجا 447–560هـ /1055– 1194م**، عالم الكتب الحديث، 2004،

184.يحي حسين عمار، **تاريخ الملك العادل نور الدين محمود الدولة الزنكية في الموصل وحلب ودمشق**، د،ن، ط،1، بيروت،1991،

185.يعقوب نخلة روفيله، **تاريخ الأمة القبطية**،تق،جودت جبره، مطبعة متروبول، ط،2، مصر، 2000

186.يوساب الأرمني، ***تاريخ الكنيسة القبطية: تاريخ الآباء البطاركة***، تح، نبيه كامل، صموئيل السرياني، د،د،ن، مصر، 1992م،

187.يوسف الدبس، **الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصل**، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، 1905

188.ـــــــــــ، **الحجة القاطعة الجلية على من ينكر ثبوت الموارنة في العقيدة الكاثوليكية**، المطبعة العمومية المارونية، د،ط، بيروت، 1905،

189.ـــــــــــ، **تاريخ سورية الديني و الدنيوي**، ج5، المطبعة العمومية، بيروت، 1900،

190.يوسف دريان، **البراهين الراهنة في أصل المردة و الجراجمة و الموارنة**، المطبعة العلمية، بيروت، 1904،

191.يوشع براور، **الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس**، تر، عبد الحافظ البنا، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، ط،1، مصر، 2001،

192.ـــــــــــ، **عالم الصليبيين**، تر، قاسم عبده قاسم و محمد خليفة حسن، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط،1، القاهرة ، 1999،

- **المراجع الأجنبية:**

1. Adrian Boas , **Domestic Settings Sources on Domestic Architecture and Day–to–Day Activities in the Crusader States**, Brill, Leiden, 2010
2. Alan V Murray,**The Crusader Kingdom of Jerusalem A Dynastic History 1099–1125**, Prosopographica et Genealogica, G،B, 2000,
3. Benvenist، Meron,**The Crusaders in the Holy Land**, Keter Publishing House, Jerusalem, 1970,
4. Bernard Hamilton,**Women in crusader states** :**The queens of jerusalem** (**1100 – 1190**) , Published by Cambridge University Press,1987،
5. **_____**, **The latin church in crusader states the Secular Church**,Variorum publications, 1st ed, london 1980
6. Boase,T،S،R، , **Castles and churches of the crusading kingdom**,Oxford University Press,1967،
7. Brian todd carey and others, **Warfare in the Age of Crusades The Latin East** , PEN& SWORD BOOKS, 1st ed ,England , 2022،
8. Cahen, **La syrie du nord a l'époque des croisades et la principauté franque d'Antiche**, librairie orientaliste paul Geuthner, paris , 1940،

9. Charles Simon, Clermont-Ganneau,**Archaeological Researches in Palestine During the Years 1873–1874**, **1899**, Palestine Exploration Fund, London, 1896 ,Vol، 2
10. Christopher Mac Evitt, Tolerance, R، , **The Crusades and the Christian World of the East**, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, U،S،A, 2008
11. Corliss K، Slack , **Historical Dictionary of the Crusades** ,2nd ed, the scarecrow press, U،K , 2013,
12. Delaville le roulx , **Les hospitalliers en terre sainte et a chypre 1100–1310**, paris, 1904,
13. Denys Pringle , **Fortification and Settlement in Crusader Palestine**, AshgatePublisher,U،S،A،,2000,
14. Edouard de muralt, **Essai de Chronographie Byzantine 1057–1453**, **H،georg librairieediteur**, Bale, 1871،
15. Emmanuel Guillaume-Rey, **les colonies franques de syrie au XII et XII siecles**, paris 1883,
16. _____, **Résumé chronologique de l'Histoire des princes d'Antioche**, R،O،L، , Vol،4 ,paris,1901
17. F،Charles-roux, **France et chretiens d'orient** , FLAMMARION , Paris , 1939 ،
18. Grousset rené, **Histoire des Croisades**, Librairie Academique Perrin, Paris , 1968،Vol،1،
19. _____, **l'épopéé des croisades**, librairie académique perin, paris, 1995,
20. Guida M،Jackson, **women leaders of africa** , **asia**, **Middle east**,**and pacific**,Xlibris Corporation, U،S،A , 2008 ،
21. H،G،M، Williamson,Robert G،hoyland,**The Oxford Illustrated History of the Holy Land**, Oxford University Press, U،K، , 2018,

22. **Histoire des Croisades**, Librairie Academique Perrin, Paris , 1968 ,vol،1,
23. Hrant pasdermadjian, **Histoire de l'Arménie depuis les origines jusqu'au traité de Lausanne**, A، Bontemps, 1964،
24. Ian heath, **Armies and enemies of the crusades 1096–1291**, a wargames research group Ltd publication, 2،ed, 2019،
25. Jacob (E) , **Innocent III**, in C،M،H، ed Hussey, London, 1975 , vol 5 ،
26. Jacob G،Ghazarian, **the armenian kingdom in cilicia during the crusades The integration of cilician armenians with the latins 1080– 1393**, CURZON caucasus world, 1st ed,England, 2000
27. James W، Thompson, **Economic and Social History of the middle ages**, new york, 1959,
28. Jaroslav Folda,**Crusader art in the Holy Land** : **from the Third Crusade to the fall of Acre**, **1187–1291**, Cambridge University Press, New York, 2005,
29. John JosephSaunders , **The History of the Mongol** ConquestsRoutledge, 1971 ،
30. Johnny turner ,**Abiblical theology of Christian discipleship** ,WIP AND STOCK،
31. Jonathan Simon Christopher Riley-Smith, **The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174–1277**, Palgrave Macmillan, New York, 1974،
32. Joseph Tarzin, **Edessa in the era of patriarch Michael the Syrian**,**Hugoye**: **Journal of Syriac Studies**, vol 3،2 ,2010,
33. Krzysztof Stopka ,**Armenia Christiana** :**Armenian Religious Identity and theChurches of Constantinople and Rome** (**4th–15th Century**) ,1st ،ed , Jagiellonian University Press, poland ,2016

34. Linda Edwards, **a guide to beliefsideas**, **theologies**, **mysteries**, **and movements** ,Westminster john Knox press,1st ed, London, 2001،

35. Maximilian C،G، Lau, **Emperor John II Komnenos rebuilding new Rome 1118–1143**

36. Meron Benvenisti, **The Crusaders in the Holy Land**, **Macmillan**,U،S،A،, 1972

37. Minorsky V، , **Studies in Caucasian history**, Taylor s foureign press , London,1953 ،

38. Morgan Robert, **History of the Coptic Orthodox Peopel and the Church of Egypt**، ,Oxford University Press,U،K,2023,

39. Natasha R، Hodgson, **Women**,**crusading and the holy land in historical narrative**,the boydell press,1st ed،,U،K,2007

40. Nicolas drocourt, Sebastian koditz,**A Companion to Byzantium and the West**, **900–1204**, Brill , Leiden,2021

41. Oldenbourg Zoe, **the crusades**, trans، Anne Carter, Pantheon, book- New York, 1965،

42. Paul Des Champs ,**La Défense du Royaume de Jérusalem، Etude historique**, **géographique et monumentale**, Paris, Geuthner, 1939،

43. Pier Giorgio Borbone(Edited, Translated, and Annotated) , **History of Mar Yahballaha and Rabban Sauma**,verlage tredition , Hamburg, 2021،

44. Robert lawrence Nicholson,**Joscelyn III and the fall of the crusader states 1134–1199**, E،J، Brill, 1973،

45. Ronnie Ellenblum, **Rural settlement in the latin kingdom of Jerusalem**,Cambridge publishers, Eugene ,1st ed 2021

46. Salibi (K), **The maronite church in the middle ages and its union with rome** , in OC, 1958,

47. Setton Kenneth M، , **A History of the Crusades**, Universtiy of pensylvania Press, Edited by Marshall W، Baldwin , Vol،1،

48. Steve tebble, **The crusader armies 1099–1187** ,**Yal university press**, 1st ed, U،K، ,2018

49. Stevenson, **The crusaders in the east**, cambridge univesity press, 1907،

50. Thomas Andrew Archer, Charles Lethbridge Kingsford , **The Crusades The Story of the Latin Kingdom of Jerusulem**, G، P، Putnam's Sons, London , 1894

- **الرسائل الجامعية**

1. بوعمامة فاطمة، **العلاقات الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة 1375م**، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر، س،ج، 1993–1994،

2. عامر ونوس، **الإدارة و القضاء و الجيش في مملكة بيت المقدس الصليبية**،رسالة دكتوراه ،جامعة تشرين السورية، اللاذقية، 2018

3. عبد العزيز عبد الدايم ، **إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1971

4. فاطمة الطراونة ،**دور الأرمن في الحروب الصليبية 1096 / 1152م**، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، الأردن ، 2002،

5. محمد زرقوق،**سفارات الكنيسة الأرمنية إلى القسطنطينية و روما و القاهرة و أثرها على اندلا ع الحروب الصليبية**، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع،51، 2019،

6. محمد سامي أمطير، **الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية 492–583هـ/1099–1187م**،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية ،نابلس–فلسطين، 2010م

7. محمد سامي سلطان، **موقف نصارى بلاد الشام من الحروب الصليبية 488–690هـ/1095–1291م**، أطروحة الدكتوراه، جامعة بيروت العربية، 2013،

8. محمود الرويضي، **إمارة الرها الصليبية (1098–1155م/ 490–550هـ)**،رسالة دكتوراه،جامعة الأردن ،1997،

الدوريات:

أ- العربية:

1. أحمد جلايلي، **حرية المعتقد والتسامح الديني في حكم المغول(603-694 هـ/ 1206 -1295م)**، مجلة عصور الجديدة، العدد 19- 20 ،أكتوبر 2015،

2. حسن الخطاف، **الحياة الدينية في ماردين التركية: من أرتق بن أكسب إلى عهد صلاح الدين الأيوبي(484- 589هـ / 1091- 1194م)**، مجلة دراسات بيت المقدس، ع 20، مج،3، تركيا، 2020م،

3. سعيد البيشاوي، **سروج في العهدين الفرنجي الصليبي و الأيوبي**،مجلة دراسات موصلية ، العدد63 ، القسم الأول، الموصل ، 2022،

4. عامر ونوس، **دراسة موجزة حول قلاع مملكة أرمينية الصغرى و حصونها و دورها في حماية المملكة 596-777هـ/1199-1375م**، مجلة الدراسات التاريخية،مج، 141، ع،4،جامعة دمشق، 2021

5. علي عبيد الريكاني، **الطائفة المارونية في لبنان منذ النشأة إلى نهاية الحملات الصليبية (398-1292م)** ، مجلة قضايا تاريخية، ع،3، العراق، 2016،

6. قداوي محمود خليل، **التحالف المغولي الأرميني الصليبي لاحتلال مصر و بلاد الشام**، مجلة تاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع،10، 1999،

7. كوركيس عواد، **ديارات بغداد القديمة: القسم الثاني**، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، مطبعة التايمس، 1977، مج3،

8. محمد على إسماعيل و آخرون ،**الإقطاع ونشأة الجيش الصليبي ببيت المقدس**،مجلة كلية الآداب ،ع،17، مصراتة،يونيو 2021،

9. مصطفى قداد،**الاستيطان الصليبي لبيت المقدس وتهجير المقدسيين**، مجلة دراسات بيت المقدس، مج20، ع3 ،2020،

10. هدى محمد سندي، **أثر المغول و المسيحيين على الدولة الإسلامية في العصر العباسي**، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة أم القرى،

11. هنري لامنس، **تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار**، مجلة المشرق، السنة السادسة، ع،1، بيروت،1903،ص 133،

12.هويدا محمد بنيرة، **أقباط مصر في عصر الحروب الصليبية (1095–1291م/490–690هـ)**، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية المصرية، ع،11، ج،1، أكتوبر 2021،

ب– الأجنبية:

1. Constantine Paparrigopoulos، **Lettre d'Alexis I Comnène à Robert I**, **Comte de Flandre**, Bulletin de Correspondance Hellénique, Année 1880, T4،
2. Gérard Dédéyan , **Les Arméniens en Occident**, **fin du Xe siècle – début du XIe** ,Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public , Année 9 , 1978
3. Jonathan Riley-Smith, **Some lesser officials in Latin Syria**, English Historical Review,Cambridge University Press ,vol 87 ,1972،
4. Susan BALDERSTONE ,"**In the Syrian Taste**": **Crusader churches in the Latin East as architectural expressions of orthodoxy**, The Middle Ages and the Crusades, Jan-Jun 2010،

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
البسملة	
آية استفتاحية	
شكر وتقدير	
إهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	
أولا- أهمية الموضوع	أ
ثانيا – أسباب اختيار الموضوع	ب
ثالثا – إشكالية الدراسة	ج
رابعا- هيكل الدراسة	د
خامسا – منهج الدراسة	هـ
سادسا – الدراسات السابقة	و
سابعا- عرض المصادر و تحليلها	ز-ف
الفصل الأول: مشاهدات من الوضع السوسيو-سياسي لمسيحيي الشرق خلال القرون 2-5هـ/ 8-11م.	
المبحث الأول: التنوع الطائفي لمسيحيي الشرق والخصوصية الإثنو- جغرافية:	01
1. الطائفة السريانية	04
● النساطرة.	05
● اليعاقبة.	06
2. الروم الملكيون الأرثوذكس.	08
3. الموارنة (المردة).	10
4. الأرمن .	12
5. الأقباط.	13
المبحث الثاني: مشاهدات من أحوال نصارى المشرق الإسلامي قبل الوجود الصليبي	16

1. عقد الذمة دستور النصراني داخل المجتمع الإسلامي	16
2. النصارى و الاضطرابات السياسية داخل الدولة الإسلامية	19
3. العلاقة بين الكنائس الشرقية و الغربية قبل انطلاق الحملات الصليبية	21
• الأرمن و علاقتهم بالكرسي الرسولي اللاتيني قبل491هـ/ 1098م	22
• الروم الملكيون الأرثوذكس يستنجدون بالغرب الكاثوليكي	23
المبحث الثالث: الحملة الصليبية الأولى وصداها لدى الروم و السريان491-492هـ/1096-1099م.	25
1. الحرب المقدسة من الفكرة الدينية إلى الحملة العسكرية.	25
2. اللاتين يحطون الرحال في عاصمة الروم الأرثوذكس 490 -502هـ/1096 - 1110م.	28
3. ملكانيو بيت المقدس في مواجهة الصليبيين 494هـ-1099م.	32
4. موقف الطوائف السّريانية اليعاقبة والنّساطرة من الحملة الصليبية الأولى. 491-492هـ/ 1098م -1099م.	33
المبحث الرابع: موقف الأرمن و الموارنة من الولوج اللاتيني لأرض المشرق 498 -502هـ /1096- 1110م.	36
1. نشاط الحملة الصليبية في أراضي التجمعات الأرمينية(489 هـ - 1096 م/ 491هـ - 1098 م).	37
2. موقف الأرمن من تأسيس الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي.489-492هـ /1098 -1099م	43
3. الموارنة والحملة الصليبية الأولى 491-504هـ/1098-1109م	46
الفصل الثاني:الواقع السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الصليبي(491هـ-690هـ / 1098- 1291م).	
المبحث الأول: الحضور السياسي لمسيحيي الشرق داخل مؤسسات الحكم الصليبية 504-690هـ/ 1110م- 1291م	51

1. المشاركة الإدارية و التنظيمية .	51
• المصاهرات السياسية طريق إلى مناصب الحكم الصليبية.	52
• المناصب الإدارية والقضائية.	57
2. المسيحيون الشرقيون والنظام الحربي الصليبي.	60
3. المسيحيون الشرقيون والسلطة الدينية الصليبية.	61
المبحث الثاني: النشاط العسكري للطوائف المسيحية الشرقية مع الصليبيين 504-690هـ/ 1110م- 1291م	65
1. الدعم العسكري الأرميني-السرياني للصليبيين.	65
2. الدعم العسكري الماروني للصليبيين.	73
3. صور من تمردات المسيحيين الوطنيين على حكامهم الصليبيين.	77
المبحث الثالث: مملكة أرمينية الصغرى وتجربة الحكم الذاتي لمسيحيي الشرق تحت لواء اللاتين (504هـ-685هـ /1198م_1291م).	83
1. مملكة أرمينية الصغرى كفاعل سياسي في المنطقة.	84
• التحالف الروبيني-الصليبي والسعي للتاج الملكي.	84
• مملكة أرمينيا الصغرى وأزمة الحكم في إمارة أنطاكية.	86
2. الدور العسكري الصليبي لمملكة أرمينيا الصغرى.	93
• التحالف الأرميني-المغولي.	93
• الصدام الأرميني- المملوكي.	96
الفصل الثالث: المشهد السياسي للطوائف المسيحية الشرقية في ظل الحكم الإسلامي(491هـ-690هـ 1098- 1291م).	
المبحث الأول: الحضور السياسي للذميين النصارى في مؤسسات الحكم الإسلامية بالمشرق	103
1. نصارى العراق والشام	104

2. نصارى مصر	105
المبحث الثاني : الدعم الايجابي من نصارى الشرق للمسلمين في صراعهم ضد الصليبيين	113
1. التحالف السرياني-الإسلامي	113
• السريان والأراتقة.	113
• السريان والزنكيون.	115
• صلاح الدين والكنيستين السريانية والملكانية في بلاد الشام.	118
2. موقف الأقباط من الصراع الإسلامي-الصليبي	120
3. المسيحيون الشرقيون والمماليك حتى690هـ/ 1291م.	125
المبحث الثالث: مشاهد من مؤامرات نصارى المشرق ضد الحكم الإسلامي	127
1. محاولة إنقلاب أرمن الرها على عماد الدين زنكي 541هـ/ 1146م	127
2. تآمر الأرمن ضد نور الدين محمود زنكي 541هـ/ 1146م	128
3. الحركات القبطية المناهضة للمسلمين في مصر.	134
4. التحالف النسطوري -الماغول 656-685هـ/1258- 1260م	135
الفصل الرابع: جوانب من الحياة الاجتماعية لمسيحيي الشرق داخل الإمارات الصليبيةبين سنتي 491-690 هـ/ 1098م- 1291م	
المبحث الأول:مسيحيو الشرق داخل المنظومة الاجتماعية الصليبية سنتي 1098 – 1291م	140
1. سياسة الإستيطان الصليبي واستقطاب مسيحيي الشام.	140
2. موقع مسيحيي الشرق داخل الهرمية الاجتماعية الصليبية.	145
المبحث الثاني: تفاعل المسيحي المحلي داخل المجتمع الصليبي.	149
1. محاكم السريان.	149
2. الحياة اليومية .	151

● المأكل و المشرب .	151
● طراز العمارة و اللباس.	152
● المرأة.	154
3. العوائد الإحتفالية.	155
● الإحتفالات والأعياد.	155
● طقوس المآتم.	157
المبحث الثالث: الواقع العلائقي الديني للمجتمع المسيحي الشرقي.	158
1. الصليبيون و الهيرارشية الدينية المسيحية الشرقية.	159
● الروم الملكانيون (الارثوذكس)	159
● الكنيسة الأرمينية	161
● الكنيسة المارونية	162
● الكنيسة النسطورية	162
● الكنيسة اليعقوبية	163
● الكنيسة الجورجية	164
● الأديرة الأرثوذكسية	164
المطلب الثاني :سياسة الكثلكة وأثرها على الجماعات المسيحية المحلية.	165
● الكنيسة المارونية والانفتاح على الكثلكة.	165
● الكنيسة الأرمينية بين الولاء المذهبي و المصالح السياسية.	167
● الكنيسة السريانية الرافضة للكثلكة.	169
الفصل الخامس:مظاهر من الحياة الاجتماعية للنصارى تحت الحكم الإسلامي بين سنتي (491هـ-690هـ 1098- 1291م).	
المبحث الأول: الانتشار الديمغرافي للنصارى داخل مناطق النفوذ الإسلامي.	174
1. نصارى إقليم العراق و الجزيرة.	175
2. نصارى أرض مصر.	177

المبحث الثاني: الحرية الدينية للنصارى تحت الحكم الإسلامي.	179
1. أعياد النصارى: صورة من حرية الممارسات الطقسية.	179
2. أحوال الكنائس الشرقية و رجالاتها	182
3. استحداث دور العبادة و ترميمها.	187
المبحث الثالث: الدور المجتمعي لنصارى الشرق:النخب الطبية النصرانية أنموذجا	193
1. أطباء العراق والجزيرة.	193
2. أطباء مصر والشام.	196
المبحث الرابع: مشاهدات من تطبيق الحكام لعهد الذمة على النصارى	198
1. السمات الشرعية: كما يراها الذمي النصراني.	198
2. هدم دور العبادة	201
الخاتمة	208
الملاحق	212
قائمة المصادر والمراجع	218
ملخص	

الملخص

تناقش هذه الأطروحة الواقع السوسيو-سياسي لمسيحيي الشرق خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والسابع الهجري (الثامن والثالث عشر الميلادي). وذلك من خلال تحليل علاقاتهم بالدولة الإسلامية والإمارات الصليبية. واستكشاف تفاعلهم السياسي والاجتماعي والديني داخل هذه الأنظمة المختلفة. تسلط الدراسة الضوء على التنوع الطائفي لمسيحيي الشرق. حيث انقسموا إلى عدة طوائف رئيسية. أبرزها السريان بنوعيهم النساطرة واليعاقبة. والروم الملكيون الأرثوذكس. والموارنة. والأرمن. والأقباط. وقد ارتبطت هذه الطوائف بخصوصيات إثنو-جغرافية أثرت على مدى انخراطها في الشؤون السياسية والاجتماعية خلال تلك الفترة.

قبل الحملات الصليبية. عاش مسيحيو الشرق في ظل الدولة الإسلامية ضمن إطار عقد الذمة. الذي منحهم حماية قانونية وحقوقًا دينية محددة. لكنه فرض عليهم أيضًا بعض القيود. مثل الجزية والتمييز في بعض الجوانب الاجتماعية. ومع ذلك. كان لهم دور ملحوظ في الحياة السياسية والاقتصادية. حيث برزت شخصيات مسيحية في الإدارة والطب والتجارة. غير أن هذه الفترة شهدت أيضًا اضطرابات سياسية أثرت على وضع المسيحيين. خاصة مع تغير الحكام وتنامي الصراعات الداخلية. كما كانت هناك تفاعلات بين الكنائس الشرقية والغربية قبل الحروب الصليبية. حيث شهدت العلاقات بين الأرمن والكرسي الرسولي اللاتيني تقاربًا قبل عام 1098م. بينما لجأ الروم الأرثوذكس إلى الغرب الكاثوليكي طلبًا للدعم. مما مهد الطريق للتدخل الصليبي.

مع انطلاق الحملة الصليبية الأولى. تباينت مواقف الطوائف المسيحية الشرقية تجاه الغزو اللاتيني. ففي حين قاوم الروم الأرثوذكس وجود الصليبيين في بيت المقدس. أبدت بعض الطوائف السريانية موقفًا أكثر تساهلًا تجاه القادمين الجدد. على أمل تحسين أوضاعها في ظل الحكم اللاتيني. كذلك. رحب بعض الأرمن بالصليبيين. وساهموا في دعمهم عسكريًا ولوجستيًا. بينما ظل موقف الأقباط أكثر تحفظًا نتيجة ارتباطهم الوثيق بالدولة الفاطمية الحاكمة في مصر.

في ظل الحكم الصليبي. انخرط المسيحيون الشرقيون في المؤسسات السياسية والعسكرية. حيث استفادوا من المصاهرات السياسية للحصول على مناصب إدارية وقضائية. وساهموا في تكوين الجيش الصليبي. خاصة طائفتي الأرمن والموارنة. كما كانت لمملكة أرمينية الصغرى تجربة فريدة في الحكم الذاتي تحت النفوذ اللاتيني. حيث تحالفت مع الصليبيين في البداية. لكنها دخلت لاحقًا في صراعات مع المماليك والمغول. مما أثر على استقرارها. ومع تصاعد الصدامات بين القوى الإسلامية والصليبية. انخرط بعض المسيحيين المحليين في تمردات ضد حكامهم الصليبيين. سعيًا لاستعادة نفوذهم التقليدي.

على الجانب الآخر. استمر حضور المسيحيين الشرقيين في مؤسسات الحكم الإسلامي خلال هذه الفترة. حيث لعب نصارى العراق والشام ومصر دورًا مهمًا في الإدارة والاقتصاد. كما شهدت الحقبة تحالفات بين المسلمين وبعض الطوائف المسيحية ضد الصليبيين. مثل الدعم الذي قدمه السريان للزنكيين وصلاح الدين الأيوبي. مما ساهم في استعادة القدس عام 1187م. في المقابل. تعاونت بعض الفئات المسيحية مع القوى الأجنبية. مثل محاولات الأرمن التمرد على حكم زنكي. أو تحالف النساطرة مع المغول. مما أدى إلى توترات داخل المجتمعات الإسلامية.

اجتماعيًا. تكشف الدراسة عن طبيعة الحياة اليومية لمسيحيي الشرق داخل الإمارات الصليبية. حيث اندمجوا في النظام الجديد لكنهم احتفظوا بعاداتهم الدينية والاجتماعية. وظهر ذلك في الاحتفالات الدينية. وطقوس المآتم. وأسلوب العيش المشترك مع اللاتين. من حيث المأكل والملبس والعمارة. كما شهدت هذه الفترة تفاعلات بين الكنائس الشرقية والسلطة اللاتينية. حيث حاول الصليبيون فرض سياسة الكثلكة على بعض الطوائف. فاستجابت الكنيسة المارونية لذلك. بينما قاومتها الكنائس الأرمينية والسريانية.

أما في ظل الحكم الإسلامي. فقد تمتعت المجتمعات المسيحية بدرجات متفاوتة من الحرية الدينية. حيث سُمح لهم بإقامة شعائرهم وبناء الكنائس في بعض الفترات. بينما تعرضوا أحيانًا لقيود مشددة. مثل فرض الغيار والجزية. وهدم بعض الكنائس. ورغم ذلك. استمر المسيحيون الشرقيون في أداء دور بارز في المجتمع. خاصة في مجال الطب. حيث برز أطباء مسيحيون في العراق والشام ومصر.

في المجمل. تعكس الأطروحة مدى تعقيد الواقع السياسي والاجتماعي لمسيحيي الشرق خلال هذه الفترة. حيث تنوعت مواقفهم بين الولاء للحكام المسلمين أو الصليبيين. والتحالف أو التمرد. تبعًا للظروف السياسية والمصالح الطائفية. وتبرز الدراسة كيف شكل هؤلاء المسيحيون جزءًا مهمًا من المشهد السياسي والديني في المشرق. ما يجعل فهم دورهم ضروريًا لاستيعاب تطورات التاريخ الإسلامي والصليبي في العصور الوسطى.

Summary :

This dissertation examines the socio-political reality of Eastern Christians between the 2nd and 7th centuries AH (8th–13th centuries AD) by analyzing their relationships with the Islamic state and the Crusader principalities. It explores their political, social, and religious interactions within these different governing systems. The study highlights the sectarian diversity of Eastern Christians, who were divided into several major groups, including the Syrians (Nestorians and Jacobites), Greek Orthodox Melkites, Maronites, Armenians, and Copts. These sects had distinct ethno-geographical characteristics that influenced their level of involvement in political and social affairs during this period.

Before the Crusades, Eastern Christians lived under the Islamic state within the framework of the dhimma contract, which granted them legal protection and specific religious rights but also imposed certain restrictions, such as the jizya tax and social discrimination. Nevertheless, they played a significant role in political and economic life, with Christian figures excelling in administration, medicine, and trade. However, this period also witnessed political turmoil that affected the status of Christians, especially with changes in rulers and internal conflicts. Additionally, interactions between Eastern and Western churches preceded the Crusades. The Armenians, for instance, had established ties with the Latin Papacy before 1098 AD, while the Greek Orthodox sought Western Catholic support, paving the way for Crusader intervention.

With the launch of the First Crusade, Eastern Christian sects held varying positions regarding the Latin invasion. While the Greek Orthodox resisted the Crusaders' presence in Jerusalem, some Syriac sects took a more lenient stance, hoping for better conditions under Latin rule. Likewise, some Armenians welcomed the Crusaders and provided them with military and logistical support, whereas the Copts remained more reserved due to their strong ties to the ruling Fatimid state in Egypt.

Under Crusader rule, Eastern Christians became involved in political and military institutions. They gained administrative and judicial positions through political intermarriage and contributed to the Crusader military, particularly the Armenians and Maronites. The Armenian Kingdom of Cilicia experienced a unique form of semi-autonomous rule under Latin influence, initially allying with the Crusaders before later engaging in conflicts with the Mamluks and Mongols, affecting its stability. As tensions between Islamic and Crusader forces escalated, some local Christians revolted against their Crusader rulers in an attempt to restore their traditional influence.

On the other hand, Eastern Christians continued to play a role in Islamic governance during this period, particularly in Iraq, the Levant, and Egypt, where they were active in administration and the economy. Some Christian groups also allied with Muslims against the Crusaders, such as the Syriacs who supported the Zengids and Saladin, contributing to the recapture of Jerusalem in 1187 AD. Conversely, certain Christian factions collaborated with foreign powers, such as Armenian attempts to rebel against Zengi or the Nestorians' alliance with the Mongols, leading to internal tensions within Islamic societies.

Socially, the study explores the daily lives of Eastern Christians under Crusader rule, highlighting their integration into the new system while maintaining their religious and social traditions. This is evident in their religious celebrations, mourning rituals, and shared lifestyle with the Latins in terms of food, clothing, and architecture. The period also witnessed interactions between Eastern churches and the Latin authorities, with the Crusaders attempting to impose Catholicism on some sects. While the Maronite Church embraced this shift, the Armenian and Syriac Churches resisted Catholic influence.

Under Islamic rule, Christian communities experienced varying degrees of religious freedom. They were allowed to practice their rituals and build churches at times, while at other times, they faced restrictions such as the imposition of

distinctive dress codes, the jizya tax, and church demolitions. Despite these challenges, Eastern Christians continued to contribute to society, particularly in medicine, where Christian doctors played a prominent role in Iraq, the Levant, and Egypt.

Overall, this dissertation highlights the complexity of Eastern Christians' political and social realities during this period. Their stances fluctuated between allegiance to Muslim or Crusader rulers, forming alliances, or engaging in revolts based on political circumstances and sectarian interests. The study underscores the significance of Eastern Christians as key players in the medieval Islamic and Crusader history, making their role essential to understanding the broader historical developments of the region.